إعادة قراءة التشيع في العراق

حفريات استشراقية

نخبة من المستشرقين



تعريب وتقديم وتعليق:
الدكتور عبد الجبار ناجي



المركز الأكاديمي للأبحاث

إعادة قراءة التشيع في العراق

المركز الأكاديمي للأبحاث

إعادة قراءة التشيع في العراق (حفريات استشراقية)

Re-reading Shi'ism in Iraq: Orientalist Investigations

نخبه من المستشرقين. Multiple Authors

تصميم الكتاب وغلافه:المركز الأكاديمي للأبحاث- التقويم اللغوي:الأستاذ عباس التميمي - تنضيد وإخراج : علي الحسناوي

الناشر:المركز الأكاديمي للأبحاث

العراق - تورنتو - كندا

The Academic Center for Research

TORONTO -CANADA

موثق بدار الكتب والوثائق الكندية/Library and Archives Canada

ISBN 978-1-927946-11-4

بيروت - الطبعة الأولى ٢٠١٥

website\\www.academyc2010.com

Email - nasseralkab@gamil.com

توزيع : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : بيروت - لبنان

الجناح - شارع زاهية سلمان - مبنى مجموعة تحسين الخياط

٧٦١١-٢٠٤٧ بيروت - لبنان

Tel:+961-1-830608 —— Fax: +961-1-830609

Email:tradebooks@all-prints.com

Website:www.all-prints.com

مقدمة المركز الاكاديمي للابحاث

العراق والتشيع لازمة من لوازم التاريخ الإسلامي منذ مراحله التكوينية، فالنمو، والتطور، والصراع للتشيع بشكله العام مثل العراق ساحته التاريخية الأهم. وقد تقف وراء هذا التلازم ظروفاً تاريخية - حضارية وجغرافية – سياسية أسهمت في صياغته وبلورته بالشكل الذي استقر عليه، فغاطس التراث الديني العميق للحضارات العراقية القديمة شكل مصدراً ملهماً غير مرئياً لهذا المذهب المميز بتنوع تياراته الداخلية، كذلك المناكفة بين مركز ظهور الإسلام في وسط شبه الجزيرة العربية، والمدن الجديدة المؤسسة خارج ذلك النطاق.

ويصنف الكتاب الحالي ضمن الأعمال الجماعية لدراسة ملف في حقل موضوعي واحد قدمت فيه صور، متباينة، ومتنوعة، في الآن نفسه لالتقاطها من زوايا ومرجعيات مختلفة في التكوين، والتعليم، والاختصاص الدقيق، فبعض الأبحاث المجتمعة في هذا الكتاب قد تتقاطع في ما بينها ويفند بعضها البعض الآخر، وهذا الاختلاف والتباين، قد يعطي حيوية ويخلق جواً صحياً متعدداً في رؤيته، وقد يخرج الكتاب من نطاق أو طابع الرتابة المعتمد على الرؤية الواحدة في متابعة البحث ومعالجته.

الملف الذي يتعاطى معه الكتاب الحالي واقع ضمن دائرة هذا النوع من الأبحاث والدراسات؛ فهو في أصله عبارة عن أربعة مجلدات تناول موضوع التشيع بحقبه المختلفة، وتوزيعه الجغرافي، الممتد على مساحات واسعة، شارك في كتابة دراساته نخبة من المختصين. سعى المترجم إلى إخراج الأبحاث الخاصة بدراسة التشيع في العراق وترجمتها وكتابة مقدمة رابطة بين موضوعاتها.

د. نصير الكعبي

تورنتو – كندا

٢٠١٤

مقدمة المترجم

قد يتساءل القارئ الكريم عن السبب الذي حدا بمترجم هذا الكتاب (إعادة قراءة التشيع في العراق – حفريات استشراقية) ، الذي حقّقه كلّ من الدكتورين بول لفت وكولن تيرنر بأربعة أجزاء متناسقة ورائعة على وفق الميادين التاريخية والفكرية والعقائدية للتشيع في أكثر البلدان الي يقطنها الشيعة الإمامية على وجه التحديد ،أن يجتزأ من هذا العمل الضخم والمهم بما له علاقة بدراسات المستشرقين المتعلقة بالتشيع في العراق فحسب ؟ والجواب نعم للمتساءل الحق في مسائلته لماذا تمّ ذلك ؟. ولتعزيز موقفنا من هذا الجانب هناك ثمة عناصر جدلية تقف وراء هذا الاختيار نجملها في الآتي :-

١- كانت هنالك من نهاية القرن التاسع عشر أو مطلع القرن العشرين وما زالت تنعكس حتى زماننا هذا

٢- من أقوال وتوصيفات من المستشرقين بما يدعى التشيع الفارسي وبأن الفرس كانوا مادة التشيع ولحمته بل وتأسيسه . وإن الفرس قد آمنوا بالعقيدة الشيعية الإمامية الإثني عشرية لكونها تتماهى وتقاليدهم وتراثهم الديني والسياسي والميثولوجي القديم الإخميني والساساني ؛ فقد أبدى مثل هذه الأفكار المستشرق والدبلوماسي الفرنسي جوزيف آرثر كومت دي جوبينو Joseph Arther comet de Goboneau الذي مثّل بلاده مرتين كقنصل في طهران وكتب كتابا بعنوان (الأديان والفلسفات في أواسط آسيا) (Les religions et les philososphies Asie Cenrals الذي طبع بثلاث طبعات منذ سنة ١٨٦٥ . فأبدى ملاحظة بخصوص أصول التشيع في إيران وعرّج على مسألة مهمة هي لماذا ازداد انتشار التشيع في هذه المنطقة الواسعة؟ وقد أثّرت تفسيراته وآراءه منذئذ في آراء مستشرقين معروفين في دراساتهم وتخصّصهم في الشأن الإيراني نظير آدوارد براون

A.Browne المستشرق البريطاني المعروف إذ كرّرها في كتابه (الأدب الفارسي) . ودعمها المستشرقُ الفرنسيُ كوسين دي بيرسفال Caussin de Perceval والى حدّ ما البروفسور هنري كوربنH.Corbin وآخرون؛ ومغزى هذه الآراء والتوصيفات هي أن العقيدة الشيعية الإمامية تعدّ نسخة جديدة للديانة الساسانية القديمة، ولاسيما بالنسبة الى مبدأ الوراثة الملكية وكذلك ما يتعلق بالممارسات والطقوس الشيعية، وبأن عقائد الشيعة الإمامية إن هي إلاّ نسخة مطابقة لما هو موجود في الأديان الفارسية القديمة وأن هناك علاقة قوية بين التشيع من جهة وبين القومية الفارسية من جهة ثانية. ودحض هذه الآراء جملة من المستشرقين أنفسهم من أمثال البروفسور الإسرائيلي إيتان كوهلبرغ Etan Kohelberg . وعلى الرغم من انتقاد علماء الدين في إيران آراء جوبينو وبراون وكوربن هذه، غير أنها ظلّت تتردد بين أوساط المستشرقين . مع أن الدلائل والحقائق التاريخية تفندها ولا تدعمها؛ فالذين أدخلوا الإسلام الشيعي الى بلاد الديلم وسواحل بحر قزوين لم يكونوا فرسا إنما من الأئمة الحسنيين ممّن فرّ من الدولة العباسية. فهؤلاء الأئمة من أبناء الإمام الحسن هم الذين أدخلوا الإسلام الشيعي الى هذه المنطقة ؛ وهؤلاء كانوا من أنبل حيّ في قريش كما هومعروف في كتب الأنساب العربية .وقد أسّسوا دولا نظير دولة الحسن بن زيد بحدود سنوات ٢٥٠هجرية/٨٦٤م وأدّوا إنجازات كثيرة على المستوى الديني والاجتماعي والسياسي مع دول أخرى تنتمي الى العقيدة نفسها. كذلك فإن مدينة قم المقدسة قد قطنها الأشاعرة العرب منذ الزمن الأموي وعلى أثر مطاردة الوالي الأموي الحجاج الثقفي للأشاعرة؛ لكونهم شيعة من أخوة وأبناء عمومة سعد بن مالك الأشعري . فنزل هؤلاء الأشاعرة في سبع قرى في منطقة قم . وعند استقرارهم لحق بهم كثير من أبناء عشيرتهم فصارت هذه القرى نواة للإرث العربي الشيعي . لذلك ليس من المستغرب أن يصف

المؤرخ والجغرافي (اليعقوبي) المدينة بحدود القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي بأن معظم سكان المدينة عربا ويتكلمون اللغة العربية وهم من الأشاعرة . فضلا عن ذلك كلّه فإن رحلة الإمام الرضا مع أفراد عائلته وأنصاره ورحلة أخته فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر ودفنها في قم بعد أن تعرض اللصوص لقافلتها. فالإمام الرضا لم يكن فارسيا والذين رافقوه من اولاده وأخوته ومناصريه ، المنتشرة أضرحتهم في بقاع كثيرة من الأرض الإيرانية حتى الوقت الراهن ، لم يكونوا فرسا كذلك . وقد أدخل الإمام وصحابته العقيدة الشيعية الإمامية حيث ما حلّ ، وكان الناس هناك فرسا وعربا يجلّونه ويعظمونه لأنه من آل بيت النبوة . فوق هذا وذاك فإن الصفويين يرجع نسبهم الى الشيخ صفي الدين الأردبيلي المتوفى عام ١٣٣٤م وهو مؤسس الطريقة الصوفية في أردبيل وأذربيجان وكانوا يعظمون أئمة أهل البيت .وأن الشاه الصفوي الذي أقرّ المذهب الشيعي الإمامي الإثني عشري هو الذي شجع العلماء الشيعة العرب إن كانوا من جبل عامل في جنوب لبنان وإن كانوا من العراق ، الحلة، ومن البحرين وجميع هؤلاء العلماء الذين أشاعوا وعلّموا مذهب التشيع الإمامي كانوا عربا، علّموا الناس القرآن واللغة العربية، والتراث العربي، والتقاليد العربية. فكيف يا ترى أدخلوا التقاليد الساسانية القديمة الى التشيع؟ هذه في الواقع مجرد محاجة تفند الآراء السابقة أعلاه وموضوع البحث في هذا الجانب بحاجة الى ردّ اكثر اسهابا وتفصيلا وقفت عليه في بحث لاحق.

٣- إن مبدأ التشيع قد ولد هاهنا في العراق في البصرة والكوفة خلال خلافة الإمام عليّ حيث لم يكن هناك يومئذ فرس بعد فتوحات العرب للعراق والمشرق الإسلامي. وحتى قبل أن تؤسس المذاهب السنّية الأربعة .

فهذه العناصر وغيرها لا شكّ كانت في ذهن المترجم حين أقدم على اجتزاء بعضٍ من البحوث المتعلقة بالتشيع في العراق سواء في دراسة أصوله التاريخية منها أم دراسة مقوماته الأخرى في الكتاب الضخم الذي نوّهنا عنه في أعلاه.

****

وهناك ملاحظة أخرى لها صلة أساسية بما أشرنا اليه من مسألة يمكن أن نطلق عليها ظاهرة ترديد الأراء والتفسيرات وتكرارها التي بلغت في مداها الى درجة عدّت بمثابة النظريات الثابتة من جيل من المستشرقين الى جيل آخر، ألا وهي الإصرار على اعتمادهم على حفنة من المصادر الإسلامية السنّية عند تناولهم كثيرا من الأمور المتعلقة بالتشيع وأصوله ومنابعه الأساسية. والأمثلة على هذا كثيرة ومتواصلة. ولنأخذ نماذج من هذه الآراء والتفسيرات .

ففي مسألة الخلافة : نرى البروفسور مادولنك وآخرين يتابع بشكل تقليدي لما توصل اليه كلّ من البروفسور كايتاني I.Caetani في كتاب حوليات الإسلام Annali dell' Islam المطبوع في ميلان١٩٠٥-١٩٢٥ وفي الجزء العاشر منه ؛ والمبشر هنري لامانس H.Lammens في كتابه (فاطمة وبنات محمد Fatima et le filles de Mahomet) المطبوع في روما سنة١٩١٢م.إذ ردّد مادولنك ذات الفكرة التي أضحت وكأنها نظرية، بأن الخليفة الأول هو الراشد الفعلي فقط لأن يتسلم سدّة الحكم كخليفة طالما إنه كان رجلاً من الطراز الأول بين الرجال بعد النبي. وعلى الرغم من أن محمداً لم يعينه بوضوح وصراحة وعلانية خليفة له، لكن تفضيله إياه قد أشّرإليه من خلال أوامرالرسول بأن يؤم المسلمين في الصلاة خلال حقبة مرضه. وقد حصل الإجماع، إجماع المسلمين، لصالح ابي بكر ليكون بمثابة خيار الله تعالى في تحملك المسئولية المهمة جدا والخطيرة في قيادة الأمة الإسلامية مباشرة بعد انتقال الرسول الى رفيقه الأعلى . أما بالنسبة للشيعة فإن ابن عم الرسول علي بن أبي طالب فهو غير مؤهل لذلك المنصب وإن النبي لم يكن يريد أن يخلفه ! كما زعم

هؤلاء المستشرقون . ذلك لأن كايتاني في الجزء العاشر قد ترجم حرفيا كتاب الطبري تاريخ الرسل والملوك الذي حقّق آنذاك في أوربا، فكانت رواية الطبري هي التي أمدّت استنتاج كايتاني. فجاء مادولنك الذي كان في الأساس متخصّصاً بالفاطميين والزيدية ليعيد ويكرر علينا وعلى القراء الآخرين ما ذكره المستشرقان كيتاني ولامانس.

******

وخرج هؤلاء الباحثين بمخرجات متعددة بخصوص تعبير (آل) المفردة المطلقة المعنى و(بيت) و(عائلة) وغير ذلك من التعبيرات المرتبطة بالأسرة، حتى إن البروفسور موشي شارونM.Sharon وآخرين قد حوّلوا التعبير (أهل البيت) الى الإنجليزية (People of the house). يرجع الجدل في هذه المسألة تقريبا الى العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر . فقد ترجم المستشرق البريطاني + الأمريكي رودويل J.Rodwell وكان يشغل منصب أستاذ الدراسات الشرقية في جامعة كمبردج (القرآن الكريم) بعنوان The Quran الذي طبع في باريس سنة ١٨٤٠ وكذلك ما أورده المستشرق البريطاني + الأمريكي بالمر E.H.Palmer وكان هو الآخر يشغل منصب أستاذ اللغة العربية في جامعة كمبردج في ترجمته (للقرآن الكريم) الذي أعطاه أيضا عنوانا مماثلا The Quran وتمّ طبعه في مطبعة جامعة أكسفورد في سنة ١٨٨٠.إذ ترجما أهل البيت في ما ورد في سورة هود آية ٧٣ قوله تعالى (قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنّه حميد مّجيد) بما هو في الإنجليزية (أهل الأسرة The People of the Household ؛ والتسمية هذه بحسب (قاموس ويبستر)Webster تعني الناس ,وتعني أيضا المجتمع أو مجموعة من الناس ؛وهي تعني أيضا أفراد أو أعضاء عائلة لهم صلة النسب والقرابة. ولعل هذه الترجمة أو التفسير لتعبير أهل البيت قد أثّر على تفسير عدد من المستشرقين القدامى أمثال المستشرق المجري اليهودي جولدتسيهر .Gldzehir ,I الذي كتب

بحثا بترجمته التعبيرالى The people of the House في دائرة المعارف الإسلامية بطبعتها القديمة الموسوم بأهل النبي (Al al Nabi) The family of the Prophet وقد أبدى رأيا بأن هذا التعبير كان مألوف الاستعمال عند عرب الجاهلية. فقد استعملوه في الإشارة الى بيت رئيس القبيلة أو بيت العائلة الحاكمة في القبيلة ويقصد به عائلته (وهو مأخوذ من حقّ الحماية لرمز اله القبيلة) معتمدا في ذلك على ما كتبه هنري لامانس.H.Lammens. والواقع فإن لامانس قد ألّف بحثا باللغة الفرنسية بعنوان (عبادة بيت آله) ونشره في كتابه (الجزيرة العربية قبيل الهجرة le Culte des) (تقديس أو تعظيم بيت الآلهBetyles. وظل مستعملا في القرون المتأخرة بصيغة الجمع (البيوتات) مؤشرا الى البيوتات والعوائل النبيلة في القبيلة. واستخدم العرب بعد الإسلام البيت للإشارة الى عدّة عوائل فهو عند عبد الله بن عمر يقصد به بيت عمر (بحسب مصدره أبن عبد الحكم :سيرة عمر بن عبد العزيز, القاهرة,١٩٢٧,صفحة ١٩) ؛ وهو أيضا استخدم إشارة الى البيت الأموي (فيذكر أبن عبد الحكم أيضا نصّا " إنّما الحجاج منّا أهل البيت") .كما قالها عمر بن عبد العزيز صفحة٢٤؛ كذلك أشار محققو الطبعة الجديدة لدائرة المعارف الإسلامية في بحثهم لتعبير (آل Al) بقولهم المقصود به العشيرة وهي المجموعة النسبية (من النسب) التي يربط بين أفراد العائلة . وهناك مرادفات أخرى نظير (أهل وعائلة وقبيلة – حيّ - بمعنى العشيرة. وقدعقّبوا على هذه المرادفات بقولهم أنها وردت بهذا المعنى في القرآن في عنوان سورة آل عمران –السورة الثالثة -. ثمّ يعرج المحققون الى المسألة الجوهرية الا وهي إن (آل النبي) هم المنحدرون أو ذرية هاشم والمطلب . ويقولون إن الشيعة قد ضيقوا هذا المفهوم ليشمل قرابة النبي المقربين فحسب. وأمّا السنّة فهم وسّعوا التعبير لكي يتسع الى جميع صحابته. والتعبير في حقب متأخرة صار يقصد به أيضا حكّام الإمارات وكذلك آل عثمان –أي الدولة العثمانية - والبو سعيد – إمارة عمان وزنجيبار– وآل فيصل السعود في الدولة السعودية.فيذكر جولدتسيهر والبروفسور ترتون A.S.Tritton والبروفسور آرندونك C.van Arendonk بأنه قد ورد في

القرآن تعبير أهل البيت في سورتين :- أولاهما في سورة برقم (١١) (أي سورة هود آية ٧٣) التي تتعلق ببيت (House) إبراهيم (ويقصد المحققون قول الله تعالى) {قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ}.. أمّا الأخرى فذكر التعبير في سورة برقم ٣٣ آية٣٣ (أي يقصد المحققون سورة الأحزاب التي يقول فيها عزّ من قائل {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً}.ومن الجدير بالذكرإن المحققين قد ترجموا هذه الآية الكريمة بما يدعم الرأي الثابت عند كثير من المفسرين المسلمين بإن المقصود آل بيت النبي صلى الله عليه وآله. ولأهمية الترجمة نوردها بلغتها (God desires only to remove filthiness [from you –ahl l,-bayt, and with cleaning to cleanse you) (masc plural

(والترجمة الحرفيّة لترجمة المحققين تكون :- الله يرغب أو يريد فقط الى إزالة القذارة أو الفحش عنكم –بصيغة المذكر الجمع – أهل البيت ويطهّر ليطهّركم –. وهذه الآية تفيد كنصّ وبيّنة لإستخدامها بخصوص بيت (House) محمد. ويحصر الشيعة العائلة (التي يطلقون عليها العترة - وهم يفضلون هذا التعبير-) بأهل الكساء. وفي رواية تتعلق بحجة الوداع يظهر الرسول وهويقول بأن الله يقيهم safeguards بأثنين في العالمين: كتابه وسنّة نبيه ؛ وفي رواية أخرى , فإن سنّته ليست في أصل الرواية وقد أخذت محل عترتي والواقع فالحديث الشريف هو: تركت فيكم الثقلين عترتي أهل بيتي وكتاب الله ما أن تمسكتم بهما لن تضلّوا بعدي). وأسهم جولدتسيهر اسهاما آخر في دائرة المعارف الإسلامية بطبعتها القديمة ببحث عنوانه (آل النبي)Al-al-Nabi مكررا تقريبا ذات الأفكار التي ترددت سابقا؛ ويضيف اليها بأن هناك شواهد وردت في العهد الإسلامي تدلّ على أن كفّار قريش كانوا يستعملون تعبير آل أو أهل ويربطونه بالله فيقولون آل الله وذلك لأنهم كانوا يعتقدون بكونهم حرّاسا للكعبة. ثمّ توسع المفهوم واللفظ بمرور الزمن وخاصة باستعماله في الصلاة المنسوبة الى محمد ويقصد جولد تسيهر بهذا اللّهم صلي على محمد

وآل محمد) . ويعقّب على هذا بقوله إن الشيعة لا يطلقون تعبير آل النبي إلاّ على ذرية النبي من علي وفاطمة ؛ وهم يفضلون اطلاق تعبير العترةعلى هذا الفرع الأقرب نسبا الى النبي. أمّا غير الشيعة فيجعلون التعبيرآل النبي يشتمل على مدلول أوسع من ذلك أي بني هاشم. بينما يضّمن آخرون زوجات النبي وأقاربه بشكل عام. وهو يرى بأن هذا لا يسع بما ذهب اليه بعضهم بأن آل النبي يشمل جميع الصالحين من دون اعتبار للقرابة والنسب، بمعنى جميع الأمة الإسلامية بشكل كامل. وبهذا الخصوص لا بدّ من الإشارة الى أن البروفسور ترتون A.S.Tritton قد كتب بحثا عن أهل الكساء AL-Kisa"Ahl " بمعنى أهل العباءة . وذكر بأنه اعتمادا على حديث لمحمد إذ خرج صباح يوم من الأيام —وفي الوقت الذي كان فيه وفد من نصارى نجران يزور المدينة في سنة١٠ هجرية/٦٣١م [وهذا هو المعروف بالمباهلة) – وكان مرتديا عباءة سوداء ؛ ثمّ جاءت فاطمة أولا وبعدها جاء علي ثمّ الحسن والحسين فضمّهم تحت عباءته , واحتضنهم وتلى آية من القرآن برقم ٣٣ آية٣٢ (الله فقط يريد أن يذهب (وقد استعمل المستشرق كلمة put away وهو بهذا يختلف عن الأستعمال الذي أخذ به رودويل في ترجمته للقرآن الكريم إذ استعمل كلمةremove)عنكمالفحشاء والقذارةfilthiness باعتباركم أسرته his household ويطهركم تطهيرا).

ويعقّب على كلامه هذا بقوله إن الفسرين يفسرون الرجس (القذارة حسبما ذكره ترتون) بأنه الكفر أو الشرك unbelief غير أن الشيعة يفسّرونها بالتعامل مع الدنيا غير الطاهرة as intercourse with the impure world بمعنى مواز للقول بأن العائلة قد فقدت الخلافة المرئية visible لتكسب الأخروية. ويقول أيضا بأن هناك رواية أخرى تذهب الى أن محمدا قد ألقى بعباءته على عمّه العباس وأولاده قائلا " خبئتهم من نار جهنم كما خبئتهم بعباءتي". وقد أعتمد ترتون في هذا البحث على المستشرق ماسنيونL.Massignon في كتابه الموسوم (Vivre et Penser عشّ وفكّر) المطبوع في باريس سنة١٩٤١ صفحة ١ وما بعدها من الصفحات. وللبروفسور ماسنيون بحث مهم عن المباهلة تحدّث فيه عن تعبير آل البيت والمقصود

منه بما هو معروف ولم يكرّر آراء جولدتسيهر السابقة الذكر وعنوان بحثه(المباهلة أعتمادا على الحديث الإسلامي " la Mubahala d,après la tradition islamique" in Islamo- Christiana.2 (1967) .

مع كلّ هذا فالفرضية التي طرحها المستشرق اليهودي جولدتسيهر ظلّت تفرض نفسها على المستشرقين القدامى أو المحدثين شأنها شأن كثير من آرائه الأخرى المتعلقة بالتشيع. .فعلى سبيل المثال لا الحصر ,هناك مستشرق الماني يعدّ ضمن هذا الجيل من المستشرقين القدامى ممن اتّبع ونهج فرضية جولدتسيهر وأضاف اليها بعض النقاط وهو المستشرق رودي باريت Rudi Paret. وقد أسهم ببحث بمناسبة بلوغ البروفسور إينو ليتّمانEnno Littmann الستين سنة من عمره آنذاك أي بحدود نشر الدراسة سنة١٩٣٥م. وكان البروفسور رودي باريت قد نال الدكتوراه في سنة ١٩٢٤ بأشراف المستشرق إينو ليتمان وموضوع اطروحته سيف بن ذي يزن ؛ لهذا كان في بداية أمره مهتما بالتراث الشعبي . لكنّه عني بعد ذلك بالدراسات العربية والدراسات الإسلامية ولاسيما في الدراسات القرآنية . فحقّق في هذا المجال مؤلفات قيّمة منها ترجمته القرآن الكريم الى اللغة الألمانية تحت عنوان (القرآن تعليق وفهرستDer Koran) طبع بعد وفاته , إذ توفي سنة ١٩٨٣ ؛ والترجمة ظهرت سنة ٢٠١٠ . وله أيضا كتاب بعنوان (محمد والقرآن : تاريخ ودراسة في معاني اللغة العربية (Muhammed und der Koran Geschichte und erkundigun des Arabischen Propheten)ا). والبروفسور رودي هنا ينهج النهج الذي اشتهر به المستشرق الألماني نولدكه في دراسته عن تاريخ القرآن. وقد ترجم الدكتور رضوان السيد الكتاب بعنوان (محمد والقرآن) .وقف المستشرق باريت في هذا الكتاب على مسألة أهل البيت ؛ والواقع إنه صوّر رسول الله تصويرا إيجابيا , إنه رجل ونبي ومؤسس الدين الإسلامي . كما درس الخلفية التاريخية والأجتماعية والثقافية لمدينة مكة في القرن السابع الميلادي الأول الهجري . كتب المستشرق رودي هذه الدراسة باللغة الألمانية. وكان عنوان البحث الذي تطرق فيه الى أهل البيت أيضا هو(مشروع

أو خطة جديدة في دراسة عدد من تفاسير القرآن, Der Plan einer neuen leicht kommentierten , koranuberestzung” in Orientalische Studen Enno Littmann zu seinem 60 geburtstag. Edited by R.Paret. فأهل البيت عند هذه المستشرق هو استعمال قديم عند العرب , وأضاف بإن التعبير في القرآن هو بمثابة أتباع أو طائفة أوتقديس البيت the cult of the House.

والجيل الثاني من المستشرقين المحدثين والمعاصرين إن صحّ هذا التصنيف, أسهموا أيضا في هذا المجال مع إنهم الى حدّ كبير قد وضعوا نصب أعينهم المخرجات التي توصل اليها المستشرقون القدامى وعلى وجه الخصوص الأفكار التي طرحها كلّ من المستشرقين لامانس وجولدتسيهر وشترسمانStrothmann في دراسته عن الأئمة. وهناك ملاحظة لا مندوحة من استذكارها الآن وهي إن البداية في الوقوف على تاريخانية استعمال تعبير (أهل البيت) سواء بخصوص ترجمة التعبير الى كلمة people، أم بشمولية استخدامه منذ حقبة تاريخ العرب قبل الإسلام بمعناه آل أو أهل ؛ إذ تسمى به آل أمية، أو آل العباس . طبعا هاهنا لا بدّ من التلميح بأن هدف المستشرقين بالتخصيص على هذين البيتين باعتبارهما كانا على طرفي نقيض من موقف أهل بيت النبوة الصرحاء , وإنّما كانا يهدفان الى عدم تسويغ كون التعبير محصور ببيت النبي فقط دون طرف آخر يستثمره لإضفاء الشرعية السياسية، والأجتماعية، والاقتصادية، أيضا. ومن بين هؤلاء المستشرقين المحدثين والمعاصرين، نشير الى المستشرق الألماني ولفريد مادولنك Wilfred Madelung وهو مستشرق معروف في دراساته المتعددة, ويعدّ من المتخصصين في موضوع التشيع . سافر الى مصر عام١٩٥٢ وبقي فيها ثمّ عاد الى بلده, وسافر الى العراق في سنة ١٩٥٨للعمل في السفارة الألمانية وبقي سنتان. وبعدها عمل في جامعات خارج المانيا في أمريكا وبريطانيا وعمل في معهد الدراسات الإسماعيلية في لندن. والبحث الذي سوف نلقي عليه دراسة مستفيضة يعدّ فصلا من كتابه الموسوم The Succession to

Muhammad A (Study of the early Caliphate) 1997,Cambridge ورثة (وترجمته الى خلفاء) محمد: دراسة في أيام الخلافة الأولى). إذ خصّص خمساً وعشرين صفحة بعنوان (مقدمة)، لكنها في الحقيقة دراسة شاملة ومركّزة على مسألة أهل البيت عامة وعلى أهل بيت النبي صلّى الله عليه وآله خاصة , كما سنبينه لاحقا وقد اعتمد في آرائه المتعلقة بشمولية التعبير على جولدتسيهر ورودي باريت فضلا عن موشي شارون . وهناك المستشرق الإسرائيلي موشي شارون Moshe Sharon الذي سبق زمنيا البروفسور مادولنك بحوالي العقد من الزمن بحسب سنوات طبع بحوثهما, لأن شارون قد نشر بحثيه عن أهل البيت , الأول سنة ١٩٨٦, والثاني في سنة ١٩٩٢. والجديد في تناوله الموضوع تسليطه الضوء على إن التعبير لا يمثل أهل بيت النبي فحسب. فقد كتب بحثين بعنوانين متماثلين تقريبا أولهما الموسوم (أهل البيت : People of the House) ونشره في مجلة دراسات القدس (أورشليم) في العربية والإسلام المعروفة اختصارا .J.S.A.I. في مجلد ٨ لسنة١٩٨٦ (صفحة١٦٩-١٨٤). ونشر بحثا آخر بعنوان (الأمويون كونهم أهل البيت : The Ummayds as Ahl al-Bayt) ونشره في نفس المجلة JSAI مجلد ١٤لسنة ١٩٩٢ (صفحة ١١٥-١٥٢). وصف شارون بأنه خبير عالمي معروف بالإسلام والشيعة في لبنان والبهائية، إذ ترجم مؤخرا الكتاب الأقدس, وهو الكتاب المقدس عند البهائية الى اللغة العبرية. وخدم في السلك العسكري والسياسي كمستشار لمناخيم بيغن Menachem Begin رئيس الوزراء ؛ وألّف كثيرا من البحوث والكتب من بينها كتابه المشهور الموسوم (الرايات السود قادمة من الشرق) يتناول الثورة العباسية ؛ وأصدر الى حدّ الآن خمسة أجزاء من النقوش العربية الفلسطينية بعنوان (Corpus Inscriptinum Arabicorum Palaestina) طبع في ليدن من ١٩٩٧ -٢٠٠٥. وهو خبيرفي الشؤون السياسية العربية، وواقعا فقد عمل مستشارا سياسيا وعسكريا , وأشترك في مفاوضات كامب ديفيد, (هذه المعلومات اعتمدت بها على ما وفرته مجلة (اورشليم –القدس –لدراسات العربية

والإسلامJSAI. والبروفسور شارون في موضوع أهل البيت وصف بمنهجيته التي تتمثل بمتابعة القرآن الكريم ولاسيما الآيات القرآنية التي تتضمن الإشارة الى أهل البيت، وآل البيت، وآل نوح، وآل إبراهيم، وآل عمران، بمعنى جميع المفردات القرآنية الكريمة في هذا الشأن. وتعامل مع آية التطهير بما يماهي الى حدّ كبير رؤية جولد تسيهر ولامانس على أنها آية شاملة يقصد منها تضمين جميع زوجات بيت رسول الله صلّى الله عليه وآله ولم تكن محدّدة بحدود آل بيته الأطهار. والمستشرق لا يغفل عن ذكرهذين المستشرقين لامانس وجولدتسيهر, وبالأحرى في مقدمة كتابه (الرايات السود ...الخ) اشاد بآراء كلّ من المستشرق فلهاوزن والمستشرق جولدتسيهر. ووصف عمل فلهاوزن بأنه قد أدّى الى تثويرالبحث العلمي في التاريخ الإسلامي. وهناك نقطة جديرة بالنسبة الى رأي المستشرق جولدتسيهر الذي ربما أراد أن يؤكد عكس ما أفترضه سابقا والذي تكرّر عند شارون ومادولنك حينما بيّن في بحثه بالأشتراك مع البروفسور ترتون في دائرة المعارف الإسلامية بطبعتها الثانية بأن الضمير المستعمل في الآيات التي سبقت (آية التطهير) تحديدا هي بصيغة المؤنث في الوقت الذي نراها في آية التطهير على وجه التحديد بصيغة المذكر ، بما يعني هذا إنهما يريدان أن يستفهما في ترددهما وعدم قبولهما بالرأي الذي سبق أن طرحه لامانس وجولدتسيهر في بحوثهما المشار اليهما في أعلاه (آل النبي) بشمولية بنية وفحوى الآية الكريمة . لقد أستند شارون على عدد من الآيات القرآنية الكريمة في سورة رقم ٢ آية ١٢٥, وآية رقم ١٢٧ وفي سورة ٣ آية برقم ٩٧ وفي سورة ٥ آية رقم ٢ وآية رقم ٩٧ وفي سورة ٨آية برقم ٣٥ وفي سورة برقم ٢٢ آيات ٢٦, ٢٩ ,٣٣. وفي سورة رقم ٥٢آية برقم ٢٢بشأن أن الكعبة المكرمة هي ما عبّرت عنها هذه الآيات بكونها بيت إبراهيم .وهي محاولة أخرى من محاولات المستشرقين بغية تفادي حصر التعبير الوارد في الآية التي نحن بصددها في آل بيت النبي. والبروفسور شارون بيّن في الفصل الثاني من كتابه(الرايات السود) الموسوم (مشكلة الشرعية) أن العرب في حقبة الجاهلية، كانوا يستخدمون تعبير (الشرف والرياسة) وتعبيرا آخر في الإسلام المبكر وهو

(النبالة والقدم في الإسلامSeniority) . واستشهد بقول لمعاوية بن أبي سفيان الذي يفيد بأنه يستهجن القول بأن فلانا من قبيلة كذا أو من عائلة كذا تلك الأقوال التي في نظره ليست لها أهمية .ولمّا كنا هاهنا نسعى الى ترجمة البحوث المتعلقة بموضوع التشيع في العراق من الكتاب الذي حقّقه كلّ من البروفسور بول لفت Paul Luft والبروفسور كولن تيرنر Colin Turner بأربعة أجزاء والمطبوع في أمريكا + كندا من قبل روتلدج Routledge الذي يحمل عنوان (التشيع :مفاهيم نقديّة في الدراسات الإسلامية) فإننا سنخضع إن شاء الله دراستيّ المستشرق شارون المشار اليهما آنفا الى دراسة مستفيضة مستقبلا ؛ لأن هذا البحث يتعلق بموضوع مهم آخر. ولنبقى مع المدرسة الإسرائيلية للإستشراق في هذا الأهتمام بآل بيت النبي صلّى الله عليه وآله فنشير الى البروفسور ميخائيل مائير بار – آشر . وهو أيضا من المستشرقين المعروفين في دراساتهم عن تفاسير القرآن الكريم الشيعية , وقد سبق أن تناولت بالدرس دراسته بخصوص الأختلافات الشيعية في تفسير الآيات المتعلقة بأهل البيت في بحث مسهب في العدد السادس من مجلة المصباح المعطاء . فمن بين مؤلفاته كتابه الموسوم (الكتاب المقدس والتفسير في التشيع الإمامي المبكر Scripture and) Exegesis in Early Imami Shiism—Islamic Philosophy , Theology and Science:-Texts and Studies) المطبوع في سنة١٩٩٩. فقد وقف على الآيات التي يرد فيها تعبير أهل البيت والتفسيرات الشيعية بشأنها , وهو يعيد ما سبق طرحه من قبل المستشرقين جولدتسيهر ورودي باريت بشأن شمولية التعبير. غير أنه من الطريف تبيانه هنا الانعكاسات والتاثيرات التي تمتعت فيهما دراستا شارون بخاصة على عدد من آراء عدد من العلماء العرب أمثال البروفسور هشام جعيط والباحثة الدكتورة لميا بن يوسف زيزفوني وكلاهما من المغرب العربي .فالأستاذ جعيط في كتابه الموسوم بـ (الفتنة: جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر) الذي طبع في سنة ١٩٩١. قد اعتمد شارون خلال تتّبعه تعبير أهل البيت، وإنه تعبير كان مستخدما في الحقبة الجاهلية, فالتعبيربحسب رأيه قبلي أيضا من

القرابة. وقد تتّبع الأستاذ جعيط التعبير من زاويته السياسية. أمّا الدكتورة زيزفوني فقد ألّفت كتابا باللغة الإنجليزية (انتاج المرأة المسلمة : مناقشة النصوص والتاريخ) The Production of the Muslim women : negotiating texts and history) المطبوع في أمريكا سنة ٢٠٠٥. والدكتورة زيزفوني قد ركّزت على مواضيع طريفة لإظهار وضعية المرأة المسلمة , ومن بينها نصوص أدبية من شعر المعرّي ثمّ عرجت فيه الى مسألة التغافل والتجاهل المقصود الذي لحق بالمرأة المسلمة في الأنساب بمثل ما كان بشأن زوجات رسول الله صلّى الله عليه وآله وبابنته فاطمة. ودلّت على الفصل الذي ركّزت فيه على أهل بيت النبي عنوان حداثويا هو (نفوذ أو سلطة النبي بوصفه جامعا للوسائل المستخدمة في توفير كلّ ما هو ضروري لمعيشة الناس ورفاهيتهم (The Power of the Prophet as a Technology of power : Reinventing Domesticity and Sacred in the Texts of al-Ma,aari, Djebar and Rushdee) ومعنى الجملة الأخيرة هو: نفوذ أو سلطة النبي في اعادة ابتكار أو اختراع حياة منزلية مقدسة أو مبجّلة). وكان بحثا، موشي شارون عن أهل البيت واحدا من المصادر الأساسية في الإستشهادات التاريخية. وبهذا الصدد علينا أن لا نغفل الدراسة التي حقّقها المستشرق الإسرائيلي المعاصر الآخر وهو البروفسور يوري روبين Uri Rubin الأستاذ في جامعة تل أبيب في قسم الدراسات العربية والإسلامية إذ كتب كتابا عن حياة رسول الله كما صوّرها المسلمون الأوائل The life of Muhammad as viewed by the early Muslims المطبوع في برنستون في أمريكا سنة١٩٩٥. وقد وقف فيه على مسألة آل النبي بما له علاقة بحياة رسول الله صلّى الله عليه وآله ؛ كذلك الحال في بحثه الموسوم بـ(الأنبياء وأسلافهم في الحديث أو الرواية الشيعية المبكرة Prophets and Progenitors in early Shia Tradition) المنشور في مجلة أورشليم (القدس) للدراسات في العربية والإسلام JSAI ١٩٩٧. والبروفسور روبين سلّط الضوء على محاولة أيجاد أوجه التشابه بين بعض الأحاديث الشيعية لآل البيت، مع أوصياء بني

إسرائيل .وهو يفسّر الأسلاف والأنبياء بما ورد من أسماء بني إسرائيل في موضوع قصص الأنبياء . فبنى موازنة بين أهل بيت النبي والإمام علي مع أوصياء بني إسرائيل بجعل حالة المشابهة بينهما وبين النبي يوشع Joshua والنبي موسى.

ومن المستشرقين المعاصرين المستشرق الأمريكي العراقي الأصل متي موسى Matti Moosa مؤلف الكتاب الموسوم بـ(الشيعة المتطرفون:- فرق الغلاة Extremist Shiitees : The Ghulat Sects.) المطبوع في ثمانينات القرن العشرين. إذ خصّص في أحد فصول كتابه من صفحة٧٧-٨٧عن آل البيت بعنوان (عائلة أو آل النبي). ويقول فيه بإن جميع الشيعة المتطرفون منهم والمعتدلون يؤمنون بالتبجيل والتقديس للأفراد الخمسة من عائلة النبي ويسمونهم بأهل العبا أو الكساء، ويدلي البروفسور موسى برأي لم ينصّ عليه حديث أهل الكساء, فيقول إنه من الممكن الإستنتاج من جواب النبي لأم سلمة إن مضمون الحديث يشمل جميع زوجاته, بوصفهم جزءاً من عائلته . وهو إستنتاج لا يستند على أساس تاريخي . ثمّ يستمر في تعقيبه قائلا بإنه من الممكن المحاججة على أن عائلة النبي ليست بالضرورة تعني مجرد أربعة أفراد من عائلته المباشرة, إلاّ أن المعنى الحقيقي هو جميع المسلمين ؛ والأستاذ موسى هاهنا يكرّر الأفكار الإستشراقية السابقة، لكنه يستشهد بالقشيري (المتوفى سنة ٤٧٠ هجرية /١٠٧٧م) إذ يشير الى حديث يفيد بأن رسول الله سئل من بعضهم (من هم آل محمد؟) فأجاب (إنهم المسلمون المؤمنون) (القشيري ؛ الرسالة القشيرية –تحقيق عبد الحليم محمد ومحمد الشريف, القاهرة / دار الكتب الحديثة ١٩٦٦؛ جزء ١ ,ص ٢٧٧). ولذا بحسب قول المستشرق :- فإن تخصيص الشيعة هذا التعبير ليهدف الى أهل بيت النبي غير صحيح، إنّما هو تعبير شامل وعام ويرجع زمانه الى الحقبة الإسلامية الأولى للمجتمع الإسلامي . فالشيعة مدفوعون في إدّعائهم وذلك لإظهار مدى حبهّم لفاطمة. ويخلص موسى الى القول بأن الحبّ الشديد للشيعة وتعظيمهم لأهل العباءة أو أهل الكساء، لا يعدّ جزءا من عقيدة الشيعة فحسب لكنه في الحقيقة النواة المركزية للنظام الفقهي لديهم.

إزاء ما ذكره متي موسى فقد ظهرت دراسة تعهدتها جامعة كارولونيا الشمالية North Carolina تحت العنوان الموسوم (الرومان الكاثوليك والمسلمين الشيعة ,الصلاة والآلام والسياسة Roman Catholics and Shii Muslims Prayers , Passion and Politics), لمؤلفيه جيمس بيلJames A.Bell وجون وليامز John Williams وطبع في سنة ٢٠٠٢. وتحدّد الكتاب بتسليطه الضوء على المتشابهات بين الأثنين الشيعة الإمامية الإثني عشرية، والكاثوليكية في روما. ومن بين فصول الكتاب السبعة خصّص المؤلفان, بيل ووليامز, فصلا عن أهل البيت هم الممثلون الحقيقيون ولم يصّرا على الأفكار التي طرحها المستشرقون الألمان أو الأستاذ موسى الكاثوليكي المذهب ايضاً.

ومن الدراسات الحديثة للمستشرقين دراسة ليندا كلارك .Lynda G Clarke التي كانت في الأصل دراستها لنيل درجة الدكتوراة من جامعة ميغل الكندية McGill سنة١٩٩٤وعنوانها (عقيدة الشيعة , اعتمادا على المصادر الشيعية .Doctrine of the Shia, (According to Shi'i Sources). والبروفسورة ليندا وقفت على موضوع آل البيت النبي صلّى الله عليه وآله من خلال متابعتها التفاسير الشيعية والمؤلفات الأخرى بما يتوافق مع تحديد الآيات القرآنية الكريمة الخاصة بأهل البيت.

أقول مبدئيا إنّ اللغة العربية دون شكّ، هي لغة القرآن الكريم، وهي واسعة جدا في مفرادته، وفي تركيباته اللغوية، والنحوية، والأدبية, وهي طيّعة للأستعمالات في حقول ومعارف إنسانية كثيرة ومتنوعة لا مجال الى الخوض بها فالمعجميون والنحّاة واللغويون هم أعلم بها. ولهذا فالفكرة التي جهد اولئك المستشرقون أنفسهم وبذلوا عناء الوصول الى أن تعبير (أهل أو آل, أو البيت) أو حتى أهل البيت أو الحلة أو العشيرة أو ما الى ذلك من مفرادات تدّل على التكوين الأسري في العصر الجاهلي أو في عصر قبل الجاهلية بكثير جدا من السنين أمر لا شكّ إنه موجود ومألوف. وكلمة بيت

الأله وبيت بعل وماشابه كلّ ذلك كان معروفا ومتداولا جدا قديما أو حديثا. فابن عبد ربّه في (العقد الفريد) و(معجم الجوهري) و(ابن منظور) و(الزبيدي) مصادر معرفة أصيلة في تتّبع هذه المسألة من دون عناء. إذ ورد إن العرب كانوا في الجاهلية يسمون قريشا "بآل الله, وبأهل الله ؛ وبجيران الله وبسكّان حرم الله(ينظر ابن عبد ربّه: العقد الفريد جزء٣ ص ٣٢٣ ,٣٢٧؛ ابا الفرج الأصفهاني: الأغاني جزء ١٧ ص٣١٣.) والمعروف أن أهل الحرم = أهل الكعبة إذ كانت الكعبة مقدسة عند العرب قبل الإسلام. فالكعبة وأهلها بحماية الله تعالى. فليس إذن في أن يكون التعبيرمألوفا عند عرب الجاهلية أو قبل ذلك. من هذا نريد الوصول الى أن المباني التي تأسّست عليها أفكار اولئك المستشرقين في نكران التسمية, أي تسمية أهل بيت النبي, لا وجود لها. وخير مصدر الى أن هذا التعبير كان بحكم المتفق عليه عند العرب المسلمين كافة، الآيات القرآنية الكريمة التي تحدّد قطعا آل بيت إبراهيم، وآل بيت عمران، وآل بيت لوط، وآل بيت محمد واضحة وجليّة؛ والمفروض جدا أن يكون آل بيت محمد بهذا الشكل متواصلا مع بيت الأنبياء السابقين إلاّ اللّهم في حالة عدم اعتراف المستشرقين، وعدد من المفسرين والمؤرخين بهذا عمدا وتقصدا بل وغيضا بآل رسول الله صلّى الله عليه وآله سواء وردالتعبير في آية التطهيرأم في آية المباهلة أو أية آية أخرى في القرآن الكريم الذي نقرأ به ونقدّسه ونؤمن بم أنزله الله تعالى بشأن بيوت الأنبياء وورثتهم ووزرائهم وخلفائهم. فالآيات المباركة بيّنة في شموليتها لآل آدم، وآل نوح، وآل إبراهيم، وآل يعقوب، وآل موسى، وآل عيسى، وآل محمد خاتم النبيين. ولم يذكر في هذه الآيات الصريحة , أقصد ضمن الآل والبيت أي فرد آخر. وهذا ينطبق على الزوجات أو العشيرة أو القبيلة, فأهل قريش هو تعبير يدلل على تلك القبيلة ولا يشترك به قبائل أسد، أو ثقيف، أو همدان، أو تميم، أو غيرها . فالتفسيرات التي طرحها المستشرقون معتمدين على تفسير القرآن الكريم للطبري أو ابن كثير أو غيرها إن هي إلاّ التشكيك فعلا بما جاء به القرآن الكريم بخصوص بيوت الأنبياء السابقين وبيت النبي الأعظم بضمنهم. ومن هم أهل العباءة قد ورد في كثير من

المصادر السنيّة تحديدا كما هو معروف عند الشيعة , فلماذا يتردد الطبري وغيره في نكرانهم أن يكون بيت النبي صلّى الله عليه وآله الأقربين ,علي، وفاطمة، والحسن، والحسين، وأبيهم النبي, هم أهل بيته كما هو الحال في بيت آل نوح وآل عمران وغيرهم من الأنبياء الأئمة الذين أودعهم الله تعالى النبوة والرسالة والحكم والحكمة والكتاب المبين.

فالنقاط السابقة تظهر بوضوح أن المستشرقين ولاسيما بالنسبة الى موضوع دراستنا عن التشيع في العراق كانوا وما زالوا يمثلون مدارس في تفسيراتهم وتوصيفاتهم فالمدرسة اليهودية + الإسرائيلية تأخذ مرجعيتها من المستشرق اليهودي المجري إغناس جولدتسيهر إن كان في مسألة التقية في العقيدة الشيعية أم في مسألة آل البيت .وتنتقل آراء جولدتسيهر مؤسس المدرسة عن موضوع آل البيت الى المستشرق الألماني رودي بارت ثم الى المستشرق الإسرائيلي جوزيف الياش ثم الى المستشرق الإسرائيلي موشي شارون ثم بعدها الى المستشرق الإسرائيلي ميخائيل بار آشر والمستشرق الآخر يوري روبين. كذلك نرى الحالة نفسها في مسألة الخلافة والموقف من الإمام علي تبدأ من كايتاني وهنري لامانس لتنتقل الى مادولنك. وتبدأ مسألة التشيع الفارسي من جوبينو رأس الدرسة الفرنسية لتنتقل الى المستشرق الفرنسي كوسين دي برسيفال ثم الى المستشرق الفرنسي هنري كوربن وهكذا. ووفق هذه التراتبية في المفاهيم الاستشراقية تبدأ نظرية التشيع والغلو ونظرية التشيع وعبد الله بن سبأ من فريدلاندر وترجمته لتفسير ابن حزم الظاهري الحاقد للتشيع لتنتقل الى مارشال هودجسون ثم الى مونتغمري وات ثم يتأثر فيها متى موسى .

نبذة عن السيرة العلمية لمحققيّ الكتاب

بول لفت وكولن تيرنر

(التشيع :- مفاهيم نقدية في الدراسات الإسلامية)

Critical concepts in Islamic studies : Shi'ism

١- الدكتور بول لفت Paul Luft دبلوم في الدراسات الفارسية، ودكتوراة في الدراسات الإسلامية والتاريخ الحديث . حصل على سنوات تفرغه من مدرسة في الحكومة والشؤون الدولية . ولد وتعلم في ألمانيا، وصار زميل المركز التاريخي الألماني في لندن. ألّف عدة كتب وبحوث عن الإسلام المعاصر نظير:- كتاب باللغة الألمانية عن (الثورة الإسلامية في يران ١٩٧٩) ونشرها في ميونخن Meunchen سنة ٢٠٠٠. وله نقابة سكك الحديد الفارسية والسياسة البريطانية لسكك الحديد في إيران وهو بحث باللغة الإنجليزية نشره في كتاب (الخليج في مطلع القرن العشرين) في سنة ١٩٨٦.

٢- الدكتور كولن تيرنرColin Turner مدرس في موضوع الفكر الإسلامي في مدرسة الحكومة والشؤون الدوليةٍ. وعضو في مركز تاريخ الفكر السياسي وعضو مركز دراسات تاريخ العصر الوسيط والتاريخ الحديث . حصل على الدكتوراة في الدراسات الإسلامية من جامعة دارهم Durham في سنة ١٩٨٩.له إسهامات عن التاريخ الإسلامي من بينها :- القرآن (مفاهيم نقدية في الدراسات الإسلامية) طبعه في لندن سنة ٢٠٠٤. وكتابه الآخر بعنوان (القرآن:- رؤية أو تفسير جديد) طبعه سنة١٩٩٧. وحقّق كتبا تتعلق بميدان التشيع نظير:مظاهر من الحياة التعبدية عن التشيع الإثنى عشري : ممارسة الدعاء ؛ وهوبحث أسهم فيه في الكتاب الذي أخضعناه للدراسة حاليا . وله بحث آخر بعنوان " حديث أو رواية المفضل وعقيدة

الرجعة: دليل عن الغلو في إيمان التشيع الإثني عشري بالآخرويات؟" نشره في سنة٢٠٠٦ مجلة Iran عدد٤٤.وكتب بحثا آخر بعنوان " أما زلنا ننتظر الإمام؟ السؤال الذي ليس له حلّ الإنتظار في الإسلام الشيعي" نشر البحث في مجلة برسيكا في سنة ١٩٩٥. وكتب بحثا بعنوان " الغنى أو المال رمزا للعمل اللاأخلاقي أو للفسوق في القرآن: إعادة نظر في مسألة أيات القرآنية بخصوص مال الاموال" المنشور في مجلة الدراسات القرآنية

التشيع

مفاهيم نقدية في الدراسات الإسلامية

تحقيق بول لفت Paul Luft

وكولن تيرنر Colin Turner

ذكر الكاتب المسرحي التراجيدي اليوناني أسكيليوس Aeschylus في الحرب تكون الضحية الأولى فيها الحقيقة، أما بالنسبة إلى الاعتقاد الخاطئ المتعلق بالإسلام، فإن الأزمة عند مسلمي الشرق الأوسط بعامة، وفي العراق بخاصة، هي مصداق لهذه البديهية أو الحقيقة بما هو يبدو أحياناً تدميراً لابد منه للذات. وطالما أن زوال أو موت الاتحاد السوفيتي في أواخر الثمانينيات من القرن العشرين وظهور نظرية أو أطروحة صموئيل هنتغتن في صراع الحضارات، فإن المعلقين في بعض الجهات من العالم الإسلامي قد عينوا أو عدّوا الإسلام وكأنه البعبع التالي لهدف الغرب- وهو إدعاء بأن الحرب التي تدعى بالحرب على الإرهاب والعنف ذلك الذي أعقب هجمات ٩/١١ صار بالنسبة إلى بعضهم، وكأنه عمل مبرر فيه من قبل بعضهم. وأحد العوامل المهمة لهذه المواجهة الظاهرة بين الغرب والإسلام، إن كانت المواجهة فعلاً حقيقية، هو التشيع. فأي هجمات قد تسدد وتوجه ضد الإسلام في العقد الماضي إنّما هي، بعد إجراء جميع التغييرات الضرورية Mutatis mutandis، قد صوبت ووجهت أيضاً ضد التشيع، الذي هو بعد كل ذلك، إن هو إلاّ موقف واتجاه آخر فقط ينكشف للعيان بأن الدين الإسلامي، أو بالأحرى الأديان، الإسلامية، قد نمّتها بشكل ملتحم مع غيره.

وسياسياً فقد كان أشبه بمعين إيديولوجي لا ينضب خلف المنتحل (الثورة الإسلامية) لعام ١٩٧٩ بأن التشيع وصل وبلغ الاهتمام العالمي كاسباً لنفسه سمعة وصيتاً بوصفه قوة أجنبية أو غريبة ومقاتلة وضد الغرب المسئول – مباشرة أو غير

مباشرة –عن حصة الأسد في التوتر وعدم الاستقرار في العالم الإسلامي منذ ذلك الحين. وأن أهميتها الجيو –إستراتيجية لاشك جديرة بالاعتبار.

فالمفترض أن أكثرية شيعة العالم يقطنون مناطق هي من أعظم المناطق لمستودعات للنفط. ولأهمية التشيع كقوة دينية وثقافية، ومن زاوية دينية بحتة، فإن تأثير الفقه الشيعي والشريعة الشيعية وممارسة أو عادة التبجيل [وربما يقصد الباحث بالعبارة Cultic practice ممارسة العبادة] على تطور الإسلام عامة، وتأثير ذلك على عدد من الشعوب المتحضرة الإسلامية البارزة بشكل خاص، إن هو إلا تأثير يتعذر تقديره. مع ذلك، فقد بقي التشيع كوجودٍ غير معروف، كبير ومجهول، لدرجة كبيرة جداً خارج جماهيره الطبيعية، وذلك بعدد قليل من الأعمال والدراسات البحثية التي كرّست في مجموعها للتاريخ والمعتقدات والممارسات.

فخيارنا في اختيار المعلومات لم يكن خياراً سهلاً، إذ أنه قد وجّه، كما كان، بعدد من الاعتبارات المهمة. أولها، بما هو مفروض في الاهتمام في التشيع الذي أحدثته الثورة الإيرانية، والحقيقة هي أن كثيراً من الأدب (التأليف) قد أنتج وبرز كنتيجة لمثل ذلك الاهتمام والغاية وصار سياسياً في توجهه. وقد حاولنا وسعينا إلى توسيع تخفيفنا إلى أكبر قدر ممكن وأن لا نقع في فخ التفصيل الموضوعي على ما نعتقده ونؤمن فيه وهذا هو الأهم هكذا، وفي حين أن البحوث المختارة تنصب على التشيع السياسي التي تجد صدىً كبيراً من الجمهور والقراء أكثر من الجانب الديني في كل مجالاته – الفقه والفلسفة والتشريع أو الشريعة – وأن مثل هذه الانتخاب للبحوث لا يمثل التشيع كما يعتقده الشيعة أنفسهم أن يكون كذلك.

وثانيهما، إننا نتعامل إلى حدّ كبير مع مؤلفات وأعمال انطلقت أو انبثقت من العالم الغربي، وكذا من الانتقادات الغربية، في المحافظة وعلى مجاراة على روح سلسلة نقد المفاهيم. ومع ذلك، فحيثما نشعر بأن ذلك يعدّ مهما، فإننا سنضمن معلومات من علماء شيعة بارزين أيضاً. وطبيعي فإن هذا له عوائقه، آخذين بنظر الاعتبار أن هناك

معلومات قليلة جداً متوافرة في الترجمة، ولاسيما في حقول ومجالات الفلسفة والفقه والشريعة. إن ترجمة المعلومات المهمة كما هو واضح أمنية كبيرة ورئيسة لعلماء المستقبل في محيط أكاديمي غربي. وإن كان هذا ضعيف على وجه الخصوص بالنسبة إلى معلومات تتعلق بفرق شيعية ثانوية نظير الإسماعيلية والزيدية، وهي فرق قد ألمحنا إليها لكنه لم يكن بوسعنا تغطيتها بعمق.

وثالثها، بما أن هناك نتاجا ضخما في البحث، والتأليف، والمناقشة لحالات وأوجه متنوعة من التشيع في معناه، واتجاهه الواسع خلال الثلاثين سنة الأخيرة، فلهذا صار بوسعنا تضمين نسبة قليلة من هذه المؤلفات والأعمال في هذه الأجزاء الأربعة. وإن اختيار المادة قد تحدد أحياناً بصورة أيسر بالنوعية الفقيرة أو الهزيلة في البحوث المتواجدة، مع ذلك فهناك كثير من المعلومات الطبيعية والجيدة أكثر من الرديئة، ولهذا فإن الخيارات والاختيارات كانت دوماً صعبة. أي عمل ليس بوسعه أن يغطي كل شيء حتى وإن كان بهذا الحجم وبهذا المدى والمجال، كما أنه ليس بوسعه إرضاء الجميع، كما وجد المحققان، وهو أمر مكدر أنه حينما يواجهان اختياراً مثيراً للاستياء لهذا البحث على الآخر، أو لهذا الفصل على الآخر. فإن كان المحققان ليس بوسعهما دائماً الاتفاق عما ينبغي أو لا ينبغي تضمينه في المختار من البحوث، وهو أمر لا مفرّ منه حتى بالنسبة إلى جمهور القراء الواسع فإنه سيشعر نفس الشعور. [وقد كتب المحققان هذه المقدمة العامة في مدينة دارهم Durham في شهر تشرين الأول من سنة ٢٠

المحور الأول

التاريخي (أصول التشيع وتطوره)

الفصل الأول :- خلفاء محمد: دراسة في حقبة الخلافة الأولى

الفصل الثاني:- التشيع في عهد الأمويين

الفصل الثالث:- إعادة تقويم للتشيع في العصر العباسي

الفصل الرابع:- التشيع في العهد المغولي

نبذة عن السيرة العلمية لمؤلف بحث خلفاء النبي

البروفسور ولفرد مادولنك

ولد البروفسور ولفرد فرديناند مادولنك Wilferd Ferdinand Madelung في شتوتجارت Stuttgart في ألمانيا، إذ تلقّى دراسته، ثم انتقلت عائلته الى الولايات المتحدة الأمريكية في سنة ١٩٤٧.درس في جامعة جورج تاون وفي سنة ١٩٥٢ سافر الى مصر ومكث سنة واحدة وكان موجودا أثناء الثورة المصرية. والتقى بالأستاذ المحقق إحسان عباس .وعاد الى ألمانيا ثانية إذ أكمل دراسة الدكتوراة تحت إشراف الروفسور بارتولد شبولرSpuler.فحصل على الشهادة سنة١٩٥٧. وفي ١٩٥٨ أرسل الى العراق من قبل الحكومة الألمانية كسفير لها ؛ وبعد حقبة وجيزة من وصوله بغداد حدثت ثورة ١٤تموز. ومكث مادولنك في العراق لمدة عامين بعدها غادر الى أمريكا وأخذ يدرس في جامعةشيكاغو. ودرس في جامعة أوكسفورد كاستاذ العربية من سنة ١٩٧٨ الى سنة ١٩٩٨. كتب كثيرا من الكتب والبحوث في المجلات الأجنبية والعربية بضمنها مجلة الدراسات العربية والإسلامية ؛ وألّف الدراسات في التاريخ الإسلامي والفرق الإسلامية نظير الشيعة والإسماعيلية . وهو باحث في مركز الدراسات الإسماعيلية في لندن. ومن بين دراساته:- (الإتجاهات الدينية في تاريخ الإسلام المبكر لإيران الإسلامية)، وطبع في سنة ١٩٨٨؛ (وخلفاء محمد). طبعه في مطبعة جامعة كمردج في ١٩٩٧؛ وكتب كتابا بعنوان (ظهور الفاطميين : شاهد عيان شيعي. ألّفه بالتعاون مع البروفسور بول ووكر Walker .وطبع الكتاب سنة ٢٠٠٠. كانت رسالته في الدكتوراة في اللغة الألمانية بعنوان (الإمام القاسم بن إبراهيم) وطبع سنة ٢٠٠٠ ؛ وكتب كتابا بعنوان (المدارس الدينية والفرق الإسلامية في العصر الوسيط). وكتب في دائرة المعارف الإسلامية العديد من البحوث عن أئمة أهل البيت، وعن العلماء الشيعة والزيدية والإسماعيلية. واشترك مع عددٍ من المستشرقين الآخرين في دراسات عن التشيع والفرق الإسلامية .

الفصل الأول

خلفاء محمد: دراسة في حقبة الخلافة الأولى

ليس هنالك من حدث قد قسّم الإسلام بشكل عميق جداً وبصورة دائمية كذلك هو المتعلق بخلافة محمد. فإن حقّ إشغال مكان الرسول كرئيس للمجتمع الإسلامي بعد وفاته أصبح مسألة ومشكلة ذات وزن وشأن ديني عظيم، تلك التي فرقت بين السنّة والشيعة حتى الوقت الراهن. فالمسألة سواء بشكل صحيح أم بصيغة غير صحيحة بهذا الخصوص قد سويت في أذهانهم منذ أمد بعيد فبالنسبة إلى السنّة، كان الخليفة الأول أبا بكر هو الراشد فقط ليكون خليفة طالما كان رجلاً من الطراز الأول بين الرجال بعد النبي. وعلى الرغم من أن محمداً لم يعينه بوضوح وصراحة وعلانية خليفته، لكن تفضيله له قد أشير إليه بأمره له قيادة، أو إمامة المسلمين في الصلاة خلال حقبة مرضه. وقد حصل الإجماع، إجماع المسلمين لصالح ابي بكر ليؤكد فقط خيار الله النهائي. أما بالنسبة إلى الشيعة فإن ابن عم محمد وزوجه ابنته علي الذي كان قد عينه النبي خليفة له، بسبب فضائله المبكرة في الإسلام، فضلاً عن كونه قريباً منه جداً في النسب والقرابة. وأن موضعه الحقيقي والصحيح قد اغتصبه أبو بكر مدعوماً بأغلبية صحابة محمد.

وعلى الرغم من الأهمية البالغة والأساسية لهذا الصراع للتاريخ الإسلامي، فإن المؤرخين المحدثين (المعاصرين) قد كرّسوا جهوداً قليلة نسبياً لدراسة الخلفية والظروف التي أحاطت بالخلافة لمن يعقب محمد. وهذا النقص والقصور في الاهتمام قد أُسس أو على أقل تقدير قد قدّم مبرراً بشكل جلي وواضح بالنظر إلى أن الصراع والتنازع بين السنة والشيعة، على الرغم من كونه يدور حول مسألة الخلافة . فهو في

واقعه قد بدا للعيان في عصر متأخر فقط. ومثل وجهة النظر هذه يدعمها أيضاً التدوين التاريخي السنّي المتحيز، الذي يمثله (سيف بن عمر) (المتوفى ١٨٠هـ / ٧٩٦م) بشكل صارخ وواضح جداً. فاعتماداً على رواية سيف بن عمر أن علياً حينما أبلغ عن انتخاب أبي بكر، أهرع مسرعا لمبايعة أبي بكر على انتخابه، وتعهده بالولاء له ؛ حتى أنه حينما وصل إلى السقيفة لم يكن لابساً سوى قميصه، لأنه كان مستعجلا للمبايعة، لذلك بات عليه أن يبعث أحداً لجلب ملابسه[١]. بعدها ساد اتفاق عام بين المسلمين إلى أن بدأ (عبد الله بن سبأ)، وهو يهودي من صنعاء قد اعتنق الإسلام، يهيج الناس ضد الخليفة الثالث عثمان، وأنه بعد إغتيال الخليفة أذاع ونشر وجهات نظرته المتطرفة عن علي، وأنه الوصي، ومنفذ إرادة محمد[٢]. وهكذا أصبح ابن سبأ موجداً ومؤسسا لمذهب الشيعة الذي قد حوّل علياً بناءاً على ذلك إلى خليفة محمد الشرعي.

وفي الوقت الذي قبل فيه عدد قليل جداً، إن وجد، من المؤرخين المحدثين (المعاصرين) أسطورة سيف في ابن سبأ، فإن النظرة المفهومة ضمنياً بأن خلافة أبي بكر لمحمد، كانت بحدٍّ ذاتها غير مثيرة للمشاكل وأن الصراع أو النزاع حولها قد صنع اصطناعاً من قبل الشيعة بعد وفاة علي وضدّ موقفه طيلة حياته . هذه النظرة قد سلم فيها جدلاً، علاوة على المحاولة الفاشلة التي قام بها الأنصار للاستحواذ على الخلافة. وقد انعكس ذلك تماماً في أكثر المناقشات المعاصرة بخصوص أصول العلويين والعباسيين، أو الهاشمية والشيعة من قبل موشي شارون M.Sharon. فبناءاً على قول شارون، إن مفهوم عائلة النبي الذي عبر عنه مؤخراً بتعبير أهل البيت، أو آل محمد، أو آل النبي وبنو هاشم، لم يكن هذا التعبير موجوداً في عهد النبي وفي عهد الخلفاء. وعلى الرغم من أن تعبير (بيت) قد استخدم في بعض الأحيان في الجزيرة العربية قبل الإسلام والمقصود فيه العوائل النبيلة للزعماء المشهورين والرجال

---

[١] الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق د يغويه M.T.de Goeje (ليدن ١٨٧٩-١٩٠١؛ سيذكر الطبري مجلد ١ ص ١٨٢٥.

[٢] م.ن مجلد ١ ص ٢٩٤١-٢٩٤٢.

البارزين، إلاّ أن هذه ليست الحالة بالنسبة إلى محمد. ففي الإسلام يعني تعبير (أهل البيت) قد خصص أولاً لعوائل الخلفاء. واعتماداً على شارون فإن أنصار شيعة علي قد طوروا فكرة أهل البيت النبي وآل محمد وذلك بغية تأسيس حقوق وراثية لرجلهم ونسله للخلافة. وفي العصر الأموي المتأخر فإن العباسيين انتحلوا الفكرة وفي حقبة لاحقة أيضاً، منذ خلافة المهدي، بثوا مفهوم بني هاشم باعتبارهم عائلة أو آل النبي وذلك لكي يدعموا ويسندوا ادعائهم في الوراثة أو الخلافة الشرعية[٣]، مع أن علياً نفسه قد قبل أو وافق على الخلافة بشروط وضعها أبو بكر وعمر دونما إدعاء أو زعم لأي لقب خاص يستند على من أولي الرحم مع محمد[٤].

فإن ساد الاتفاق بين المسلمين حتى خلافة عثمان، وحتى الجدل والنزاع بين السنّة والشيعة التي أثيرت أو نشأت بعد خلافة علي، فإنه من الواضح، أنه ليس هنالك كثيرا من الدراسات المثيرة والعميقة عن الظروف باتجاه الوصول إلى الخلافة، وتأسيس هذا المنصب، فنجاح أبي بكر وعمر أبّان حكمهما أو عهدهما كان حاسماً وفاصلاً ومذهلاً، وإن البحث التاريخي المعاصر قد اتجه للتركيز كثيراً على فعاليتهما ونشاطهما في كبح الحركات الخطيرة في الردة، أي ردة القبائل العربية وفي البدء بالفتوحات خارج الجزيرة العربية.

فالدراسات القليلة المبكرة تعالج بصورة رئيسة الخلافة، وتقترح على أية حال، بأن ذلك الأمر لم يكن بالتأكيد مثيرا للمشكلات بالقدر الذي تضمنته الفكرة السائدة بالنسبة إلى جذور وأصول الانقسام بين السنّة والشيعة. ففي سنة ١٩١٠ نشر هنري

---

[٣] ينظر أم. شارون M.sharon في دراسته الموسومة باللغة الإنجليزية (الرايات السود من الشرق) المطبوع في أورشليم (القدس) ١٩٨٣ ص ٧٥-٨٥؛ للمؤلف نفسه بحث باللغة الإنجليزية الموسوم (أهل البيت) المنشور في مجلة Jerasalem studies in Arabic and Islam.
مجلد ٨ (١٩٨٦) ص ١٦٩-١٨٤؛ ولنفس المؤلف البحث باللغة الإنجليزية الموسوم (الأمويون: أهل البيت) المنشور في مجلة JSAI مجلد ١٤ (١٩٩٢)، ص ١١٥-١٥٢ وخاصة ١٣٤-١٤٩).

[٤] شارون أم. M.Sharon في البحث باللغة الإنجليزية الموسوم (ملاحظات بشأن إشكالية شرعية الحكومة في الإسلام) المنشور في مجلة Israel Oriental Studies مجلد ١٠ (١٩٨٠) ص ١١٦-١٢٣، والإشارة موجودة على صفحة ١٢١.

لامانس H.Lammens بحثه الموسوم (حكومة الثالوث أبي بكر، وعمر وأبي عبيدة) وقد حاجج فيه أن هناك غرضاً مشتركاً وتعاوناً وثيق الصلة يجمع بين هؤلاء الرجال الثلاثة، ابتداً زمن محمد، ذلك الذي ساعدهم علماء أن يؤسسوا خلافة متعاقبة من أبي بكر وعمر. وأن عمراً كان سيعين أبا عبيدة كوريث له، لولا أنه لم يمت خلال خلافته[٥]. وعلى الرغم من أن لامانس لم يتحدث عن مؤامرة للاستحواذ على الخلافة، فإن عرضه لنشاط هؤلاء الثلاثة وفعاليتهم توحي بهذا التفاهم والاتفاق. ولاسيما من خلال ثبات كل من أبي بكر وعمر، عائشة وحفصة، اللائي واصلن باستمرار إبلاغ والديهن عن كل حركة أو فكرة خاصة وسرية لزوجهن محمد، فكان هذان الرجلان قد بذلا جهداً كبيراً في التأثير على أفعال النبي وأعماله وهكذا هيئا المسرح لاستحواذهما على السلطة. فهذا المظهر التآمري لنظرية لامانس ربما قد أثارت الاهتمامات المعروفة وآراءكثيرا من العلماء الغربيين مؤشرة إلى عدم الموثوقية في هذه الدراسة، أي دراسة لامانس[٦]. وقد أبدى لامانس ملاحظة بأن هدف هؤلاء الرجال الثلاثة كان إقصاء الهاشميين، ولاسيما علي، بوصفه نسيب محمد وقريبه، من الخلافة، على الرغم من أن علياً، وبحسب رأي لامانس، كان بالكاد يشكل منافساً خطيراً وجدياً بالنسبة لهما. فأهل بيته الواردة في القرآن سورة رقم ٣٣ آية ٣٣، تؤكد ذلك، إذ يقصد بها أن (أهل البيت) تتألف حصراً من زيجاته[٧].

والبحث الوحيد الشامل والواسع المعرفة والمتمكن والتام حول تأسيس وطبيعة وتطور الخلافة حتى عهد علي قد قدّمه كيتاني L.Caetani في حولياته

---

[٥]ينظر هنري لامانس H.Lammens في بحثه باللغة الفرنسية الموسوم (حكومة الثالوث أبو بكر وعمر وأبو عبيدة) المنشور في Melqnges le la Faculte Orientale de L'universite st Joseph de Beyrouth, 4 (1910) pp. 113-144.

[٦]ينظر مثلاً سوفاجيه J.Sauvaget وكلود كاهين C.Cahen في دراستهما باللغة الإنجليزية الموسومة (مدخل إلى تاريخ مسلمي الشرق: دليل للفهرسة) المطبوع في (بيركلي AC ولندن ١٩٦٥) ص ١٢٦.

[٧]ينظر لامانس h.Lammens في دراسته باللغة الفرنسية الموسومة (فاطمة وبنات محمد) المطبوع في روما ١٩١٢، ص ٩٩، (وقد قبل كايتاني الصورة التي افترضها لامانس عن فاطمة [وهي صورة قادحة بالسيدة فاطمة الزهراء وسلبية من دون الاعتماد على أي من المصادر الإسلاميةوبذلك فإن استنتاجته واستنتاجات لامانس غير موثوقة ولا تعتمد في البحث. المترجم].

(حوليات الإسلام Annali dell lslam ففي مناقشة في صفحات الاستهلال أبدى كيتاني ملاحظة حول خطورة Gravity الصراع والنزاع بين أبي بكر وبني هاشم، وقد جاءت هذه الملاحظة في أعقاب ادعائه الذي يثير الدهشة بالخلافة أثناء اجتماع الأنصار في سقيفة (Hall) بني ساعدة بعد ساعات فقط من وفاة محمد. فبنو هاشم رفضوا الاعتراف بأبي بكر ودفنوا قريبهم اللامع الصيت سراً أو بصورة شخصية Privately، محرّمين أو مجردين الخليفة الجديد وعائشة من شرف حضور هذه المناسبة. واعترف كيتاني بصورة غير مباشرة بالادعاء الجديّ والحاسم المحتمل والموجود عند علي للخلافة وذلك عن طريق رفض الروايات الشائعة والمألوفة التي تفيد أن أبا بكر قد أسس ادعاءه أمام اجتماع الأنصار بوصفه من حقوق قريش السابقة لكونها قبيلة محمد. طالما أن هذه المحاججة قد قوّت قضية علي لأنه القريب الأوثق صلة بالنبي[٨]، وأوحى كيتاني، أن الأفضل بالنسبة إلى أبي بكر أن يحاجج القوم بالحاجة إلى اختيار وريث أو خليفة لمحمد الذي سيتبع خطواته، ويسلك نهجه، ونشر تعاليمه، والحفاظ على وحدة المجتمع الإسلامي. وقد اختير لوحده وذلك لصفاته العالية والرفيعة كرئيس دولة ولمزاياه الشخصية[٩] وعلى ضوء هذه المزايا والفضائل، فقد قرر كيتاني حكماً على معارضة الهاشميين وصحابة النبي الآخرين ضد أبي بكر بكونها مدفوعة بطموح شخصي وضغينة شخصية[١٠] فإن كان باستطاعة محمد أن يختار خليفته، فإنه من المفروض أن يختار أبا بكر لأنه كان يفضله على أي شخص آخر[١١].

---

[٨]ينظر كايتاني L.Caetani في كتابه باللغة الإيطالية الموسوم حوليات الإسلام Annali dell' lslam المطبوع في ميلان ١٩٠٥-١٩٢٥ الذي سيذكر Annali x p. 470 مجلد ٢ قسم ١ ص٥١٦ .

[٩]حوليات مجلد ٢ قسم ١ ص ٥٢٣، ٥٢٨.

[١٠]م.ن ص ٥٤٢.

[١١]م.ن ص ٥٢٣.

وفي مجلد آخر من حوليات كايتاني Catani، فإنه اختار أو آثر نظرية لامانس فيما يخص الثالوث أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة[١٢]، باعتبارها التفسير الأكثر رجحاناً بالنسبة إلى جذور الخلافة. فإن المؤثر في أجرائهم المشترك هذا هو عمر، (رجل الدولة العظيم بعد النبي وفي بعض الحالات كان أعظم حتى من السيد أو الرئيس نفسه)[١٣]. فكان عمر يمتلك عقلية عملية وسياسية للتنبؤ بوفاة محمد، ويهيء الاتفاقيات لأجل حلّ مشكلة الخلافة بفعالية ونشاط وفي أفضل طريقة ممكنة، وهكذا جنب المجتمع الإسلامي من كارثة[١٤]. فالموجد والمؤسس الحقيقي للخلافة كان هو عمر؛ وذلك بمجرد ترشيحه لأبي بكر أول خليفة، وذلك بالإعتراف به، والإقرار بصلاحيته واستقامته ووقوفه مع محمد.

التزامات القرابة والتزامات عوائل(أو آل) النبي في القرآن:

يشدد القرآن كثيراً جداً على الواجب الملقى على المسلمين كافة؛ لصونه والدفاع عن روابط قرابة الدم أو الرحم. ففي فقرات كثيرة جداً تفرض على المؤمن أن يعمل صالحاً (الإحسان) تجاه أقربائهم المقربين، وأن يساعدهم، وأن ينهض لتحمل اعبائهم ومساعدتهم: (ومن المؤكد أن الله يأمر بالعدل وعمل الخير وإيتاء أهل القربى، ويحظر البغض والمنكر والإثم) سورة ١٦ آية ٩٠(*) ، وفي كثير من الأحايين فإن الأقارب المذكورين في السياق معاً مع اليتيم والفقير – المسكين – وابن السبيل، فهؤلاء هم المؤهلون لسخاء وكرم المؤمن. ومهما يكن فالحقيقة بأنهم كانوا يسمون بتتابع وانتظام في المكان الأول ممّا يوحي بأنه مؤشراً لحقهم الأول والأساس قبل أي

---

[١٢]المجلد الثالث من عمل كيتاني الذي ناقش فيه نظرية لامانس قد نشر سنة ١٩١٠، في نفس السنة التي نشر فيها بعنوان (رسالة monograph) ومهما يكن فقد أعلم برسائل شخصية من لامانس بشأن نظرة لامانس.

[١٣]م.ن. مجلد ٣ ص ١٢٣.

[١٤]م.ن كذلك كيتاني حوليات مجلد ٥ ص ٤٧٧-٤٨١.

(*)ويقصد المؤلف سورة النحل آية ٩٠ إذ قال عزّ من قائل (ن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذّكرون) يلاحظ أن المستشرق استخدم كلمة abominable لترجمة (الفحشاء) في حين أنها (البغض) في القواميس وترجم (البغي) بكلمة transgression وترجمتها في القواميس (الإثم) [المترجم].

من المستفيدين الآخرين: (وأعط القريب حقه والمسكين Indigent [وترجمتها الفقير والمعوز. المترجم] وابن السبيل و Wayfarer. وهذا هو الأفضل والأتقى بالنسبة إلى أولئك الذين ينشدون الدعم والتأييد من الله، وأنهم سوف يكونوا مترفين)(**) سورة ١٧ آية ٢٦.

والبرّ يتوقف أو يكمن في إعطاء المال في حب الله إلى ذوي القربى واليتامى والمسكين وابن السبيل والمعدوم وتحرير العبيد(***)) سورة ٢ آية١٧٧.

وعندما يسأل المؤمن محمداً ما الذي ينبغي أن ينفق (in charity) في الصدقة عليه أن يقول لهم: (ما أنفقتم من صالح، فهو للوالدين والأقربين واليتامى والفقير — المسكين — وابن السبيل. وما تفعلوه من خير، فالله يعلمه) سورة ٢ آية ٢١٥(*).

وفي معناه الأوسع، فإنه من الملزم به معاملة الأقربين، بصورة جيدة (وتذكر، فقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل: لا تعبدوا أي من الناس غير الله، وعامل بالإحسان الوالدين، والأقربين، واليتامى، والمسكين — المساكين- وتحدث بشكل طيب إلى الناس، وأقم الصلاة وأعطي الزكاة) سورة ٢ آية ٨٣(*).

وكذلك أمر الله تعالى المسلمين (أن يعبدوا الله ولا يلحقوا بالوالدين أي ضرر وأن يعاملوهم بإحسان والأقربين واليتامى والمحتاجين والمولى القريب (جار ذي

(**)ويقصد المستشرق سورة الإسراء آية ٢٦ إذ يقول تعالى (وآت ذا القربى حقّه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا) والزيادة بعد ذلك هي من عند المستشرقين فليس هناك من ذكر لها في الآيات السابقة أو اللاحقة. ولعل المستشرق قصد آية أخرى [المترجم].

(***)والمستشرق يقصد سورة البقرة، آية ١٧٧، قال الله تعالى فيها (ليس البرّ أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البرّ من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة، وأتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) والملاحظ أن البروفسور مادولنك قد ترجم (وفي الرقاب) بتعبير manumission of slavesأي تحرير العبيد أو تحرير الرقيق [المترجم].

(*)أي سورة البقرة آية ٢١٥ يقول الله تعالى (يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وأبن السبيل وما تفعلوه من خير فإن الله به عليم) [المترجم].

(*)سورة البقرة آية ٨٣، يقول تعالى (وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسناً وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم إلا قليلاً منكم وأنتم معرضون) [المترجم].

القربى) والجار القريب، الجار الذي إلى جنبك وابن السبيل وعبيدك أو ورفيقك) سورة ٤ آية ٣٦ (**)، فالأقرباء، واليتامى، والمساكين – الفقراء – مخولون أن يعاملوا بالإحسان عندما يحضرون أنفسهم في وقت توزيع ميراثالشخص المتوفى (سورة ٤ آية ٧-٨)(***).ومن الجليّ أن الأقارب لا حق للمشاركة في الميراث هو المقصود في هذه الآية.

الإحسان إلى ذوي القربى والدعم المادي لهم، هكذا قد ميّزها القرآن كالتزام ديني أساس، ومهما يكن فإن هذا الالتزام لم يكن غير مشروط؛ فإنه يطبق عملياً لذوي القرابة الذين صاروا مسلمين فقط. ففي سورة التوبة Repentance حذّر المؤمنين قائلا (يا أيها الذين آمنوا، لا تتخذوا آبائكم وإخوانكم كأولياء إن فضلوا الكفر عن الإيمان، أولئك الذين اتخذوهم أولياء، فإنهم هم الخاطئون، فإن كان آباؤكم وأبناؤكم وأزواجكم وعشيرتكم (وإن) وثرواتكم التي كسبتموها أو تجارة تخافون انحطاطها، ومساكن تحبونها هي أعزّ لديكم من الله ورسوله ونضال وجهاد في سبيله، إذن انتظروا حتى يحدث الله أمره، والله لا يرشد الناس الذين يذنبون أو يأثمون) سورة ٩ آية ٢٣-٢٤(*). وأنه لم يسمح أيضاً الصلاة للاستغفار عن ذوي القربى الذين أخفقوا

(**)وهي سورة النساء آية ٣٦، فيقول تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخورا) يلاحظ أن مادولنك قد ترجم (الجار الجنب) بتعبير the client who is a stranger ولم يترجم باقي الآية الكريمة أي إنّ الله لا يحب من كان مختالا فخورا[المترجم].

(***)سورة النساء آية ٧-٨ إذ يقول تعالى (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ما قلّ منه أو كثر نصيباً مفروضاً، وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولاً معروفاً) [المترجم].

(*) سورة التوبة آية ٢٣-٢٤ يقول تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون، قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال أقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين) هنا نلحظ أن البروفسور مادولنك قد ترجم (من يتولهم) بتعبيرwho take them وترجم (استحبوا) بكلمة (prefer) ومعناها حسب القواميس يفضل أو يعطي الأولوية كذلك فإنه قفز كلمة (وإخوانكم) فلم يترجمها. وترجم (وجهاد في سبيله) بكلمة striving ويقصد بها يكافح أو يناضل أو يجاهد بمعنى المجاهدة لا الجهاد. وترجم (الظالمون) بكلمة Wrong doers وتعني الآثمون أو المعتدون. كما ترجم (الفاسقون) بتعبير (who offend) التي تعني الذي أذنب أو الذي أزعج وأغضب [المترجم].

في اللحاق بالإسلام (أنه ليس من الملائم بالنسبة إلى النبي والذين آمنوا أن يصلّوا للاستغفار على أولئك الذين يجعلون set up شركاء مع الله، حتى وإن كانوا ذوي قربى، بعد أن يصبح واضحا لهم أنهم من أصحاب الجحيم. وان إبراهيم قد صلى ليستغفر لأبيه فقط لأنه تعهد عهداً له. ولكن بعد أن صار واضحاً له أنه كان عدواً لله، فقد انفصل عنه) سورة ٩ آية ١١٣-١١٤ وفوق هذا فعلى المؤمن أن لا ينحرف عن الأمانة والصدق والعدل حتى وإن كان ذلك لمنفعة والديه وأقاربه الأقربين (يا أيها الذين آمنوا، اتخذوا موقفاً ثابتاً في العدل، كشهود عند الله، حتى وإن كان ذلك ضدكم، أو ضد الوالدين والأقربين إن كان غنياً أو فقيراً، لأن الله هو أقرب من كليهما. ولا تتبعوا العاطفة والهدى بديلاً عن العدل) سورة ٤ آية ١٣٥ (*).

وبصورة عامة فإن المؤمنين يشجعون أو يحثون على أداء الالتزام (وحيثما تقولون أو تتحدثون كونوا عادلين حتى وإن كان ذلك من ذوي القربى) سورة ٦ آية ١٥٢ (**).

ومهما يكن فإنه ضمن هذه الحدود والقيود، فإن حق الأسرة لحقوق الإحسان والفضل، والرعاية والدعم المادي هو حق مطلق وواضح وله الأولوية على أي نوع آخر من الروابط الطوعية أو الاختيارية في الولاء أو التحالف (لأولي الأرحام روابط وثيقة أولى بعضهم لبعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين، ربما على أية حال

(*)[وهي سورة النساء آية ١٣٥ وجاء في هذه الآية الكريمة قول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين أن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهدى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما يعملون خبيرا) فالاستاذ مادولنك قد ترجم (كونوا قوامين بالقسط) بتعبير stand firmly for justice، وترجم تعبير (فالله أولى بهما) بتعبير هو God is closest to them bothوهذه ترجمات غير موفقة ولا تعكس المعاني الحقيقة[المترجم].

(**)[وهي سورة الأنعام آية ١٥٢ إذ قال سبحانه وتعالى (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها، وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصّاكم به لعلكم تذكرون) فنلاحظ أن الأستاذ ترجم (وإذا قلتم فاعدلوا) بتعبير And whenever you speak, be Just التي لا تعطي المعنى الدقيق للتعبير القرآني. [المترجم].

تعملوا وتفعلوا أحساناً إلى أوليائكم. هذا ما هو مدوّن في الكتاب) سورة رقم ٣٣ آية٦(*).

فالمعروف أنه بعد هجرة المسلمين إلى المدينة فإن كثيرا منهم، وخلال عمليةالمؤاخاة التي نظمها محمد، قد أسس تحالفا رسميا مع المدينيين (نسبة لمدينة رسول الله) والمسلمين الغرباء الآخرين وذلك من أجل التعويض عن غياب روابط الدم (أولوا الأرحام) تلك التي بقيت على شركها.. والقرآن يذكر في هذا المجال (بالتأكيد، أولئك الذين آمنوا وهاجروا وحاربوا بأموالهم وبأشخاصهم في سبيل الله، وأولئك الذين حمّوهم وساعدوهم إنهم أولياء بعضهم للآخر، كالذين آمنوا ولكنهم لم يهاجروا، فليس ، يا محمد ، لديك عليهم من روابط تحالف أو عقد معهم أبداً حتى يهاجروا، ولكن إذا سألوك لمساعدتهم في الدين فمن واجبك مساعدتهم، ما عدا ضد أناس بينك وبينهم عقد ميثاق والله يرى ماذا يفعل، الكفار حلفاء بعضهم بعضا، وما لم تفعل هذا [أي مساعدة المسلمين الآخرين] يكون فيه إغراء أو فتنة [للارتداد] في الأرض وفساد كبير، فهؤلاء الذين آمنوا وهاجروا وحاربوا في سبيل الله وأولئك الذين حموا وساعدوا، هم المؤمنون حقاً. ولهم مغفرة ومساعدة أو رزق كريم) سورة ٨ آية ٧٢-٧٤ (**).

هذه الآيات قد أسست تكافلاً أو تضامناً بين المسلمين، المكيين المهاجرين والمدنيين الأنصار وقد تجمعوا في مجتمع المدنية. مع أن الآية رقم ٧٥ من السورة ذاتها

(*)[أي سورة الأحزاب آية ٦ التي قال الله تعالى فيها (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلّا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً كان ذلك في الكتاب مسطورا) [المترجم].

(**)[أي سورة الأنفال] إذ قال الله تعالى فيها (إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير. والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلّاتفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير. والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة ورزق كريم). (فيلاحظ أن البروفسور مادولنك قد ترجم النصّ القرآني ترجمة غير موفقةفأنه فهم المؤاخاة بكونها حماية الأنصار للمهاجرين to shelter فكلمة آوى لا يقصد منها الحماية. كذلك عبّر عن الجهاد بكلمة to fight والقتال والمحاربة لا تقدم مدلولاً وافياً عن الجهاد. كذلك فإنه فهم الفتنة على أنها إغراء وإغواء temptation بل هي شرك أو بلاء [المترجم].

التي تلي المقاطع السابقة التي يبدو أنها أضيفت لاحقاً(*)، قد لطّفت أو عدّلت modified المعنى لصالح أولي الأرحام حتى وإن كانوا قد انضموا إلى مجتمع المدنية في تاريخ لاحق: (اولئك الدين امنوا من بعد وهاجروا وقاتلوا – جاهدوا – معكم، إنهم منكم، وأولوا الأرحام أولياء إلى بعضهم الآخر في كتاب الله) سورة ٨ آية ٧٥(*). فالجملة الثانية، اعتماداً على مفسري القرآن، بخاصة تجدد أو تعيد الحق في توريث ذوي القربى وتجاهلت عن العقود أو التحالفات المبكرة التي عقدت مع الغرباء أو الأجانب(١٥).

فالالتزام بالنهوض بأعباء القربى واحتياجاتهم ينبغي أن لا تُعطل أو لا توقف العمل فيه مؤقتاً وذلك بسبب الضغائن الشخصية (لا تدع أولئك الذين فضّلوا [مادياً] ولهم موارد مالية وافرة أن يلزموا أنفسهم بالقسم على أن لا يساعدوا أولي القربى والمحتاجين والمهاجرين في سبيل الله. دعهم يعفوا ويغفروا. ألا ترغبون أن الله سوف يغفر لكم؟ والله غفور رحيم) سورة رقم ٢٤ آية ٢٢(**)

فبناءاً على قول مفسري القرآن، إن هذه الآية تشير إلى أبي بكر وابن خالته مسطح(*). وكان هذا الأخير، (مسطح) من بين أولئك الذين كانوا يرمون أو يطلقون

(*)إشارة المستشرق أن هذه الآية رقم ٧٥ قد أضيفت لاحقاً لا يفهم منها إلّا أنه يعتقد بأن القرآن الكريم عندما أختتم بوفاة رسول الله قد تعرّض، كما تعرّض الحديث الشريف، لإضافة أو لتعديل أو تحريف، وهو رأي قد ناقشته في بحثي الموسوم (المستشرقون وإشكالية قرآن الشيعة أو قرآن فاطمة) المنشور في مجلة المصباح، كربلاء، العددين الخامس والسادس لربيع وصيف ٢٠١١ [المترجم]

(*)[أي سورة الأنفال آية ٧٥ إذ قال عزّ من قائل (والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم) [المترجم].

(١٥)الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن (تحقيق محمود محمد شاكر وأحمد محمود شاكر، القاهرة ١٣٧٣-١٣٨٨ (١٩٠٥-١٩٠٧) مجلد ١٤ ص ٨٩).

(**)[سورة النور آية ٢٢ إذ قال عزّ من قائل: (ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) فنلاحظ أن المستشرق مادولنك قد ترجم (لا يأتل منكم) في هذه الآية الكريمة بتعبير لا يتعلق بالكلمة السابقة وهو let not those بينما تفسر كلمة (لا يأتل منكم) (لا يحلف أو لا يقصّر منكم). كذلك أعاد التعبير نفسه للفعلين (ليعفوا وليصفحوا) بالجملة let them forgive and overlook الذي لا يتفق مع سياق الآية الكريمة. [المترجم] .

(*)وهو مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب وأمه بنت أبي وهم ابن عبد المطلب بن عبد مناف، وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر [المترجم].

Cast شكاً في إخلاص عائشة بخصوص مسألة غيابها من معسكر المسلمين، وقد اغتاظ أبو بكر وغضب من سلوك وتصرف ابن خالته فاقسم بأنه سوف لن ينهض بأعباء أعالته من الآن فصاعداً كما كان يفعل قبل ذلك في الماضي، حتى وإن كان مسطح قد تاب وندم شخصياً عن خطئه، مهما يكن، فإن القرآن أمره أن لا يهمل واجبه تجاه حاجات ابن خالته وأن يعتذر له[١٦].

وفي قصص الأنبياء السابقين، كما أشير إليهم في القرآن، فإن عوائلهم أدّوا دوراً بارزاً، فالعوائل بعامة وَفرّوا مساعدةً وعوناً لأنبيائهم ضد الخصوم من بين أفراد قومهم . وبعد وفاة الأنبياء، فإن ذريتهم صاروا هم ورثتهم الروحانيين والمعنويين . فالأنبياء قد سألوا الله أن يمنحهم مساعدة وعون أفراد أولي أرحامهم وصلّوا من أجل الرعاية السماوية لذوي قرباهم ولنسلهم أو ولذريتهم. وأنبياء بني إسرائيل كانوا في الواقع جميعهم منحدرين من عائلة واحدة من آدم ونوح وبعد ذلك إلى المسيح. (حقاً، أن الله اختار آدم ونوح وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين، كذلك ذرية بعضها من بعض) سورة ٣ آية ٣٣-٣٤[*]. وبعد هذه القصة تذكر قصة موسى وإسماعيل وإدريس يضيف القرآن قائلاً (أولئك كانوا الأنبياء الذين منحهم الله إحسانه لذرية آدم ولأولئك الذين حملناهم في [سفينة] نوح، ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وأولئك الذين هديناهم واخترناهم) سورة ٢٩ آية ٥٨[**].

---

[١٦] الطبري، جامع البيان (القاهرة ١٣٢١/١٩٠٣) مجلد ١٨ ص ٧٢-٧٣، ومسطح هو عوف بن أثاثة بن عباد بن المطلب ابن حجر العسقلاني، (الإصابة في تمييز الصحابة) (القاهرة ١٣٢٣-١٣٢٥، ١٩٠٥-١٩٠٧، جزء ٥ ص ٨٨؛ الزبيري، كتاب (نسب قريش) (تحقيق ليفي بروفنسال E.Levi-provencal (القاهرة ١٩٥٣، ص ٩٥) وبما أنه مطلبي فإنه أيضاً خول الدعم من خمس الرسول من الغنائم والفيء. وقد ذكر بين من يتسلمون من حصة محمد في إنتاج خيبر (ينظر مادولنك W.MADELUNG في بحثه باللغة الإنجليزية الموسوم (هاشميات الكميت والتشيع الهاشمي) المنشور في مجلة Stuidio Islamica مجلد ٧٠ (١٩٨٩) ص ٥-٢٦ والموضوع موجود على ص ١٢ هامش ٣٦.

[*] [سورة آل عمران] إذ قال عزّ من قائل (إن الله أصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين. ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم) .وهكذا تلحظ بأن المستشرق أقحم كلمة (حقاً) التي لا وجود لها في الآية الكريمة [المترجم].

[**] [سورة مريم آية ٥٨ إذ يقول تعالى (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممّن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكيا) . فنلحظ أن المستشرق لم يترجم جميع الجزء المتبقي من الآية الكريمة. المترجم].

إن سلسلة الأنبياء وآلهم قد وصفت بشكل أكثر تفصيلاً في الآيات اللاحقة لآية ٥٨ في سورة ٢٩: (وقد أعطيناه [يقصد إبراهيم] إسحاق ويعقوب وقد هدينا جميعهم، وقبله هدينا نوحاً، وذريته وداود وسليمان وأيوب job ويوسف وموسى وهارون. وهكذا نجازي أولئك الذين يعملون خيراً. وزكرياZachariah ويحيىJohn وعيسى وإلياسElias وكانوا جميعا من الصالحين، وإسماعيل، واليسع Elisha ويونس Jonah، ولوطLot وكلاً فضلناه على العالمين، و [بعض] آبائهم وذريتهم وإخوانهم: قد اخترناهم وهديناهم إلى الطريق المستقيم. ذلك هو هداية من الله الذي يهدي من يشاء من عباده. ولكن إذا أشركوا فيه مهما يكن قد فعلوا ستحبط أعمالهم. أنهم أولئك الذين أعطينا الكتاب، والحكم rule والنبوة) سورة ٦ الآيات ٨٤-٨٩(*).

فنوح قد نجّاه الله مع أهله بينما البقية من قومه، أو الأغلبية العظمى قد غرقوا في الطوفان بسبب آثامهم: (و [تذكر] نوح عندما التمسنا في وقت سابق، واستجبنا له ونجيّناه وأهله من الكارثة أو النكبة العظمى، وساعدناه ضد القوم الذين تعاملوا مع علاماتنا كأنها أكاذيب، أنهم كانوا قوماً أشراراً، لهذا أغرقناهم أجمعين) سورة ٢١ آية ٧٦-٧٧(**)، وأمر الله نوحاً (ضع فيها – السفينة – من كل زوجين وأهلك ما عدا أولئك الذين سبق أن نشرت عليهم الجملة السابقة. ولا تخاطبني بشأن الذين كانوا ظالمين، سوف يغرقون) سورة رقم ٢٣ آية ٢٧، وينظر سورة رقم ١١ آية ٤٠ [أي

(*)[سورة الأنعام آيات ٨٤-٨٩، يقول الله تعالى فيها (ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلاً هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين. وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين. وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين. ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم، ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون، أولئك الذين آتيناهمالكتاب والحكم والنبوة فيكفر بهم هؤلاء فقد وكلّنا بها قوماً ليسوا بها كافرين) وهكذا نلاحظ أن البروفسور مادولنك قد ترجم كلمة (ووهبنا) إلى اللغة الإنجليزية And We gave him [المترجم].

(**)[سورة الأنبياء ٧٦-٧٧] فقال الله تعالى (ونوحاً إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجّيناه وأهله من الكرب العظيم، ونصرناه من القوم الذين كذّبوا بآياتنا إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين) فنلاحظ أن المستشرق قدترجم (إذ نادى) بكلمة (لا تعطي) ذات المفهوم (implored) التي تترجم إلى (ألتمس) أو (طلب)، كذلك ترجم كلمة (كرب) بكلمة أخرى لا تعطي نفس الدلالة وهي (disaster) [المترجم].

سورة المؤمنون آية ٢٧ إذ يقول الله تعالى (فأوحينا إليه أن أصنع الفلك بأعيننا ووحينا فإذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلّا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنّهم مغرقون) .وينظر أيضاً سورة ١١ آية ٤٠(*)، وإن زوجة نوح وأحد أبنائه كانوا مبعدين من ركوب الفلك ومن النجاة على الرغم من التماس نوح ومناشدته من أجل أبنه (ودعا نوح ربه وقال: أو ربي بالتأكيد إن ابني من أهلي، وإن وعدك الحق، وأنك أعدل الحاكمين. قال – الله - : أو نوح أنه ليس من أهلك. وبالتأكيد أنه عمل غير صالح. فلا تسألني ما لم لك به علم) سورة ١١ آية ٤٥-٤٦(**).

وبما يماثل ذلك آل النبي لوط فقد نجوا معه بينما أبيد ومحق قومه وأفنيت مدينته: (قوم لوط تعاملوا مع تحذيرات الله بوصفها أكاذيب، فأرسلنا ضدهم وابلاً من المطر من الحجارة، ما عدا آل لوط. فنجيّناهم أثناء الفجر، كفضل منا. وهكذا نجزي أولئك الذين يشكرون) سورة ٥٤ آيات ٣٣-٣٥(***).

(*)وهي سورة هود آية ٤٠ التي قال الله تعالى (حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل) فالمستشرق لم يترجم تعبير (وفار التنور)، كذلك ترجم (إلاّ من سبق عليه القول بتعبير لا يتوافق وما ورد في الآية الكريمة except for those of them against whom the sentence has already gone forth التي ترجمتها حرفياً تقريباً إلى اللغة العربية. المترجم].

(**)[أي سورة هود آية ٤٥-٤٦ إذ قال الله تعالى (ونادى نوح ربّه فقال ربّ إنّ ابني من أهلي وإنّ وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين. قال يا نوح إنّه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسئلن ما ليس لك به علم إنّي أعظك أن تكون من الجاهلين). هكذا نلاحظ أن المستشرق قد استهل الآيتين الكريمتين باستهلال (O Noah) الزائدة فليس في التعبير الذي أبداه النبي نوح أي تعجب. كذلك أدخل كلمة (Surely) مرتين، وليس في الآية ما يشير إليها (إنه عمل غير صالح)، فضلاً عن ذلك فقد ترجم (الحاكمين) بما يماثل (الحاكم = القاضي) ولكن الكلمة تعني أحد أسماء الله تعالى الحسنى الحاكم = المهيمن .. الخ [المترجم].

(***)[سورة القمر آيات ٣٣-٣٥ إذ قال عزّ من قائل (كذّبت قوم لوط بالنذر. إنّا أرسلنا عليهم حاصباً إلّا آل لوط نجيناهم بسحر. نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر) هنا أيضاً نلحظ أن المستشرق قد ترجم (حاصباً) بتعبير هو a shower of stones كما ترجمناه (وابل من مطر من الحجارة) وحقيقة الأمر أن (حاصباً) هي ريح ترميهم بالحصباء، وترجم (بسحر) ترجمة يفهم منها (الفجر at down) وهناك اختلاف بين انصداع الفجر وبين الفجر نفسه. المترجم]. وآل لوط قد نالوا حالة من الطهارة والنقاء بحيث تميزوا عن الناس العاديين. وعندما أنّب أو لام لوط قومه لأنهم استسلموا للعمل الشائن (فكان الجواب الوحيد كان من قومه أن قالوا: أطردوا آل لوط من بلدتنا. إنهم فعلاً قوم يطّهرون أنفسهم (يتطهرون) لكن نجيناه وأهله، ما عدا زوجته، أردنا أن تكون من أولئك الذين ظلوا خلفنا) سورة ٢٧ آيات ٥٦-٥٧ [سورة النمل آية ٥٤-٥٧ إذ قال عزّ من قائل (ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون.أإنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون. فما كان جواب قومه إلّا أن قالوا

ثم قال: وزوجة لوط مثل زوجة نوح قد عوقبت لأنهما خانتا زوجيهما. (وقد وضع – ضرب – الله مثلاً للكافرين زوجة نوح وزوجة لوط. كانتا زوجتين لاثنين من عبيدنا الصالحين لكنهن خانتاهما. أدخلا النار مع أولئك الذين سيدخلونها) سورة ٦٦ آية ١٠(*).

وكان إبراهيم أبا الأنبياء patriarch لبني إسرائيل. وكان جميعهم أما أنبياء وأما رواة ونقلة الكتاب المقدس وكانوا من ذريته (وأرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا بين ذريتهما النبوة والكتاب) سورة ٥٧ آية ٢٦(**)، وإن والد إبراهيم، على أية حال، كان عنيداً وعاصياً ويعبد الأوثان ومضطهداً أولئك المعترفين بوحدانية الله، وكما مرّ سابقاً فقد كان إبراهيم أولاً يصلي له بسبب عهد تعهده له، غير أنه انفصل عنه بعد ذلك. وعندما اختار الله إبراهيم إماماً لقومه، صلّى إبراهيم لربّه أنه رزق هذا الشرف أيضاً لآل بيته ولذريته. (وتذكّر عندما إبراهيم قد جاهد من قبل ربّه ببعض الوصايا التي أتمّها، قال – الله – سوف أجعل منك إماماً للناس. قال وكذلك ذريتي؟ قال – الله – عهدي سوف لن يشمل الشريرين) سورة رقم ٢ آية ١٢٤(***).

وهكذا شمل عهد الله أيضاً العادلين من بين ذريّة إبراهيم. وقد أعطاه الله ابنه إسحاق وحفيده يعقوب وقد صار هؤلاء أنبياء (وحينما انفصل عنهم – أي عن

اخرجوا آل لوط من قريتكم إنّهم أناس يتطهّرون. فأنجيناه وأهله إلاّ امرأته قدّرناها من الغابرين) ويلاحظ أن المستشرق استخدم كلمة (town) للتعبير عن (قريتنا) والكلمة أقرب إلى (المدينة، أو البلدة لا القرية). واستخدم فعل (expel) للتعبير عن فعل (اخرجوا) وترجمة الكلمة اطردوا. كذلك عبّر عن وضعية زوجة لوط بتعبير (أن تكون من أولئك الذين ظلّوا في الخلف) ولكن ما ورد في القرآن الكريم (قدرناها من الغابرين) بمعنى (حكمنا عليها بجعلها من الباقين في العذاب). [المترجم].

(*)(سورة التحريم آية ١٠ إذ يقول الله تعالى): {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ} [المترجم].

(**)[سورة الحديد آية ٢٦ إذ يقول الله تعالى {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ}.

(***)[سورة البقرة آية ١٢٤ إذ يقول الله عزّ وجل (وإذ ابتلى إبراهيم ربّه بكلمات فأتمّهن قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريّتي قال لا ينال عهدي الظالمين) فيلاحظ أن مادولنك قد ترجم (ابتلى) بتعبير was tried وهي تعني يبتلي أيضاً. وترجم (كلمات) بكلمة commandments وتعني وصايا وأوامر، وكذلك فإن كلمات تعني أوامر الله ونواهيه. ولكنه ترجم الظالمين بتعبير evildoers التي تعني (الذين يعملون شراً)، وهناك عدة تعبيرات باللغة الإنجليزية مرادفة للظالمين.(المترجم)

عبدت الأوثان من قومه – ومن يعبدونه إلى جنب الله. منحناه إسحاق ويعقوب وكل منهما جعلناه نبيا. ووهبناهم من رحمتنا، وأضفنا عليهم سمعة عالية وصادقة) سورة ١٩ آية ٤٩-٥٠(*)، (ووهبنا إسحاق ويعقوب وجعلنا في أولادهما progeny النبوة والكتاب. وأعطيناه مكافأة في هذا العالم وإنه بالتأكيد سيكون صالحاً فيما بعد) سورة ٢٩ آية ٢٧(**) .

وحينما أبلغ الملائكة إبراهيم عن قرب حدوث ولادة ابنه إسحاق وبعده حفيده يعقوب، ارتابت أو شكّت سارة زوجته من الأخبار السعيدة بالنظر إلى كبرهما، وتقدمهما في السن، غير أن الملائكة ذكّروها بمنزلة أو مكانة زوجها إبراهيم الرفيعة (ووقفت زوجته وضحكت. ثم وهبنا لها الأنباء الطيبة عن إسحاق ومن بعد إسحاق يعقوب. قالت: وآحسرتاه alas عليّ، أإحمل طفلاً، وإنّني امرأة كبيرة وإن زوجي رجل طاعن؟ إن رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حقاً يستحق المديح والمجد الكامل) سورة ١١ آيات ٧١-٧٣ (***).

(فأهل البيت) هم بالتأكيد عائلة النبي إبراهيم التي ترجع إليه سارة عبر الزواج، وليس الأنصار أو المشايعين في تبجيل البيت وأعني الكعبة، كما اقترحه باريت

(*)[سورة مريم آية ٤٩-٥٠ إذ قال تعالى (فلمّا اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلًّا جعلنا نبيا. ووهبنا لهم من رّحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليّا) يلاحظ إن المستشرق قد أحسن ترجمة هاتين الآيتين الكريمتين باستعماله فعل bestow التي تعني من بين ما تعني (منح)، مع أنه قد استخدم فعل turn away التي يقصد بها (يطرد أو يرحل) للتدليل على الكلمة القرآنية (اعتزل) كذلك كانت ترجمته للتعبير القرآني (وجعلنا له لسان صدق عليّا) بالترجمة التي سقناها آنفاً وهي لا تتلائم تماماً مع النص القرآني [المترجم].

(**)[سورة العنكبوت آية ٢٧ وفيها بقول الله تعالى {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ} وقد ترجم المؤلف كلمة (أجره) بما يقابل المكافأة reward وهذا لا يطابق تماماً المعنى القرآني. المترجم].

(***) (سورة هود آيات ٧١-٧٣) يقول الله تعالى(وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ رَحْمَتُ اللّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ)، فقد ترجم المؤلف فعل (وبشرناها) بتعبير لا ينطبق تماماً وهو good tidings).كذلك ترجم (حميد مجيد) ولاسيما (مجيد) إلى كلمة glory (مجد) وهو لا يتفق والمعنى التي جاء في الآية الكريمة فالمجيد هو كثير الخير والإحسان. المترجم].

R.Paret[١٧]. فإن هذه الولادة المعجزة لإسحاق قد برّرتها الرعاية العالية أو الا[illegible] [illegible] الرفيع والسامي لله من أجل نسله الذي اختاره وأولئك الذين تميّزوا بمثل هذه الرعاية والفضل ينبغي على الناس أن لا يحسدونهم على منزلتهم ومكانتهم العالية.

(أو هل يحسدوا البيت الذي وهبهم الله من فضله؟ فقد منحنا بالفعل آل إبراهيم الكتاب والحكمة، ووهبناهم الملك العظيم) سورة ٤ آية ٥٤(*).

وصف كلّ من إسحاق ويعقوب بكونهم أئمة يهدون الناس بأمر عن الله (وأعطينا إسحاق ويعقوب نعمة أخرى وجعلناهم جميعاً من الرجال الصالحين. وجعلناهم أئمة يهدون الناس بأمرنا، وأوحينا إليهم أن يعملوا الأعمال الخيّرة وأن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة. إنهم يعبدوننا باستمرار وثبات) سورة ٢١ آيات ٧٢-٧٣(**)، إلا أنه كان هناك مرتدّون بين ذريّة إبراهيم وإسحاق أيضاً (وقد باركناهما – إبراهيم – وإسحاق، إلاّ أن بيّن ذريتهما هناك بعض يعملون الخير وبعض كانوا بوضوح من الخاطئين) سورة ٣٧ آية ١١٣ وكذلك سورة ٥٧ آية ٢٦ (***).

---

(١٧)باريت R.Paret في بحثه باللغة الألمانية الموسوم Der plan einer neuen, Leicht Kommentierten Koraunbersetzung" in Orientalis- tische studien Enno Littmann zu seinem 60, Geburtstag, ed. R. paret (Leiden 1935) 121-130, at 127-30.

(*)[سورة النساء آية ٥٤ يقول فيها جلّ وعلا {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكاً عَظِيماً} [المترجم].

(**)[سورة الأنبياء آيات ٧٢-٧٣ يقول الله عزّ وجل {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ}. فالمؤلف ترجم تعبير (نافلة) في القرآن الكريم تعبير غير متطابق وهو ما ترجمناه حرفياً an additional gift بينما تعني في هذه الآية زيادة عما طلب وسأل. المترجم]

(***)[سورة الصافات آية ١١٣ يقول الله تعالى {وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ} فقد ترجم المؤلف التعبير في القرآن الكريم (محسن وظالم لنفسه مبين) بتعبير لا يدل دلالة مباشرة للآية ذاتها وقد ترجمة حرفياً قوله وهو في الإنجليزية:

There are some who do good and some who manifestly wrong themselves).

وإزاء معارضة بني إسرائيل، ناشد موسى ربه، أن يمنحه المساعدة، مساعدة أخيه هارون Aaron (أعطني مساعدة من آل بيتي، هارون أخي ليزيد من قوتي وأجعله شريكاً لي في عملي سورة ٢٠ آيات ٢٩-٣٢ (*)، فاستجاب الله لصلاته (وأعطينا بالفعل موسى الكتاب وعيّنا هارون أخاه معه ليساعده) سورة ٢٥ آية ٣٥ وسورة ٢٠ آيات ٢٩-٣٢(**). وهكذا أختير هارون لمناصرة أخيه في الوحي (ولقد أعطينا موسى وهارون الفرقان وضوءاً وبقية من أجل المتقين الذين يخافون ربهم بالغيب ويخشون الساعة – يعني يوم القيامة) سورة ٢١ آيات ٤٨-٤٩(***)، وبقية غامضة أو خفية mysterious من آل موسى وآل هارون أصبحت أحد العلامات للتقليد السماوي أو للتنصيب الإلهي مع ملكية أو أسرة بني إسرائيل: (نبيهم – صموئيل – قال لهم: علامة حكمه – شاؤول – هو أن الفلك فلك التابوت سوف يأتي إليكم، تحمله الملائكة، ويحتوي على سكينة من ربّكم، وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون حقاً، في ذلك علامة أو آية لكم إن كنتم مؤمنين) سورة ٢ آية ٢٤٨(****).

أما السورة الأخرى التي ذكرها المستشرق فهي سورة الحديد آية ٢٦ التي جاء فيها {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ} وهنا يبين الله تعالى المرادف لكلمة محسن = مهتد والمرادف لكلمة ظالم = من الفاسقين. المترجم].

(*)[سورة طه آيات ٢٩-٣٢] إذ جاء في الكتاب العزيز {وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي} فنلاحظ أن المؤلف قد ترجم تعبير (وزيراً من أهلي) ترجمة سليمة بمعنى المعين والظهير، غير أنه ترجم (أشدد به أزري) ترجمة لا توافق مفهوم الآية وهدفها فجعلها وكأنها حرفياً (زّد في قوتي increase my strength [المترجم].

(**)[سورة الفرقان آية ٣٥] فيقول عز من قائل {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيراً} فترجم الفعل (وجعلنا) بكلمة إنجليزية يفهم منها التعيين أو التوظيف toappoint في حين أن الله جعل هارون وزيراً. أما ما ورد في السورة الأخرى وهي سورة طه آيات ٢٩-٣٢ يقول فيها الله سبحانه وتعالى {وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي} [المترجم].

(***)[يقول الله تعالى في سورة الأنبياء آيات ٤٨-٤٩ {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاء وَذِكْراً لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ} [المترجم].

(****)[سورة البقرة آية ٢٤٨، يقول الله تعالى فيها {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلآئِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}. ويلاحظ أن المؤلف استخدم كلمة (Covenant) بحرف كبير للحرف (C) على أنها تقابل (التابوت)، مع أن الكلمة في القواميس وبحرف (C) صغير تعني (الميثاق أو العهد). فضلاً عن ذلك فإنه استخدم كلمة (حقاtruly) وهي لا وجود لها في الآية.(المترجم)

وأعطى الله إلى داود David، النبي والخليفة على الأرض، وسليمان مساعده بخلافته أو وريثه (وأعطينا داود سليمان وكان عبداً صالحاً مطيعاً) سورة ٣٨ آية ٣٠(*).

ولقد ورث سليمان من داود صلة القربى وحكمة النبوة والحكم الإلهي (وورث سليمان داود وقال: أيها الناس، لقد علّمنا كلام – منطق- الطير ومنحنا كل شيء) سورة ٢٧ آية ١٦(**) .

ووهبنا لداود وسليمان الحكم الإلهي، وقد شهد الله حكمهما في حالة الأضرار التي أصابت الحقول) سورة ٢١ آية ٧٨(***) .

وزكريا Zachariah وهو والد يوحنا John المعمدان قال في صلاته (حقاً، أنني أخاف الموالي بعد موتي. وإن زوجتي عاقر barren، لهذا هبّ لي ولياً من عندك الذي سيرثني ويرث من آل يعقوب، وأجعله، يا (O) ربي راضيا أو مسّراً لك) سورة ١٩ آيات ٥–٦(****).

(*) [سورة ص آية ٣٠ قال جلّ جلاله {وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ} فالباحث قد ترجم (نعم) في القرآن الكريم بكلمة (excellent) التي تعني ممتاز أو من الطراز الأول وهذا المعنى لا ينطبق تماماً مع تعبير (نعم) كذلك فإنه لم يترجم كلمة (أوّاب) التي تعني رجّاع إليه تعالى بالتوبة. المترجم].

(**) [سورة النمل آية ١٦ إذ يقول سبحانه وتعالى {وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ} وقد استعمل الباحث بدلاً من (يا أيها) حرف (O) التي لا تعني شيئاً ولا تعادل يا أيها، لكن استعمالها شائع في الشعر الإنجليزي والرواية الإنجليزية [المترجم].

(***) [أي سورة الأنبياء آية ٧٨ وفيها قال سبحانه وتعالى {وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ} هاهنا يلاحظ أن الباحث قد أضاف كلمة (Jointly) التي تعني (معاً)، كما أنه ترجم ترجمةً غير سليمة لتعبير (الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم) بتعبير أدبي قد ترجمته حرفياً وهو بالأصل:

Inacase of damage to the fields

فصار الحرث حقولاً وتحولت فعل (نفش) إلى damage [المترجم].

(****) [سورة مريم آيات ٥–٦ التي جاء فيها قول الله تعالى {وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا}. فقد ترجم (رضيّا) بفعل (pleasing) في الوقت الذي فسّر المفسرون فيه الكلمة القرآنية مرضياً عندك قولاً وفعلاً وبين الاثنين كما يرى القارئ فرقا بيّنا [المترجم].

وقد فهم المفسرون بعامة تعبير الموالي أن المقصود بهم الأقرباء[١٨] وكما أبدى بلاشير R.Blachere ملاحظة تفيد بأن التعبير هنا هو بالأحرى تلميح أو إشارة إلى عداوة الكهّان أو القساوسة الآخرين إزاء زكريا، الذي لم يكن له ذريّة، كالذي روي في إنجيل توما Gospel Thomas[١٩]، وعلى أية حال فإن يوحنا أصبح ورثياً لآل يعقوب.

وفي القصة عن الأنبياء من غير بني إسرائيل، قد أدّت عوائلهم وآل بيوتهم أدواراً فعالة وحيوية أيضاً، كالدور الذي أدّاه تلامذتهم وأوصياؤهم. والقوم الأشرار أو الآثمين في مدين أجابوا شعيب نبيهم، (يا (O) شعيب، أننا لا نفهم كثيراً مما تقول، ونحن مؤكداً نراك ضعيفاً بيننا. ولولا وجود رهطك لرميناك بالتأكيد بالحجارة، لأنك ليس لك سلطان علينا) سورة رقم ١١ آية ٩١[*].

وأن جماعة من ثمود، وهم قوم النبي صالح Sa'ih قال بعضهم لبعضهم الآخر (نقسم قسماً جماعياً بالله إننا نهاجمه وآله ليلاً. ثم نقول إلى الشخص الذي يتكفل الانتقام لقتله (وليه) نحن لم نشهد إهلاك أهله، وأننا بالتأكيد لا نقول إلا الحقيقة) سورة ٢٧ آية ٤٩ [**]، وقد أعاق الله تنفيذ مؤامرتهم ودمر الناس المذنبين وجميع قوم ثمود.

---

[١٨] الطبري، جامع مجلد ١٦ ص٣٢.

[١٩] بلاشير R.Blachere في دراسته باللغة الفرنسية الموسومة (القرآن) المطبوع في باريس ١٩٥٧ ص ٣٢٩ هامش ٥.

[*] [سورة هود آية ٩١ إذ قالعزّ من قائل (قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول وإنّا لنراك فينا ضعيفاً ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز). فنلاحظ إنّ المستشرق استخدم حرف (O) بدلاً من قالوا، كما أنه استخدم كلمة understand للتعبير عن (نفقه) ومن الطبيعي أن هناك تبايناً بينهما، واستخدم بدلاً عن (الرجم) تعبير دال عليه ولكنه لا ينطق تماماً وهو: We would certainly theyhave stoned you.

ثم كرّر استعمال Surely و Certainly وهما كلمتان لا وجود لهما في أصل الآية الكريمة، كما أنه ترجم (عزيز) بما يقابل الكبير النفوذ powerful المترجم].

[**] [سورة النمل آية ٤٩ قال سبحانه وتعالى (قالوا – تسعة رهط في الآية الكريمة السابقة أي آية ٤٨- {قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ}. فهذه الآية في القرآن الكريم هي بشأن أخي ثمود صالح، وقد سماه المستشرق أقرب إلى (صائح) وليس صالح. المترجم].

فالوضعية والمكانة البارزة لعوائل أو بيوت وذريّة الأنبياء الماضين وأشبه التطابق الذى لاحظناه كثيراً بين تاريخ الأنبياء السابقين فى القرآن وتلك التى هى فى حالة محمد لابد أن كثيرا منالتوقعات بالنسبة إلى الوضعية والمكانة المتميزة لأهل بيته. فقرابة محمد قد ذكروا في سياقات متنوعة، فأحياناً قد ذكروا في معنى واسع أكثر من آله. وهذا النظام خوطب به النبي: ((أنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك للمؤمنين الذين يتبعونك) سورة ٢٦ آيات ٢١٤-٢١٥(*)، (وأقرب عشيرة) يحتمل أنها تؤشر إلى قريش، على الرغم من أن هناك تفسير أضيق لا يجعل هذا ممكناً.

وكثيراً ما يقتبس الشيعة، كبيّنة الآية في سورة رقم ٤٢ آية ٢٣ إذ أن محمداً. قد أمر ليخاطب المؤمنين (قل، إنني لا أسئلكم عليه أجرا [الاتصال عن طريق الوحي] ما عدا الحب والمودة في القربى)(**).

فالشيعة – بحسب قول المستشرق – يفسرون الآية بأن محمداً قد طلب من المسلمين أن يحبّوا (يودّوا) أهل البيت، بيت محمد. ومهما يكن فإن هذا التفسير لا يتطابق مع كلمات النصّ. (فالطبري) في تفسيره بشأن الآية(٢٠) يقدم ثلاثة تفسيرات ويفضل الأول منها، فبناءاً على هذا التفسير أنه طلب مودّة المؤمنين للنبي الذين ينتمون إليه بروابط(*) الدم (صلة الأرحام) وإن هذا التفسير يعدّ ملائماً إلى درجة كبيرة إن كانت الآيات مكيات، والخطاب موجه إلى قريش، والسورة على أية حال، قد عدّت من السور المدنية، وأعلنت في وقت حينما لم يكن كثير من المسلمين يرتبطون

(*)[سورة الشعراء آيات ٢١٤-٢١٥ التي قال الله تعالى فيها {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } المترجم].

(**)سورة الشورى آية ٢٣ قال الله سبحانه وتعالى {ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ}. والواقع أن تفسير هذه الآية عند بعض المفسرين لا تؤيد قول المستشرق، فتفسير (الحاكم النيسابوري) (والنووي) قد أبعد تماماً فكرة أن المودّة في القربى يقصد منها أهل بيت النبي ، إنما تتعلق بقصة الأنصار ومحاولتهم مساعدة رسول الله مادياً. المترجم].

(٢٠)الطبري، جامع مجلد ٢٥ ص١٣-١٥.

(*)الملاحظ أن المستشرق قد عوّل كثيرا على تفسير واحد من تفسيرات الطبري ؛ لكن ممّا يؤخذ عليه علميا إنه لم يراجع أي من التفسيرات الأخرى والشيعية منها على وجه الخصوص . والمعروف إن الطبري في كلّ ما يتعلق بالإمام والشيعة يقف موقفا غير عادل فهو عباسي الميل ولا يريد أن يبغض أسياده. (المترجم)

بمحمد عبر صلة الرحم. لذلك فالأفضلية ربما تعطى إلى التفسير الثالث للطبري (فالتفسير الثاني بالأحرى غير محتمل)، بأن المودة لذوي القربى قد قصد فيها بصورة عامةوعلى أية حال فالتفسير الأقرب هو الذي فضّله الطبري فربما يوحي بحدّ ذاته الى إن المقصود للمسلمين جميعاً أكثر من بعضهم (النبي أولى بالمؤمنين أكثر من أن يكون بعضهم لبعضهم الآخر، وأزواجه هنّ أمهاتهم) سورة ٣٣ آية ٦(*) .

وبأي حال من الأحوال فهناك أدلة أخرى بشأن قرابة النبي التي تشير بالتأكيد إلى آله وإلى أولوا الأرحام. والقرآن يفرد جزءاً من الخمس، خمس الغنيمة، وجزءاً من الفيء، أي ممتلكات الكفّار التي استولى عليها المسلمون دون قتال، إلى أقارب محمد فضلاً عن نفسه (أعلم ما تأخذونه غنيمة، فخمسه لله، وللرسول، ولذي القربى، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل إذا ما آمنتم بالله وبما أنزل على عبده في يوم القيامة، اليوم الذي التقى فيه الجمعان) سورة ٨ آية ٤١(**) .

(الذي منحه الله من فيء لرسوله من البلدات العائدة لله، الرسول ولأولى الأرحام، واليتامى والمساكين وابن السبيل، من أجل أن لا تتداول بين الأغنياء منك) سورة ٥٩ آية ٧(***).

(*)(سورة الأحزاب آية ٦ قال الله تعالى: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُوْلُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفاً كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً} المترجم].

(**)[سورة الأنفال آية ٤١ فيقول الله سبحانه وتعالى {وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} المترجم].

(***)[سورة الحشر آية ٧ يقول فيها سبحانه وتعالى {مَّا أَفَاء اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاء مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}. يلاحظ أن المؤلف قد استخدم كلمة towns وهي (بلدات) وربما مدن صغيرة بينما أشارت الآية الكريمة إلى (القرى). كذلك فقد استخدم فعل (belong) بمعنى (ترجع) أو تعود بدلاً من أصل الجملة في الآية الكريمة (فلله وللرسول) كذلك استخدم (in order) بدلاً من (كي لا يكون) وقد أغفل ترجمة (دولة بين الأغنياء) بمعنى ملكاً متداولاً بينهم خاصة) فضلاً عن أن المؤلف لم يترجم نهاية الآية المذكورة. المترجم].

فالمصادر السنية والشيعية تتفق على أن المقصود (بالأقربين، أو ذي القربى) الواردة في هذه الآيات ذرية (هاشم بن عبد مناف) الجدّ الأعلى لمحمد، وذريّة أخ هاشم المطلب[٢١]، وإقصاء ذرية الاخوين الاخرين هاشم وعبد شمس (وهم اسلاف الأمويين) ونوفل، وإن ارتباط بني المطلب مع بني هاشم يرجع إلى حلف الفضول في حقبةقبل الإسلام، والحلف قد صنّف هاتين العائلتين مع بعض عشائر قريش في حلف يقف ضد الاثنين الآخرين وحلفاءهم[٢٢]. وقد أكد على هذا الحلف وعزّز في زمن مقاطعة قريش لمحمد عندما أنضم بنو المطلب إلى هاشم في توسيع الحماية له[٢٣] ولسبب ارتباطهم مع بني هاشم، فإن عدداً من بني المطلب تسلّموا حصصاً من إنتاج خيبر العائدة إلى النبي.

وكانت حصة الغنيمة والفيء قد حفظت إلى ذوي قرابة النبي، اعتماداً على روايات كثيرة في المصادر، تعويضاً لهم بسبب عدم شمولهم بالصدقة والزكاة، وكان أقرباء محمد، كما عليه في النبي نفسه، قد منعوا من تسلم أي جزء من الصدقة والزكاة. وقد بيّنت المصادر السبب في هذا الاستثناء؛ لكون الصدقة والزكاة إن هي إلا تراكم لأوساخ الناس، وإيتاء الصدقة والزكاة قدعدّا عملاً من أعمال التطهير. وبسبب حالتهم من النقاء والطهارة، فإنه ليس مستحباً لأولى أرحام النبي أن يتسلّموا الصدقة والزكاة أو أن يستغلونها أو يستعملونها. وقد احتفظت المذاهب الدينية الشرعية،

---

(٢١)اعتماداً على رواية حسان عبد الله العلوي فإن محمد قد أعطى أيضاً حصصاً من الخمس إلى بني عبد يغوث (ابن شبة: تاريخ المدينة المنورة (تحقيق فهيم محمد شلتون (قم ١٤١٠هـ / ١٩٨٩- ١٩٩٠) ص ٢٤٥. فالمنحدرون من خال محمد من ناحية الأم عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف من عشيرة زهرة هم المقصودون بذلك.

(٢٢)ينظر وات Watt (محمد في مكة) المطبوع في اكسفورد ١٩٥٣ ص ٦-٨.

(٢٣)م.ن ص ٨، ١٢١-١٢٢، واقترح جولد تسيهر I.Goldziher في دراسته بالألمانية الموسومة (دراسات محمدية) المطبوع في هاله Halle ١٨٨٩-١٨٩٠، أن حديث جبير بن مطعم بشأن تفضيل الرسول هاشم والمطلب على عبد شمس ونوفل هو حديث عباسي حزبي أو متحزب ومختلق ضد الأمويين. ويستند هذا الحكم على التجاهل التام والتغافل عن الحقائق حول سيرة محمد وحول نزاعه مع معارضيه من المكيين.

السنية والشيعية، بهذا الحظر أو التحريم لبني هاشم ليشاطروا ويقاسموا صدقات المسلمين العاديين(٢٤).

وحالة الطهارة، والتطهير، اللذين تميّزا بهما أهل بيت النبي عن بقية المسلمين بصورة عامة تتفق مع المنزلة الرفيعة والعالية لعوائل وأهل بيت الأنبياء الأوائل. وكما تم ذكره في أعلاه، فإن القرآن قد وصف آل لوط بأنهم كانوا أناساً حافظوا على طهارتهم أو كانوا يتطهرون. ونفس الحالة من الطهارة قد أشير إليها بوضوح في الآية التي تمّ فيها مخاطبة زوجات النبي (أبقينّ في بيوتكن، ولا تظهرنّ أنفسكن في ملبس مثير كما كنتن في الجاهلية. وأقمّن الصلاة وآتين الزّكاة، وأطعن الله ورسوله. أراد الله فقط أن يمحي الأوساخ عنكم أهل البيت ويطهركم تطهيراً كاملاً)(**) سورة ٣٣ آية٣٣(*).

فمن هم أهل البيت هنا؟ فالضمير يشير إليهم وهو بصيغة الجمع المذكر، بينما الجزء الذي سبق ذلك من الآية بصيغة الجمع المؤنث. فهذا التعبير في الجنس قد أسهم بشكل واضح في انبثاق عدة روايات متباينة بصفة قصصية أو أسطورية أو خرافية

---

(٢٤)ينظر مادولنك Madelung في بحثه المشار إليه آنفاً (الهاشميات) ص ٢٤-٢٦ وقد ترجم كيتاني خطئاً التعبير (أهل بيته) من حرّم الصدقة بعده في الحديث حول غدير خم منسوب إلى زيد بن الأرقم وهو (أهل البيت هم أولئك الذين استثنوا من الالتزام بدفع الزكاة والصدقة الشرعية بعد وفاة الرسول) ينظر حوليات مجلد ١٠ ص٤٥٥، في الواقع ليس هناك مثل هذا الاستثناء.

(**) المقصود وباتفاق المصادر الشيعية وبعضهم من المصادر السنيّة أهل بيت محمد الأطهار (المترجم)

(*)[أي سورة الأحزاب آية ٣٣] إذ يقول عزّ من قائل {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً}. فالمستشرق استخدم كلمة (stay) التي تترجم يبقى أو يمكث وهذه المعاني لا تماثل كلمة (وقرّن) التي تعني بحسب التفاسير الإسلامية ألزمن بيوتكنّ وكذلك جميع النساء. وقد خصّصها الله تعالى على نساء النبي لأن الآيات الكريمة السابقة من سورة الأحزاب أي من آية ٢٨ حتى آية ٣٤ جميعها تتعلق بزوجات الرسول إن كنتنّ تردن الحياة الدّنيا وزينتها. وقد أبلغهن الله تعالى قائلاً {فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْراً عَظِيماً} سورة الأحزاب آيات ٢٨-٢٩. فهل يعتقد المستشرق أن هذه الآيات مطلقة أم محدّدة، بشكل واضح، ثم ما علاقتها بآية التطهير الخاصة (يريد الله أن يذهب عنكم - وليس عنكن - الرجس أهل البيت ويطهّركم - وليس يطهّركنّ - كما هو في سياق الآيات السابقة) (فَقَرّنَ) تختلف بشكل واضح مع الكلمة التي استخدمها المستشرق مع الفعل (stay) ثم أنه ترجم (ولا تبرّجنّ) بجملة عامة غامضة وهي show yourselves in spectacular بمعنى لا تظهرن أنفسكنّ بملابس وأزياء مثيرة fashion فلا تبرّجنّ أي لا تبديّن الزينة التي يجب سترها. كذلك ترجم الرجس بكلمة defilement بمعنى (النجاسة والوساخة)، في حين أنها عند المفسرين وفي هذا المجال تعني (الإثم والذنب والنقص) [المترجم].

Legendary، إذ يربط الجزء الأخير من الآية بخمسة من أهل العباءة (أهل الكساء): محمد، وعلي، وفاطمة، والحسين، والحسن. وعلى الرغم من الأهمية الشيعية الواضحة، فإن الأغلبية العظمى من الروايات التي اقتبسها الطبري في تفسيره حول هذه الآية تؤيد هذا التفسير.

وعلى أية حال يبدو أنه من غير المحتمل جداً، بأن هذا القسم من الآية كان بتأثير من وحي منفصل أو مستقل وأنه قد أدمج، أو أدخل، في حقبة لاحقة ببقية الآية(*)، كما تتضمنه تلك المرويات، وتماماً كالذي حدث في حالة مماثلة لآية خوطبت بها زوجة إبراهيم، إن الأستاذ باريت R.Paret يحاجج بأن أهل البيت، ربما بالأحرى هي إشارة إلى مؤيدي أو موالي الكعبة(٢٥). ومهما يكن فإن هذا التفسير لا يتلاءم مع الهدف الواضح للآية في رفع أو إعلاء منزلة زوجات النبي على جميع النساء المسلمات. فالآية التي سبقتها تبدأ بالتصريح (يا (O) نساء النبي، لستنّ كأي النساء الأخريات) سورة ٣٣ آية ٣٢(*).

فالنساء المخاطبات هنا هنّ أفراد من آل النبي الطاهرين عبر الزواج. والمعروف عن محمد إنه في مناسبات أخرى قد خاطب زوجاته بشكل منفرد – (أهل البيت)، والظاهر كان ذلك بهدف تشريفهنّ بهذه التسمية(٢٦) وهنا فإنهن قد عوتبنّ بتعبيرات نقديّة صريحة وذلك من أجل جعله مطابقاً لوضعيتهن السامية في سلوكهن وتصرفاتهن، فيقصد بأهل بيت محمد، كما هو متفق مع الاستعمال العام للتعبير في ذلك الوقت، وبصورة أساسية صلات الدم، أو أولوا الأرحام، بنو هاشم أنفسهم الذين قد

(*) مرّة أخرى أقول إنّ المستشرق يرى كما هو واضح جدا في رأيه هذا أن هناك ثمة تحريف في القرآن الكريم الذي يقرأ فيه المسلمون في أرجاء المعمورة اليوم. (المترجم)

(٢٥)باريت Paret في بحثه باللغة الألمانية المشار إليه آنفاً بعنوان (الخطة) ص ١٢٧-١٣٠.

(*)[سورة الأحزاب آية ٣٣ إذ قال تعالى (يا نساء النبّيلستنّ كأحدٍ من النساء إن اتّقيتنّ فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفا) المترجم].

(٢٦)ابن حنبل، مسند (القاهرة) ١٣١٣/١٨٩٥، جزء ٣ ص ٢٤٦. وقد أكد لامانس في دراسته (فاطمة وبنات محمد) ص ١٩٩ إن أهل البيت كما فهمت باللغة العربية، تعني بشكل أساس زوجات الرجل الذين يجتمعون تحت سقف واحد. مع ذلك فإن الإشارات التي قدّمها في هامش رقم ٤ كدليل على استخدام التعبير بما يتعلق بالعوائل الأخرى أكثر من أقارب أو أولي رحم محمد الذي يظهر معناها الرئيس بأنها أولي محمد المقربين.

حرموا من تسلم الصدقة بغية أن لا تتلوث حالتهم في الطهارة والتطهّر ثم من بعد ذلك وفي المرتبة الثانية زوجاته.

بقية هناك آية المباهلة imprecation (*)، تلك التي يصعب تقويم أهميتها الدينية بالنظر إلى غموض الظروف المحيطة بوحيها(٢٧)، منذ خاطب محمد (إن كان أي منكم يريد المحاججة معكم في هذا الموضوع [وهو موضوع متعلق بالنبي عيسى] بعد العلم الذي جاءكم قل : تعالوا ندعو أبناءنا وأبناءكم، ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم، ثم دعونا نقسم اليمين ونضع لعنة الله على أولئك الكاذبين) سورة ٣ آية ٦١ (**). ويتفق المفسرون على أن الآية ترتبط بزيارة وفد من مسيحيي نجران في سنة ١٠هـ/٦٣١-٦٣٢م الذين لم يقبلوا بالمعتقد أو المبدأ الإسلامي بشأن عيسى المسيح. وإن العلماء المحدثين المعاصرين قد أبدوا ملاحظات نقديّة حول مدى الدقة والموثوقية في هذه القصة وعن الاتجاه المعين والمحدد للمفسرين في رواية كثير من الفقرات القرآنية المتعلقة بهذه الزيارة للمسيحيين(٢٨).

(*)[والترجمة لهذه الكلمة هي الملاعنة، والأصح أن ندعوها باللعنة على الكاذب في المباهلة التي حدثت بين النبيّ وعلي وفاطمة والحسن والحسين وبين وفد من المسيحيين من نجران. المترجم]

(٢٧)وأهمية آية المباهلة قد نوقشت على نحو هزيل في الدراسات الغربية وفي سيرة محمد. ودراسة ماسنيون L.Massignon باللغة الفرنسية الموسومة (المباهلة في المدينة وفاطمة) المطبوعة في باريس ١٩٥٥ وبحوث شموكر W.Schmucker باللغة الألمانية نظير بحثه الموسوم:

"Die christliche Minderheit von Nagran and die problematic ihrer Beziehungen zum fruhen lslam" in Bonner Orientalistische studien, Naue serie, ed. O. spies (Bonn 1973) Vol.XXVIIL/I. pp.183-281.

وبحثه الآخر (مباهلة) في دائرة المعارف الإسلامية (طبعة ثانية)، ليدن ١٩٥٤، فهذه الدراسات قد تعاملت بشكل كبير مع العقيدة والأسطورة المتأخرة. فشموكر Schmucker يحاجج على أن القسم أو الجزء المنسوب إلى نصارى نجران جميعه مزيف وخيالي وأن الآية التي يصفها بكونها غامضة ولا تتعلق بأي حدث تاريخي. وإن كلمات الآية على أية حال تبدو كأنها تشير إلى مناسبة تاريخية. مع أنه حتى وإن كانت الآية قد تعني مجرد هدف لتمجيد مكانة أو صفة محمد الديني بتعبير تجريدي، إلا أن المشكلة ستبقى وذلك لماذا تضمن الآية (زوجاته وأبناؤه) ومن هم المقصود بهم. فالمعاصرون بالكاد يتمكنوا من تفادي وتجنب فهم الآية على أنها إشارة إلى أهل بيته.

(**)[سورة آل عمران آية ٦١ قال الله تعالى (فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ – المقصود عيسى – فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) المترجم].

(٢٨)نولدكه T.Noldeke وشوولي F.Schwally في دراستهما باللغة الألمانية الموسومة (تاريخ القرآن) المطبوع في ليبزج ١٩٠٩-١٩٣٨ جزء ١ ص ١٧٧ هامش ٢.

فمن هو المقصود بتعبيرات (أبناءنا) و (نساءنا) من جانب محمد؟ فاعتماداً على الروايات أن المباهلة لم تقع طالما أن المسيحيين قد اعتذروا عن أدائها، وأن الأغلبية من الروايات السنية المعتمدة على الطبري(*) لم تحدد أفراد آل محمد الذين كانوا من المتوقع أن يسهموا فيها. وروايات سنيّة أخرى تذكر فاطمة والحسن والحسين، وبعضهم يتفق مع الرواية الشيعية بأن أهل الكساء يشمل علياً وقد اجتمعوا لهذه المناسبة. وبصرف النظر عن الملابسات والظروف، لا يبدو إنه خيار ملائم لتحديد هوية الأبناء في الآية بحفيدي محمد الاثنين وفي تلك الحالة أيضاً استثناء والديهما علي وفاطمة، فهو أمر غير معقول، فتعبير (نساءنا) بدلاً من زوجاتنا سوف لن تقصي أو تستثني بنت النبي. وربما أن مساهمة العائلة قد صار تقليدياً في المباهلة. علماً بأن الغرض نفسه لهذا الطقس أو لهذه الشعيرة من قبل النبي تحت ظروف من الأهمية الدينية العاطفية وإقرارها وتصديقها في القرآن لم يضعف في رفع مرتبة أو منزلة آله.

(*)الواقع إن المستشرق مادولنك أثبت في هذه الرؤية أنه غير موضوعي، على عكس ما كنّا نتوقعه كما في دراساته وبحوثه الأخرى عن التشيع. وإلاّ فإن المستشرقين الآخرين الألمان أو الأمريكان والإسرائيليين أو الفرنسيين المعاصرين يرون بأن الرواية السنيّة لا تنفع في الكتابة عن التشيع، فضلاً عن أن مادولنك اعتقد وللمرة الثانية والثالثة أن (الطبري) مؤرخاً ومفسراً هو المصدر الذي ينبغي بل ويجب الأخذ برأيه وتفسيره متجاهلاً مؤلفات التفسير الأخرى. فالطبري يغفل بل يتغافل تماماً عن أي تفسير لأي آية يقول بها عبد الله بن عباس وجابر بن عبد الله الأنصاري ؛ ناهيك القول عن تغافله مصادر مشرّفة ووثيقة الصلة بأحاديث رسول الله الا وهم الأئمة الأطهار. فالطبري وابن كثير في تفسيريهما يتعمدان ذكر ألفاظ وأقوال ضبابية ومنحرفة ومتحزبة بأن هذه الآية أو تلك لم تنزل في الإمام علي ولا في بيت النبي ولا في فاطمة الزهراء والحسن والحسين ، بينما يصرّح الطبري مباشرة أن هذه الآية نزلت في أبي بكر مثلاً. وقد علّلت المستشرقة الإيطالية المشهورة فيشيا فاجليري مثلاً L.Veccia Vaglieri بشكل صريح وواضح أن الطبري يتجاهل ذكر فاطمة الزهراء لخوفه ،مع غيره من المؤرخين، من العباسيين. وهذا عين الصواب إذ ينطبق موقفه المتحيز والخائر هذا من الإمام علي ومن مؤامرة قتل الإمام الكاظم ومن مسألة غدير خم ومن مسألة فدك ومن ثورة المختار ومن ثورة زيد بن علي ومن ثورة النفس الزكية وثورة أخيه إبراهيم ومن ثورة الزنج . فالمستشرق مادولنك عليه أن يكون عارضاً تاريخياً موضوعياً،ولأضرب له مثلاً آخر بخصوص خوف الطبري وخشيته من السلطة العباسية المعادية للأئمة الأطهار وبخصوص تحريفه ومجانبته الحقيقة ما يتعلق بكتاب سيف بن عمر الأسيدي المعروف بكتاب (الردة والفتوح الكبير): وهو الكتاب الذي لم يفلح الطبري على حصوله ولكنه اعتمد على مسلكين في روايته، الأول منهما عبر عبيد الله بن سعد الزهري المعاصر للطبري ولكنه كان يمتلك نسخة الكتاب عن طريق عمه يعقوب بن إبراهيم الزهري، والثاني عبر السري بن يحيى الكوفي الدارمي. المهم إن الطبري قد حذف كل ما يتعلق بالإمام علي في كتاب سيف بن عمر. فاعتماداً على ابن حبيش في كتابه غزوات ابن حبيش وردت عدة أحاديث مروية عن الإمام (ينظر ابن حبيش الأندلسي، كتاب الغزوات الضامنة الكاملة والفتوح الجامعة الحافلة الكاملة في أيام الخلفاء الثلاثة الأول، تحقيق د. سهيل زكار، بيروت ١٩٩٢، جزء ٢ ص ٤، ٥) لكن الطبري حذفها خوفاً من العباسيين وتحيزاً ضد العلويين [المترجم].

وهكذا فقد أضفى القرآن على أهل بيت محمد موضعاً سامياً على بقية المؤمنين، وهو وضع يشابه وضع آل بيوت الأنبياء الأوائل، فالله أراد أن يطهرهم من جميع أنواع الوساخة (الأحرى أن يقول المستشرق الرجس) وبصورة مؤكدة فإن المرتدين أو الخارجين عن النبي أولئك الذين عارضوا دعوته قد أقصوا واستثنوا من هذه الرحمة الربانية، تماماً مثل الخارجين من بين عوائل (آل) الأنبياء الماضين. فعم محمد أبو لهب وزوجته قد أفردا بلعنة سماوية في سورة في القرآن. إلا أن مثل هذه الاستثناءات لم تؤثر على الفضل الإلهي لآل البيت عموماً.

وبشأن ما يعبّر عنه القرآن بشأن أفكار محمد، فمن الواضح أنه لم يكن يعدّ أبا بكر خليفته الطبيعي أو أنه قد سرّ بوراثته. ومن المؤكد أن القرآن لم يعكس تماماً وجهات نظر محمد بخصوص الأشخاص والنساء الذين كانوا يحيطونه وكذلك لم يعكس عن موقفه إزاءهم. مع هذا فإنه لم يكن بوسعه أن يرى خليفته مهما في ضوء القصص القرآنية حول الخلافة للأنبياء الأوائل، تماماً كما رأى دعوته الخاصة كنبي، فإن مقاومة قومه تلك واجهها، ونجاحه النهائي من قبل رحمة الله ونعمته على ضوء تجربة الأنبياء السابقين كما رويت في القرآن. إذ عدّها هؤلاء الانبياء السابقين فضلاً إلهياً سامياً، أن يخلفهم ذريتهم أو أولي الأرحام أولئك الذين كان الأنبياء يناشدون ربهم بشأنهم. المدافعون السنّة المعاصرون يحاججوا إزاء هذه المسائل على أساس القرآن (سورة ٣٣ آية ٤٠ (*)، الآية التي تصف محمد على أنه خاتم الأنبياء. وأن هؤلاء العلماء السنة المعاصرين يدعمون بأن محمداً، على اعتبار أنه آخر الأنبياء، لم يكن يخلف أحداً من آل بيته بناءاً على إرادة الله. ومن أجل هذا التصميم، فإن الله ترك لجميع أبنائه أن يموتوا وهم في مستهل طفولتهم[٢٩]. ولنفس السبب فإن محمداً لم يعين خليفة

(*)[سورة الأحزاب آية ٤٠ التي يقول الله تعالى فيها {مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً} المترجم].

(٢٩) والمناقشة لها أساس في الحديث. فاعتماداً على قول ينسب إلى عدد من الصحابة فإن ابن محمد، إبراهيم، لم يعش، فإن عاش فإنه سيكون نبياً. ينظر جولد تسيهر Gold ziher دراسته باللغة الألمانية الموسومة (دراسات إسلامية) جزء ٢ ص ١٠٥-١٠٦، فريدمان Y.Friedmann في بحثه باللغة الإنجليزية (نهائية أو غائية Finality النبوة في

له، بما أنه رغب في ترك الخلافة يقرّها المجتمع الإسلامي على أسس من المبدأ القرآني في الشورى.

ومهما يكن فالمحاجة ترتكز على تفسير خيالي أو وهمي واسع لتعبير (خاتم الأنبياء) فإنه حتى إذا قبلنا بمعناه في القرآن، على أنه آخر الرسل، الذي هو بحدِّ ذاته ليس محدداً ومؤكداً بشكل تام[٣٠] فليس هنالك من سبب، على اعتبار إن التعبير يتضمن محمد كزعيم روحاني وعالمي للمجتمع الإسلامي، فضلا عن نبوته، فلماذا يخلفه أحد من آل بيته؟ ففي القرآن، أن المتحدّرين من ذريّاتهم أو أولي أرحام الأنبياء هم ورثة أيضاً بالنسبة إلى الملك، والحكم والحكمة، والكتاب والإمامة. إن مفهوم السنّة للخليفة الحقيقي بحدِّ ذاته يحدّده ويعرّفه على أنه خليفة النبي في جميع النواحي ما خلا نبوته. فلماذا لا يخلف محمد في النبوة أي من آل بيته مثل بقية الأنبياء الأوائل؟

إن كان الله حقاً يريد الإشارة إلى أنه لا ينبغي أن يخلفه أي أحد من آل بيته، فلماذا لم يدع حفيده وأحد أقاربه وصلة رحمه يموتوا كما مات أبناؤه؟ لهذا فهناك سبب جيد في الشك بأن محمداً أخفق في تعيين خليفة له، لأنه أدرك أن التخطيط الإلهي قد استثنى الخلافة الوراثية لآل بيته، وأنه أراد أن يختار المسلمون زعيمهم على وفق الشورى. فالقرآن نصح المؤمنين أن يقروا بعض مسائلهم عن طريق الشورى، ولكن ليس خلافة الأنبياء، فاعتماداً على القرآن إن ذلك قد أقرّ بانتخاب سماوي، وأن الله في العادة يختار خلفاءهم، سواء أصبحوا أنبياء أم لم يصبحوا، من صلة رحمهم الخاصة.

الإسلامي السنّي) المنشور في مجلة Jsal مجلد ٧ (١٩٨٦) ص ١٧٧-٢١٥، والفكرة موجودة على صفحة ١٨٧-١٨٩.

[٣٠] فريدمان Friedmann في بحثه (نهائية أو غائية النبوة)، و شترومسا G.G.Stroumsa في بحثه باللغة الإنجليزية، (خاتم الأنبياء: جوهر أو طبيعة المجاز في المانوية) المنشور في مجلة JSAI مجلد ٧ (١٩٨٦) ص ٦١-٧٤؛ كولب C.Colpe في بحثه باللغة الألمانية الموسوم (خاتم الأنبياء) المنشور في مجلة Orientalia Suecana مجلد ٣٣-٣٥ (١٩٨٤-١٩٨٦) ص ٧١-٨٣ وهناك نسخة منقحة في دراسة كولب C.Colpe باللغة الألمانية الموسومة (خاتم الأنبياء Das siegel der propheten) المطبوع في برلين ١٩٩٠، ص ٢٢٧-٢٤٣.

ولماذا إذن أخفق محمد في تهيئة أو إعداد ترتيبات مناسبة لخلافته، حتى وإن كان مع ذلك يفترض أنه يأمل بخليفة من آل بيته؟ فأي جواب عن هذه التساؤلات لابد أن يبقى جواباً تخمينياً speculative. فتفسير إسلامي بسيط سيكون في اتخاذ قرار مهم يمثل هذه الصفة أنه يتوقع وحي إلهي، لكنه لم ينزل عليه أي وحي في هذا الصدد. وإن المؤرخين غير المسلمين ربما كانوا يميلون بشكل كبير إلى التوقع بأن محمداً كان متردداً لأنه كان حذراً ومتيقظاً بأن خلافة هاشمي قد تقدم تبريراً لمواجهة منافسة جادة على الزعامة فيما بين عشائر قريش والأقارب يضعف بني هاشم. ففي سنة ١٠هـ/٦٣١م بعث محمد علياً، ممثلا له إلى اليمن، لكنّ تصرفاته يبدو أنها قد أثارت بعض الانتقادات هناك. وعند عودته قبل ثلاثة أشهر فقط من وفاة النبي، وجد محمد أن من الضروري يعلن عن تصريح علني قوي وشديد اللهجة تأييدا لأبن عمه[٣١].فمن الواضح أن الوقت عندها لم يكن ملائماً لتعيين علي خليفة. ولعل محمد قد تأخر في اتخاذ القرار أملاً أن يعيش مدة أطول من أجل أن يكون قادراً ومتمكناً على تعيين أحدٍ من أحفاده. كان موته بعامة غير متوقع بين أتباعه حتى خلال مرضه المميت وإنه نفسه ربما كان غير مدرك للنهاية القريبة حتى أصبحت الأمور متأخرة جداً.

شهود العيان :- عائشة وعبد الله بن عباس:

ومن بين الروايات المتوافرة بشأن الوراثة، وراثة الخلافة، وبشأن الخلافة، في عهدها المبكر تلك الروايات المنسوبة إلى ابنة أبي بكر عائشة وإلى عبد الله بن عباس، ابن عم النبي وعلي، وهي روايات مهمة بشكل أساسي. وكان كلاهما في وضع قريب للملاحظة ولمشاهدة الأحداث التي كانا فيها متورطين عاطفياً وبصورة عميقة وفي بعض الأحداث الأخرى قد أدّيا دوراً مباشراً، على الرغم من كونهما في معسكرين متعارضين. وكما هو معروف جداً فإن عائشة قد دافعت وناصرت حق والدها في

---

[٣١]فاجيلري L.Vecci Vaglieri في البحث باللغة الإنجليزية الموسومة (غدير خم) المنشور في دائرة المعارف الإسلامية (طبعة ثانية).

وراثة محمد في الخلافة وساندت ودعمت خلافة خليفته المعيّن من قبل والدها عمر، ففي عملية انتخاب الشورى بعد اغتيال عمر، فإنها بوضوح وجلاء فضّلت عثمان على عدوها الشخصي علي. ومهما يكن فإنها سرعان ما تحولت إلى منتقد صريح لسلوك عثمان كخليفة وإثارتها التوتر ضده الذي أسهم بالثورة أو الانفجار الشعبي الذي أدّى إلى ثورة مفتوحة أو عامة. وعندما اغتيل عثمان من قبل الثوار ونصبوا علياً الخلافة، فإنها بشكل سريع ومفاجئ تحولت من موقفها الضدِّي من عثمان أي وقوفها ضد الأخير، رافعة لواء الانتقام أو الثأر للخليفة المقتول. وبعد دحر تحالفها في معركة الجمل، انسحبت من السياسة الفاعلة والناشطة. وكانت علاقاتها مع معاوية الأموي طيبة ومشجعة، وقد توفيت في عهده سنة ٥٨هـ / ٦٧٨،هادئة مكبوحة الاهتياج والانفعال[٣٢].

وولد عبد الله بن عباس في سنة ٦١٩م قبل ثلاث سنوات من الهجرة وظهر، أولاً في الحياة العامة في عهد خلافة عمر. ويبدو أن الخليفة سعى إلى سحبه إلى جانبه كممثل لبني هاشم، الذين كان أكثرهم يتجنبونه أو يتفادونه. فخلال مدة حصار منزل إقامة عثمان في المدينة من قبل ثوار مصر والكوفة، كان ابن عباس من بين مجموعة أبناء الصحابة البارزين الذين قاموا بحماية قصر الخليفة. ثم إن عثمان عيّنه صاحب أو والي الحج إلى مكة وأئتمنه أو وعهد إليه رسالة مفتوحة إلى الحجاج، أولئك الذين طمح عثمان أن يتحملوا أو يهبّوالنجدته. وفي البداية اعتمد عليٌّ بشكل واسع على نصيحته ومشورته فعيّنه والياً على البصرة. وعلى أية حال، فإن ابن عباس في حقبة لاحقة ارتد وهجر عليا مؤقتاً وكان بصورة واضحة منتقداً لبعض الحالات لحكم ابن عمه. وبعد اغتيال علي، كتب كتاباً إلى ابنه الحسن مشجعاً إياه في الاستمرار على سياسة الحرب التي انتهجها والده ضد معاوية وأن يحارب، ويقاتل، من أجل حقوقه. وهو لم يدعم ثورة الحسين، أخ الحسن، في عهد يزيد. ورفض، معاً مع ابن علي الآخر (محمد بن

[٣٢]وعن حياة عائشة ينظر بشكل خاص ابوت N.Abbott في الدراسة باللغة الإنجليزية الموسومة (عائشة محبوبة أو أثيرة محمد) المطبوع في شيكاغو ١٩٤٢.

الحنفية)، الاعتراف بخلافة عبد الله بن الزبير، الذي سجن كليهما. ولم يتحررا من السجن، إلا بعد ما قام به (المختار) زعيم ثوار الشيعة في إرسال مجموعة من الفرسان من الكوفة. وقد توفي ابن عباس مباشرة بعد ذلك أي في سنة ٦٨هـ/ ٦٨٧- ٦٨٨ [٣٣].

وقد عد (كيتاني) الروايات التاريخية المنسوبة إلى هاذين الصحابيين بكون كثير منها زائفة وخيالية. وهو يحاجج على أن استعمال سلسلة الإسناد أصبحت آنذاك تقليداً متبعاً بعد مدة طويلة من أزمانهم وكان حينئذ في الأعم الأغلب ترجع إلى الوراء حيث الصحابة بغية رفع شأن موثوقية الروايات، والأحاديث المجهولة المؤلف[٣٤]، وقد اختيرت عائشة بخاصة وذلك لما افترض عندها أنها لابد من أن تكون المصدر المستقى من المصدر المباشر والأول الذي له علم بالأحداث[٣٥]. فالروايات يمكن أن تكون بناءاً على ذلك قديمة ومعتمدة ما عدا ما يتعلق الأمر بنسبتها. وعلى أية حال فعملياً فقد اتجه (كايتاني) إلى رفض هذه الروايات باعتبارها مشكوك في صحتها أو أنه يعبّر عن تحفظات جدية بشأنها عند ما تفضل، حيثما كان ممكناً الروايات التي رويت دون أسانيد من قبل مصنفي التاريخ الأوائل نظير (ابن إسحاق). فإلى حدٍّ ما يصف ابن إسحاق بشكل غير مترابط منطقياً على كونه الكذّاب الرئيس archliarوالملفق بسبب القصص الخيالية التوراتية، والخرافات أو الأسطورية الكوزمولوجية (الكونية) التي فصّلها وقدّمها في تفسيره للقرآن[٣٦].مع هذا فإن كان هذا التفسير يمكن أن ينسب بثقة إلى ابن عباس، فلماذا يجب أن تكون الروايات التاريخية المنسوبة إليه خيالية بله ومزيفة؟ وهناك مشكلة أخرى بخصوص وجهة نظر كيتاني ألا وهي أن كثير من الروايات المروية والمنسوبة إلى عائشة وابن عباس تذكر عنهما على أنهما يتحدثان بصيغة المتكلم. أنه من الواضح أن هذه الروايات لا يمكن أن تكون مطلقاً روايات وأحاديث

[٣٣]وعن خلاصة مختصرة عن خلفية حياة عبد الله بن عباس ينظر فاجيلري L.Vecci Vaglieri في بحثها (عبد الله بن عباس) المنشور في دائرة المعارف الإسلامية (طبعة ثانية).
[٣٤]ينظر بصورة عامة مناقشته في الحوليات مجلد ١ ص ٣٨ وما بعدها.
[٣٥]م.ن. مجلد ٢/ القسم الأول ص ٦٩١-٦٩٢.
[٣٦]م.ن. مجلد ١ ص ٤٧-٥١.

مجهولة المؤلف وأن الإسناد الأساسي قد أضيف الى ذلك لاحقاً – فإذا ما رفضنا النسبة فإن الروايات ذاتها لابد من الافتراض إنها تلفيقات وإختلاقات متأخرة.

وهكذا فإن تاريخ بداية دخول الإسناد الشكلي أو الأساسي، هي مسألة لا صلة وثيقة لها بالإشكالية المتعلقة بصحة النسبة. وإن مثل هذا لابد أن يحكم عليه أو يقدر كثيراً على أساس الاتساق والتناغم المشترك للروايات المنسوبة إلى الشاهد نفسه. واتساقها مع ما كان معروفاً لعائشة أو لابن عباس والتوجهات السياسية. فقد كانا – عائشة وابن عباس – متورطين بشدة، كما يلاحظ، في الأحداث على الرغم من كونهما من معسكرين متعارضين. وأن شهادتهما من المتوقع أن تكون متحزبة ومتحيزة سواءً، في روايتهما للحدث أم في كيفية عرض رواية الحدث، أكثر من كونهما محايدين أو نزيهين في عرضهما. ولما كان الوجهة المتحيزة لرواياتهما كثيراً ما توافق وتتفق مع المواقف المتحيزة والمتحزبة السنية الشيعية المتأخرة، فهناك اتجاه وميل مشترك بين صفوف العلماء الغربيين إن يعدّون روايتهما بكونها تلفيقات وإبتداعات متأخرة، وبصورة خاصة تلك التي تفضل وجهات النظر الشيعية ومع أن التحيزات لوحدها ليست بينة على أصلها المتأخر. فإن كانت بعض الروايات، بسبب ظروف خاصة، يمكن رؤيتها على أنها بشكل مؤكد صحيحة النسبة، فإن ثقل الدليل فيما يتعلق بروايات مشابهة، حيث الأمور غامضة كثيراً، إنما يلقى على أولئك الذين يرغبون أن يعدّونها من التزييفات المتأخرة.

فالروايات التاريخية المنسوبة إلى عائشة وابن عباس في المصادر الأساسية نظير ابن هشام(**) والطبري وابن سعد والبلاذري قد حققوا هذا الشرط في الاتساق والانسجام إلى أعلى درجة. فإنهم يعكسون بشدة وجهات نظر شخصية محددة وكذلك يعكسون الاتجاهات السياسية. فهناك روايات متنوعة. وأن روايات قليلة فقط لابد

(**) المعروف أن ابن هشام الحميري المتوفى ٢١٨هـ/ ٨٣٣م لم يكن مؤلف السيرة النبوية بل الأحرى الإشارة إلى ابن إسحاق. أما ابن هشام فقد هذبها وادخل عليها كثير من التحييزات [المترجم].

من رفضها بشكل قاطع لكونها معارضة أو على خلاف مع الاتجاهات أو التوجهات السياسية.

فمرويات عائشة مادحة ودفاعية لصالح أبي بكر بشكل شديد وواضح، إذ قدمته تقديما عالي المستوى وقومته بشكل عال وميّزته عن باقي العرب بصفاته القيادية وإنه لطيف ومحبوب، وشخصية كاملة الحلم، دمث الأحلام، ورقيق، وحصيف، وحكيم وموضع تقدير واحترام بين العرب على كفايته في الزعامة والرياسة، هادئ بخلاف عمر الذي وصف بالخشونة والقسوة والجفاف، فكان أي شخص يخافه على الرغم من كونه، دون نكران، صالحاً ومستقيماً. ففي بداية مرض محمد المميت خاطب المسلمين المجتمعين بأنه كان يعلم ليس هناك رجل أفضل ميزة في أعماله (أفضل يداً) بين الصحابة من أبي بكر وأمرَ بغلق جميع الأبواب الخاصة المؤدية إلى المسجد – الجامع – (وإلى مساكن إقامته) ما عدا لأبي بكر[٣٧].وأصرّ – على الرغم من معارضة عائشة - بأن أبا بكر لوحده وليس لأحد آخر يحلّ محله في إمامة المصلين. وأنه من الواضح، فإن نظرة عائشة إلى أبيها أنه الوريث الشرعي rightful لمحمد على أساس الاختيار الضمني لمحمد له، وليس لأحداث السقيفة سقيفة بني ساعدة. وكان اهتمام أبي بكر الكبير جداً أن يعامل عائلة صديقه المتوفى معاملة لطيفة، وودية وعادلة، وهو واجب قد عدّه أعلى بكثير من التزامه إزاء أقاربه وعشيرته. ولم تدّخر عائشة أي جهد في تصوير أولي رحم زوجها بصورة عامة، وعلي بخاصة بصورة سلبية ومعاكسة لصورة أبيها تماماً؛ فعدم كفايتهم وعجزهم وعدم صلاحيتهم يتناغم

[٣٧]الطبري مجلد ١ ص ١٨٠٨، وعلى عكس من ذلك فإن روايات كثيرة لعائشة وآخرين حول الصلاة الجامعة الأخيرة التي أمها محمد، وبناءاً عليها أنه قد أظهر بشكل أساس تفضيله لأبي بكر، فإن عبد الله بن عباس ذكر أنه أدلى برواية تختلف عن تلك الروايات كلياً أعتمد فيها على أخيه الأكبر الفضل.فاعتماداً على هذه الرواية، أن الرسول لم يذكر، أو لم يشر إلى أبي بكر تماماً. فقد اعترف توبته عن أي إغضاب أو إزعاج قد اقترفه ضد الآخرين وسأل الحاضرين أن يتوبوا ويعترفوا بذنوبهم وآثامهم لكي يصلي من أجلهم. وعندما اعترف أحدهم على أنه كذب، ونافق وأنه مذنب عن كل سيئة، (قال له عمر معتقداً أنه أقوم أخلاقاً من الآخرين قائلاً ((لقد ألحقت الخزي على نفسك))، غير أن الرسول قال: (إن الخزي في هذا العالم أخف عن الخزي في العالم الأخروي، بالله، أمنح الرجل الثقة والإيمان وأجلب قضايا إلى نهاية طيبة، لكن عمر أصرّ قائلاً للرسول (قل له) فضحك الرسول وقال للرجل (عمر معي وأنا مع عمر) فأمسك بعدي بعمر، حيث ما يكون)) الطبري مجلد ١ ص ١٨٠١-١٨٠٣.

ويتلائم فقط مع عجرفتهم وغطرستهم. فعمّ محمد (العباس) قد أساءَ كثيراً للنبي المريض عندما، - وكان محمد بصحبة عدد من النساء المؤيدات للهاشميين — هو الذي لدّ الدواء في شق فمه من دون أذنه، بعد ذلك فسّر تصرفه هذا لاعتقادهم أن مرضه كان ذات الجنب pleurisy، وهو إيحاء رفضه محمد بغضب واستياء، ذلك لأن الله لن يبتليه بمثل (هذا الداء الشيطاني)[٣٨].حتى كذلك أظهر أولي قربى النبي الاحترام للنبي لو لم يكن تدخلاً إلهياً. فعليّ قد شجعته زوجته (فاطمة) وحثته ودفعته مع العباس على التخيل والاعتقاد بأنه مؤهل لخلافة محمد لكونه ابن عم محمد وكذلك صهره، وفاطمة هي التي تظاهرت بكذبة أنها وريثة ممتلكات محمد الدنيوية. إلا أنه كما هجره كل شخص بعد وفاة فاطمة، فإنه قد أجبر على أن يعرض ولاءه لأبي بكر. وكان شرطه للاجتماع به أن لا يكون عمر القاسي والخشن حاضراً. وبعد اعترافه بأن أبا بكر كان شرعياً وحقاً دائماً ومنذ البدء؛ لذلك عاد الناس إلى التحدث إليه مرة ثانية.

ومثل (عبد الله بن عباس) وجهات نظر بني هاشم بشأن حقهم بحذر. فقد اعترف أن القوم، أي قريش، قد قرروا ضد ما كان سابقاً يعدّ كإدعاء شرعي لهم باعتبارهم أولي قربى النبي. ولم يكن موقفه من علي من دون تحفظات. فقد ذكر أنه قد

[٣٨]ابن هشام، سيرة سيدنا محمد رسول الله (تحقيق فستنفلد F.Wustenfeld بعنوان باللغة الالمانية الموسوم (حياة محمد من محمد بن إسحاق) Leben Muhammeds nach Muhammed Ibn Ishak المطبوع في كوتنجن Cottingen ١٨٥٩-١٨٦٠، ص ١٠٠٧؛ طبري مجلد ١ ص ١٨٠٩. وقد ذكرت أسماء النسوة الحاضرات من قبل عائشة فكنّ (أم سلمة وميمونة) زوجات محمد، (وأسماء بنت عميس). وكنّ من مؤيدات الهاشميين وبذلك فهنَّ بغيضات إلى عائشة. وعن أسماء ينظر آبوت Abbott في الدراسة باللغة الإنجليزية المشار إليها في أعلاه (عائشة) ص ١١٣-١١٥. وأضافت (عائشة) وهي مقتنعة أن (ميمونة). قد قامت بصب الدواء في فمها عندما كانت صائمة وذلك للعنة من الرسول وكعقاب لما علمنّ. وفي روايات أخرى ذكرت عائشة على أبنها قالت بأنها كانت حاضرة (الطبري مجلد ١ ص ١٨٠٨-١٨٠٩) وفي إحدى هذه الروايات التي رويت من قبل ابن أخيها (القاسم بن محمد) أنها قالت للنسوة المجتمعات لا تعطين الدواء إلى الرسول، ولكنها في الوقت نفسه قد تأثرت أيضاً باللعنة وأجبرت على أن يبتلع الدواء (البلاذري، أنساب الأشراف جزء ١، تحقيق محمد حميد الله (القاهرة ١٩٥٩) ص ٥٤٦، وروايات أخرى، لا تنسب إلى عائشة، فاللوم كان على أسماء أكثر من العباس، بالنسبة إلى إعطاء الدواء (الطبري مجلدا ص١٨١٠، ابن سعد، كتاب الطبقات الكبير (تحقيق سخاو وآخرون E.Sachau (ليدن ١٩٠٥-١٩٤٠)، مجلد ٢/ القسم الثاني ص ٣١-٣٢) وفهم كيتاني خطئاً اتجاه وميل رواية عائشة وكأنها تتضمن بكون محمد كان لا يثق بأي أحد ما عدا عمه العباس (حوليات مجلد ٢/ القسم الأول ص ٤٩٩) فالانطباع الحاصل أنه بالأحرى كان محمد شديد وصارم مع النساء ولكنه من جانب وبخاصة رقيق ولين مع أقاربه العباس، الذي كان المتهم الأول.

انتقد أعمال ابن عمه مراراً وحذّره من نتائجها. وقد رفض أو ردّ اعتقاد بعض أنصار عليّ بأن النبي قد أوصى فعلاً بوصية لصالحه. وأوحى، مع ذلك أن ذلك ربما ممكن فقط لأن عائشة وحفصة منعتا محمداً من رؤيته على انفراد عندما سأل عنه خلال مرضه وأنهنّ أصّرتا على دعوة والديهنّ. وحينما كان محمد مريضاً أراد أن يكتب كتاب هداية وتوجيه إلى صحابته، تدخل عمر مؤكداً أن النبي كان يهذي raving. والعباس والد عبيد الله قد أدرك قرب وفاة النبي بالنظر إلى وجه محمد وحاول أن يقنع علياً إلى أن يدنو منه بخصوص الوراثة. فقال لعلي إن النبي أما أن يسلم الحكم إليهم أو أن كان ليس كذلك فإنه على الأقل يوصيهم إلى الرعاية والإحسان للناس. وقد رفض علي معبّراً عن خشيته وخوفه بأن النبي قد يرفض وراثتهم، وأن الناس سوف لن يسلمونها اليهم.

ومهما يكن فإن عرض ابن عباس لا يترك مجالاً إلى الشك فإنه يعدّ علياً على أنه مؤهل لوراثة الخلافة، على الرغم من انه لم يعين تعييناً رسمياً، ويؤمن أنه كان على نحو تحكمي arbitrarily قد حرمه أبو بكر بتغاضي من الناس. وقد عبّر (بنو هاشم) عن عدم ثقتهم ومن ثم عن رفضهم واستهجانهم لتصرفهم باستثنائهم فعلياً جميع الخارجين من الأعداد وتهيئة جنازة محمد ودفنه، وبهذا حرموا أو جردوا الخليفة الجديد من شرف تقديم الاحترام والثناء الأخير إلى سابقه. وقد حرمهم أبو بكر من ميراثهم على أنه غير شرعي، وحرمهم حصتهم من الفيء الذي كانوا هم مخولين به بناءاً على ما ورد في القرآن. وحاول عمر فيما بعد الموافقة على مظلمتهم بمنحهم بعض أملاكهم أو بعض التعويض، غير أن (بني هاشم) قد رفضوه على اعتبار أنه غير كاف. فقد أُعترف لعلي بأن القرار الذي أُتخذ في سقيفة بني ساعدة كان فلتةً، أنه عمل متهورٌ فظ مع ذلك يصّر على خلافة أبي بكر، بالنظر إلى نجاحها الظاهر قد قررت باختيار الله وشرعيته. وعبّر عن أسفه (لابن عباس) أن علياً استمر على تجنبه عنه ولم يرافقه في رحلة، مع أنه عندما كان ينشد معاملة علي باعتباره صحابي أول ومتميز، كان يعلق كثيراً من احتمالية وراثته وتسلمه الخلافة طالما أنه وعشيرته سيحولونها إلى حكم وراثي ويحرمون

(الناس) من حقهم فيها. وكان بشكل شخصي يعبر عن ذلك بتفسيره إلى ابن عباس بأن (الناس)(*) لن يقروا الحكم لبني هاشم، بسبب حسدهم لهم، بما أن هؤلاء سيتمتعون أيضاً باحتكار النبوة والخلافة.

فمدى موثوقية الروايات المنسوبة إلى عائشة وابن عباس، فعن هذا الشأن ليس هناك ضمانة تدل على موثوقيتها أو حتى التعويل عليها. إذ ينظر إليها على كونهما كانا لديهما الاستعداد على اختلاق القصص لدعم مزاعمهما وتكذيب خصومهما. وكان الإغراء كبيراً بشكل واضح. فمصداقيتهما باعتبارهما الزوجة المفضلة للنبي، وابن عمه كان ليس بالإمكان تحديه، وأنه ليس هناك من شخص يشكك أو يتساءل عن مدى صدقهما وصحة معلوماتهما بصورة مكشوفة. فإنهما بوسعهما أن يقولا ما ليس باستطاعة أحد غيرهما قوله، إلا أنه ما الذي كان يريد الكثير سماعه. وذلك لأن تحريفاتهم المتحيزة والمتحزبة تعكس فقط انفعالات وهوى كانت تؤدي إلى تمزيق المجتمع الإسلامي إلى أجزاء. ومع هذا فإنهما بصورة عامة أفضل من الآخرين في معلوماتهماالى حدّ ما، حتى وأن كانا قد زيفا أو أظهرا الروايات بصيغة معينة dress up التي ربما تكون انعكاساً إلى علمهما أو معرفتهما بالحقائق، ولاسيما بالنسبة إلى الأحداث التي شاهداها شخصياً. فالرواة المتأخرون قد اعتمدوا كثيراً على رواياتهما في إجازاتهم للأحداث. فبالنسبة إلى المؤرخ، فوجهات نظرهما المتضاربة والمتحزبة لابد أن تكون أكثر اهتماماً وأهمية وأكثر من الحقائق التي يرونها.

وكانت عائشة في بعض الروايات تميل بوضوح ، أكثر من ابن عباس، إلى أنها تعاكس وتضاد قصص وروايات الطرف الآخر. فعبيد الله بن عبد الله بن مسعود سمع عائشة تقول: بأن النبيّ في مرضه سأل أو طلب من زوجاته السماح بأن تكون عائشة هي التي تعتني به في حجرتها apartment وتعني شقة إلاّ أن أمهات المؤمنين أو زوجات رسول الله كن في حجر. المترجم] وأنه قد مشى إلى تلك الحجرة يسنده

(*)يلاحظ أن التشديد على الناس هو من قبل المستشرق، لأنه تعبير مثير وعجيب فمنذ تلك الحقب والحكّام يتلاعبون في السياسة باسم (الناس والشعب) المترجم.

على المشي رجلان من آل بيته، وكان أحدهما الفضل بن العباس و (آخر). بعد هذا فقد قدّم الرواية ابن عباس فروى إنه الذي سأل عبيد الله إن كان يعرف من كان الرجل الآخر، فكان جوابه على خلاف ما روته إذ قال له أنه علي بن أبي طالب، غير أنها لا تريد أن تدلي بأي شي طيب أو حسن عنه حتى وإن كانت في وضع يمكنها أن تقوله[٣٩]. ولم يكن بوسع ابن عباس الاعتماد على مصدر مباشر عن الحدث. وعلى أية حال فإن إظهار عداء وكره عائشة المعروف جداً إزاء علي، والافتراض بأنه كان الرجل الذي لم تسمه عائشة يعد مقبولاً ومنطقياً بشكل كافٍ. وقد فنّد ابن عباس رواية عائشة بأن النبي قد توفي في حجرها[٤٠]. وعندما قال له أبو غطفان بأنه قد سمع عروة بن الزبير وهو يروي إدعاء عائشة، فإنه عاكس روايتها بقوله: (هل أنت تعقل؟ فو الله إن رسول الله قد مات وهو مستلقٍ أو متكأ على صدر علي. وكان هو الرجل الذي غسّله معاً مع أخي الفضل بن العباس. وقد امتنع والدي من الحضور قائلاً: ((إن رسول الله كان معتاداً على أن يأمرنا بالبقاء خلف ستارة [عندما غسّل نفسه] وهكذا فقد ظل باقياً خلف الستارة[٤١])).

وروى ابن عباس بأن النبي قبل موته عبر عن رغبته في كتابة كتاب إلى أولئك الذين كانوا حاضرين (بعده سوف لن تظلوا) فقال عمر: (إن رسول الله قد طغى

---

[٣٩]الطبري مجلد ١ ص ١٨٠٠-١٨٠١ وهو يقتبس ابن إسحاق، ابن هشام، سيرة سيدنا ص ١٠١١؛ عبد الرزاق الصنعاني، المصنف (تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي (بيروت ١٣٩٠-١٣٩٢/١٩٧٠-١٩٧٢) مجلد ٥ ص ٤٢٩-٤٣٠ وابن حنبل، مسند مجلد ٦ ص٣٤ (معمر عن الزهري). وقد كتم ابن هشام أو طمس (طبعاً في هذه المسألة يظهر مدى الضرر الذي أوقعه ابن هشام في السيرة النبوية لابن إسحاق فهذا القمع الطمس إنما هو نتيجة من نتائج تدخلات زياد البكائي راوية ابن هشام للسيرة. المترجم] التعقيب الذي عقبه ابن العباس عن ذكره unwilling عائشة لذكر أي شيء إيجابي عن علي.

[٤٠]وعن رواية عائشة ينظر ابن هشام [المفروض ابن إسحاق المترجم] سيرة سيدنا ص ١٠١١؛ ابن سعد، طبقات مجلد ٢/ القسم الثاني ص ٥٠، وهناك فقد ذكرت عائشة على أنها تذكر أن ذلك قد حدث أثناء دورتها في رفقة محمد وأنها لم تخطىء أي شخص فيها يتعلق به. وهي تعتذر انذلك حدث بسبب من الحماقة ولأنها صبية يتطرقه بأن محمد عن التنقل بين زوجاته، وأنه اتخذ قراراً أن يبقى معها خلال مرضه.

[٤١]ابن سعد، الطبقات مجلد ٢/ القسم الثاني ص ٥١، وأن الجزء الأخير من الرواية عن تغسيل جسد محمد من قبل علي في غياب ابن العباس قد يتطابق ويتماثل برواية عبيد الله بن عبد الله بن عتبة التي أخذها من ابن العباس (م.ن ص ٦٢) وبأن محمداً قد توفي ورأسه في حضن علي وأن جسده قد غسله علياً لمفرده وقد تثبتت هذه الرواية في خطبه بأن الأخير قد روى أنه خطب أنصاره في صفين. نصر بن مزاحم، واقعة صفين (تحقيق عبد السلام محمد هارون القاهرة ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م) ص ٢٢٤.

عليه الألم. فعندكم القرآن، كتاب الله فهو يكفينا) فبدأ الناس الموجودون يتنازعوا فيما بينهم، وآخرون وقفوا إلى جانب عمر. وبما أن ضوضاءهم قد آلمت محمداً، عندها قال لهم أن يتركوه. واعتماداً على الرواية فإن (ابن عباس) كان معتاداً على أن يعلق، فإن الرزية الأعظم كانت التي حدثت بسبب عدم اتفاقهم والضوضاء هي التي منعت النبي من كتابة وصيته[٤٢] على الرغم من أن ابن عباس أحجم عن الإيحاء ما الذي أراد محمد كتابته، ولقد افترض أنه لمح بأن محمداً كان عازماً على ذكر اسم علي لوراثته، وأن الشيعة باستمرار قد فسروا الرواية بهذا المعنى. وقد ضاددت أو عاكست عائشة هذه القصة بقصة من عندها قائلة: (قال لي رسول الله أثناء مرضه: أدع والدك أبا بكر وأخيك عبد الرحمن لي من أجل أن أكتب كتاباً. ولأنني خفت من أي يتمنى متمنن فيقول الآخر (أنني استحق ذلك كثيراً، لكن الله والمؤمنين رفضوا الجميع ما عدا أبو بكر)[٤٣] وليس هناك من يشك بأن الذي كان يتمنى ذلك هو علي.

وهناك روايات أخرى توضح تحزب كل من عائشة وابن عباس وانحياز كل منهما المتعارض لكل منهما، هناك مثالان يتعلقان بإجراءات وأعمال محمد أثناء مرضه الأخير ووقفه ربما نوجزهما ها هنا. سأل الأرقم بن شرحبيل الأودي الكوفي، صحابي، ابن عباس فيما إذا كان النبي قد أوصى. وقد كذب ابن عباس هذا وشرح قائلاً: أنه أثناء مرض محمد الأخير، طلب قائلاً: (ارسلوا في طلب علي، وعائشة على أية حال أو حق (ألا أرسل في طلب أبي بكر؟ وانضمت إليها حفصة عارضة، ألا أرسل في طلب عمر؟ وعندما اجتمع الثلاثة، فصرفهم محمد، قائلاً أنه سوف يطلبهم حينما يحتاج حاجة. وعندما جاء وقت الصلاة قال: (أعط أمراً إلى أبي بكر ليؤم الناس) ولكن عائشة أجابت (أن أبا بكر رقيق، لذلك أمر عمر) فأعطى محمد الأمر إلى عمر ليؤم الصلاة، غير أن عمر رفض ذلك قائلاً (أنني لا أتقدم إذا كان أبو بكر حاضراً عندها كان أبو بكر قد تقدم للصلاة. وقد احس النبي بتحسن وقتي فخرج بعده، وعندما

---

[٤٢]عبد الرزاق، المصنف مجلد ٥ ص ٤٣٨-٤٣٩؛ البخاري، صحيح (القاهرة ١٣١٢هـ/ ١٨٩٤) مرض ص ١٧، ابن سعد، الطبقات مجلد ٢/ القسم الثاني ص ٣٧-٣٨؛ حوليات (كيتاني) مجلد ٢/ القسم الأول ص ٥٠٨.

[٤٣]مسلم، صحيح (بولاق ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م): فضائل الصحابة ص ١١.

سمع بحركته تراجع إلى الوراء، لكن محمد سحبه إلى الأمام من ثيابه وأوقفه في مكانه. ثم جلس هو، ثم أخذ يقرأ القرآن من حيث أنتهى أبو بكر[٤٤].

أما عائشة فقد روت الحادثة كما يلي: عندما حان وقت الصلاة، قال الرسول: (مرّ أبو بكر ليصلي بالناس فحلك، قد لا يحتمل ذلك، فكرر محمد القول: (مر أبو بكر ليصلي بالناس) وفعلت عائشة نفس الاعتراض. الآن غضب الرسول وقال: (أنتن صويحبات يوسف) وللمرة الثالثة يأمر (مرّ أبو بكر ليصلي بالناس)، وحينما أرشد إلى الخارج إلى المسجد، تراجع أبو بكر. وأشار محمد عليه أن يقف محله. وأضافت عائشة. عندئذ تابع أبو بكر الرسول، وتابع الناس صلاة أبي بكر ثلاث مرات قد أصرّ الرسول بأن أبا بكر، هو فقط، يجب أن يؤم المسلمين للصلاة بدلاً منه. واعتماداً على عائشة، فإن هذا كان قد حدث بعد قوله بهم بأن أبا بكر بالنسبة له من أكثر صحابته امتيازاً وأنه قد أمر بسدّ الأبواب إلى جميعها ما عدا لأبي بكر. فالرسالة كانت واضحة في الأهمية، أي أن محمداً يريد أن يشير إلى انه قد اختار أبي بكر لوراثته.

يعدّ كيتاني هذه الرواية مشكوك في صحتها بل مختلقة، من قبل المحدّثين المسلمين، وذلك من أجل تفسير السبب لماذا لم يترك محمد وصية[٤٥]، ومهما يكن فإن النسبة إلى ابن عباس هي معقولة تماماً. فالشيعة الكوفيون قد زعموا منذ أيام خلافة علي أن الرسول قد جعل علياً منفّذاً لوصيته. وإن استفسار الأرقم بن شرحبيل الكوفي كان له دافع. فإن موضع ابن عباس في هذا الاستفسار يتماهى مع روايات أخرى نسبت إليه. محمد في الواقع لم يعدَّ وصية لصالح علي، ولكن من المحتمل أنه كان يريد ذلك إن لم يمنع من أدائها من قبل بعضهم؛ فالجزء الأول من القصة ربما قد اخترعت ولفقت من ابن عباس الذي، على أية حال، لم يكن لديه مصدر مباشر للعلم بما قد حدث. أما الجزء الثاني فإنه يستند على رواية عائشة. فإن محمداً قد أمر أبا بكر ليؤم المسلمين إلى الصلاة، لكن عائشة اعترضت بكون والدها كان رقيقاً جداً. ثم بعد ذلك

---

[٤٤] الطبري مجلد ١ ص ١٨١٠-١٨١١.
[٤٥] حوليات مجلد٢/ القسم الأول ص ٥٠٦.

انحرف ابن عباس. فمحمد أمر عمر أن يؤم المسلمين إلى الصلاة، فقط حينما رفض أو امتنع عمر أن يتقدم على أبي بكر، تقدم هذا إلى الأمام، فالرسالة واضحة: ففي نظر محمد أن الزعامة للصلاة ليس لها أهمية بالنسبة إلى وراثة الخلافة. وأنه لم يعبه فيما إذا كان أبو بكر أو عمر قد أنجز هذه المهمة. وعندما كان أبو بكر متردداً، فالرسول أمسك أبا بكر بعنف من ثيابه، ودفعه إلى محله- محل الرسول – وبعد ذلك، وربما لسبب يرجع بحسب الظاهر لعدم استطاعته إتمام المهمة عندئذ استمر أبو بكر بتلاوة القرآن.

وهناك أيضاً رواية ثانية عن طريق عائشة التي ربما قد حثّت أو أغرّت ابن عباس بذكر عمر. فاعتماداً على هذه الرواية، بينما كان محمد مريضاً في حجرة زوجته ميمونة، سأل ابن أخيها عبد الله بن زمعة أن يأمر الناس إلى الصلاة. والتقى عبد الله بعمر وقال له أن يؤم الصلاة. وقد ميّز الرسول صوت عمر الجهير فسأل ألم يكن هذا صوت عمر؟ وعندما أجيب بالإيجاب قال: (الله لا يبيح هذا وكذلك المؤمنون. مرّوا أبا بكر، دعوه يصلي بالناس) وهنا فقد توسلت عائشة محمد مرتين بأن يعفي أبا بكر إلى أن وضع حداً لهذه المجادلة بتسميتها وتسمية النساء (صويحبات يوسف)[٤٦]. فهذه قد تكون فعلاً بداية رواية عائشة[٤٧] التي أعادت صقلها أو عدّلتها وذلك بسبب الدور غير المطريunflattering الذي أعطي إلى عمر. وبحسبما يظهر أن عمر قد أم المصلين أولاً أثناء مرض محمد وإن عائشة، بغية أن تدعم فكرة أن التعيين لزعامة الصلاة من محمد تعني التعبير أو الدليل على التعيين للخلافة، صار عليها أن تبتدع أو

---

[٤٦] ابن حنبل، مسند مجلد ٦، ص ٢٤.

[٤٧] وتستمر الرواية في سرد القصة قصة عبيد الله بن عبد الله وهو المصدر الرئيس للزهري في هذه الأحداث، عن بداية مرض محمد. ويعطي ابن إسحاق وأكثر المصادر المتأخرة الأولوية للرواية الملطفة التي رواها الزهري على عهدة حمزة بن عبد الله، حفيد الخليفة عمر. وربما كانت عائشة مترددة أن تخبره عن القصة غير المرغوب فيها عن جدّه، وإسناد الطبري مستقل وغير معتمد على إسناد الزهري.

تختلق الانطباع بأن زعامة عمر قد حدثت ضدَّ إرادة محمد ووصيته ولهذا فقد استهجنها ورفضها(٤٨).

ويقصّ أو يروي (الطبري) على عهدة ابن إسحاق رواية بشأن تغسيل جسد محمد لدفنه تختلف عن الرواية التي تمّ اقتباسها في أعلاه(٤٩). فإن كلاً من (ابن هشام) و(البلاذري) اقتبسا رواية (ابن إسحاق) دون الإشارة إلى ابن عباس(٥٠) ولذلك فيكون بعض الشك حول مدى صحة ومصداقية النسبة. وإن مدى المصداقية والثقة بالطبري في اقتباساته، إنها بصورة عامة، عالية على أية حال، وأن نسبة الرواية إلى ابن العباس قد أيدها أحمد بن حنبل(٥١). وهكذا يبدو من المرجّح أن ابن العباس قد روى روايتين مختلفتين حول الحدث نفسه وفي مناسبات مختلفة. فالرواية التي رواها ابن إسحاق هي بصورة متميزة مؤيدة للهاشميين وقد أثارت عائشة فقدّمت رواية أخرى معاكسة ومضادة. روى ابن العباس بأن علياً والعباس وأولاده الفضل وقثم وأسامة بن زيد وشقران وكلاهما – أي زيد وشقران كانا من موالي محمد - هؤلاء هم الذين اتّخذوا مسؤولية غسل جسده.

وقد ألتمس أوس بن خولان، وهو محارب من أهل المدينة ممن حارب في معركة بدر، علياً ليسمح له الانضمام إكراماً من أجل حصة ووتد الأنصار عند النبي وقد سمح له. وقد سحب علي الجسد نحو صدره، وبمساعدة العباس والفضل وقثم في تقليبه. واستمر أسامة وشقران على صبّ الماء على جسد الميت دون أن ينزعا ثوبه.

(٤٨)وأن عبد الله بن زمعة قد ذكر على أنه قصّ القصة. واعتماداً على روايته، كان أبو بكر غائباً في ذلك الوقت، وإن عمراً قد أدى الصلاة كاملة، ولام عمر بعد ذلك عبد الله بن زمعة، وأصرّ على أنه – أي عمر – كان معتقداً أن الرسول قد سمّاه فعلاً وأنه لو كان يعلم غير ذلك لما أمّ الصلاة. وقد برّر عبد الله عمله قائلاً أنه كان يعتقد بإنه في غياب أبي بكر فإن عمراً هو أكثر الناس استحقاقاً في إمامة الصلاة. ابن هشام، سيرة سيدنا ص ١٠٠٨-١٠٠٩؛ ابن حنبل، مسند مجلد ٤ ص ٣٢٢.

(٤٩)الطبري مجلد ١، ص ١٨٣٠-١٨٣١.

(٥٠)ابن هشام، سيرة سيدنا ص ١٨١٨-١٨١٩؛ البلاذري، أنساب ج١ ص ٥٦٩.

(٥١)ابن كثير، البداية والنهاية (القاهرة ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م) مجلد ٥ ص ٢٦٠-٢٦١؛ وكان الإسناد عند ابن إسحاق، الحسين بن عبد الله، عكرمة، ابن العباس، وزعم كيتاني بشكل غريب إن هذه الرواية، رواية ابن إسحاق، هي دون إسناد بشكل غريب أن هذه الرواية، رواية إبن إسحاق، هي دون إسناد وهكذا فهي رواية أصيلة وموثوقة، أي رواية ابن إسحاق، فقد عدّها موثوقة بشكل خاص (حوليات كيتاني مجلد ٢ القسم الأول ص ٥١٩).

وغسّله علي وقام بتدليك الثوب من الخارج دون أن تلمس يده جسد الرسول، وقال (أنت أعزّ عندي من أبي وأمي، كم أنت جميل وطيب سواء كنت حياً أم ميتاً)(*) ولذا فالذين غسّلوا الرسول لم يروا أي جزء من جسده، على خلاف الحالة في تغسيل الرجل العادي.

فالرواية تشدد على أن الأقارب أوالقريبي الصلة واثنان من مواليه كانوا حاضرين تغسيله. أما النساء وبضمنهم عائشة التي توفي محمد في حجرتها ومن ثم دفن فقد استثنوا من الحضور. وفقط واحد من الأنصار كان حاضراً، ولكن ليس هناك أي من المهاجرين المكيين. ومن قبيل التبجيل والاحترام للرسول، فقد اتّخذ عناية ورعاية كبيرين، على خلاف الممارسة المألوفة، بأن لا يكشف عن جسده.

ولم تأخذ عائشة استثنائها وإبعادها عن طيب خاطر. فقد روت أنه عندما أراد الرجال تغسيل الرسول، اختلفوا قائلين (والله، فنحن لا نعرف فيما إذا كنّا يجب أن نجرد الرسول من ملابسه كما نجرد موتانا أو فيما إذا ينبغي علينا تغسيله بملابسه) وهكذا فقد تنازعوا الأمر، ثم ألقي عليهم النعاس كل واحد منهم نام وذقنه على صدره. ثم خطب متحدث، لا يعرفون مصدره، فيهم من ناحية البيت (غسّلوا الرسول بثيابه). وقرابة محمد أطاعوا الأمر. وأضاف راوية هذه الرواية قائلاً (إن عائشة كانت معتادة على القول لو استقبلت من أمري ما استدبرت فقد اعتقدت أنه فقط زوجاته يجب عليهن تغسيله)[٥٢] والمستمعون قد تركوا هكذا دون شك بأن زوجاته، بتوجيه من عائشة، ليس بحاجة إلى تأنيب إلهي لإيقافهم من ما اقترفوه من عمل غير محترمين فيه لجسد الرسول، بخلاف أقارب محمد الفاقدين الوعي insensitive والمشاكسين quarrelsome (*).

(*) قال الإمام علي (فداك أبي وأمي، طبت ميتاً وحياً) ابن سعد، محمد: الطبقات الكبرى جزء ٢ ص ٢٧٧ [المترجم].

(٥٢) الطبري مجلد ١ ص ١٨٣١؛ ابن هشام، سيرة سيدنا محمد ١٠١٩، وقد حذف تعليق عائشة السام والحقود.

(*) المستشرق في هذه الجملة غامض وكلماته غير واضحة أإنه يهدف الطعن بقبيلة الرسول قريش أم من غسّل جسد الرسول الكريم أم ماذا؟؟ (المترجم)

نبذة عن السيرة العلمية لمؤلف البحث الموسوم

التشيع في العهد الأموي

وليام مونتغمري واط (١٤ مارس ١٩٠٩ - ٢٤ أكتوبر ٢٠٠٦) كان مستشرقا بريطانيا عمل أستاذا لللغة العربية و الدراسات الإسلامية والتاريخ الإسلامي في جامعة إدنبرة في إسكتلندا . ومن أشهر كتبه كتاب (محمد في مكة) ١٩٥٣ وكتاب (محمد في المدينة) ١٩٥٦ و(محمد النبي ورئيس دولة) . وكان مونتغمري وات من أشهر المستشرقين غير المسلمين وأقدمهم ممّن فسّر الإسلام وشرحوه ولاسيما السيرة النبوية المطهّرة للغرب. وقد ألّف كثيرا من الكتب والدراسات في المجلات الغربية والغربية وبحوث في دائرة المعارف الإسلامية . ومن بين مؤلفاته :-

١ - عقيدة الغزّالي وتمرسه طبع في ١٩٥٣ .

٢-محمد في مكة . طبع في ١٩٥٣ .

٣-محمد في المدينة . وطبع في ١٩٥٦ .

٤-محمد النبي ورجل الدولة ؛ وهو عبارة عن ملخص للكتابين السابقين عن رسول الله. وطبع في سنة١٩٦١ .

٥-مجمد خاتم الأنبياء .

٦-الفكر الإسلامي السياسي . طبع سنة ١٩٦٨ .

٧-مسوحات إسلامية : أثر الإسلام على أوربا في العصر الوسيط . طبع سنة١٩٧٢ .

٨-ما هو الإسلام؟ طبع سنة١٩٨٠ .

٩-مكة محمد . طبع سنة ١٩٨٨ .

١٠-الإسلام المبكر . طبع سنة ١٩٩١ .

١١-الفلسفة والفقه الإسلامي . طبع سنة ١٩٨٧ .

١٢-تاريخ إسبانيا الإسلامية .طبع سنة ١٩٩٦ .

١٣-الإسلام واندماج المجتمع . طبع سنة١٩٩٨ .

١٤-الإسلام تاريخ مختصر. طبع سنة١٩٩٩ .

١٥-العقيدة المسيحية اليوم. طبع سنة ٢٠٠٢.

الفصل الثاني

التشيع في عهد الأمويين

البروفسور مونتغمري وات

الثورات الأولى:

الثورات الشيعية ضد الأمويين من المحتمل القول أنها ابتدأت في سنة ٥٠هـ/ ٦٧١م، فالحسن بعد موت والده مباشرة في ٦٦١م، قام بمحاولة غير ناجحة لمقاومة معاوية، بعدها انسحب إلى حياة من الترف والرفاهية في المدينة. وبعد عشر سنين حدثت ثورة في الكوفة قادها حجر بن عدي الكندي لكنها أخفقت، ثم وأثناء الحقبة المضطربة التي أعقبت موت معاوية في سنة ٦٨٠م، فإن الحسين الابن الأصغر لعلي وفاطمة، جاء إلى العراق بتشجيع من فرقة (أو حزب Party) الشيعة في الكوفة، مطالباً بالخلافة. ولكنه لم يلق الدعم والتأييد الذي كان يتوقعه، وكانت قوته صغيرة ما يقارب مائة رجل، فذبحوا في كربلاء. وفي حالة الفوضى التي أعقبت ذلك في السنوات التالية، وبدعم كبير في العراق لابن الزبير لزم أو ظلّ الشيعة هادئين؛ غير أنه بعد موت يزيد في سنة ٦٥هـ/ ٦٨٤م، تهيأ بعض الشيعة الكبار في الكوفة بقيادة (سليمان بن صرّد الخزاعي) للقيام بعمل عسكري. وكان أساس هذه الحركة يتمثل في وجهين: أنهم كانوا يريدون أن يظهروا توبتهم عما اقترفوه من خيانة وتراجع عن تعهداتهم السابقة للحسين، وهكذا عرفوا بالتوابين Penitents؛ لأنهم كانوا ينشدون الثأر لدمه. وكثير من هؤلاء الذين نفّذوا المذبحة في كربلاء كانوا يسكنون الكوفة، غير أن الوالي الذين بعث بالجيش ضد الحسين وهو عبيد الله بن زياد قد اضطر إلى التقهقر أو الانسحاب من العراق وهو الآن على الحدود السورية يقود جيشا. وبعد بعض الجدل والنقاش قرر التوابون المسير ضده بعدد من الرجال يقدرون بأربعة آلاف رجل، إلا أنهم دحروا وأن عدداً من زعمائهم قتلوا في شهر كانون الثاني سنة ٦٦هـ/ ٦٨٥م.

ما نعرفه عن صفات الدعم وخصائصه الذي توفر لعلي أيام حياته هو أمر لا يسهم كثيراً لفهمنا لهذه الأحداث. كثير من الأنصار أيدوه، غير أن السبب الأساس ربما يكمن في كليهما، علي والأنصار، أنهم كانوا يؤمنون بمسألة أو بمعيار السابقة أو

الأسبقية في الإسلام، وبما يعرف، أي إدراج أسمائهم في الديوان أو قائمة الأرزاق أو الرواتب، فيعتقدون أن هذا ينبغي أن يكون على وفق الأسبقية في قبول الإسلام وفي خدمة المجتمع. وهذا الأمر سيجعل علياً والأنصار في مكانة أعلى من المجموعتين القرشيتين من مكة، أولئك الذين كانوا المتبارين الرئيسيين للسلطة العالية في الإمبراطورية العربية، الأمويون وحزب طلحة والزبير، وبعد ذلك عبد الله بن الزبير. وبصرف النظر عن هذا فإن الأنصار بعامة لم يصبحوا شيعة، ومرة ثانية، فإن ما قيل في المصادر حول المؤسس المزعوم للشيعة، ألا وهو، عبد الله بن سبأ أو (ابن سوداء) ، صار الآن عند العلماء والباحثين على أنه (إسقاط أو تصور فكرة وكأنها حقيقة موضوعية للماضي من قبل محدثين من القرن الثاني لظروف وأفكار في زمانهم)[٥٣]، وهكذا لا تلقي ضوءاً ولا توضح الأصل التاريخي. بدأت الحركة الشيعية بين أفراد القبائل البدوية المترحلة السابقة المتواجدة في جيش علي، غير أن هذه الجيوش تضمنت رجالاً متعاطفين مع الخوارج، ومن قوائم أسماء المشاركين في الثورات، بعد موت علي فقط نبدأ في ملاحظة تحديد هوية الشيعة الأوائل.

فالتشيع والخوارج متعارضين تماماً في استجابتهم لموقف عام ومشترك. ويظهر الانعكاس ماذا كان هذا الموقف المشترك. ففي غضون ثلاثين سنة فإن عدداً لا يحصى من البدو من سهوب الجزيرة العربية قد تحوّلوا إلى الارستقراطية العسكرية لإمبراطورية كبيرة. وكان زعماؤهم هم الإداريون لهذه الإمبراطورية، وأن الجنود العاديين يمثلون الجيش العامل والدائم، إذ كانوا يعيشون أما في مدن مخيمات أو يديرون ويشتركون في حملات عسكرية على الحدود والأطراف البعيدة، هنا لابد من القول أن شعوراً واسع الانتشار لعدم الاستقرار وعدم الأمان. ففي مثل هذا الموقف

[٥٣]برنارد لويس B.Lewis في دراسته باللغة الإنجليزية الموسومة (جذور أو أصول الإسماعيلية ص ٢٥؛ ينظر أيضاً ودجسون M.G.S.Hodgson في بحثه الموسوم (عبد الله بن سبأ) المنشور في دائرة المعارف الإسلامية (طبعة قديمة الأولى)، كذلك إسرائيل فريد لاندر Israel Fried Lander في بحثه باللغة الألمانية الموسوم (عبد الله بن سبأ، مؤسس الشيعة، ومنشأه اليهودي Abdallah b.saba, der Begrunder sein Judischer ursprung المنشور في مجلة ZA مجلد ٢٣ ص٢٩٦-٣٢٤، ومجلد ٢٤ ص١-٤٠ وبخاصة ص ٢٧ وما بعدها.

العصيب أخذ بعض الرجال يتطلعون إلى زعيم قوي، كارزمي فوق- بشري Superhuman، باعتباره الأمل الوحيد لشعورهم بالآمن؛ في الوقت الذي نشد فيه آخرون إلى مجتمع يتمتع ببعض القوة التي سبق توافرها في قبيلتهم. وإن كان بوسعنا الحديث عن هذا بمفهوم زعيم كارزمي أو مجتمع كارزمي، فالشيعة في هذا الحالة إذن تطلعوا للخلاص بنظرتهم الى علي وتطلع الخوارج إلى البداوة(٥٤).وإن كلاً منهما كان يفكر أو يعتقد بأن الآخر صار مهدداً للخلاص للكل.

وهذه الصورة المتغايرة والمتباينة بالإمكان توضيحها بما كان يبدو أنه رواية أصيلة من الحقبة المبكرة، ففي سنة ٦٥٨م أقسم الشيعة لعلي أنهم سيكونون (أولياء لأولئك الذين يوالونه وأعداء لأولئك الذين كانوا يعادونه)، وانتقد الخوارج هذا بوصفه كفر أو شرك(٥٥). فهؤلاء اعتقدوا أنه بالإمكان للزعيم أن يرتكب خطئاً، وأن قبول قراراته من دون تساؤل ربما يورط الفرد بأن يعمل ضد الشريعة. أما الشيعة من جانب آخر، اعتقدوا بأن علياً كان (على الحق والهدى)، ونتيجة لذلك فإن أعداءه وخصومه هم على خطأ. وتتوافق مع هذه الرواية رواية (الشهرستاني)، وهو يكتب كتابه في وقت متأخر جداً، في الحقيقة حوالي ٥٢٥هـ/ ١١٣٠م ، ولكن بمفهومية واضحة عن هذه القضايا(*). فهو يذكر أن المبدأ الأساس لجميع فرق أو فروع الشيعة قولهم إن (الإمامة هي ليست موضوع منفعتها نسبية، تعتمد على اختيار الناس عامة، وبالإمام يعزو أو ينسب مؤسساته إلى أفعالهم، ولكنه موضوع في الأساسيات والأوليات، وأنه الدعامة الأساسية للدين، إذ لم يتجاهله الرسول أو لم يغفله ولم يهمله ولعله لا يعهد بها أو يلزمها للناس عامة)(٥٦) وهكذا فإن الذي يصرّ عليه الشيعة كان

---

(٥٤)لقد عالجت هذا التساؤل بشكل أكثر تفصيلاً في كتابي الوشيك أو القريب الظهور الموسوم (الإسلام وتوحيد المجتمع).

(٥٥)الطبري: تاريخ مجلد١ ص ٣٣٥٠ وما بعدها.

(*) طبعاً هذا رأي المستشرق مونتغمري وات، وأحسب أن الشهرستاني إن لم يكن متحيزاً ضدّ الشيعة فإن روايته عن فرق الشيعة مبالغ فيها. [المترجم].

السلطة العليا في المجتمع ينبغي أن تكون في أيدي رجل لوحده، وأن يكون هذا الرجل كفوءاً لتحمل هذه السلطة، في حالات وملابسات ولادته[٥٧].

وكذلك تعارض آخر وتباين في الانتساب القبلي للشيعة والخوارج الأوائل. ففي قائمة أسماء لأثني عشر رجلاً من الشيعة الذين ثاروا سنة ٦٧١م فقد كانت القبائل المشتركة في هذا الحدث: اثنان من قبيلة كندة، وحضر موت، وشيبان، وعبس، وخثعم، واثنان من قبيلة بجيلة، واثنان من قبيلة عنزة، واثنان من قبيلة تميم[٥٨].والخسائر التي تعرض لها البدو الذين كانوا يساعدون الحسين في كربلاء في سنة ٦٠هـ / ٦٨٠م، كانوا من قبيلة كندة وعدد الذين اشتركوا ثلاثة عشر رجلاً، وعشرون من هوازن، وسبعون من تميم وستة من قبيلة أسد وسبعة من قبيلة مذحج، وسبعة رجال آخرون[٥٩]. وأخيراً فقد كان من بين التوابين والمشتركين معهم في سنة ٦٨٤- ٦٨٥م عدد من الذين مثّلوا قبائلهم هم: قبيلة خزاعة، وقبيلة فزارة، وقبيلة الأزد، وقبيلة بكر بن وائل، وثلاثة رجال من قبيلة بجيلة، وقبيلة مزينة، واثنان من قبيلة عبد القيس، وقبيلة كندة، وقبيلة حمير، وقبيلة عبس، وقبيلة أسد، وقبيلة همدان، والأشاعرة[٦٠]، فالسمة البارزة هنا هو أن عدد القبائل اليمانية أو العربية الجنوبية المشاركة وهي:— كندة، حضر موت، خثعم، بجيلة الأزد، همدان والأشاعرة. وكانت خزاعة، على الرغم من سكناها بالقرب من مكة تحسب على أنها يمانية من قبل النسابة (مثل الأوس والخزرج الأنصار في المدينة). ومن الطبيعي فإن قبائل أخرى قد أيدت وساعدت علي، فالأستشهادات عند الطبري تظهر بأن هناك رجالاً كثر من هذه القبائل اليمانية قد ساعدت الأمويين. مع ذلك هناك تعارض وتباين واضح لا لبس

---

[٥٦]الشهرستاني (الملل والنحل القاهرة ١٩٤٨) جزء ١ ص ٢٣٥.

[٥٧]سارجنت R.B.Serjeant في بحثه المنشور في مجلة BSOAS مجلد ٢١ ص ١٠ وما بعدها يثير الانتباه إلى المعتقد المعاصر بأن أفراد من عوائل معينة كانوا كارزميين ("لهم قوى روحانية" شرف)؛ وهذه ربما تكون تعزيزاً ودعماً طريفاً ومهماً غير أن الإمكانية أو الاحتمالية ينبغي أن لا يتغاضى عنها أو لا تهمل بأن المعتقد الحديث يعزى بشكل كبير إلى التأثير الشيعي.

[٥٨]الطبري ، تاريخ (طبعة ليدن) مجلد ٢ ص ١٣٦.

[٥٩]م.ن، ص ٣٨٦.

[٦٠]م.ن صفحات ٤٩٧، ٥٥٩، ٥٦٦، ٥٩٩، ٦٠١.

فيه بالنسبة إلى نسبة الأعراب الجنوبيين بين صفوف الشيعة وبين صفوف الخوارج (كما رويت في قوائم أسماء أولئك الذين قتلوا في النهروان[٦١]) وأولئك الذين قادوا الانتفاضات ضد علي ومعاوية[٦٢].

وفي حالة الخوارج فإن كثيرا من القبائل قد تمثلت في قوائم الأسماء، غير أن النقطة المهمة تبدو بأن الأهمية العقدية للأفراد والفرق قد جاءت بشكل رئيس من قبائل تميم، وحنيفة وشيبان[٦٣]، وهكذا فقد كانت لبّ أو الجزء المركزي للشيعة الأوائل من قبائل من العربية الجنوبية أو يمانية. وهذه حقيقة غريبة، فليس هنالك من اختلافات ملفتة للنظر في الحالات أو الملابسات الظاهرية لهاتين المجموعتين. فإن كان بالإمكان إبداء ملاحظة أن القبائل الشمالية بدأت تغير على غير العرب، في وقت أبكر، كذلك فإنه حقيق بأن قوة كبيرة من بجيلة كانت من بين الغزاة الأوائل[٦٤].

وعلى الرغم من أن علياً قد قام بمهمات إدارية في جنوب الجزيرة العربية بحدود سنة ٦٣١م، لكن ليس هنالك من دليل بأنه حصل على أي تأثير في كسب ودّهم وعاطفتهم[٦٥]، كذلك فإنه من غير المحتمل أن نربط بين المجموعتين تاريخياً بما

---

[٦١] م.ن مجلد ١ ص ٣٣٦٣-٣٣٦٨، ٣٣٨٠، ٣٣٨٢.

[٦٢] وحول الإشارة إلى الطبري وابن الأثير ينظر فلهاوزن j.Wellhausen في دراسته الموسومة باللغة الألمانية (المعارضة السياسية والدينية في الإسلام) المطبوع في غوتنكن Gottingen / ١٩٠١ القسم الأول.

[٦٣] ومن قبيلة تميم جاء الأزارقة (بمعزل عن زعيمهم) وزعماء الصفرية، والأباضية والبيهسية مع صالح بن مسرّح. ومن حنيفة جاءنا مع بن الأزرق وأب فديك والنجدات، ومن شيبان جاء أتباع صالح بن مسرّح وكذلك شبيب بن يزيد.

[٦٤] البلاذري: فتوح البلدان، ليدن ١٨٦٦، ص ٢٥٣ (ترجمة حتي P.K.Hitti مجلد ١ ص٤٠٥).

[٦٥] ينظر محمد في مكة باللغة الإنجليزية صفحات ١٢٤، ٣٤٣، ٣٦٦، مع المصادر.

يماهي الحالة بين اليهودية والمسيحية أو بين اليعاقبة والنسطورية (مع أن هناك بعض التشابه في الأفكار بين الخوارج والنساطرة أو بين الشيعة[*] واليعاقبة).

وفي غياب التباينات والاختلافات المهمة الأخرى اقترح كفرضية بأن المتغاير بين المجموعتين قد يرجع إلى الوراء إلى اختلافات عميقة الجذور. فالعرب الجنوبيون قد قدّموا من بلاد ذات حضارة قديمة حيث تعاقب الملوك قبل آلاف السنين الواحد عقب الآخر بناءاً على مبدأ يتعلق بالإمارة والوراثة وقد وصف هؤلاء الملوك بأنهم كانوا يتمتعون بكفاءات فوق بشرية[٦٦].حتى وإن كان عرب القرن السابع الميلادي / الأول الهجري لم يكن لهم تجربة وخبرة شخصية في حكومة ملكية، فإنهم جاءوا من بلاد ذات حضارة تستند في الحكم على زعماء كارازميين، ولذلك لابد أنهم، إلى حدّ ما، قد تأثروا بالتقليد المستمر أو ذات الاستمرارية والتواصل، فالعرب الشماليون لم يقعوا تحت أي تأثير يوازن ذلك التأثير. فبعضهم قد عرف الحكّام اللخميين في الحيرة، غير أن هؤلاء كانوا بتقاليد بدوية إذ أن جميع الذكور من البالغين في القبيلة كانوا متساوين تقريباً وكان لهم حصة ومشاركة في شؤون القبيلة. وكان هذا التقليد البدوي مهيمناً في السهوب الواسعة في تلك الحقبة، وكان هناك آثار من (المجتمعات الديمقراطية) من العراق في تلك المسافة الزمنية القديمة[٦٧].إننا لا نقترح أن هناك ثمّة محاولة واعية لبعث أو لإعادة خلق النماذج القديمة في السياسة، ولكن يمكننا فقط القول أنه في حقبة الضغط أو التوتر التي وقعت في سنة ٦٥٦م فإن البداوة والتقاليد العميقة الجذور تحثّ وتشجع على توجيه تصرف الأفراد وسلوكهم. فالاستجابات المضادة

(*) يبدو أن هذه التماهيات قد افترضها المستشرق (وات) بصورة قسرية إذ لا يمكننا أن نجعل النساطرة المسيحيين في كفة الميزان مع الشيعة واخوارج مع اليعاقبة، فهذه التماهيات ينبغي أن لا تؤخذ على محمل الجدّ، إلا إذا كان البروفسور وات يهدف إلى مدى التأثيربين هذه الفرق الإسلامية والفرق التي تفرعت بعد انقسامها عن الكنيسة في الغرب، وهذا قابل للنقاش [المترجم].

[٦٦]ينظر ركمانز J.Ryckmans في دراسته باللغة الفرنسية الموسومة (مؤسسة الملكية في الجزيرة العربية قبل الإسلام) المطبوع في لوفين Louvain سنة ١٩٥١ ص ٣٢٩ وما بعدها من الصفحات.

[٦٧]ينظر فرانكفورت H.Frankfort في دراسته باللغة الإنجليزية الموسومة (الملكية والآلهة) المطبوع في شيكاغو ١٦٤٨.

والمتعارضة للوضع في أوائل الخلافة الأموية قد تفجرت وانطلقت من الجذور في التقليد بين المختلفين.

المختار والموالي:

لم ينضم جميع المتعاطفين مع الشيعة في الكوفة إلى التوابين في سنة ٦٨٤م وبخاصة (المختار بن أبي عبيد الثقفي) الذي كان قد اعتقل وسجن قبل حقبة وجيزة من حادثة كربلاء؛ وذلك بسبب دوره في حركة مؤيدة للحسين، فقد عاد الآن إلى الكوفة وأخذ ينظم الشيعة. وقد ذكر في رسالة وجهها إلى البقية الباقية من التوابين[٦٨]، بأنه سوف يؤسس سياسته على (كتاب الله وسنة نبيه، والثأر لآل بيت النبي، وأن يدافع عن الضعيف، ويجاهد ضد الأشرار). وعلى هذا الأساس فإن المختار لم يضّمن كتاب الله والسنة وهما المبادئ المركزية لأي سلطة أو دولة إسلامية فحسب، إنما كانا من أهداف التوابين أيضاً؛ وحينما سيطر المختار على الكوفة نفّذ بالفعل حكم الإعدام بأولئك الذين تسببوا بقتل (آل النبي أو آل البيت) في كربلاء. أما هدفه في (الدفاع عن الضعيف) فإنه هدف يؤشر فيه إلى الموالي(*). فضلاً عن ذلك فإن المختار ادّعى – وهي سمة من سمات الرواية أو القصة – أنه يعمل كرسول أو مبعوث (لمحمد بن الحنفية)، ابن علي. والأخير، محمد بن الحنفية ربما لا علاقة له مع بداية حركة المختار، مع أنه حينما سجنه ابن الزبير بعد أن تخاصم مع المختار، قبل على مساعدة مبعوثه ابن الحنفية. وبعد إخفاق الثورة ظل مستمراً على الحياة بسلام في الحجاز.

---

[٦٨] الطبري مجلد ٢ ص ٥٦٩ وما بعدها.

(*) لماذا يفترض المستشرق(وات) أن توصيف الضعفاء في المجتمع العربي الإسلامي مقصور على الموالي – أي المسلمين من غير العرب – ألا يعتقد بأن شريحة الفقراء والضعفاء كبيرة جدا بين صفوف العرب في الأمصار الإسلامية وأن الحكّام الظلمة من أمويين وعباسيين ممّن طبق سياسة جائرة وظالمة واستثمر أموال بيوت المال لصلحه الخاص وصالح بلاطه وحاشيته قد شملت الجميع العربي والمولى الحرّ من قريش وغيرها من القبائل والعبيد الذي يعملون في كسح الأملاح من الأراضي السبخة على حدّ سواء. (المترجم)

ومن بين الأمور المهمة لنتائج هذه الثورة (كما شدّد عليها فلهاوزن)، ظهور الموالي قوة سياسية يحسب لها ألف حساب فادّعاء المختار بأنه يكون بطلهم قد أحرز له تأييداً كبيراً من بين صفوف الموالي. غير أنه تعذر عليه التوفيق بين مصالحهم وبين مصالح العرب. فقد اعتقد الموالي أن المختار كان يفضل العرب، والعرب قد اعترضوا على أن يتسلم الموالي أي حصة من الغنيمة إطلاقاً[٦٩] وسحب بعض العرب المؤثرين من أشراف الكوفة تأييدهم ومساندتهم، وفي مراحل لاحقة ما كان من المختار إلا أن يعتمد بشكل أكبر على الموالي. والمهم أن أتباعه، على الرغم من إن بعض مؤلفي الفرق يشيرون إليهم باسم (المختارية)، لكن من المعروف كثيراً أنهم بشكل مألوف يسمون (الكيسانية). وقد قدّمت مختلف التفسيرات عن هذه التسمية، لكن من المؤكد تقريباً أن التسمية اشتقت من (كيسان أبي عمارة)، وكان الرجل الأكثر شهرةوتمييزاً في الثورة من بين الموالي ؛ وكان صاحب شرطة المختار وقائد حرسه[٧٠].وقد طبقت التسمية بشكل واسع على أشخاص من ذوي وجهة النظر الشيعية خلال الحقبة الأخيرة من الخلافة الأموية، ويحتمل أن التسمية قد أعطيت لهم أصلاً كتسمية غير إيجابية ومكروهة ساهم فيها خصومهم[٧١].

ومن الجدير بالفائدة في هذه المسألة أن نجمع بعض الحقائق الأولية بشأن تحديد هوية الموالي بعامة، ولاسيما عن أولئك الذين كانوا تابعين للمختار، وللثورات الشيعية اللاحقة. فقد كان في الدوائر الشرعية واقعاً تصنيفاً ثلاثياً وهي: مولى رحم، ومولى عتيق ومولى العقد، وهو مولى بالانتساب، سواء كان بالاعتناق أم بعهد أو بعقد

---

[٦٩]م.ن ص ٦٣٤، ٦٤٩.

[٧٠]م.ن ص ٦٣٤؛ أيضاً فريدلاندر I.Friedlander في بحثه باللغة الإنجليزية الموسوم (الهرطقة والشيعة في عرض ابن زم) المنشور في مجلة JAOS مجلد ٢٨ لسنة ١٩٠٧ ص ١-٨٠، ومجلد ٢٩ لسنة ١٩٠٩ ص ١-١٨٣ لاسيما ص ٣٣ وما بعدها.

[٧١]ينظر فريد لاندر Fried Laender البحث السابق، عند الشهرستاني جزء ١ ص ١٨-٢٣ هناك عدد من الفرق الصغيرة التي عدّت على كونها أقسام فرعية من الكيسانية، الشهرستاني ج١ ص ٢٣٦ هنا يبدو المختارية كفرقة من الكيسانية، وربما أيضاً الأربع فرق.

وميثاق[٧٢]. ومن بين هذه التصنيفات الثلاثة فإن الأول هو الطريق الممكن تصوره للاندماج الأخوالي (أي المتعلق بناحية الأم) للأشخاص القريبين صلة في مجتمع أبدي؛ أما النوع الثاني فهو المحرر أو الذي تطلق حريته وهو الذي كان في الأغلب الأعم حراً بالولادة لكنه استبعد نتيجة أسره في حرب؛ والنوع الثالث هو الرجل الذي يقبل إرادياً وضعية (مولى) أو (عتيق). ويبدو على وجه الحصر تقريباً إن الصنف الثاني والثالث الذي نشهده في الحقبة الأموية. ففي الملاحظات في مؤلفات سيّر حياة الكثير جداً من الموالي في المدينة ومكة والكوفة والبصرة وأماكن أخرى (في طبقات ابن سعد الأجزاء الخامس والسادس والسابع) معلومات عن بعضهم ذكر بأن وضعيتهم كانت من نوع (العتاقة أو الأعتاق)، ولكن هذا يعدّ استثنائياً، والمفترض أن الأكثر كان يقع ضمن النوع الثالث. ولعل أن الأفراد نشدوا وأعطوا هذا الوضع لأن المجتمع الإسلامي ينظر إليهم على أنه يتألف من عدد من القبائل ومجموعات أخرى بعلاقات اتفاقيات أو معاهدات مع محمد والخلفاء. فالفرد غير المسلم يكون عضواً في واحدة من المجموعات المستقلة لأهل الكتاب؛ فإن أصبح مسلماً، كان عليه أن ينفصل عن تلك المجموعة ويلتحق بقبيلة مسلمة، وكان الطريق الأسهل للقيام بذلك أن يصبح مولى بالعقد. وأن هذه العلاقة أو الرابطة ليست بالضرورة تكون دائما والى الأبد، وذلك لأن الأفراد يمكن أحياناً أن يتركوا إحدى القبائل العربية والإسلامية ليكونوا موالي لأقوى قبيلة أو لقبيلة أكثر أهمية.

والواضح من هذه الرواية أن عربياً ربما يكون مولى. فمن بين الموالي في جانب المسلمين في معركة بدر كان هناك عدد من أصول عربية ممّن أسّر في حرب أو ممن أطلقت حريته[٧٣]. فهناك قائمة أسماء بموالي المدينة في حقبة متأخرة تتضمن أفراداً من هذيل (من الأزد)، ونمير، ولخم، في الوقت الذي توجد قائمة أخرى فيها اسم من

---

[٧٢]ينظر جولد تسيهر I.Goldziher في دراسته بالألمانية الموسومة (دراسات محمدية) جزء ١ ص ١٠٦، إذ يقتبس من العقد الفريد طبعة بولاق جزء ٢ ص ٣٣٤.

[٧٣]ينظر وات، محمد في المدينة باللغة الإنجليزية ص ٣٤٤ التي تستند على ابن سعد، الطبقات مجلد ٣ ص ١.

جنوب الجزيرة العربية وهو (شرحبيل)[٧٤] وبعد سنة ٦٣٤م ليس هنالك من الناحية العملية فرصاً لأسّر العرب في الحروب(*)، ولذلك فإن الموالي العرب في أواخر القرن السابع الميلادي / الأول الهجري يكون من نسل أو ذريّة أشخاص، أو أسرى سابقين، أولئك الذين قد تبنوا وضعيتهم اختيارياً أو طوعياً.

وفي جنوب العراق، وهو المركز الرئيس للتشيع المبكر[٧٥]، كان السكان في زمن الفتوحات الإسلامية، الغالب عليهم الأرمن، غير أن هناك طبقة عالية من ملاكي الأراضي ومن الموظفين الفرس. وفي عدد من المناطق ساعد الفلاحون المسلمون في الحرب ضد الفرس[٧٦]. ولهذا فهناك افتراض بأن كثيرا من الموالي في هذا الإقليم كانوا من أصل أرمني(**) (وكانوا أيضاً مسيحيين) والحقيقة بأن كثيرا من العلماء البارزين كانوا من الموالي دون شك ترتبط بوجود مدارس مسيحية مهمة في العراق[٧٧] وأن مماثلة أو مشابهة للأفكار الشيعية مع الأفكار القديمة قبل المسيحية (مثل موت تموز Tammuz) توحي أيضاً بأن كثيرا من أنصار أو أتباع الفرق الشيعية كانوا من المخزون أو الأصل القديم للبلاد (والأشخاص تمثّلوه) أكثر من كونهم من

---

[٧٤]ابن سعد، مجلد ٥ ص ٢٠٨ (بسر بن سعيد) ص ٢٠٩ حمران بن أبان، ص ٢٢٠ عمرو بن رافع، ص ٢٢٨ شرحبيل بن سعد، وعلى صفحة ٢٢٢ سالم سبلان ذكر أنه كان مصري الأصل، بينما كان أبو صالح باذام بالتأكيد على الأكثر فارسياً، وربما من جنوب الجزيرة العربية.

(*)ربما يقصد المستشرق(وات النبط)، من سكان العراق الجنوبي كانوا فلاحين، ولم يكونوا بالضرورة من المسيحيين الأرمن. وربما كانوا من السريان [المترجم].

[٧٥]كما هو الحال أيضاً في حركة الخوارج، التي حصلت على بعض الدعم من الموالي.

[٧٦]ينظر البلاذري ص ٢٤٢ وما بعدها.

(**)ألم يقتل خالد بن الوليد خلال ما يعرف خطئا بحروب الردّة مالك بن نويرة الذي كان مسلما ويأسر قومه ويتزوج بزوجة مالك المسلم ؟ وهناك كثير من هذا القبيل. (المترجم).

[٧٧]مثال على ذلك ثلاثة علماء مشهورون في الكوفة حوالي سنة ١١٢هـ/٧٣٠م كانوا من موالي وهم– حبيب بن أبي ثابت (المتوفى سنة ١١٩هـ/٧٣٧) والحكم بن عتبة (المتوفى ١١٥هـ/٧٣٣) وحمّاد بن أبي سليمان (المتوفى ١٢١هـ/٧٣٨م) ؛ ابن سعد مجلد ٦ ص ٢٢٣، وما بعدها؛ ينظر المصدر نفسه ص ١٠٩ مولى أسّاق هو أيضاً مسيحي، وكعب بن سور كان مسيحياً الذي اعتنق الإسلام وصار قاضياً مسلماً، الطبري مجلد ١ ص ٣١٧٨، وشارل بلا Ch.Pellat: البصرة ومحيطها كتاب باللغة الفرنسية مطبوع في باريس ١٩٥٣ ص ٢٨٨. وُد ترجم للغة العربية(المترجم)

المهاجرين الفرس ممن جاءوا أخيراً(*). وإن مدى تأثير الأرمن – المسيحيين ونفوذهم قد يؤشر في حالة (أبي منصور) زعيم المنصورية، الذي كان أمّياً من عرب الصحراء، ولعله من قبيلة عبد قيس، وهو الذي سمع الله يتحدث إليه بالسريانية، وهو الذي خصّص مكاناً في علم كونياته Cosmology لعيسى والكلمة أو (كلمة الله)[٧٨].

فأسس هذا الاعتقاد وهو أن كثير من الشيعة الموالي كانوا من أصل مسيحي وأرمني لابد أن يؤخذ بالحسبان ويوازن بالإشارات عن وجود عنصر فارسي. قيل عن حمزة بن عمارة إنه سمح بالزواج بالبنات، وهذه هي تقليد سمة فارسية. وأن والد عبد الله بن الحارث (وكان أتباعه قد أخذوا عبد الله بن معاوية إماما) كان يدعى زنديقاً، وهذا التعبير ربما يقصد به أن والد عبد الله بن الحارث أما أن يكون فارسياً أو من الأرمن المتفرسين[٧٩] وكذلك فإن هناك أعداداً من العرب المتفرسين قد بدا أو يظهر من الحقيقة أن قسماً من قبيلة عجل (قد انتقلوا إلى القومية الفارسية)(**)[٨٠]وإن عدداً من الزعماء الشيعة لديهم ارتباط بهذه القبيلة. فالمغيرة بن سعد كان عجلياً، لكنه صار

(*)والمستشرق مونتغمري وات في هذا الرأي الملفت يعتمد على المستشرق المجري اليهودي جولد تسيهر في بحث موسوم (RHR) الذي لا يعني شيئاً، وفي الاختصارات فأنه اختصر اسم مجلة. وقد نشر جولد تسيهر بحثه هذا في مجلة JAOS فالاستنتاج إذن ضعيف وليس له بينة موثوقة. فضلا عن المستشرق لم يكن منصفا ، إذ عمّم مغالطته عن فارسية التشيع ويعدّ هذا جهلا بالحقائق التاريخية التي سننوه عنها في أدناه [المترجم].

[٧٨]النوبختي، فرق الشيعة ص ٣٤؛ وكما ذكر عند فريد لاندر في بحثه المنشور في مجلة JAOS مجلد ٢٩ ص٩٠؛ الكشّي معرفة الرجال، بومباي ١٨٩٩ ص ١٣١٧، ١٩٦ إذ يقدّم الكلمة الفارسية (يا بسر) ولكن الرواية لا تبدو محتملة.

[٧٩]م.ن، ص ٣١.

(**)تنقل المستشرق في بيانه بشأن أصل التشيع عدّة انتقالات متناقضة ومتلاطمة فيما بينها بأن يكون الأصل أرمنيا، وبين أن يكون مسيحيا نسطوريا، ومرّة يعقوبيا، وأخرى سريانيا، وبين أن يكون نبطيا، أو بابليا، وهكذا يتصور المستشرق تصوراته المتضاربة . وليعلم البرفسور (وات) بأن التشيع :- ١- لم يؤسس على أساس قبلي – عشائري –قرشي- سفياني – أموي ٢- إن كان غائبا عن فكره فإن أئمة التشيع عرب أقحاح من قريش التي هي أصل العروبة ٣-المذهب الذي يؤمن فيه الأئمة وأتباعهم هو مذهب رسول الله الإسلام الذي لم يميز بين عربي وأعجمي إلاّ بالتقوى ولا بين أبيض وأسود ولا بين غني وفقير ٤- التشيع يستند على الكتاب والسنّة ولا يتردّد عن ثورة على الحكّام الأمويين والعباسيين الفاسقين والمبطّلين لحدود الله وقيم الرسالة الإسلامية بعكس ممارسات الأمويين فزياد بن أبيه (أمه زانية) يكون زياد بن أبي سفيان .فالنغمة التي اعتدنا عليها من المستشرقين والمبغضين على فارسية أو صفوية التشيع إنّما تعكس ضيق أفقهم وبغضهم للإسلام الحنيف للناس أجمعين (المترجم).

[٨٠]ينظر جولد تسيهر في المجلة RHR مجلد ٤٣ ص ٢٣؛ ينظر ما نشر في مجلة JAOS مجلد ٢٩ ص ٨٠ (هامش).

مولى لخالد بن عبد الله القسري (وهو من قبيلة بجيلة)؛ وأبو منصور يقال أحياناً أنه من قبيلة عجل (على الرغم من أن النوبختي يقول أنه كان من عبد قيس)؛ وإن أبا مسلم، قائد العباسيين، كان مولى لعجل وقيل أنه من أصل فارسي. [ولكن فات المستشرق بأن هؤلاء جميعاً ليسوا من الشيعة، فالمغيرة قد أعدمه القسري نفسه لغلّوه؛ وأبو مسلم الخراساني الذي ليس من السهولة، كما زعم المستشرق، إن اسمه وأصله من بلاد فارس. فضلاً عن كونه عباسياً اختاره (الإمام إبراهيم) إمام العباسيين وليس له أية علاقة أبداً بالشيعة، وأنه هو الذي قتل عبد الله بن معاوية العلوي. المترجم].

وعند دراسة مقطع لمفاهيم الشيعة من العرب bearerإلى الفارسية، يظهر هذا الخلط أو المزج بين الثقافتين ولابد أن يؤخذ بالحسبان، وهذا طبعاً قد بدأ في الأزمنة السابقة للإسلام. فهذه الثقافة المتفاعلة في غاية الأهمية ، مثلاً استقرار أربعة آلاف فارسي من الديلم في الكوفة كمسلمين[٨١]، طالما أن هؤلاء أحسّوا بأنفسهم متميزين عن الجماعة الفارسية الرئيسة. والدليل على التفاعل هو العنصر الفارسي في لغة القرآن وفي الأشعار العربية لحقبة ما قبل الإسلام[٨٢]. ومرة أخرى، فإنه على الرغم من أن الفرس في جنوب الجزيرة العربية قد تعرّبوا، فإن العرب هناك ربما أيضاً قد تأثروا بالفرس، مع العلم بأن هذا التأثير كان على مدى أقل. ومن بين المسلمين الموالي في معركة بدر كان هناك اثنين من نسب فارسي[٨٣]، وإن الوثني المكي النضر بن الحارث، كان له علم خاص بالمعارف الفارسية التي استعملها في انتقاداته لمحمد[٨٤].

---

[٨١]البلاذري ص ٢٨٠ (الترجمة ج١ ص ٤٤٠ وما بعدها).

[٨٢]ينظر جفري A.Jeffery في دراسته باللغة الإنجليزية الموسومة (المفردات الأجنبية في القرآن، المطبوع في باروداBaroda ١٩٣٨ ص ١٤-١٦).

[٨٣]ينظر وات، محمد في المدينة بالإنجليزية ص ٣٤٤ هوامش ٢، ٥؛ وربما أيضاً هامش ١١.

[٨٤]ابن هشام، السيرة تحقيق فستنفلد F.Wustenfeld المطبوع في نموتنكن Gottingen ١٨٥٩-١٨٦٠ ص ١٩١ وما بعدها، وص ٢٣٥.

حقبة الهدوء والثورات اللاحقة:

الاستعمال الواسع لاسم الكيسانية يعدّ مؤشرا إلى الحقيقة خلال الحقبة المتأخرة من العهد الأموي إذ لم تكن الحركة الشيعية أبداً إمامية (أو رافضة) في شخصيتها وخصائصها؛ أي يمكن قوله بأن ذريّة الحسين، الذين صاروا لاحقاً أئمة في عقيدة الإمامية، لم يكونوا أثناء حياتهم مركزاً لأي حركة سياسية ودينية. فتراجم سيّر هؤلاء الأفراد قد أثيرت من قبل المؤلفين الشيعة الإمامية وحركت في محاولة لإظهار أنهم منذ البداية ادعوا بكونهم أئمة ويعملون هكذا(*). علماً بأن مع وجود هذه الترجمات لسيّر الأئمة المنقّحة تظهر أنهم – الأئمة – غير مهمين سياسياً(٨٥).

وهكذا فمن أجل أن نفهم تطور التشيع في عهد الأمويين من الضروري أن نقلل من أهمية أكثر الروايات والأقوال بشأن ذريّة الحسين(*) (وبعض الأشخاص الآخرين أيضاً) إلى أن نأتي إلى الحقيقة التاريخية الموثوقة والتي يعتمد عليها في ثورة أو انتفاضة زيد بن علي في سنة ١٢٢هـ/ ٧٤٠م. وإن موجزاً لتاريخ هذه الحقبة سوف يساعد في فهم وجهات النظر الفقهية بشكل واضح.

فبعد دحر المختار سنة ٦٧هـ / ٦٨٦م لا نجد أي حدث تاريخي حقيقي شمل أو تضمن الحركة الشيعية حتى سنة ٧٣٧م/ ١٢٠هـ، عندما أعدم كل من (بيان بن

(*) المستشرق وات لا يعترف، بحسب قوله هذا، بالعلماء الشيعة حين يكتبون عن الأئمة، ولا نعرف لماذا؟ ومع هذا فإن المؤلفات السنية عن الإمام علي والأئمة من بعده يذكرون بوضوح عن مراتبهم في الإمامة، ومن غير الحقيقي نكران ذلك لمجرد استنتاج قابل للنقاش ، فضلا عن هذا فإن الأستاذ كأنه بعيد جدا عن انصراف الأئمة للشئون الدينية ومنهم من ألف الرسائل والكتب ولعل المستشرق لم يطّلع على أقل تقدير على فهرست ابن النديم أو على مؤلفات الرجال الشيعية . حقيقة إن اهتمامه بالسيرة النبوية قد صرف اهتمامه عن هذا الجانب المصدري المهم ؛ والأحرى أن يضع نفسه في مأزق كهذا [المترجم].

(٨٥) ينظر الفصول الأولى من دراسة دونالدسون D.M.Donaldson (ديانة الشيعة) باللغة الإنجليزية، المطبوع في لندن ١٩٣٣ إذ يقدم مصادر إمامية.

(*) رأي المستشرق(وات) مردود علمياً وتاريخياً، فلماذا يقلل من أهمية الروايات المتعلقة بذريّة الحسين وبعض الأشخاص الآخرين، في الوقت الذي يمجد فيه الرواية الأموية. فليقرأ في مؤلفات أهل السنّة عن ذريّة الحسين بدءً من الإمام علي بن الحسين إلى الإمام المهدي فليقرأ ابن قتيبة الدينوري في (الإمامة والسياسة) وليقرأ الخطيب البغدادي وغيرهم كثر [المترجم].

سمعان) و(المغيرة بن سعد العجلي) في الكوفة بأمر من الوالي[86] [ها هنا لابد لي من مداخلة مع آراء المستشرق غير العلمية، مع الأسف، فبيان بن سمعان الهندي المقتول سنة ١١٩هـ / ٧٣٧م. ومن المناسب ذكره أن الشهرستاني في الملل والنحل قد خلط بين ما كان يعتقده بيان وبين معتقدات السبئية والحارثية، فنسب إلى بيان مسألة التناسخ. وعقيدة بيان ليست شيعية تماماً؛ لأنه وكرب وصائد النهدي هم من زعماء فرق منفصلة عن الكيسانية، وعقيدته التجسيم، وهو المبدأ الذي جمع بين جميع الفرق الغالية. واستند بيان على آراء أبي هاشم بن محمد بن الحنفية حول انقضاء النبوة بعد قرن وأنه نسخ بعضاً من شريعة محمد رسول الله صلى الله عليه وآله. ولأنه كان غالياً متشدداً فقد دعا الإمام الباقر الدخول في دعوته قائلاً له (وقد أعذر من أنذر). [النوبختي، فرق الشيعة، النجف ١٩٣٦، ص ٣٤]. وقد أحرقت جثته خلال ولاية خالد القسري وكذا فعل بصائد النهدي. أماما يخص المغيرة بن سعيد البجلي (قتل أيضاً سنة ١١٩هـ/ ٧٣٧م فإنه أيضاً من الغلاة وقد ادّعى أنه الإمام حتى ظهور المهدي) وبعد مقتله فإن أنصاره لم يعترفوا بقتله وزعموا أن الذي قتل كان بصورة محمد إنما كان شيطاناً [النوبختي: فرق ص ٥٤.وكان المغيرة مجسماً أيضاً فجعل لله أعضاء على عدد حروف الهجاء وعلى شكلها وهيئتها. وشأن المغيرة في الغلو كشأن أبي منصور العجلي الذي قتل سنة ١٢١هـ/ ٧٣٨م. وادعى أبو منصور بمهدية الإمام الباقر ، وأن الإمام فوّض الأمر إلى أبي منصور فكان بحسب رأيه وصيه من بعده. ومن آرائه الغالية أنه ألغى الإمامة وجعلها نبوة، فكان علي نبياً ورسولاً وكذلك الحسن والحسين [النوبختي، ص ٣٨، ٦٣.وكان أبو منصور العجلي يرى نفسه نبياً وأن النبوة في ستة من ولده ويكونون بعد موته أنبياً آخرهم القائم. [الشهرستاني. الملل والنحل مصر ١٩٤٨-١٩٤٩، جزء ١ ص ٢٤٦؛ الرسعني، مختصر الفرق بين الفرق تحقيق فيليب حتي مصر ١٩٢٤، ص ١٥٢، ١٣٤. وبعد كل هذا وذاك المزيد هل يمكننا تصور أن هؤلاء وغيرهم من الغلاة المتطرفين في غلوهم من الشيعة؟! أولئك

---

[86] الطبري مجلد ٢ ص ١٦١٩ وما بعدها.

الذين طردهم أئمة أهل البيت بدءاً بالإمام علي وانتهاءً بالإمام الحجة. والواقع أن مستشرقين آخرين معاصرين أمثال تاكر W.F.Tucker قد درس أبا منصور العجلي وبيان بن سمعان والبيانية والمغيرية دراسات مفصلة وأطلق عليهم تسمية الغلاة في السبعينيات من القرن العشرين. وفي بريطانيا، أي البلاد نفسها التي يعيش فيها المستشرق وات، المترجم].

ففي هذا النصف من هذا القرن حدث كثير بالنسبة إلى الكيسانية. فقد توفي (محمد بن الحنفية) في سنة ٨١هـ/ ٧٠٠م وإن ابنه أبا هاشم توفي حوالي ٩٨هـ/ ٧١٦م، لكن ليس أي منهما قد نظم أي حركة سياسية ضد الأمويين. وإلى الكيسانية يرجع الشاعر كثير (عبد الرحمن الخزاعي) الذي روي عنه بأنه كان حاضراً في بلاط عبد الملك (حكم ٦٦-٨٦هـ/ ٦٨٥-٧٠٥م) ويزيد بن عبد الملك (حكم ١٠٢هـ-١٠٦هـ/ ٧٢٠-٧٢٤م) وذكر أنه توفي في سنة ١٠٥هـ/ ٧٢٣م؛ وكان يعيش بالقرب من المدينة[٨٧].واسمه الذي ارتبط بشاعر آخر هو السيد الحميري (١٠٥هـ- ١٧٣هـ /٧٨٩م). ومن الأئمة من خط الإمامية الإمام علي زين العابدين (ابن الحسين) قد توفي حوالي سنة ٩٤هـ/ ٧١٢م، وتوفي محمد الباقر في سنة ١١٢هـ/ ٧٣١ وتوفي الصادق ابن الباقر في سنة ١٤٨هـ/ ٧٦٥م.

وفي هذا النصف من القرن من سنة ٦٧هـ/ ٦٨٦م إلى سنة ١١٩هـ/ ٧٣٧م، ولاسيما بعد موت محمد بن الحنفية في سنة ٨١هـ/ ٧٠٠م، فإن كثيرا من هؤلاء الذين ساعدوا وتعاطفوا مع المختار قد تحوّلوا باتجاه أفكار مسيحية messanic، إذ زعموا إن (محمداً بن الحنفية) لم يمت لكنه في غيبة (الغيبة) وأنهم توقعوا رجعته كمهدي يقيم العدل على الأرض. فصارلمثل هذه الأفكار تأثير في الاعتقاد بها بشكل واسع بين الشيعة؛ وما هو مشابه لها في الأفكار المسيحية اليهودية — المسيحية. ومهما يكن،

---

[٨٧]ابن قتيبة: كتاب الشعر، تحقيق دي غويه، ليدن ١٩٠٠، ص ٣١٦-٣٢٩؛ وينظر ليل C.J.Lyall المفضليات، المطبوع في اكسفورد ١٩١٨-١٩٢١ جزء ١ JAOS مجلد ٢٩ ص ٣٨ وما بعدها؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق فستنفلد، المطبوع في غوتنكن Gottingen ١٨٣٥-١٨٤٣.

يمكننا أن نعدّها في محتواها ومغزاها التاريخيين كأمر واقع تبريري ومسوغ للقبول بالحكم الموجود. وأولئك الذين اعتقدوا في (الإمام الغائب) ليسوا بحاجة إلى أن يقوموا بأي عمل في المستقبل القريب، ولا حتى العمل على أي صلاح معين[٨٨]، وفي الوقت نفسه أنه يتضمن بأن ذلك العهد ليس عهداً كاملاً، وأن الوسيلة قد تركت مفتوحة لأي عمل في وقت وتاريخ لاحق. مثل هذا الموقف قد يكون في الأغلب الأعم غير مضر سياسياً، إلا أنه كامن وبخاصة على نحو مستشر في الخطر المحتمل. وأن تغيراً في الظروف ربما توحي للأنصار والأتباع للتحرك وإن الوقت، وقت العمل قد أتى. فعندما بدأت الحكومة الأموية تضعف وتنهار بوضوح، فإن فرصة النجاح في أي عمل عازم ومصمم، لأي مغامر يدّعي بأنه إمام أو مبعوث الإمام، ورسوله ربما وبسرعة هناك ثورة تلوح في الأفق.

والأفكار المسيحية هي بصورة خاصة ترتبط بقسم متفرع من الكيسانية يسمى (الكرابية) أو (الكربية) (وحسبما يبدو أنه ليس هناك شيء معروف عن مؤسسها يمكننا معرفته). وأحياناً فإن الشاعرين كثير والسيد الحميري ينتميان إلى الكربية، علماً بأنهما اتخذا وجهة نظر في اختفاء أو غيبة ابن الحنفية في جبل رضوى، وهو جبل على مسافة رحلة سبعة أيام من المدينة. وفي صيغة أخرى من العقيدة فإن مكان الغيبة كان مجهولاً، وقد اعتقد بهذا الشكل أو بهذه الصورة حمزة بن عمارة من المدينة الذي كسب عدداً من الأنصار أو الأتباع في المدينة والكوفة. وذكر بأنه ادّعى بأن ابن الحنفية كان الله وإنه – أي عمارة – نبيه؛ ولكن هذا الزعم ربما كان معادياً ومبالغا في القول بإن

[٨٨] ينظر ابن حزم، كتاب الفصل (القاهرة ١٨٩٩-١٣١٧هـ) جزء ٤ ص ١٧١ (اقتبسه فريد لاندر في بحثه السابق الذكر ص ٩٢)؛ وكثير من أهل السنة يعتقدون أن (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) يجب أن ينفذ قلبياً وإن أمكن باللسان ولكن ليس باليد أو بقوة السلاح (وجميع الرافضة يعتقدون بهذه النظرة، حتى وإن قتل الجميع؛ ولكن هذا (تفادي استخدام السلاح) قد تمت الموافقة عليه حينما لم يظهر الإمام فقط؛ ولكن عند ظهوره فإنه من الضروري والواجب أن تشهر السيوف معه (وذلك في هذه العقيدة أن الذي يريد أن يكون ناشطاً وفعالاً أمام الإمام عند الظهور يستخدم حتى العصي الخشبية أو خنق الأعداء) [أقول هكذا بتصرف عالم مستشرق نظير وات، إذ يرجع إلى أهل السنّة في شرح ما سيقوم به المهدي [المترجم].

ابن الحنفية الله بمثابة إعطاء صفة كارزمية التي كان يقصد من ورائها تبرير إدّعائه بزعامة كارزمية وبطولية[٨٩].

والذي بوسعنا قوله، أنه بينما كان حمزة غير فاعل أو ناشط سياسياً، فإن أحد أتباعه الكوفيين وهو بيان بن سمعان، وكان يبيع القصب أو القش كان من قبيلة عربية، قبيلة نهد، من جنوب الجزيرة العربية (على الرغم من أنه كان يعرف بالتميمي)، كان ناشطاً بما فيه الكفاية حتى أنه قبض عليه وأعدم (حرقاً) في سنة ١١٩هـ/ ٧٣٧م. والظاهر أنه ادعى أحياناً بأنه مبعوث أو رسول أبي هاشم، الذي زعم أنه أعقب والده ابن الحنفية كإمام[٩٠]. وفي أوقات أخرى يبدو أن بياناً حاول أن يؤسس أو يبني صلة مع ذرية الحسين. وفي إحدى اللحظات حسبما ذكر أنه كتب كتاباً إلى محمد الباقر (المتوفى ١١٣هـ/٧٣١) داعياً أو طالباً فيه القبول به – أي ببيان- رسولا له أو نبيه؛ وفي حالة أخرى ادّعى بأن محمد الباقر قد عيّنه رسولا له[٩١] ويحتمل أن هذه الروايات قد تكون صحيحة وكذلك تظهر فقط أن بياناً كان مجرداً من المبادئ الخلقية unscrupulous فإن كانت صحيحة، فإنها تظهر وتكشف أيضاً بأن الحركة الشيعية قبل سنة ١١٩هـ/٧٣٧م (وليس بالضرورة قبل سنة ١١٣هـ/ ٧٣١) صارت مهتمة ومعنية بآل بيت الحسين[*].

كثير من العقائد الحيّة والمثيرة قد نسبت إلى الشخص الآخر الذي أعدم في الكوفة في سنة ١١٩هـ/ ٧٣٧ وهو (المغيرة بن سعيد العجلي) وكان مولى للوالي. فقد

---

[٨٩]النوبختي ص ٢٥ (مع إستشهادات أكثر من الفهرست) وهناك كثير من الاختلافات في نسبته (ينظر بحث فريد لاندر في مجلة JAOS مجلد ٢٩ ص ٩٠) ويحتمل أن هناك شيئاً في العربية الجنوبية مقترح مثل الزبيدي من المحتمل أن يكون كذلك؛ لكن الزعم بأنه تزوج بنتاً ربما يؤشر إلى أصل فارسي.

[٩٠]الشهرستاني، الملل ج١ ص ٢٣.

[٩١]النوبختي ص ٣٠، ٢٥.

(*) كلام المستشرق وات هذا غامض فماذا يعني أن الحركات الشيعية صارت معنية بالحسين وذريّته، طالما أن بيان بن سمعان من مؤيدي محمد بن الحنفية وابنه أبي هاشم. فأين هي أحداث التوابين والمختار وما بعد المختار وزيد بن علي وحركات بالثارات الحسين [المترجم].

ذكر أنه كان مهتماً ومعنياً بمحمد الباقر كإمام له، غير أنه عند موته في سنة ١١٣هـ/ ٧٣١م تحول إلى ابن حفيد الحسن الذي اسمه محمد وكنيته (النفس الزكية) (١٠٠- ١٤٥هـ/ ٧١٨-٧٦٢م) فقد قاد النفس الزكية في آخر المطاف ثورة غير ناجحة ضد العباسيين في سنة ١٤٥هـ/٧٦٢، ولكنه كان في سنة ١١٩هـ عمره تسع عشر سنة فقط ولعله لم يعترف بالمغيرة بأية حال[٩٢].

وشخص آخر ادّعى أنه مبعوث أو رسول معين من محمد الباقر، هو أبو منصور (من قبيلة عبد قيس أو قبيلة عجل) وقد أعدم في سنة ١٢٥هـ/ ٧٤٢[٩٣]، وأن بعضاً من أتباعه مارسوا عملية الخنق، وانتعشت هذه الفرقة بحوالي سنة ١٦٤هـ/ ٧٨٠م.

ويبدو أنهم اضافوا أهمية كونية cosmic (لآل محمد)، بما أن أبا منصور أكد أو زعم بأن آل محمد كانوا السماء، وإن الشيعة هم الأرض، وهو ادعاء يذكرنا بالمعتقدات القديمة في بلاد ما بين النهرين. مع أنه ادعى شيئاً ما يشابه الوحي أو الإلهام النبوي لنفسه، وكذلك لأبنائه.

إن حالات (بيان والمغيرة وأبا منصور) تجعل من المؤكد تقريباً أنه بحدود سنة ١١٩هـ/٧٣٧م، مع إن الإمكانية بأن بعض هذه الروايات هي من اختلاق الإمامية، ولكنها احتمالية لابد من أن تؤخذ بالحسبان، فهي روايات مختلقة من الإمامية من أجل دعم الرابطة بأن محمد الباقر قد تمّ الاعتراف فيه كإمام أثناء حياته لكن على العموم يبدو أكثر رجحاناً أن المزاعم قد عملت في الواقع، على الرغم من أنها ربما لم تعمل إلا بعد وفاة محمد الباقر في سنة ١١٣هـ/٧٣١م، وبحدود ذلك الوقت فإن الدعاية

---

(٩٢)م.ن ص ٥٢-٥٥؛ الشهرستاني ج١ ص ٩ وما بعدها، ترتون A.S.Tritton في دراسته باللغة الإنجليزية الموسومة (الفقه الإسلامي) المطبوع في لندن ١٩٤٧ ص ٢٣-٢٥.

(٩٣)النوبختي ص ٣٤؛ الشهرستاني ج١ ص ٢٥٧-٣١٠؛ فريدلاندر فيبحثه في مجلة JAOS مجلد ٢٩، الفهرست؛ البغدادي ص ٢٣٤ وما بعدها؛ الأشعري ج١ ص ٩.

للعباسيين قد ابتدأت، وإن جعفر الصادق، ابن الباقر، ربما أيضاً قد اختار أو قدّم ادعاءاته الخاصة به. فإذا كان هذا حقاً، فإن ادعاءات الفرق المتشيعة الثلاثة في تعيين الباقر لها إن هي إلا محاولة مضادة لإدعاءات جعفر والعباسيين؛ وأن قصة دعوة بيان للباقر على أنه يتبعه وما كان من الرفض الشديد هي قصة مختلفة (ربما من أحد من دائرة الصادق) ليتجنب أو ليتفادى إدعاء بيان ومن كل هذا هناك مسألة واحدة واضحة ومهمة وهي أن معتقد الشيعة في الكارزما يرتبط بأقرباء (أرحام) محمد ولم يحددوا هذه الكارزما بذرية علي وفاطمة، والأقل من هذا لم يحددوها بذرية الحسين وعبر الحقبة الأموية فإن العشيرة عشيرة هاشم برمتها كانت تعدّ كمشارك في الكارزما – وليس فقط ابن الحنفية، لكن، كما سنراه الآن، ذرية أخوة علي جعفر وعمه العباس.

إن أول هاشمي قاد ثورة شخصياً كان زيد أخ محمد الباقر، والذي شهر السلاح ضدّ الأمويين في سنة ١٢٢هـ/٧٤٠م، إلا أنه قتل في الحال، وقد رفض زيد وأتباعه الأفكار التي اعتقدت فيها الفرق[٩٤]؛ فإنهم لم يرغبوا في إمام مختفي وساكن quiescent فالإمام ينبغي أن يكون من ذريّة علي وفاطمة (مع أن هذه المسألة ربما لم تتخذ إلا بعد أن انضم بعض الزيدية إلى ثورة النفس الزكية)، لكنه لم يقدر على المطالبة بالولاء ما لم يؤكد إمامته علنياً، وهكذا كان زيد يحاول تعبئة المشاعر الشيعية خلف محاولة ليحرز السيطرة على الخلافة. في حين أن الحركات الشيعية السابقة (ما عدا ثورة المختار) كانت غير عقلانية ويعوزها التفكير السليم، إذ أبدت مجالاً ومنفذاً للمظلمة والرثاء الروحي ولكنها حركات لم تدرس أو تفكر في خطة للاضطلاع وتولي إدارة الخلافة، فكان الزيدية أكثر عقلانية وذات أفكارسليمة. لقد رأى زيد أنه من أجل إدارة الخلافة، يجب عليه أن يحرز على رأي المجتمع الإسلامي الرئيس، ولذلك عليه أن يقبل التقليد الإسلامي الأساس. وقد عبّر عن هذا الموقف بقوله أنه يقبل بأبي بكر

[٩٤]النوبختي ص ٥٠ وما بعدها؛ الأشعري جزء ص ٥٦-٥٧؛ البغدادي ص ٢٢-٢٦؛ الشهرستاني ج١ ص ٢٤٩-٢٥٦؛ دائرة المعارف الإسلامية (طبعة أولى) بحث (الزيدية)؛ ينظر فلهاوزن، المعارضة باللغة الألمانية ص ٩٦ وهو يتابع الطبري مجلد ٢ ص ١٦٧٦-١٦٧٨؛ ١٦٩٨-١٧١١ إذ يقدم المبادىء الذي سيقوم أو سيستند عليه برنامجه؛ وتشتمل على تبني أو اتّخاذ الكتاب والسنّة كمعيارين، والدفاع عن (الضعيف).

وعمر كخلفاء وأئمة، ولكنه لكي يرضي الشيعة أضاف قائلاً، بينما علي هو الأفضل فإن إمامة المفضول، أي أبو بكر وعمر، مسموح بها، من أجل أن يضمن منافع مؤقتة معينة. وعلى أية حال، فإن التنازلات إلى غير الشيعة تضمنت رفض جزئي للكارزما التي زعمت بكون علياً والهاشميين وزيد في نهاية الأمر قد أفقدت كثيرا من دعم الشيعة. ومن المهم من أجل كشف وجه الاختلاف بين فشل زيد مع نجاح أبي مسلم والعباسيين.

والثورة الأخيرة الشيعية غير الناجحة ضدّ الأمويين كانت ثورة عبد الله بن معاوية، ابن حفيد جعفر، أخي علي، التي بدأت بالكوفة في سنة ١٢٧هـ/٧٤٤م واستمرت إلى أن أغتيل عبد الله من قبل أبي مسلم، ربما في سنة ١٣٠هـ/٧٤٧م. وبهذه الثورة ارتبطت الفرق. مثل الحربية، والحارثية والجناحية؛ إلا أن هناك غموضاً كبيراً أو ارتباكاً في المعلومات عنها. ويبدو من الواضح أن هناك رجلاً يدعي عبد الله بن عمرو بن حرب الكندي، وذكر أن أتباعه كانوا سابقاً مع بيان، وبالتأكيد فإنهم يرتبطون بالجانب الساكن والمسالم في الكيسانية، قد نشروا أفكاراً عن الإمام الغائب وعن تناسخ الأرواح بين الأشخاص الذين صاروا بعدئذ أتباع وأنصار عبد الله بن معاوية وطبقوا بعضاً من هذه الأفكار عليه، ولاسيما بعد موته[٩٥] والارتباط بالكيسانية يكفل أو يشهد بصحته بالإدعاء أن عبد الله بن معاوية كان رسولاً أو مبعوثاً لأبي هاشم، ابن الحنفية. ومن المشكوك فيه فيما إذا كان عبد الله نفسه قد استحسن أو وافق على المزاعم التي حددت له؛ فبعضهم منها لم تعين له إلا بعد وفاته. ففي جيشه في الكوفة كان هناك بقية من قوة زيد وقيل أنها كانت مهمة جداً أكثر من الشيعة المتطرفين أو الغلاة. وبعدئذ، كان عليه أن يغادر الكوفة والسيطرة على مساحة واسعة في بلاد فارس، وأن مؤيديه وبضمنهم تقريباً كل طيفShade من الرأي الإسلامي والديني. وفي حالة

---

[٩٥] الأشعري جزء ١ ص ٦، ٢٢؛ البغدادي ص ٣٣، وما بعدها، الشهرستاني جزء ١ ص ٢٤٤ وما بعدها؛ فلهاوزن في كتابه باللغة الإنجليزية (المملكة العربية وسقوطها) المطبوع في كلكتا ١٩٢٧ الفهرست؛ النوبختي ص ٢٩، ٣١، ابن حزم ج٤ ص ١٨٧ وما بعدها الموجود عبد الله بن الحارث الذي ربما يكون نفسه؛ ينظر البحث في مجلة JAOS مجلد ٢٩ ص ١٢٤ وما بعدها من الصفحات.

الاضطراب في تلك الأوقات فإن حركة من دون أفكار واضحة وجليّة ومن دون زعامة صلبة من غير المحتمل أن تحقق نجاحاً.

وأخيراً هناك الحركة التي جاءت بالعباسيين إلى السلطة(*) وعلى الرغم أنها ليست بالضبط حركة شيعية، أنها استثمرت أو استغلت الأفكار الشيعية(**) فمنذ حوالي سنة ١٠٠هـ/ ٧١٨ بعض أفراد عائلة أو بيت العباس كانوا يقومون بخطط لإحراز الخلافة إلى جانبهم. والزعماء الذين كانوا يقومون بهذا المشروع أولاً، محمد بن علي (المتوفى سنة ١٢٦هـ/٧٤٣)، وهو حفيد (عبد الله بن عباس) وبعد ذلك، ابنه إبراهيم (المتوفى سنة ١٣١هـ/٧٤٨. ليس هنالك من حجة أو أساس للاعتقاد أن هؤلاء الأشخاص كانوا يعتقدون بالوجود لأكثر من أقل درجة من الكارزما في بيت هاشم؛ لكنهم كانوا يحضرون لاستعمال وكلاء ذوي رؤى متطرفة أو غالية كثيراً. وأحدهم كان خداش، الذي ذُكر أنه ادّعى النبوة، غير أنه من المحتمل أن محمد بن علي قد تبرأ منه محمد بن علي[٩٦]، والوكيل الأكثر أهمية بالنسبة إلى العباسيين هو ابو مسلم، ومن المرجح أنه كان عبداً من أصل فارسي انضم بالولاء إلى قبيلة عجل في الكوفة وكان من أتباع المغيرة بن سعيد العجلي قبيل إعدامه وذلك في سنة ١١٩هـ/٧٣٧. ولعل يمكن القول أن أبا مسلم قد تعلم بعض الأفكار المسيحية المتداولة بين صفوف الشيعة [يستحسن أن يقول المستشرق الغلاة. المترجم] في ذلك الوقت – مع العلم أنه لم يكن بارزاً في عقيدة المغيرة–، وأنه بعد وفاته فإن بعض اتباعه حزموا بأنه كان الإمام الغائب، وأنه المهدي[٩٧]؛ فإن كان هذا كذلك، فإن الأفكار والآراء لابد أنها كانت بالنسبة إليه الأساس لعمل المرتقب وليس تبريراً للهدوء والسكون.

(*) هل يعتقد البروفسور وات أن الحركة العباسية هي حركة شيعية أو لها أي علاقة بالأئمة ؟ هكذا يبدو. [المترجم].

(**) إذن لا يجد المستشرق أن هناك تناقضاً مع ذكره سالفاً [المترجم].

[٩٦] ابن حزم ٤ ص ١٨٦؛ فلهاوزن: المملكة العربية ص ٥١١ يستند على الطبري ص ١٦٣٩ وما بعدها.

[٩٧] النوبختي ص ٤١؛ الأشعري ج١ ص ٢١؛ ينظر موسكاتي S.Moscati في بحثه باللغة الإنجليزية الموسوم (أبو مسلم) المنشور في دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الجديدة الثانية).

كان التشديد في الدعاية العباسية قد عدّ ورتب على التأكيد، بأن الإمامة قد تحولت شرعياً أو رسمياً إلى بيت العباس من قبل (أبي هاشم ابن الحنفية)، قبل وفاته في سنة ٩٨هـ/٧١٦م. وبهذه الوسيلة كانوا يأملون أن يصبحوا البؤرة المركزية للكثير من المشاعر الشيعية في ذلك الوقت. طالما لم يكن هناك بعد أي اعتراف بالإمكانات والخصائص الخاصة ذرية الحسين، كما أكدنا ذلك في أعلاه. إن إدعاء وراثة الإمامة عبر أبي هاشم كان قد تخلى عنه فقط الخليفة المهدي (حكم ١٥٩-١٦٩/٧٧٥-٧٨٥م) الذي أكد بدلاً عن تلك الإمامة أحقية العباسيين بالإمامة بعد النبي لعمه – أي عم النبي – العباس؛ ومن دون شك فإنه قام بذلك من أجل تفادي وتجنب إعطاء أي موافقة وإن كانت جزئية إلى إدعاءات المعارضين العلويين للحكم العباسي[٩٨]، ومن أجل إحراز الشيعة الذين يتصفون بالواقعية، فإن العباسيين أيضاً ادعوا أنهم ينشدون إلى الثأر لدم زيد هذه ليست انتهازية ذلك لأن العباسيين كانوا أقرب إلى (الزيدية) أكثر من (الكيسانية). كانوا يخططون لحركة لإحراز السيطرة على الخلافة، ولذلك كانوا يفكرون ويعتقدون بالإمام كزعيم ناشط وفعال. كذلك فإنهم كانوا كالزيدية معنيين بالدفاع عن (الضعيف)، ذلك هو، الموالي؛ وقد بدا مدى هذا الاهتمام والعناية بمساندتهم في آخر الأمر بأبي مسلم وهو مولى، فاتخذوه زعيماً لدعاتهم، مع أنهم ربما كانوا ينظرون بالأحرى على حجم التأييد والدعم الذي يستطيع إحرازه وتحقيقه بين صفوف الموالي.

وحينما ترتبط المعلومات من مؤلفي الفرق هكذا، وتتزاوج مع تلك المعلومات من المؤرخين، فإن فهما كاملاً يحصل عليه عن بعض الاتجاهات للتشيع المبكر. فالبحث عن الكارزما القائد قد ينظر إليه على يتحد الأرمن والفرس، مع عرب اليمن، وهم لبّ أو الجزء المركزي للشيعة الأوائل – وحقبة من الهدوء النسبي قد تلت. ثم، عندما أخذت الخلافة الأموية بالانحلال، تحول أو انتقل الأفراد إلى صيّغ وأشكال

---

[٩٨]النوبختي ص ٤٣.

أخرى لفهم الإمامة في محاولة منهم إلى إيجاد خيار قابل للتطبيق بدلاً من هذا الحكم العاجز والضعيف.

(إن بحث سباتينو موسكاتي Sabation Moscati الموسوم قصة الشيعة في الحقبة القديمة par una storia dell antica sia المنشور في مجلة RSO مجلد ٣٠ لسنة ١٩٥٥ ص ٢٥١-٢٦٧) بمناقشته القيّمة للمصادر مع كل الأسف قد أصبحت متوفرة لديّ الآن بعد كتابة هذا البحث.

ملاحظة عن المصادر التي اعتمدها:

١- الأشعري، مقالات الإسلاميين (تحقيق رتر H.Ritter المطبوع في اسطنبول ١٩٢٩-١٩٣٠).

٢- البغدادي، الفَرق بين الفِرق، القاهرة ١٩١٠.

٣- النوبختي، فرق الشيعة تحقيق رتر H.Ritter المطبوع في اسطنبول سنة ١٩٣١.

٤- الشهرستاني، الملل والنحل، المطبوع في القاهرة ١٩٤٨؛ وكذلك على الطبعة التي حققها كيورتون W.Cureton، المطبوع في لندن ١٨٤٦.

٥- الطبري، حوليات تحقيق ديغويهM.J.de Goeje والمطبوع في ليدن ١٨٧٩-١٩٠١.

الفصل الثالث

إعادة تقويم التشيع في العصر العباسي

المستشرق مونتغمري وات

أصبحت مسألة إعادة تقويم طبيعة أو قوة التشيع في القرن الأول والنصف الأول من عصر الخلافة العباسية ممكنة، وفي الواقع مرغوباً فيها، وذلك يرجع إلى الإدراك الواضح جداً بين صفوف العلماء لطبيعة الطرق والمناهج المستخدمة من قبل أصحاب البدع والهرطقات، ومن المسارات المختلفة في رواية البدع والهرطقات. وأوجه من هذا الموضوع قد عولجت بالفعل من قبل الباحث نفسه[٩٩]؛ وأن البحث الحالي إنما يهدف إلى دفع مجرى التفكير لإتاحة فرصة أبعد من ذلك وفي مكان آخر. فإحدى المزايا البارزة للحقبة العباسية هي تلك المناقشات والمجالس الفكرية حول موضوعات دينية وسياسية قد اتّخذت شكل وصيغة المحاججات والجدل حول الصفة الدقيقة والواقعيةلأحداث في المدى القريب والبعيد للماضي. فكثير من الروايات والتصريحات بخصوص ما الذي جرى في الخمس والعشرين سنة إلى مائتين سنة الماضية لابدّ أن يكون محض اختراع وكلاماً ملفقاً – والتناقضات والتضاربات بين تلك الاقوال تكفي لكي تؤكد لنا ذلك. ومهما يكن فإن أصحاب البدع والهرطقات قد أدركوا بل وقبلوا بأن أكثر هذه الروايات والتصريحات كما لو أنها كانت حقيقة تاريخية، ولذلك سعوا إلى أن يكيّفونها أو أن يجعلونها معدّة في هيكلية تاريخية.وإنهم أيضاً قد افترضوا وجهات النظرتلك أو الرؤى أولاً: أنها قد قدّمت بعد

---

[٩٩] "التشيع في العهد الأموي" المنشور في مجلة JRAS (١٩٦٠) ص ١٥٨-١٧٢؛ كذلك بحث (المواقف السياسية للمعتزلة) المنشور في نفس المجلة (١٩٦٣)؛ وأيضاً (الرافضة) المنشور في مجلة Oriens مجلد ١٥ /١٩٦٢؛ وأيضاً (الفلسفة الإسلامية والفقه) الدراسة المطبوعة في أدنبره ١٩٦٢، ولاسيما الفصل السادس؛ كذلك (الفكر الإسلامي) دراسة مطبوعة بالإنجليزية في أدنبره ١٩٦٣، ولاسيما الفصل السادس؛ كذلك (الفكر الإسلامي) دراسة مطبوعة بالإنجليزية في أدنبره ١٩٦٣، ولاسيما الفصل الرابع؛ وللمؤلف أيضاً البحث الموسوم بالإنجليزية (التوق Yearning إلى المنقذ) المنشور في كتاب .E.O.James presentation Volume (1963).

حقبة طويلة من الحدث الذي تمّ الاعتقاد به من قبل أناس عاشوا أثناء ذلك الوقت أو بعده بحقبة قصيرة. علاوة على ذلك، فإنه في حضارة تكون فيها الاتصالات أو وسائل الاتصال شفوية، وبأنها أكثر أهمية من الوثائق المدونة، ما أن ادعاء أو زعم مزيف يفضي إلى رفض ونكران فقط فإن هذا غير مؤثر أو غير فعال، ولابد في هذه الحالة أن يرّد أو يعاكس بإدعاء أو زعم إيجابي معاكس، وهذا كله من الطبيعي أن يزيد في الارتباك والتشويش.

ففي معالجة المعلومات عن التشيع المبكر هناك إشكاليتان أو سوءالآن لهما أهمية خاصة: من الذي آمن واعتقد بوجهة النظر هذه؟ وما الذي كان المقصود فيها بالنسبة إليه، وواقعياً، في ظروف معينة من حياته؟ وفي بذل الجهد للمعرفة والكشف عن أجوبة لهذين السؤالين – وهي مهمة ليست دائماً سهلة –الشك يلقى على العاتق عدة افتراضات شائعة ومتداولة، وأن المفهوم الذي لا محيص عنه أن الطبيعة أو القوة الخلاقة للتشيع في عهد العباسيين يبدو أنه كان معقولاً. وإحدى النقاط الرئيسة لوجهة النظر هذه والتي لا محيص عنها هي:- إنه خلال عصر الأئمة وحياتهم، هناك القليل وبالأحرى عدم الاعتراف بالأئمة الأثني عشر للإمامية، وليس هناك فرقة منظمة، وليس هناك نشاطات ثورية سرية تحمل أهدافاً لجعل الأئمة خلفاء. ففيما يتعلق بهذه الحالة، يصحّ بالضرورة أن الصيغة أو الشكل الإمامي للتشيع، وربما أيضاً الشكل الإسماعيلي، لم يتمّ الاعتراف فيه ولم يلق اهتماماً به كشخصية واضحة ومحدّدة مألوفة بالنسبة إلى العلماء حتى تقريباً بزمن قصير من سنة ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م(*). فالهدف المباشر والسريع لهذا البحث، هو أن نتخذ أو نلفت النظر إلى الروايات في فرق الشيعة، ولكي نظهر أو نكشف أن تلك الروايات بالإمكان تفسيرها وشرحها بطريقة تلائم وتتسق مع النظرية العامة تلك التي أوجزت. ففرق الشيعة عمل شيعي قد نسب حتى الآن إلى الحسن بن موسى النوبختي، إلا أنه الآن يعدّ من الراجح من تأليف معاصر

(*)ها هنا أيضا يعيد المستشرق (وات) نعمياته التي لا تدلّ على حصافته في قراءة متأنية ,موضوعية لكنه تأثر ببحث البروفسور هودجسون (كيف انتقل التشيع الى فرقة ؟) . لكن هودجسون لم يقل في بحثه هذا القول في عدم الاعتراف بوجود أو بقبول الأئمة الأثني عشر ؟؟ (المترجم)

للنوبختي، هو سعد بن عبد الله القمي[١٠٠] وكلاهما قد توفي بحدود ٣٠٠هـ/ ٩١٢م، والمعتقد أن الكتاب قد ألف بين سنة ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م وبين ذلك التاريخ[١٠١].

١- ٦-١٤-٦٠٧ بعض أفراد هذه الفرق، فرقة المرجئة تنتمي أو ترجع إلى السنوات الأولى من حكم العباسيين: أبو حنيفة المتوفى في سنة ١٥٠هـ/٧٦٧م، الثوري (المتوفى ١٦٢هـ/ ٧٧٨؛ شريك المتوفى ١٧٧هـ/٧٩٣م؛ ابن أبي ليلى المتوفى ١٤٨هـ/ ٧٦٥م، الشافعي المتوفى ٢٠٥هـ/ ٨٢٠م، ومالك المتوفى ١٧٩هـ/ ٧٩٥م، ولذلك فإن بعضاً من الآراء في النقطة ٢، يحتمل أنها ترجع أو تنتمي إلى هذه الحقبة استعمال تعبير المرجئة من قبل الشيعة، ينظر نقطة ٨.

٢- ٧×-٨×١١، إن بعض المحدثين من المرجئة الأوائل قد اعتنقوا رأياً قد قبل به المؤرخون المحدثون – بأن محمداً قد توفي دون أن يترك وريثاً. فغياب حادثة سابقة مماثلة يعني أن المسلمين قد تُركوا أحراراً في تقديم آراء بشأن الطريقة السليمة في تعيين الخليفة. فالرأي (٧×١٣ وما يتبعها من الصفحات) أنه ينبغي أن يتم عمله بممارسة اجتهاد الرأي وهو تطبيق يبدو أنه يماثل ذلك الرأي لأبي حنيفة وأنصاره. أولئك الذين قالوا أنه ينبغي ذلك لأنهم كانوا أفرداً من طبقة الدواوين انجذبوا واهتموا بالفلسفة، وإن وجهة نظر بعض المعتزلة المتأخرين يفيدبأن محمداً قد عيّن الإمام بالوصف، أي أن قوله يتعلق الكفاءات التي ينبغي أن يتمتع فيها. وكان الرأي مشابهاً لرأي أبي الجارود (كما روي عند

---

[١٠٠] ينظر GAL (بروكلمان) الملحق رقم ١ ص٣١٩ وما بعدها؛ كذلك البحث في مجلة Oriens مجلد ٧ ص ٢٠٤؛ والبحث في مجلة Der Islam مجلد ٣٧ (١٩٦١) هامش ٤٣.

[١٠١] أما بالنسبة إلى المختصرات الواردة والمستعملة في البحث فهي:

* Ash.al-Ashari, Maqalat al-lslamiyyin in ed. H.Ritter, lstanbul 1929.
* Fried laender, I.

في بحثه باللغة الإنجليزية الموسوم (الهرطقة الشيعية) المنشور في مجلة JAOS مجلد ٢٨ (١٩٠٧) ص ١-٨٠؛ ومجلد ٢٩ (١٩٠٩) ص ١-١٨٣ (المشار إليها على التوالي ١، ٢).

* Lntisar= Al-Khaiyat, K.al- Infisar (ed. H.S.Nyberg, cairo 1925).
* Lewis, B.

في دراسته باللغة الإنجليزية الموسومة (أصول وجذور الإسماعيلية) المطبوع في كمبردج ١٩٤٠، والإشارة إليه اختصاراً

Lewis, lsma'ilism.

الأشعري ص ٦٧). وهذا قد يكون حقاً ممنوحاً أو امتيازاً للمؤمنين في (تعيين أو النص) بمعنى أن محاججة أو جدل الشيعة أو غيرهم هي محاججة ضدّهم ومثال على محاججة ضد الشيعة هي الآتي: الرأي على أن أبا بكر قد نصّ عليه وعيّن لأنه قد أم الناس إلى الصلاة.

وأهل الإهمال neglecters هم دون شك أولئك الذين قالوا أن محمداً لم يعدّ الترتيبات، وأن الاسم الذي يقدم من قبل خصومهم، أصحاب النصّ، وأن مناقشة مسألة الأفضل والمفضول تعود أو ترجع إلى جماعة من الزيدية. وإن مصطلح (إمامة المفضول) يبدو أن فرق الشيعة لم تستخدمها. دون شك، فإن هذا يرجع إلى سبب أنه كان أسلوباً تهكمياً ساخراً للإشارة إلى اعتراف الزيدية بأبي بكر، وهو استعمال قد استخدم فقط من قبل الخصوم. وأن غيابه من فقرة ٣ وفقرة ٧ أمر جدير بالملاحظة والانتباه.

٣- ×١٥-٩، ×٥ البترية (٧) وهي فرقة زيدية وأصحابها يسعون لتحقيق حل وسطي a compromise بين الشيعة وخصومهم بقولهم أن علياً أفضل، ولكن إمامة أبي بكر لم تكن خطأ، طالما أن علياً، عهد بها إلى كليهما (أي إلى أبي بكر وعمر)، (قارن بين الفقرة ١٨×١-١٦).

٤- ٩×٦-٩، سليمان بن جرير، الذي من المحتمل أنه ازدهر ونجح في النصف الأول من القرن التاسع الميلادي/ الثالث الهجري (وازن بين كتاب الانتصار ص ٨٩ وكتاب الأشعري ص ٧٠-٧٣م، وكان سليمان زيدياً، غير أنه، واعتماداً على هذا المقطع يبدو أنه انتقل أو تحول عن الرأي الزيدي المعتاد (كذلك ينظر الأشعري ٦٨×٥-٧).

٥- ×١٠-١٣، ابن التمّار وهو علي (بن إسماعيل) بن ميثم، وأنه لابد أن يكون قد عاش عيشة مرضية في النصف الأول من القرن التاسع الميلادي/ الثالث الهجري (ينظر فريد لاندرFried laender القسم الثاني ص ٦٠؛ الانتصار ص ٩٩) الأمر المحير هو أن ميثماً كان ضمن قائمة أسماء شيوخ الرافضة

(الانتصار ص ٦ وغيره)، غير أنه بسبب الآراء التي عرضت هنا يبدو أنه كان زيدياً. وإلى حدٍّ ما أفكاره متطابقة مع أولئك المذكورين في المقطع السابق الذين ينسبون إلى سليمان بن جرير. ويصفه ابن النديم في الفهرست (ص١٧٥) بأنه (أول من تكلم في مذهب الإمامة). ومن الواضح أن الفقهاء الشيعة في هذه الحقبة، كما ضمته قائمة الأسماء في كتاب الانتصار ص٦، لم يكن جميعهم من رأي واحد، ذلك لأن صاحب الفهرست يروي أو يدون عدداً من التفنيدات من قبل هشام بن الحكم. ولهذا ربما كان ابن التمّار ينتمي إلى مجموعة كانوا يعملون خارج التنظيم الرافضي، على الرغم من إنه نفسه كان ربما يعتنق آراءاً في هذه المسألة، كما هو الحال في عضو من أوائل المجموعة، التي كانت قريبة الصلة بالزيدية. أيضاً فإنه مما يستحق الانتباه إليه أن ميثماً لم يذكر بكونه قد قبل بالمذهب الزيدي (إمامة المفضول، أو الأقل درجة inferior ولعل السؤال الذي يسأل هو كيف تدبر أو نجح سليمان بن جرير أن يجمع بين مختلف الآراء المنسوبة إليه. ومهما تكن الحقيقة مضبوطة، فإن هذا المقطع يميل إلى تأكيد الرأي بأنه، خلال أوائل القرن الثالث الميلادي/ التاسع الهجري، وضعية الشيعة كانت وضعية رثة (وازن بين هذا وبين رأي فريدلاندر Fried Lander القسم الثاني ص ٦٠).

٦- ١٠ ١٠×١٠-١٢×٩. فالآراء هنا نسبت إلى المعتزلة بشكل عام ترجع ربما إلى أواخر القرن الثاني الهجري/ الثاني الميلادي، ويحتمل وصفها بأنها نفعية أو منفعية. فعمرو بن عبيد كان أقرب إلى الشيعة أكثر من الأعضاء الآخرين لهذه الفرقة، طالما أنه سلّم بأن علياً كان له الحق الأفضل في الإمامة.

٧- ١٢×١٠-١٦، وبينما يبدو أن الحسن بن صالح (المتوفى ١٦٩هـ/٧٨٥م، أنه العضو البارز جداً في البترية (فقرة ٣)، الفرقة التي اتخذت اسمها من اسم كثير النوّاع الأبتر، الذي من المحتمل أنه أسبق من ذلك التاريخ. فعن الرجال الذين سمّوا، فالتواريخ المتوافرة لوفياتهم هي بالنسبة إلى الحكم (قد توفي سنة

١١٤هـ/٧٣٢ وسلمة (قد توفي ١٢٣هـ/٧٤٠. وإذن فإن الفرقة ترجع جزئياً إلى الحقبة الأموية. وهذا دون شك يعني لماذا قد قبلت هذه الفرقة تماماً بإمامة أبي بكر وعمر، على خلاف مثلاً من سليمان بن جرير (الفقرة ٤)، الذي يعتقد بأن الاعتراف بهؤلاء الرجال غير صحيح.

٨- ١٥×١٣ وما يعقبها. وهذه جملة مهمة جداً. بما أنها تظهر كيف أن الشيعة ينظرون إلى المجتمع الإسلامي بحدود ٢٨٧هـ -٢٨٨هـ/٩٠٠م. فهناك أربع فرق، الشيعة والمعتزلة والمرجئة والخوارج؛ وأن هذا بقصد الانقسام الشامل الوحيد والمستثنى للأمة والمجتمع. فأين كان حينئذ السنّة؟ فإنه ليس أمراً مسلّماً فيه أنهم كانوا وكأنهم (الاورثودوكسين أو قويمي الرأي)، طالما أن الشيعة كانوا يعدّون أنفسهم هم المسلمون الحقيقيون. لهذا فلابد أن يكون السّنة موزعين بين الفرق الأخرى، وخاصة المعتزلة والمرجئة. فمن وجهة نظر الشيعة، إنهم أنفسهم كانوا المجتمع أو الأمة الحقيقيين، وذلك لأنهم كانوا يتبعون إماماً حقيقياً. وجميع الآخرين قد وضعوا الكتب المقدسة الموحى بها أولاً ، ولم يعدّوا الإمام ينزل عليه الوحي. أما الخوارج فقد قيدوا وحددوا الكتب المقدسة بالقرآن، لكن بالنسبة إلى الآخرين فإنهم شملوا الأحاديث أيضاً، وأنهم سمحوا بدرجات متفاوتة، باستخدام العقل فهذه الفرق الثلاث قد اختلفت في مواقفها من عثمان. فالخوارج أصّروا على أنه كان غير مؤمن وذلك بسبب ذنوبه. وأعتقد المرجئة بأن لابدّ من قبوله كمؤمن، وأن الحكم والقرار بالنسبة إلى ذنوبه تترك لله. وقال المعتزلة أنه كان في (وضعية وسط بين الإيمان والكفر) ومن وجهة نظر الشيعة لحقبة ٢٨٧-٢٨٨هـ/٩٠٠م، إذن، فإن أكثرية المسلمين المعاصرين آنذاك لابد أن يكون مرجئة، بالنسبة إلى اعترافهم بخلافة عثمان؛ وأن هذا لا يعني أنهم كانوا يعتقدون بآراء المرجئة، حول طبيعة وجوهر الإيمان، وفيما بعد عدّ ذلك هرطقة من قبل المجموعة الرئيسة من السنّة. أيضاً ففي ٢٨٧-٢٨٨هـ/٩٠٠م لابد أن نتذكر إن الأشعرية لم تكن

تظهر بعد، وأن جميع ذلك الذي كان واضحاً ومنظوراً كان عبارة عن مفاهيم متنوعة غير واضحة في عمل واتجاه المحدث.

٩- ١٥×١٥-١٧×١٦ افتتاحية هذا القسم، ولاسيما ١٦ وما بعد ما بعدها؛ تظهر كيف أن الظروف المتأخرة قد دونت استرداداً إلى الماضي. فالمؤلف يقدم أسماء أربعة رجال عرفوا بأنهم مؤيدين لعلي. بعدها استمر قائلاً أن هذه الفرقة، بعد وفاة النبي، فرقة الشيعة انقسمت إلى ثلاثة فرق، الفرقة الأولى لم يذكر اسمها، غير أن آراءها تستند أساساً على تلك الآراء الإمامية، ونقصد، أن لعلي الحق في الإمامة والحق في وضعه كنبي طالما أنه نصّ عليه مخصوصاً وبالاسم، وأنه قد حمي من الذنب ومن الخطأ، وله الأسبقية في اعتناق الإسلام وكان من آل بيت محمد. أن الانقسام إلى ثلاثة فرق هو انقسام ليس تاريخياً ويظهر هذا بنظرة إلى الفرقتين الأخريين، الفرقة الثانية (١٨×١-١٦) هي (البترية) التي ازدهرت في أواخر الحقبة الأموية وأوائل الحقبة العباسية، والفرقة الثالثة هي (الجارودية)، التي تحدّرت من زيد (المتوفى ١٢٢هـ/٧٤٠م)؛ والمسألة في الفرقة قد اختلفت مع الفرقة الأولى بعد موت الحسين، عدّوا أن هناك شورى أو مجلساً من ذريّة أو المنحدرين من الحسن والحسين. مثل هذا الرأي بالكاد قد اعتقد به قبل موت الحسن حوالي ٧٦هـ/٦٦٩، ولكن ربما لم تكن مقترحة حتى حقبة متأخرة جداً، طالما أن الجارودية كانت فعالة ونشيطة في عهد العباسيين (الأشعري ص ٦٧، ١٢-١٦).

١٠- ١٩×١-٧. تصّر الجارودية بأن الإمام الراشد والعادل لا ينبغي أن يبقى مختفياً، لكن يجب أن يقدم نفسه علناً يقود جيشاً. فالمسألة التي أشرنا إليها أعلاه بشأن الشورى، والبديل عنها (الأشعري ٦٧، ٩-١١) بأن محمداً قد نصّ على علي وعلى أبنيه، هذه ترجع إلى حقبة قبل عقيدة الإمامية في وراثة الأئمة، فهذه المسألة قد قبلت بصورة عامة. ويحتمل أن هذه كانت بأسلوبين في

الحكم أو تقدير إدعاء زيد لأن يكون إماماً. فإن كانت التعيينات هي التي من محمد لعلي ولأبنيه، فهذا سوف يعلن بأن ادعاء العباسيين أن يعينوا في الوراثة من ابن الحنفية غير وارد. وأن سلسلة من التعيينات لوالد زيد قد تم قبولها بصورة عامة. كان زيد قد أسس ادعاءه على ذلك. فالسكوت، وغياب الادعاءات أو المزاعم المضادة لزيد، تجادل وتحاجج بأنه ليس هناك من ادعاء لصالح والد زيد، علي، قد اتخذ (علي المتوفى ٩٨هـ/ ٧١٣م) أو أخيه محمد الباقر (المتوفى ١١٤هـ/٧٣٢) ولم يتّخذ ذلك حتى زمن متأخر في سنة ١٢٣هـ/٧٤٠م.

١١- ١٩×٨-٢٠×٩. والآراء المنسوبة إلى السبئية لابد أنها ترجع إلى العصر العباسي الأول (وازن بين ذلك وبين لويس في كتابه الإسماعيلية ص ٢٥). فأولئك الذين عدّوا علياً كإمام مختفي أو غائب ليس بوسعهم قبول أي وراثة للأئمة بعده، كذلك ليس بوسعهم أن يقبلوا أياً من ذريته كإمام مختفي أو غائب.

١٢- ٢٠-٣٧. الصفحات التالية تعالج بشكل رئيس الحقبة الأموية، فهي ليست بحاجة إلى تعقيب.

١٣- ٣٧×١٥-٤١×١٢. الرواية المهمة عن الخطابية قد درست بدقة من قبل برنارد لويس في كتابه أصول الإسماعيلية (ص ٣٢-٣٧) وفي هذا المغزى الحالي، فإن التساؤلات الحيوية والأساسية ينبغي أن تكون متعلقة بتفسير أو تأويل المادة. أولاً وقبل كل شيء علينا ملاحظة بأن بعض الروايات وبخاصة تلك في الفقرة ٣٨ صفحة ٧ وما بعدها من الصفحات وفقرة ٣٩ ص١٤ وما بعدها من الصفحات) التي تتحدث عن اعتبارهم الزنى والسرقة مشروعان— لابد أنها جاءت من خصومهم. لذلك فإنه من المحتمل أن بعض الأقوال الهرطقية جداً، على سبيل المثال، التي عدّت جعفراً هو (الله)، هي استدلالات معادية من العقائد التي هي أقل تطرفاً، العقائد عن تضمين النور في الأفراد.

وثانياً، يجب الملاحظة بدقة بأنه ليس هنالك من شيء عن سلسلة الأئمة التي ينصّ فيها كل واحد منهم من قبل سلفه. والاعتقاد الأكثر قرباً هو عقيدة (الموجودة في الفقرة ٤٠ ص١٠ وما بعدها من الصفحات) بأن هناك سلسلة من الأفراد حيث كان النور جزءاً لا يتجزأ فيهم، وكل واحد منهم يبعث خليفته. وأسماء الرجال هم: عبد المطلب، أبو طالب، محمد، علي بعدها هناك قفزة إلى جعفر، وأبي الخطاب. فمن الغريب أنه ليس هناك من أحد بين علي وجعفر. ويبدو أما أنه ليس هناك أهمية كبيرة تعلق على السلسلة كسلسلة، وأما أن الأسماء في السلسلة كانت تختلف وتتباين من تلك التي تم الاعتراف بها متأخراً من قبل الإمامية والإسماعيلية. إن تحويل الولاء (فقرة ٢٧ ص٧ وما يعقبها) من قبل السيد الحميري (المتوفى سنة ١٧٢هـ/ ٧٨٩م) من ابن الحنفية كإمام غائب إلى جعفر (المتوفى ١٤٨هـ/٧٦٥م- ولعله أيضاً كإمام غائب – توحي بأن ابن الحنفية ربما كان أحد هذه الحلقات. ثالثاً، فالعلاقة مع جعفر مسألة محيرة، لأن أبا الخطاب ربما أعدم في سنة ١٣٨هـ/ ٧٥٥م (ينظر لويس ص ٣٣) في الوقت الذي كانت فيه الآراء المنسوبة له تبدو وكأنها جاءت بعد موت جعفر. وان بزيغ والرجال الآخرين المذكورين هم دون شك بعد أبي الخطاب بقليل. ومهما كان تفسير هذا التحير (واللغز) فيبدو إن جعفراً لابدّ أنه كانت لديه علاقة بهؤلاء الأفراد. ورابعاً، فإن الأفكار أو الآراء المعتقد بها هي متطرفة – أي مطابقة النور مع الله، والتجسيد والتأويلات الغريبة للقرآن وغيرها. فبعض هذه الآراء قد اتخذت واختيرت من قبل الإسماعيلية المتأخرة، لكن لابد أن الشك يبقى إن كان هناك أي رابطة تنظيمية. فقد استعملت كلمة "متطرف" في هذا البحث لوصف جميع أمثال هذه الأفكار؛ وهي تقابل تقريباً الكلمة العربية (غلاة) أو (غالية).

١٤- ٤١×١٣-٤٧×٩. فهذا القسم المطول هو بخصوص العباسية والراوندية، وهي مهمة بشكل رئيس، لأنها تظهر كيف أن الآراء الشيعية قد طبقت

واستعملت إلى الآخرين أكثر من ذريّة علي وفاطمة. فالرأي الأصلي للعائلة العباسية كان هو أن الإمامة قد انتقلت إذ أوصى ابن الحنفية بوصية منه إلى آل العباس (فقرة ٤٢، ص ١١-٤٣ وغيرها). وفي عهد المهدي (حكم بين ١٥٨-١٦٩هـ/٧٧٥-٧٨٥م) وقد شعرت العائلة العباسية بأن هذا الرأي غير مرض وغير كاف، وادعت بديلاً عنه، أن محمداً عند موته انتقلت الإمامة إلى عمه العباس. وأن المحاولات في اعتبار القائد أبي مسلم كإمام غائب، وأن الخليفة المنصور كالله، ولكن هذا ليس بحاجة إلى تعقيب.

١٥- ٤٧×١٠-٤٨×٢ هذه الرواية عن فرقة التي اعترفت بإمامة علي زين العابدين، من وفاة والده في سنة ٦١هـ/٦٨٠م إلى وفاته سنة ٩٤هـ/٧١٢م، والرواية لا تحتوي على شيء الذي لا يعدّ جزءاً من الفرضية بأن هناك سلسلة متواصلة ومستمرة للأئمة. وليس هناك أسماء معاصرة أو حقائق تذكر.

١٦- ٤٨×٣-٦. وهذه الرواية عن فرقة اعتقدت بأنه ليس هناك إمام بعد الحسين (٦١هـ/٦٨٠)، ربما تتخذ كاعتراف لا بوجود فرقة محدّدة وواضحة بمثل هذا الرأي، غير أنه كان هناك بصورة عامة مثله بين أناس من الشيعة متعاطفين مع هذا الرأي. وأن رأي الجارودية (فقرة ١٠) التي انتعشت حوالي سنة ١٣٢هـ/٧٥٠م، بأنه كانت هناك شورى بعد سنة ٦١هـ/٦٨٠، يتضمن أو يستدل منها بأنه لم يكن هناك أمام متفق عليه اتفاق على نحو واسع بين سنتي ٦١هـ و ١٣٢هـ/٦٨٠-٧٥٠م.

١٧- ٤٨×٧-٥٢×٢. وهذه المعلومات الإضافية بشأن الزيدية هي مكررة إلى حدّ بعيد. وأن الجزء المهم كثيراً منها هو المناقشة فيما إذا كان العلويون بحاجة إلى أن يتعلموا أو أن تكون لهم معرفة وعلم دون تعليم (فقرة ٤٤×٧-٥٠×١٢) مثل هذا الجدل والمناقشة تتضمن بأن أولئك الذين اشتركوا ليس لديهم فكرة عن سلسلة من الأئمة معترف بهم. فالمؤلف يشير إلى أنه على الرغم من النظرية بأن جميع العلويين كان لديهم علم إلى حدّ الكمال، إلا أن

الأحاديث قد قبلت من أربعة أئمة منهم فقط (فقرة ٥٠×١-٣)، (قارن مع فقرة ٢٩-٧٤×١٤-٧٦×٧).

١٨- ٥٢×٦-٥٣×٨. القصة عن كيف تسلم عمر بن رياح الأجوبة متناقضة ومتضادة من الباقر، وأخيراً فإنه التحق أو ارتبط بالبترية، تعكس سلسلة من المحاولات بين البترية (وهي فرقة متفرعة من الزيدية) وخصومهم. وحينما تم المحاججة بأن الباقر ليس بوسعه أن يكون إماماً وذلك لأنه قدّم أجوبة متناقضة، فالجواب الذي قدم أن واحداً منها ناشئ عن التقية. وعن هذا فقد واجه رداً سريعاً بأنه ليس هناك حاجة إلى التقية في كلتا الحالتين، طالما أنه لم يكن هناك أي شخص حاضر. وباختصار، فإنه لم يعدّ هذا جواباً ملائماً ومناسباً، وأن الشخص الذي يقوم بعمل مثل هذا، ولم يعرض رأيه بصراحة، لا يمكن أن يكون إماماً. وحالياً فليس هناك من سبب للشك بأن هذه كانت محاججة حقيقية بين البترية وبين خصومهم. والمشكوك فيه هو الاتصال المباشر أو الاحتكاك بين عمر والباقر. وذلك لأمر واحد، هو أن الباقر قد توفي حوالي سنة ١١٤هـ/٧٣٣م (أو يحتمل ليس أبعد من ١٢٠هـ/٧٣٧م) غير إن البترية يحتمل أنهم لم يكونوا نشيطين حتى بعد ١٣٢هـ/٧٥٠م. ومرة أخرى، فإن التضارب الحقيقي من القصة هو أبي عمر ومحمد بن قيس (الذي يبدو أنه كان غير معروف) ولم يذكر شيئاً عن المسألة الدقيقة والمحددة عن تباين واختلاف أجوبة الباقر بصددها؛ وتوحي هذه بأنها ربما تكون مثالاً افتراضياً، hypothetical، وأنه أصلاً ليس هناك في الواقع اسم قد ذكر لإمام. وأن عالماً متأخراً، الذي افترض وجود سلسلة الأئمة قد أدخل الباقر كاسم مناسب بالنظر إلى تاريخ عمر. فإن كان الباقر مشتركاً في محاججة حقيقية، فلماذا لم يحاول أن ينطق شيئاً أكثر عن المسألة؟ فهذه النقاط الملتبسة والمشكوك في صحتها في هذه القصة تعني بأنه ليس بالضرورة بحد ذاتها اعتراف بسلسلة من الأئمة بحدود سنة ١٣٢هـ/ ٧٥٠م.

١٩- ٥٣×٩-٥٥×٦. (أما بقية المرافقين للباقر فقد استمروا يعتقدون في إمامته حتى موته... وبعد ذلك انقسمت فرقته إلى فرقتين): إحداهما اعترفت بأحد ذرية الحسن بن علي إماماً، ويعرف بالنفس الزكية، هذه الروايات أو الأقوال تظهر كيف أن الأفكار الإمامية تعمل بمهارة وحذق read back in to the past والمعتقد أنه كان هناك مجموعة كبيرة ممن اعترف بإمامة الباقر، وأن بعضاً منهم قد تخلوا وانضموا إلى البترية. والآن، وبعد موته، وجد بعضهم الآخر ممن تحول إلى النفس الزكية. ويتساءل المرء عن ما هية الأسباب المبررة التي جعلت القسم الأعظم يعترفون بالباقر كإمام. هل كان ذلك له علاقة بالنص؟ فإن كان كذلك، فكيف تَخَلّو عن نظرية النصّ بسهولة كهذه؟ أما إن كان الجواب كلا فهل بوسع المرء القول أنهم اعترفوا وأنهم ليسوا مُجَرد إلاّ رجالاً متعاطفين من الشيعة؟ فليس لدينا ها هنا دليل لدعم هذا الرأي بأن حوالي ١٣٢هـ/ ٧٥٠ كان هناك سلسلة من الأئمة المعترف بهم.

٢٠- ٥٥×٧-٥٧×٢. هذا القسم بشأن إمامة جعفر هو في الواقع استمرار للجدل بين الزيدية وخصومهم. ذلك الذي سبق ملاحظته في (فقرة ١٨٥). وهنا هناك بالإضافة إلى الهجوم على التقية، هجوم على البداء، وهو العقيدة بأن الله بدّل وصيته إلى رجل. وهذا يؤشر إلى أن الأئمة للخصوم مع هذين المفهومين ويطلق عليهم (الرافضة) لا يمكن فهمه أو إدراكه إطلاقاً. طالما أن سليمان بن جرير قد انتعش في النصف الأول من القرن التاسع الميلادي/ الثالث الهجري، أو حتى أكثر من ذلك، بعد الأحداث. وأن الخطأ المزعوم عن جعفر بشأن إسماعيل، هكذا كان قد استخدم مجرداً كمثال. وأن الحقيقة الصلبة أو الثابتة أكثر التي تظهر من القصة هي، بحدود زمن سليمان (٧٢٥-٨٤٠م/ ٢١٠-٢٢٦هـ) كان الرافضة يناقشون فيما إذا كان جعفر قد أشار إلى إسماعيل، وهي ربما توضح أن هذا كان مبكراً، بما أن التعبير أو المصطلح (نصّ) لم يستخدم، ومن المحتمل أن الرافضة كانوا يردون على مزاعم إسماعيل

بأن جعفراً قد عيّن إسماعيل بتأكيد موت إسماعيل قبل جعفر. (فعقيدة البداء قد نوقشت كثيراً بحوالي منتصف القرن التاسع الميلادي/ منتصف القرن الثالث الهجري وذلك بما يتعلق بالقضاء والقدر predestination؛ ابن قتيبة مختلف الحديث ص ٧؛ الانتصار ص ١٢٧-١٣٠؛ قارن ذلك بالبحث الموسوم (بداء 'Bada) في دائرة المعارف الإسلامية (طبعة جديدة). وربما يندهش المرء أيضاً فيما إذا كانت الاعتراضات على مبدأ التقية والبداءة لهما علاقة أو صلة مع الاعتراضات بالسياسة المتكتمة والمتقلبة للحكم العباسي.

٢١- ٥٧×٣-١٥. الاعتقاد بإن جعفراً لم يزل على قيد الحياة وأنه سيرجع يمكن أن يكون اعتقاداً ظهر بعد موته. وأنه يتضمن بأن أولئك الذين آمنوا واعتقدوا لم يعترفوا بأي وريث أو خليفة له. ومن المحتمل أيضاً أنهم لم يعترفوا بسلسلة الأوصياء السابقين (قارن مع فقرة ١٣).

٥٧×١٦-٥٨×٨. الآراء هنا قد وصفت وكأنها إسماعيلية (بحتة) وهي تشابه بما قيل في التعقيب في الفقرة (٢٠)، ويبدو أن هذه الآراء ليست بحاجة إلى مَنْ يعتقد بها قبل سنة٨٢٥-٨٤٠هـ ٢١٠-٢٢٦هجرية.

٢٢- ٥٨×٩-١٦ هذه الرواية عن المباركية تَعرُض وتقدّم جدلاً أو محاججةً جديدةً؛ أي أنه بعد الحسن والحسين، لا يمكن للإمامة أن تنتقل من الأخ إلى أخيه، ولكن يجب أن تنقل من الأب إلى الابن. وهذا يعني أنها لا يمكن أن تنتقل من إسماعيل لأي من أخوانه. والحالة والنتيجة الطبيعية فإن الإمامة لم تنتقل من الحسين إلى ابن الحنفية. وعصب الجدل أو وقوة الجدل – والنتيجة العملية التي يناقش أو يجادل فيها أولئك هكذا كانت مهمة – هي رفض أو إنكار إمامة أخوان إسماعيل. وأن بعضاً الآن أو حالياً من هو مهتم بإمامة ابن الحنفية. قد أقلع أو تخلى العباسيون عن مزاعمهم بأنهم من خلاله بين سنتي ٧٧٥ و ٧٨٥م/ ١٥٨-١٦٩هـ. وأن المعتقدين بالأئمة المختفين أو الغائبين، الذين كانوا يعدّونه كصلة بين الحسين وجعفر الصادق، تحولوا الآن إلى جعفر

وآخرين؛ ولذلك فإن رفض ابن الحنفية لم تكن له أية نتائج جدية. وكان أيضاً التوكيد أو الجزم المماثل لإمامة علي بن الحسين هو مسألة أو موضوع نظري وغير عملي academic– شيء هو (علي وفق فرضيتنا) لم يتأكد قبلاً، والذي يفهم أنه ليس هناك شخص كان مهتماً في الإنكار أو الرفض. في حين أن طبيعة هذا الجدل ومضامينه ليست واضحة، أو أن تاريخها الذي رشح أو قدّم هو مع الأسف غامض أو غير واضح. ليس هناك شيء بالنسبة إلى مبارك، الشخص الذي صار اسمه اسماً للفرقة. وفي أي وقت تأكدت فيه إمامة أبناء جعفر، ولاسيما موسى؟ فقد اقترح أنه هناك بعض الجدل، على الأقل بحدود الحقبة ٢١٠هـ- ٢٢٦هـ/٨٢٥-٨٤٠، عن الحقيقة أن إسماعيل قد توفي قبل جعفر. فإن كان هذا قد ترافق مع التوكيد بأن أبناً آخر لجعفر كان إماماً، وأن هذا يرجع إلى حوالي الحقبة نفسها. فهذا يوحي أولاً وقبل كل شيء، أن بعض (الإسماعيليين الخلّص) أثبتوا وأكدوا أن إسماعيل قد ورث أو أعقب جعفر. وبعدئذ، أجاب الرافضة بأن إسماعيل قد توفي قبل جعفر (فإن كانت هناك احتمالية للشك حول هذه المسألة، وجواب الرافضة قد وضعهم عرضة لهجوم الزيدية. وأنهم من المحتمل أكدوا بأن جعفر قد أعقبه ابنه موسى الكاظم. وردّ الإسماعيلية على هذا الموقف بنظريتهم بأن الإمامة لا تنتقل من الأخ إلى أخيه، وهكذا فإنهم ضمنياً يقدمون أو يرشحون الرأي أنه يجب أن تكون هناك سلسلة من الأئمة (فالجدل بشأن الإخوان مناسب أيضاً وملائم بالنسبة إلى وراثة الحسن العسكري في سنة ١٦٢هـ/٨٧٤ (قارن فقرة ٢٧ في أدناه).

٢٣- ٥٨×١٧-٦٠×١٦. هذه رواية عن الانبثاق الواقعي للخطابية بحوالي ١٣٨/٧٥٥م. فالمشكلة هي المعرفة والتساؤل حول شخص قد مات في سنة ١٣٨/٧٥٥هـ يعتقد بآراء حول ما حدث بعد وفاة جعفر في سنة ١٤٨هـ/٧٦٥.

٢٤- ٦١×١-٦٤/١٤. لقد تم وصف القرامطة هنا على أنهم قد ادخلوا فكرة الأئمة السبعة؛ ولكن آراءهم المتطرفة ليست بحاجة إلى مناقشة. والمقطع بشأن رفضهم إمامة موسى بن جعفر (المتوفى ١٨٣هـ/٧٩٩م وذريته، توحي بأنه قد توفي بالفعل).

٢٥- ٦٤×١٥-٦٥×٧. الفرقة التي ادّعت أن محمد بن جعفر هو الإمام غامضة جداً. وأنها ربما قد وجدت، إن كانت حقيقة قد وقعت، فتكشف أن هناك عدم اعتراف جمعي على أي من أبناء جعفر مباشرة بعد موته.

٢٦- ٦٥×٨-٦٦×٨. الفرقة التي اتخذت ابن جعفر عبد الله إماماً أيضاً غامضة وغير واضحة. والجدل على أن الإمام يجب أن يخلفه ابنه الأكبر إن هي إلا حركة باتجاه الاعتراف بسلسلة من الأئمة، غير أنها لم تذهب من المباركية. وأن بعض الجدل بشأن عبد الله هي بوضوح ترجع إلى حقبة بعد سنة ٢٦١هـ/٨٧٤م، طالما أن عبد الله بن بكير قد جعلهم متقدمين أو سابقين بالنسبة إلى رأيه بوراثة الحسن العسكري. والفرقة أيضاً ترتبط بعمار بن موسى (الأشعري جزء ١ ص ٢٨) الذي كان يعتقد بآراء مماثلة لآراء عبد الله بن بكير (٦٧×٣ فقرة ٢٧) ويحتمل أنه كان معاصراً. وهكذا فإنه ليس من المستحيل أنه قد سمع عن إمامة عبد الله حتى سنة ٢٦١هـ/٨٧٤م.

٢٧- ٦٦×٩-٦٧×٧ الرأي بأن موسى كان إماماً بعد أبيه جعفر قد وصف بأن العلماء الشيعة البارزين قد اعتقدوا به. ولسوء الحظ، فإنه ليس من الواضح في أي من التواريخ أن هؤلاء الأشخاص اعتقدوا بهذا الرأي. قال أبان الذي توفي في سنة ١٤١هـ/٧٥٨ قبل جعفر (الفهرست) ولهذا شيء لا ينبغي أن يكون خطأً هنا. قال جميل الذي مات في أيام الرضا، أي من المحتمل قبل وفاته في سنة ٢٠٣هـ/٨١٨ بمدة قصيرة وإن الشخصين باسم هشام يحتمل قد انتعشا من حوالي سنة ١٨٤هـ/٨٠٠م إلى ٢١٠هـ/٨٢٥م.. وأنه ليس محتملاً أن الحدث الذي وضع أو عدّ أكثر هذه النظريات، نظريات الإمامة، في حركة

كانت باختيار الخليفة المأمون علي الرضا الوريث(*) الشرعي في سنة ٢٠١هـ/٨١٦م. وحتى هذه النقطة، هناك احتمال بعدم وجود زعيم معترف به للعلويين. ومهما يكن فإن هذه الحادثة قد أجبرت أشخاصاً من المتعاطفين الشيعة على أن يتخذوا قراراً. أما إلى جانب علي أو ضده. والقائمة في هذا القسم الحالي ربما قد استندت على الافتراض بأن الأشخاص الذين وافقوا على اختيار المأمون لعلي لابد أنهم قبلوا أيضاً بإمامة أبيه موسى. وواقعياً، يبدو أن اختيار المأمون لعلي قد أثبت خيار الشيعة على هذا الخط بشكل خاص، وأنه ربما جعلهم يختارون إسماعيل. ومما يستحق الذكر أن عبد الله بن بكير، الذي ذكر في نهاية الجزء من هذا القسم، أنه أيضاً قال (ينظر في أدناه ص ٩٣) أنه استخدم وراثة عبد الله لموسى أخيه على أنه متقدم أو سابق لوراثة أخوانه في سنة ٢٦١هـ/٨٧٤. وهكذا فإن إمامة عبد الله (الذي يقال أنه توفي في سنة ٧٦٥/١٤٨) قد تم الجدل حولها في سنة ٨٧٤/٢٦١؛ ولا يسع المرء إلا التعجب او الاندهاش بأنه جدل ربما لم يقع قبل ذلك الوقت.

٢٨- ٦٧×٨-٧٢×٦ التوريث إلى موسى (المتوفى ٧٩٩/١٨٣) مهم بشكل رئيس وذلك لأنه يكشف أو يظهر قدراً مهماً من المسيحية Messianic. ويصرف النظر عن الفرق التي قبلت بإمامة علي الرضا، فالفرق التي ذكرت هي فرق مسيحية Messiamic والأكثر منها تبدو أنها من الناحية السياسية مسالمة وهادئة quietist، غير أن واحدة منها (في الحقبة ٦٨×٣-٦) ادّعت بأن لها زعماء يتصلون بالإمام الغائب، وأن هذا قد يعني نشاطاً سياسياً ثورياً. ويحتمل أن موسى قد ألقي في السجن لأنه كان على صلة بالجماعات الثورية. وأنه من الممكن بأن بعضاً من هذه الآراء قد تم الاعتقاد بها بعد حقبة قصيرة من وفاة موسى – وأحد هؤلاء الأشخاص رجل يسمى يونس بن عبد الرحمن (فقرة ٦٩×٢)، وقيل أنه توفي في سنة ٢٠٨هـ/٨٢٣. وكذلك من الممكن، على

(*) Hein-zppavenx تترجم الوريث الشرعي/ لكن المأمون لم ينصب الإمام وريثاً شرعياً إنما ولياً للعهد، وهذا يتضارب مع رأي وأت.

أية حال، أن بعضاً من هذه الآراء قد استمرت لمدة أطول. وأن الجماعة الأخيرة قد ذكرت (فقرة ٧٠×٥-٧١×١٠) وهي (المتطرفة أو الغلاة) الذين اعتقدوا بالتقمص transmigration وأفكار مماثلة. وجميع أولئك الذين اعتقدوا بأن موسى هو القائم المهدي قد اعتقدوا بسلسلة الأئمة التي انتهت به، فهي ليست بحاجة إلى الاعتقاد في السلسلة الاعتيادية قبل موسى. وأن الاقتراح بأن وراثته ينبغي أن تدعى (الخليفة) (فقرة ٦٨×١٥) وهي من المحتمل أن تكون محاولة لإظهار الموافقة على تعيين علي كوريث شرعي.

٢٩- ٧٢×٧-٧٧×٤. ويتعامل هذا القسم مع الوضع أو الوضعية بعد موت علي الرضا في سنة ٢٠٣هـ/٨١٨ فقد ترك أبناً هو محمد الذي كان عمره سبع سنوات فقط. فبعضهم قيل أنهم قد اعترفوا بإمامته؛ ولكن ثلاثة خطوط أو ثلاث سلاسل كرسوا أو وقفوا على هذا، ولذلك يبدو أنه مجرد استدلال من المفهوم عن سلسلة الأئمة، وهذا الرأي بأن علياً قد أعقبه أخاه أحمد (فقرة ١١٧٢×١٣) يظهر أنه جزء من الجدل بشأن الوراثة بين الأخوان الذي قد تطور بعد سنة ٢٦١هـ/٨٧٤ (قارن فقرة ٢٦). وأن بعضاً من أولئك الذين كانوا يتطلعون إلى رجعة موسى يبدو أنهم قد قبلوا علياً، غير أنه بعد موت علي عادوا أو رجعوا إلى توقعهم في رجعة موسى (٧٢×١٤-١٦) ومماثلة مع ذلك، فإن بعض الزيدية قبلوا بعلي، ويحتمل بعد أن أصبح الوريث الشرعي، ولكنهم رجعوا إلى الزيدية بعد موته (فقرة ٧٣×٤-٧). فطفولة محمد صارت مناسبة وفرصة للجدل والمحاجة (فقرة ٧٤×١٤-٧٦×٧) حول كيفية أن يأتي للإمام علوم العصمة (يقارن بفقرة ١×٧) ولعل هذا هو جزء من الجدل الذي كان دائراً بين الشيعة وخصومهم، حيث أن الخصوم كانوا يحاولون أن يظهروا بأن الزعم أو الإدعاء بأن الإمام معصوم هو إدعاء سخيف (يقارن فقرة ١٨)، وأن الحقبة التاريخية للجدل يحتمل أن تكون متأخرة جداً.

٣٠- ٧٧×٥-٦٨×١٢. هناك القليل المروي عن علي الهادي (أو التقي) الذي كما كان مدعياً أنه قد اعترف به إماماً من سنة ٢٢٠هـ/٨٣٥ إلى ٢٥٥هـ/٨٦٨، ولذلك فنحن نلجأ إلى الافتراض أنه كان هناك قراراً قليلاً من النشاط والحيوية حوله. والقسم الثاني من الرواية يصف أصل حركة النصيرية، ويظهر كيف كانت الأفكار (الغالية) يمكن أن تصح وتطبق على زعيم علوي.

٣١- ٨٧×١٣-٧٩×١٥. والإمام الآخر هو الحسن العسكري (المتوفى ٢٦١هـ/٨٧٤م. والمتنازعون أو المتنافسون هم أخوه محمد الذي توفي قبل والده، ولكن كان يتوقع رجعته لمهدي، وكذلك لجعفر. وأن جعفر ووالده كانا تحت مراقبة دقيقة من العباسيين.

٣٢- ٧٩×١٦-٩٤×٣. وما تبقى من الكتاب لعله تقليدياً يعالج كقسم مفرد. فهو يصف الثلاث عشرة فرقة تلك التي ظهرت بعد وفاة الحسن العسكري في سنة ٢٦١هـ/٨٧٤م (وقيل أن هناك كانت أربع عشرة فرقة، ولكن إن كان الأمر كذلك، فإن وهدف الفرقة الرابعة عشر يكون قد ضاع؛ وهي ليست فرقة الإسماعيلية، بما أن الأربع عشر فرقة تحدرت من أولئك الذين يحسبون على أنهم الأئمة الذين قبلوا قيمة في الكتاب. وهذه من بعض الجوانب يعدّ من أكثر الأجزاء قيمة في الكتاب، طالما أنه يتعامل مع معلومات معاصرة إلى حدّ ما، وأن تفضيل المؤلف هو مع الأثني عشر فرقة تلك التي سماها (الشيعة الإمامية الحقّة) والسمات المميزة للفرق يمكن الإشارة إليها باختصار:

١-الحسن العسكري لم يمت، لكنه غائب، وأنه قائم آل محمد. ويزعمون أهم يختلفون عن أولئك الذين يعتقدون بموسى أنه إمام غائب أيضاً (فقرة ٦٩×٨-٧٠×٤ الخ) من الحقيقة بأن العسكري قد توفي من دون أن يترك وريثاً.

٢-الحسن العسكري قد توفي غير أنه رفع إلى أعلى ليعيش، وأنه القائم المهدي، وذلك لأن العالم لا يمكن أن يكون دون حجة وقائم.

٣-والإمام بحسب وصية العسكري هو أخوه جعفر. وأن العداء الظاهر بينهما كان ظاهراً فقط؛ وأما في الباطن فكان تفاهماً مشتركاً.

٤-جعفر هو إمام في أعقاب والده علي الهادي، وأن إدعاء العسكري هو إدعاء باطل ولا أساس له من الصحة، طالما أنه توفي من دون أن يترك وريثاً (وهو جدل يوحي أنه لم يحصل الأعلى اعتراف قليل خلال حياته).

٥-وبما أن العسكري قد توفي من دون وريث، وبما إن جعفراً كان شخصية تستحق اللوم blame worthy فإن الإمام بعد علي الهادي والقائم المهدي، يجب أن يكون أخوهما محمد بن علي، الذي توفي قبل والده.

٦-الإمام هو محمد، ابن العسكري، الذي ولد قبل وفاة والده بسنتين؛ وأنه في الغيبة.

٧-الإمام محمد (في الغيبة) غير أنه قد ولد بعد ثمانية شهور من وفاة والده.

٨-العسكري ليس له أبن، وإن المحاججات حول الابن الغائب أو المختفي مرفوضة (وبعضهم في الظاهر لمّح إلى مدة الحمل أطول من تسعة شهور).

٩-العسكري قد توفي وفي هذه الحقبة ليس هنالك من إمام، لكن القائم سيرجع.

١٠-الإمام الحادي عشر محمد بن علي (كما هو في الفرقة الخامسة)، لكنه جعل شخصاً يدعى نفيس وصيه وأن نفيس قد سلّم الإمامة إلى جعفر.

١١-توفي العسكري، ومكان وفاته ليس واضحاً، غير أن الأرض لا تخلو من حجة.

١٢-هناك حجة ووصي وهو ابن العسكري، وبما أن الإمامة لا تنتقل من الأخ إلى أخيه بعد الحسين فهي لا تكون لرجل لم يكن والده إماماً (ويحتمل أنه جدل ضدّ الإسماعيلية) لا يمكن أن ينقل من حجة لشخص قد توفي زمن والده (ضدّ الفرقة العاشرة، أو ضدّ الإسماعيلية) وهذا الحجة هو في غيبة، وذلك لأن العالم لا يمكنه الوجود من دون مثل هذا الشخص، غير أنه محرم البحث عنه

قبل أن يظهر هو نفسه (وهكذا فإنه أصبح واضحاً إن الفرقة لم تعمل بنشاط وفاعلية ثورية).

١٣-الإمام هو ليس أخ العسكري جعفر، والقول عن الإمامة لا تؤول إلى الأخوان بالإرث ينطبق فقط عندما يكون الأخ الأكبر لا أبن له.

والسمة الأكثر أهمية لهذه القائمة هي إنها مضلة وغير صحيحة تماماً All-pervasive، ولها ميول مسيحية Messianic والاعتقاد الأساس بالضرورة والحاجة، من أجل ضمان أو صيانة وجود العالم، بأنه لابد من وجود إمام، حتى وإن لم يظهر ولم يعرف. وأن الاستثناء هو الفرق التي اعترفت بجعفر، الذي لابد أنه ولد بعد سنة ٢٣٣هـ/٨٤٧م ولعله ظل حياً في القرن العاشر الرابع الهجري. وضمن الأفكار المسيحية، فالمرء بوسعه أن يميز أولئك المعنيين بترك المسألة غامضة، ولاسيما الفرقتين العاشرة والحادية عشر، وأولئك الذين حاولوا أن يجدوا مجادلات لعرض فكرة أن شخصاً بعينه هو الإمام. وبعض المجادلات بشأن السلسلة الماضية للأئمة أن هي إلا محاولات لتأسيس رأيٍ في الحالي أو الحاضر، مثلاً، أما التوكيد أو التكذيب والرفض لإمامة جعفر. ولكن مع ذلك لماذا أي شخص أراد توكيد إمامة جعفر لم يكن واضحاً في رأيه. فيبدو أنه من غير المحتمل أنهم أرادوه كزعيم حقيقي. وكذلك احتمالية أنهم يستثمرون هذا التوكيد كوسيلة مضاددة بعض الرأي لخصومهم بأنهم لا يريدون. وربما أن ما لا يريدونه هو مفهوم الإمام في غيبة. واستعمال الباطن (فقرة ٨٢×٢) يجعل المرء مندهشاً أن كان هؤلاء قد انجذبوا إلى شكل من الإسماعيلية.

ملاحظات ختامية:

بقي علينا أن نحاول وضع مخطط، باختصار وإيجاز، بصورة التطورات التي ألقينا عليها نظرة خاطفة ومبهمة خلال هذه التفصيلات جميعها. وعلى الرغم من أن السمة الافتراضية لكثير من المجادلات والمناقشات، فإن عدداً من النقاط المعينة يبدو أنها متفق عليها وموثوقة بشكل نسبي.

أولها، إذن هناك حضور للأفكار المسيحية messiansm بما يعني توقع شبه إلهي، أو منجي ملهم أو موصي إليه. وهذه الفكرة وجدت خلال الحقبة الأموية وبقيت قوية عندما تم تأليف كتاب فرق الشيعة بحوالي سنة ٢٨٧-٢٨٨هـ/ ٩٠٠م. وكانت دينية بشكل أساسي، انبثقت أو انطلقت من الحاجة في أن تأمين حياة الرجل في الدنيا كانت لها معنى وذات هدف؛ وأن هذا التأمين والسلامة جاءت من المعتقد الثابت بأن المنجي deliverer سوف يأتي ليطبق كل ما حق وصحيح. واعتيادياً، فإن الفكرة المسيحية كانت من الجانب السياسي ساكنة ومنعزلة quietist، غير أنه في مناسبات وأحيان أخرى فإن زعيماً قوياً يدّعي أو يزعم بأنه الإمام أو رسول أو مبعوث الإمام وأنه سيدعو أو يعلن عن عمل ثوري. وقد تحققت وأنجزت هذه النقلة في العمل الناشط في السياسية بالقول بغيبة الإمام وأن الإمام الغائب سيرجع، أو أنه على وشك الرجوع والعودة من غيبته. وكانت هذه الناشطية في السياسة على العموم استثنائية، ويبدو أنها ترتبط كثيراً بالأفكار المسيحية المعتدلة مما هي مرتبطة برأي الغلاة الذي أصبحوا فيما بعد الإسماعيلية، والتي تضمنت أو شملت مفاهيم كتقمص الأرواح والتضمين الإلهي في الأشخاص inherence وينبغي ملاحظة أن الأفكار المسيحية تتضمن أو تدل على عدم وجود إمام ناشط، ما عدا إذا أصبحت هذه الأفكار ناشطة؛ معترف به من معاصريه. وحيثما هناك من يزعم أو يدّعي الأفكار المسيحية وذلك بأن شخصاً محدداً هو الإمام في الغيبة، فإنهم ربما يبررون هذا بالحديث عن

سلسلة الأئمة وبأنه الإمام الأخير؛ إلا أن الافتراض المسبق لهذه السلسلة تبقى مستمرة إلى الوقت الراهن.

وثانيهما، كان هناك ناشطون خلّص، أي زعماء حقيقيون لثورات وأتباعهم أو أنصارهم. جميع ذلك كان ضرورياً في أن يكون الإمام زعيم فاعل، وإما أن يكون فرداً من الآن (العائلة) وأما أن يدعي كونه ممثلاً لمثل هذا الشخص. وإلى حقبة الفاطميين، هناك ذكر قليل لأفكار أو آراء فقهية. وهناك اهتمام قليل في إبراز أو إظهار أن الزعيم الأخير في سلسلة الأئمة المعترف بهم. وبعد إخفاق ثورة. فربما هناك ملاذاً ما للأفكار المسيحية لشرح بيان أسباب ذلك الفشل والإخفاق وإعطاء أو وتقديم أمل جديد (كما هو الحالة في الفرقة الزيدية الجارودية عند الأشعري جزء ١ ص ٦٧×١٢×١٦).

وثالثهما، هناك إشكالية فيما إذا كان هناك معتدلون ممن لم يكونوا ذي أفكار مسيحية ولم يكونوا ناشطين، مع ذلك يعترفون بسلسلة الأئمة، الذي يكون من بينهم الإمام الأخير وهو حي وغائب. ويوحي الإحساس العام والعادي أنه وفي عهد العباسيين، فإنه من المستحيل الاعتراف بشخص حي معترف به كإمام، ما لم يكن ضمن حركة ناشطة تعمل في السر. وبمعزل عن هذا، فربما إن إمكانية الاعتراف بشخص رأس للعلويين (أو للفرع الحسيني من آل البيت العلوي) غير أن هذا هو أبعد مما هو اعتيادياً المقصود بالاعتراف بإمام. وأن فحصاً وبحثاً دقيقاً للأقوال والأحاديث في كتاب فرق الشيعة يظهر غياباً مطلقاً أو تماماً لأي دليل جدي وحاسم لاعتراف واسع الانتشار للأئمة خلال حقب حياتهم. وأن مثل هذا الاعتراف لا يمكن تمييزه كمؤشر لأي شيعة معتدلين.

ومع ذلك فقد بدأ بأن هناك عدداً من العلماء الذين يحتمل وصفهم (كمعتدلين) وأحد هؤلاء العلماء هشام بن الحكم، الذي كان حياً ونشيطاً حوالي الربع الأول من القرن التاسع الميلادي/ الثالث الهجري. ويتحدث لنا الأشعري وآخرون بأن كثيرا من الآراء التي كان يؤمن بها هشام متعلقة بالمسائل والإشكالية الفقهية أو

العقائدية؛ غير أن القليل من المعلومات قد رويت بشأن آرائه عن الإمامة. فالمسألة الرئيسة كما يبدو كانت من أكثر النقاط أو المسائل هي بشأن الصحابة فإنهم كانوا مخطئين بعدم اعترافهم بعلي في سنة ١١هـ/٦٣٢م. وترافق هذه النقطة رأيه بأن النصّ القرآن قد حرّف وأنهم ليس موثوقاً أو يعوّل عليه (الانتصار، ٤١، ١٣٩). حالياً فإن هاتين المسألتين كلاهما يتضمن وينطوي على هجمات أو مهاجمات على المحدّثين السنة والفقهاء السنة؛ إذ أن آراءهم قد استندت بصورة رئيسة على القرآن والأحاديث، وإن كان القرآن محرفاً وإن الرواة أو النقلة الأوائل للأحاديث غير ثقة ولا يركن إليهم، فلم يبق إذن إلا القليل. مثل هذا الموقف السياسي ينطوي أو يتضمن أيضاً القبول بالحكم العباسي، كما أن الاهتمام الرئيس كان المحافظة ودعم وتحسين مكاناً وموضعاً ضمن البنية المتواجدة. فالعلماء، إذن، الذين كانوا يعتقدون بمثل هذه الأفكار، لم يكن بوسعهم أن يكونوا ناشطين بمعنى كانوا يعملون على إسقاط نظام الحكم.

ويبدو أن الاحتمالية الرئيسة المتبقية بأنهم كانوا من الأشخاص الذين يؤمنون بالأفكار المسيحية، إلا أن بطريقة غامضة وغير دقيقة ومبهمة، أي عدم توقعهم برجعة أحد الأشخاص المعنيين. وأن الفرقة التاسعة والحادية عشرة، في فقرة (٣٢) كانوا ذا أفكار مسيحية غير دقيقة وغامضة في هذا المجال؛ والواقع فإن الفرقة الثانية عشر (للأئمة الحقيقيين) هي أقل غموضاً عما هو الحال بالنسبة للإمامية المتأخرين الذين صاروا مجرد قولهمإنه لابد للإمام أن يكون أبناً للإمام الأخير. وهناك ثمة تبرير للتفكير بأن هناك مجموعة من الناس ممن أقرَّ، بطريقة مبهمة أو غامضة، بعقيدة رجعة المهدي، لكنه لم يعين هويته بأي شخص محدد، ولعله أيضاً لم يلحق أو لم يعلق أهمية مفرطة للعقيدة. ويحتمل أن هؤلاء كانوا يشكلون القسم الأكبر لأولئك الذين ادّعى الإمامية المتأخرون على كونهم اتباع الأئمة خلال حقب حياتهم؛ إلا أن هذا الإدعاء هو بشكل تام تقريباً دعاية أو إعلام متأخر.

بدأ الزيديون حياتهم كناشطين وخصوم مفهوم أو مبدأ غيبة الإمام؛ ولكنهم بعد فشلهم فإن بعضهم على الأقل قبلوا بالمبدأ. وسمتهم المتميزة، على أية حال، كانت قبول خلافة أبي بكر وعمر؛ وأن لهذا تضمين بأن الأحاديث السنية كانت مقبولة وموثوقة. ولعل أكثرية الزيدية ظلوا مستمرين كناشطين، في بعض المعنى تأييداً للدولة العباسية وسياستها التصالحية، وعلى الأقل إلى أن تبدلت سياسة العباسيين سنة ٢٣٥هـ/٨٤٩م.

وهناك إشكالية أخرى، وهي إشكالية صعبة جداً، ألا وهي كيف ومتى صار فيها سلسلة الأئمة معترف بها. فمن كتاب فرق الشيعة يمكن ملاحظة أن من الأئمة الأثني عشر، أولئك الذين كانوا أكثر انجذاباً للأفكار المسيحية منهم جعفر وموسى (السادس والسابع) أما العامل لهذا الانجذاب، ربما هو الشك أو الغموض في مسألة السابع (الذي زعم أنه قتل في السجن) والثاني عشر (الذي وجوده أصلاً أمر يشك فيه). ففي حالة السادس، فإنه من غير المشكوك فيه غياب وريث شرعي جليّ وبيّن.

وفقط في حالة السادس (جعفر) هناك ربما ثمة أصالة استندت على اتصالات شخصية. وقبل جعفر، فإن مركز الاهتمام بالأفكار المسيحية كان ابن الحنفية. وبحسبما يبدو أنه خلال عملية تبرير المعتقد بأن شخصاً معيناً كان المهدي وأن سلسلة الأئمة تدريجياً قد أحرزت الاعتراف. فالتفاصيل غير مؤكدة وغامضة ولقد تمت الملاحظة آنفاً بأن وراثة إسماعيل لجعفر قد رفضت وتم إنكارها قبل حوالي سنة ٢٢٦هـ/٨٤٠م، ومن غير شك من قبل موالي وأنصار بمهدوية موسى (فقرة ٢٠) والمجادلات قبل ذلك التاريخ ربما أيضاً كانت تهدف إلى إقصاء ابن الحنفية وذريّته.

فالحاجة – أو ربما الأحرى الفرصة – لجدال آخر إنما نشأت أو حدثت بعد موت الحسن العسكري في سنة ٢٦١هـ/٨٧٤م. فالروايات المتوافرة في فرق الشيعة تكشف أو تظهر بأنه آنذاك كان لم يزل رأياً مقبولاً بشأن وراثة الإمامة بصورة عامة. وأن أكثرية الاختلافات بين (الفرق) التي وصفت يحتمل أنها ترجع إلى عوامل

شخصية – مختلف الأشخاص، كل واحد يريد أن يحسن وضعه عن طريق جعل آراءه هي المقبولة. ولذلك فإن مما يستحق الملاحظة أن أكثرية هذه المجموعات، وفي أوائل القرن التاسع الميلادي/ الثالث الهجري، من المتأثرين بالأفكار المسيحية وغيرها الأخرى قد جلبت معاً على أساس من المذهب الإمامي المشترك. وبالإصرار على أن غيبة الإمام الغائب لا ينبغي أن يجدّ في البحث عنه، ولكن السماح باختيار زمانه الخاص لإظهار نفسه والإعلان عن نفسه، أنهم في الواقع هو إعلان ضد النشاط أو الفعالية الثورية (ولكن من الطريف أن نلحظ في العلاقات مع البويهيين خلالحقبة تسنمهم السلطة. فهؤلاء لم يكونوا مسالمين وهادئين تماماً، لكنهم قبلوا بالحكم القائم وعملوا كحزب أو فرقة داخلة، وأنهم لم يحرزوا أي منافع مفرطة في عهد البويهيين الإمامية).

وفي الختام، هناك الإسماعيليون، الذين لم يكن لكتاب إمامي حول فرق الشيعة إلا قليل من المعلومات حولهم. ففي العقود الأولى للحكم العباسي، كان هناك مجموعات ممن دمج أو وحدّ الأفكار المسيحية مع الآراء (الغالية) وعلى ضوء ما سبق إن قلناه، فإنه مؤكد تقريباً أن هذه المجموعات ذات الأفكار المسيحية، حتى وإن كانت مهتمة بالإسماعيلية، لم تعترف في البداية بأي سلسلة للأئمة. كذلك فإنه من المشكوك فيه فيما إذا كان هناك أي حركة ناشطة سريّة؛ وبالتأكيد أنه لا ينبغي الافتراض أن هناك أي حركة منظمة متواصلة فمن الطبيعي أن الأفكار (الغالية) كانت تنشر بوسائل أو طرق متنوعة، غير أن هذه العملية لا تحتاج إلى متطلب في الاستمرارية والتواصل المنظم.

ويبدو أيضاً أن أكثرية الجماعات التي نشأت في الحركة الفاطمية والإسماعيلية لم تكن بأي حال غير ممكن أن تحمل أفكاراً مسيحية ومسالمة أو هادئة حتى نهاية القرن التاسع الميلادي / الثالث الهجري. فقد كان من المحتمل بأن هذه النقلة إلى مرحلة

الناشطية، معاً مع تماسك خصومهم الإمامية، فذلك هو الذي جعل من الضروري أن يكون تحديداً ودقة للنظرية الإسماعيلية للإمامة.

نبذة عن مؤلف البحث

Si'sm under the Mongols

التشيع في العهد المغولي

Mazzaoui M. Mazzaoui

مايكل مزّوي أستاذ مشارك في قسم التاريخ في جامعة أوتاوا University of Utah في الولايات المتحدة الأمريكية تخصّصه عن إيران في العهد الصفوي . وكتب ومؤلفات عدة وبحوث عن هذا الميدان منها : Safavid Iran & Her Neighbors

(إيران وجيرانها في عهد الصفويين) المطبوع في مطبعة جامعة أوتاوا في سنة ٢٠٠٣ University of Utah Press, 2003 - ؛ من ٢٠٩صفحات وكتابThe Origins of the Safawids: Shi'ism, Sufism, and the Gulat

A Brief History of Iran Intellectual Studies on Islam: Essays Written in Honor of Martin B. Dickson, Professor of Persian Studies, Princeton Universit

(أصـول التشيع والتصـوف والغلـو الصـفوي :- عبـارة عـن بحـوث حـول التاريخ الفكري لإيران بشأن الإسلام : هي بحوث كتبت على شرف مارتن ديكسون أسـتاذ الدراسـات الفارسـية في جامعـة برنسـتون –الولايـات المتحـدة ؛ وحقّـق كتـاب بعنوان:

Michel Mazzaoui, ed., *Safavid Iran and Her Neighbors.* Salt Lake City, University of Utah Press, 2003, pp. 129-156

(الصفويون في إيران وجيرانها) في سلسلة من الكتب الموسومة بسلسة
Volume 27 | 2004Abstracta Iranica
المطبوع في سنة ٢٠١١ A Brief History of Iran وله كتاب (مختصر تاريخ إيران) من ٣٢٠ صفحة . وكتب بحثا عن نشره بعنوان إيران بين ثورتين ونشره في مجلة عالم الإسلام سنة ١٩٨٣ Iran between two RevolutionsWelt Des Islams. , vol.22 no. 1/4, 1982

الفصل الرابع

التشيع في عهد المغول

Michel M.Mazzaoui

البروفسور مايكل مزواي

إلى حدٍّ الآن لم تدرس الحالة الدينية في العالم الإسلامي في العهد المغولي دراسة متكاملة[١٠٢] (فالخانات) Hans المغول ظلوا مدة طويلة من الوقت غير ملتزمين، بل

---

(١٠٢) كمحاولة تمهيدية لبحث المسألة الدينية ودراستها في عهد المغول فإن ونوشهر مرتضوي قد قدم دراستين: (دين ومذاهب در عهد إيلخانيان إيران – الدين والعقيدة في إيران في العهد الإيلخاني) الدراسة التي ظهرت في مجلة نشريات كلية الآداب Nasriya-yi Danishkada Adabiyat تبريز مجلد ١٠ (١٣٣٧هـ/١٩٥٩م) رقم ١ ص ١٧-٨٠؛ ودراسة (تكملة بر مقالة دين ومذهب در عهد إيلخانيان إيران – تكملة على بحث الدين والعقيدة في إيران في العهد الإيلخاني) المنشور في نفس المجلة (أي مجلة كلية الآداب) مجلد ١١ (١٣٣٨/١٩٦٠) رقم ٢ ص ١٦٠-١٨٤. وحول الحديث عن ميل السلطان غازان نحو التشيع (ينظر في البحث أعلاه من ص ٤٥ وما تعقبها من الصفحات، أما عن تشيع السلطان محمد خدابند) فينظر من البحث (ص ٤٨ وما بعدها من الصفحات) وقد أستعمل مرتضوي حافظي أبرو مجمع التواريخ (مخطوطة مكتبة ملك malik في طهران) وهو ص١ يبدو فصل حول التشيع أبان الحقبة الإيلخانية. (وأن كتاب أبرو الذي يعرف مجمع التواريخ السلطاني) من تأليف فصيحي Fasihi الخواف HawafK، والذي ينتهي في سنة ٨٢٩-٨٣٠هـ/١٤٢٦-١٤٢٧. ينظر براون Browne في مجلة LHP مجلد ٣، ٤٢٥، كذلك ريو Rieu في دراسته (فهرست فارس pers.cat ص ٤٢٢، واعتماداً على كتاب (مجالس المؤمنين) المجلس الثامن، فإن أبرو كان شافعياً، ينظر الإشارة في البحثين السالفين لمرتضوي ص ٧٠. وهناك بحث آخر متعلق بالموضوع من مرتضوي الموسوم (تصوّف در دورة إيلخانيان- التصوف في مرحلة أو عهد الإيلخانيين- المنشور في نفس المجلة مجلد ٩ (١٣٣٦/١٩٥٨) ص ٢٩٧-٣٣٧ ثم أن مرتضوي قد أعاد نشر جميع تلك البحوث ومعلومات أخرى بهيأة كتاب ظهر تحت عنوان (تحقيق در بارة إيلخانان إيران دين ومذهب – تصوّف – تاريخنويي- مقلدين شاهنامه) (دراسات تتعلق بالإيلخانيين في إيران: الدين والعقيدة، والتصوف والتاريخ ومرويات الشاهنامة) المطبوع في طهران ١٣٤١هـ/١٩٦٣م.
وقد ناقش مصطفى طه بدر حالة دينية واحدة من المسائل أو الإشكاليات الدينية خلال الحقبة الإيلخانية في دراسته (مغول إيران بين المسيحية والإسلام) المطبوع في القاهرة، دار الفكر العربي (دون تاريخ)، وهي تلك المحاولات التي جرت في الغرب من أجل كسب ودّ الخانات المغول وتحويلهم إلى المسيحية. وإن كلاً من المناقشة والببلوغرافيا – الفهرست (على صفحة ١٢٧-١٣٠) هما غير وافيتين. فالصورة الداخلية في إيران خلال ذلك الوقت قد أهملت بالمرة.
والآن لابد من الإشارة إلى الفصل السابع من دائرة تاريخ كمبردج لإيران The cambridge history of Iran وهو تحت عنوان "الديانة في عهد المغول" الذي حققه بويل J.A.Boyle، في المجلد الخامس، كمبردج ١٩٦٨، حيث ساهم البروفسور بوساني A.Bausani وهو الأستاذ في المركز الشرقي، في جامعة نابولي Naples الموسوم (الفترات السلجوقية والمغولية) ص ٥٣٨-٥٤٩. بأقوال مثل (كان الميل تجاه التشيع في كثير من الدوائر أو الحلقات يعزى أو ينسب أولاً وقبل كل شيء إلى التصوف الذي قد كشف أبان هذا الوقت كثير من السمات الشيعية المهمة والمشوقة) ينظر صفحة ٥٤٥؛ كذلك القول الآتي (على أية حال، فإن الصوفية بمسحة tinge شيعية ظلت أو بقيت السمة المهمة جداً في إيران في هذا الزمن، وبخاصة بالنظر إلى التطورات التي حدثت بعد ذلك) ينظر ص ٥٤٧ وقد

غير مرتبطين بعقيدة من الجوانب الدينية. وهناك مؤشرات وإشارات بأنهم كانوا يعبثون toy with أو يتلهون بمختلف الأفكار الدينية التي كانت تمثل المؤسسات الدينية الإسلامية والمسيحية (النسطورية) واليهودية. وبالإمكان القول إنه فضلا عن هذه الأديان، هناك المعتقدات الدينية السابقة لحقبةالمغول في آسيا الوسطى- وبشكل رئيس تلك المعتقدات المستجدة أو المشتقة من العادات والتقاليد الشامانية المتواجدة بين صفوف القبائل المغولية التي كانت تترحل وتتحرك باتجاه الغرب تحت قيادة جنكيز خان Gingiz- han وفيما بعد تحت قيادة زعماء محاربين من المغول.

وقبل أن نقوم بذكر أي روايات أوأقوال عامة بخصوص هذا الموضوع، وقبل الوصول إلى أي استنتاج محدد، فإن الإشكالية كلّها، والسؤال كلّه، بخصوص الأوضاع الدينية في عهد المغول إلى حقبة قبولهم النهائي للإسلام ؛ لابد أن تدرس هذه الأوضاع دراسة شاملة وكاملة. وسوف نعالج حالتين فقط في هذا الموضوع المعتزم دراسته والضخم في هذا الفصل والفصول الأخرى اللاحقة: الأول، تشخيص عدد محدد من العلماء المسلمين ودراستهم، الذين يمثلون (الإسلام السامي) خلال الحقبة المغولية المبكرة، والانتصار المؤقت للتشيع الأثني عشري، وأمّا الثاني، فيدور حول مناقشة التاريخ المبكر لأحدى الطرق أو الطقوس الدينية الصوفية الرئيسة أبّان الحقبة نفسها على الصعيد أو المستوى (الإسلام الشعبي).

هناك إحدى الوسائل لمعرفة مفيدة عن اتجاهات وحالات من الأوضاع الدينية خلال الحقبة المغولية هي أن نتخذ عدداً من المفكرين الدينيين البارزين والمعروفين للعصر ومن ثمّ دراسة وتفحص مؤلفاتهم وأعمالهم الوثيقة الصلة بالموضوع. الكتّاب والعلماء الممثلون الذين سنعالجهم في هذا القسم هم ربما العلماء والكتّاب، الأكثر شهرة وسمعة وفي بعض الأحايين الشخصيات البارزة الأكثر إثارة للجدل والخلاف

أضفى بوساني وزناً إلى المحاججة التي وضحها بالتفصيل في هذا الفصل وكتاب بوساني المبكر جداً الموسوم (الديانة الفارسية من زرادشت إلى بهاء الله) باللغة الإيطالية.
Persia Religiosa: da Zaratustra a Baha 'ullah
المطبوع في ميلان Milan سنة ١٩٥٩ يعدّ معلماً في نوعه.

في الحياة الدينية للعالم الإسلامي خلال القسم المبكر من الحقبة تحت الدراسة والنظر. فخيارهم، كما سيظهر في الوقت الحاضر هو ليس بكامله خياراً اعتباطياً[١٠٣].

وأحد هؤلاء العلماء (الحسن بن يوسف بن المطهر الحلّي) (المتوفى ٧٢٦هـ/١٣٢٤-١٣٢٥) والذي كان كتابه قد أشير إليه بما يتعلق في إدخال التشيع الأثني عشري في إيران من قبل الشاه إسماعيل[١٠٤]. وكان الحلّي من أكثر العلماء تأثيراً في الديانة(*) الشيعية في عصره، والذي كان له تأثير كبير على بلاط السلطان المغولي أوليغتو خدا بنده Ulgaitu Hudabanda.

---

[١٠٣]بالنسبة إلى قائمة بأسماء الإحدى والخمسين (٥١) عالماً في قمة العهد الإليخاني، ينظر الرسالة التي بعث بها رشيد الدين فضل الله إلى ابنه أمير علي، والي أو حاكم بغداد، وهو يفصل في الإعانات المالية للحكومة (بصيغة النقود، والملابس وحيوانات حمل الأثقال) التي ستمنح إلى كل منهما. فالرسالة فضلاً قائمة بأسماء العلماء الممثلين لذلك والتي ذكرتها الرسالة، تستحق دراسة خاصة تلك التي تسلط الضوء المفيد جداً على النشاط الديني خلال الحقبة المغولية، ومن بين أولئك العلماء الذين وردت أسماؤهم في القائمة: قطب الدين الشيرازي، البيضاوي، وعضد الدين الايجي وأخيه، ونصير الدين الطوسي، وابن المطهر الحلي. ينظر كاتباتي رشيدي، رسالة رقم ١٩ صفحة ٥٦-٦٩.

[١٠٤]ينظر الفصل الأول ص ٦ (أعلاه).

(*)لقد ولد العلامة في أسرة علمية و قد بدأ بتحصيل العلم منذ طفولته و قد تعلم الأدب العربي و المقدمات و العلوم العصرية في الحلة عند أبيه و سائر علماء المنطقة الكبار، وكذلك عند خاله المحقق الحلي وابن عم أمه الشيخ نجيب الدين يحيى بن سعيد والسيد أحمد بن طاوس ورضي الدين علي بن طاوس و الحكيم المشهور ابن ميثم البحراني مؤلف شرح نهج البلاغة.
أكمل المقدمات ونال درجة الاجتهاد و لم يبلغ سن التكليف و منذ ذلك الوقت اشتهر بنبوغه و ذكائه و فضله و كانت له البشارة بمستقبل زاهر. لقد كان العلامة من أعاجيب الدهر ألف في الفقه و الأصول و الكلام و المنطق و الفلسفة و الرجال و غيرها و له من الآثار في حدود ١٠٠ كتاب طبع بعض منها و التي يكفي أحدها كتذكرة الفقهاء للدلالة على نبوغه.
تتلمذ في الفقه على خاله المحقق الحلي و في الفلسفة و المنطق على الخواجة نصير الدين الطوسي و درس الفقه السني على علماء السنة.
وانفرد الحر العاملي بقوله إن نصير الدين الطوسي درس الفقه على العلامة الحلّي ! قال " الشيخ العلامة جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي . فاضل عالم علامة العلماء ، محقق مدقق ثقة ثقة فقيه محدث متكلم ماهر ، جليل القدر عظيم الشأن رفيع المنزلة ، لا نظير له في الفنون والعلوم العقليات والنقليات ، وفضائله ومحاسنه أكثر من أن تحصى. قرأ على المحقق الحلي والمحقق الطوسي في الكلام وغيره من العقليات ، وقرأ عليه في الفقه المحقق الطوسي . وقرأ العلامة أيضاً على جماعة كثيرين جداً من العامة والخاصة " ينظر أمل الآمل جزء ٢ صفحة٨١. (المترجم)

وأما الآخر، فهو (نصير الدين الطوسي) (المتوفى ٦٧٢هـ/١٢٧٣) ولعل من الأفضل أن يعرف بالفلكي، وفيلسوف الأخلاق، أكثر من كونه مفكراً دينياً[١٠٥]. مع أنه حظي بمنزلة رفيعة في البلاط المغولي في بغداد وكان شخصياً متورطا ومؤثراً في تدمير القوة والنفوذ الإسماعيلي في (قلعة آلموت) وإن نظرة إلى بعض من آرائه الدينية ستلقي ضوءاً كثيراً على المسألة أو التساؤل الديني أبّان الحقبة المغولية المبكرة. فالظاهر، أن الوضعية المترددة للطوسي بين السبعية (الإسماعيلية) وبين الأثني عشرية للعقيدة أو لمذهب التشيع جعلت منه شخصية مهمة جداً بالنسبة إلى أهدافنا ومرامينا.

ومن الجانب الآخر، فإن وصف بعض من مؤلفات ابن تيمية (المتوفى سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٧م) الذي من المحتمل كان من أكثر المفكرين المسلمين ولعا بالجدل والخلاف في العصر الوسيط المتأخر – سيقدّم خدمة ومنفعة في وضع أفكار معاصريه الشيعة وآراءهم الأصغر منه (الطوسي وابن المطهّر) في مظهر أو في منظور أفضل. وذلك لأن هجمات ابن تيمية المستمرة والمتواصلة ضداً بالآراء والأفكار الأثني عشرية لابن المطهّر والطوسي، فضلا عن فعالية ونشاط الإسماعيلية لمن بقي منهم في قلعة آلموت، والغلاة المتطرفين من فرقة النصيرية في سوريا، تكشف بعضاً من المسائل والأمور الساخنة جداً في العالم الإسلامي في نهاية القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر.

وكشخص محايد يعيش، أو يحيا تقليدياً في مكان منعزل هادئ بين مدينتي شيراز وتبريز، فإن القاضي ناصر الدين البيضاوي (المتوفى سنة ٦٨٥هـ/١٢٨٦) يعدّ إنموذجا لما يمكن أن يكون في الظاهر من السنّة المحافظين غير المهتمين إلى قوة

---

(١٠٥) الإشارة ها هنا إلى كتاب الطوسي في علم الفلك، الزيج الثاني zig-I Ighani وكتابه أخلاقي ناصيري (الذي يعرف بشكل أفضل باسم أثر منقح دواوين لا خلاقي جلالي Calali الذي قدّم إلى أوزون حسن أق يويبلو Aq-Qoyunlu الذي ترجمه ثومبسون W.T.Thompson بعنوان الفلسفة العملية للشعب المحمدي Practical philosophy of the Mahammedan peple، المطبوع في لندن ١٨٣٩. وهناك ترجمة (لأخلاق) الطوسي بعنوان هو (أخلاق نصيرين The Nasiren Ethics قام بها ويكنز G.M.Wickens في جامعة تورنتو، وهي الآن متوافرة باللغة الإنجليزية لندن ١٩٦٤).

وفعالية الحركات الهرطقية العنيفة التي كانت واسعة الانتشار. وبما أن البيضاوي كان قاضياً شافعياً؛ فقد ألف كتاباً ما زال لحدّ الآن يعدّ من أفضل وأوثق التفاسير للقرآن في الرواية والحديث السنّي الآرثوذوكسي المحافظ.

عاش هؤلاء العلماء الأربع في ثلاثة أو أربعة مراكز مهمة من العالم الإسلامي خلال هذه الحقبة[١٠٦] فكان الطوسي في بغداد، ثم في مراغه في آذربيجان، التي استمرت مشهورة بمرصدها المشهور الذي تأسس أو بني بموارد مالية مغولية وذلك، بهدف مساعدته على إنجاز دراساته الفلكية، ولعله أيضاً مكافأة منهم إزاء خدماته في مساعدة هولاكو على الاستيلاء على قلعة الإسماعيلين قلعة (الموت) وكذلك الاستيلاء على عاصمة العباسيين، بغداد.

أما (ابن المطهّر)، الذي تؤشر نسبته الحلّي إلى أصله من الأماكن الشيعية المقدسة التي تقع في جنوبي العراق، وقد أمضى حياته المليئة بالنشاط بين بغداد والعاصمة المغولية السلطانية[١٠٧] في إقليم عراق العجم.

وابن تيمية قد أمضى حياته جميعها في دمشق ما خلا مغادرته إياها في رحلة أو رحلتين إلى القاهرة . إذ أنه كان عليه الإجابة على تهم قد سبق أن وجعت إليه، وقدمت إلى السلطان المملوكي والسلطة المركزية.

---

[١٠٦] وهناك عالمان قد اتّخذا بنظر الاعتبار في هذا الفصل بما أن كتابيهما يحتويان على معلومات قريبة الصلة بما قد تم مناقشته. وهما المؤلف السنّي البارز من القرن الخامس عشر الميلادي فضل الله بن روزبيهاني خنجي، والمناظر العنيف والمفهرست الشيعي الأثني عشري الكبير القاضي نور الله التستري. حقائق عن مؤلفاتهما سيتم ذكرها في أدناه.

[١٠٧] وقد أسست هذه من قبل ارغون خان Argun ووسعت لتكون عاصمة من قبل الوجيتو Ulgaitue ينظر ماينورسكي Minorsky (السلطانية) في دائرة المعارف الإسلامية (طبعة قديمة)؛ كذلك فصيحي، مجمل مجلد ٣ ص ١٣-١٤ (سنة ٧٠٤هـ/١٣٠٤-١٣٠٥)؛ وكذلك ميرخوند، روضة الصفا مجلد ٥ ص ٤٢٧. وظلت سلطانية عاصمة في عهد الشاه إسماعيل الذي قضى جزءاً من شتاء ٩١٢هـ/١٥٠٦-١٥٠٧ فيها، ينظر شرف خان البدليسي في كتابه سفرنامه جزء ٢ ص ١٢٦ (ومهما يكن فإنه في نهاية القرن السادس عشر الميلادي يخبرنا البدليسي أن المدينة قد دمرت وخبرت ولم يبق منها خلال زيارة بدليسي سوى بقايا من أسوارها. نفس المؤلف جزء ٢ ص ٢٥).

وأما بالنسبة إلى القاضي البيضاوي، إذ كما تقدم ذكره، عاش متنقلاً بين شيراز وتبريز – وكان مسقط رأسه البيضاء وتقع جنوبي شيراز.

فهؤلاء المفكرون الدينيون الأربعة كانوا على علم وعلى معرفة كبيرة لبعضهم بعضا فضلاً عن معرفتهم بماذا كان يعمل كل واحد منهم. وفي أغلب الأحيان كانوا يتبادلون الرسائل[١٠٨]؛ وكانوا متعاصرين يعيشون ضمن جيل واحد أو جيلين. وأن بعضاً من أعمالهم أو مؤلفاتهم التي ناقشوا فيها كثيراً من التساؤلات الساخنة أو المتقدة في ذلك العصر، والتي كان كل منهم مهتماً فيها. سوف نعرضها خلال مجريات هذا الفصل، مع دراسة مقارنة لهم سوف تساعد على إعطائنا صورة أوضح عن التساؤلات الدينية التي كانت متقدّة في بداية فترتنا.

[ملاحظة المترجم، وبما أننا عازمون على إخراج كتاب بعنوان التشيع في العراق حصراً لذا سوف نختار موضوعين من بين الأربعة علماء، درسهم المستشرق في هذا البحث القيّم عن التشيع في العهد المغولي، وهما معنيان بالشأن العراقي وهما: العالم (نصير الدين الطوسي) والعالم (ابن المطهّر الحلي). [المترجم].

نصير الدين الطوسي:

ضمن أعمال الطوسي المعروفة قليلاً رسالة قصيرة تتعلق بالإمامة[١٠٩]، التي أتّخذ فيها على عاتقه (أن يكتب مقالة قصيرة حول معرفة الركن الثالث من أصول

---

[١٠٨] وحول المراسلات بين ابن المطهّر والبيضاوي مثلاً ينظر نامي دانيشوارانى نصيرى Nama-yi Daniswaran-i-Nasiri مجلد ٨ ص ١٤٠؛ كذلك الخوانساري، روضات الجنات تعليق أومسرد رقم ١٧٥؛ والمجلسي، بحار الأنوار مجلد ١ ص ٢١٤-٢١٥ من المقدمة؛ المجلس (نفس المصدر مجلد ١ ص ٢١١) يذكر أيضاً بأن ابن المطهر قرأ أو درس الكلام مع الطوسي، وإن الطوسي قرأ الفقه مع ابن المطهّر.

[١٠٩] وقد طبع تحت عنوان (رسالى أمامت Risala-yi IMAMAT كجزء من مجموعة لمؤلفات أقصر قد كتبها الطوسي، التي ظهرت في سنة ١٣٣٥هـ/١٩٥٦ بمناسبة ذكرى المائة السابعة على وفاة المفكر الكبير. ورسالتنا هي رقم ٣٠٢ من منشورات جامعة طهران "انتشاراتى دانشكاه تهران" وقد حققها محمد تقي دانسبازوه Danispazuh. أما الأخرى المتوافرة في المجموعة فأرقامها ٢٩٦، ٢٩٨، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣٠٧، ٣٠٨ لنفس السلسلات. وكل عمل هو بهيأة أرقام صفحات مستقلة. وفيما يتعلق بمخطوطات الرسالة (التي لم تذكر في كنتوري Kanturi بروكلمان) ينظر مقدمة الطبعة الحالية، وكذلك محمد تقي مدرسي رضوى في دراسته (أحوال وآثار طوسي Ahwal-o-atar منشورات جامعة تهران رقم ٢٨٢، طهران ١٣٣٤هـ/١٩٥٥م) ص ٥١

الدين بما يعرف بمحاججة ومناقشة إمامة الأئمة الراشدين)[110] فرسالة الطوسي كانت على شكل أو على صيغة خمسة أسئلة بالنسبة له تغطي جميع المظاهر والحالات المرتبطة بموضوع الإمامة[111].

وجواباته عن هذه التساؤلات قصيرة جداً ومحكمة وبارعة الإيجاز succinct، وهي رمزية تقريباً. فالأسئلة الأربعة الأولى تتناول موضوعا غير مهم كثيراً بالنسبة إلينا هنا؛ وعلى أية حال فإن السؤال الخامس هو الأكثر جديّة وحسماً.

وصفحات ١٩٠-١٩٩. وكتابان آخران للطوسي يحتويان أقساماً أو فصولاً عن الإمامة والتي تقدّم نصاً مشابهاً جداً للنصّ المتوافر من الرسالة تحت المناقشة. وهذه هي: فصولى خواجه توسيFusul-I Hwaga-yi Tusi (منشورات جامعة تهران، رقم ٢٩٨- نصوص عربية وفارسية قد طبعت جنباً إلى جنب، ص ٣٤-٤١، وفصل بعنوان (نبوة وامامت) Unbuwwat -o- imamt؛ وتجريد العقائد (أو الكلام، والفصل الرابع (في النبوة) والفصل الخامس (في الإمامة) (وحول تفصيلات عن فصول الطوسي ومختلف أنواع الشروح عليها ينظر مدرس رضوى، الكتاب نفسه ص ٢٤٩-٢٥٣. وبشأن التعقيبات والمسارد الإضافية على التجريد ينظر (بروكلمان GAL مجلد ١ ص ٦٧٠-٦٧٢ والملحق جزء ١ ص ٩٢٥-٩٢٧، وكذلك مدرس رضوى، الكتاب نفسه ص ٢٤١-٢٤٥. والتعليق المعروف بشكل أفضل عن تجريد الطوسي هو (كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد) لابن المطهّر (قم ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م)؛ وينظر على وجه الخصوص الفصل الخامس ص ٢٢٥-٢٥٠.

وقد كتب الطوسي بصورة رئيسة باللغة الفارسية، ولكن كثيرا من كتبه قد ترجمت إلى اللغة العربية وذلك لفائدة العلماء في العراق، مدرس رضوى (نفس المصدر ص ٢٦٠) قال ما اقتبسته في الآتي:

(جون أكثر مؤلفات وى (يعني نصير الدين توسى) كله براى ولات وحكام زمان خود وبر حسب در خواست آنان ساخته وبرداخته بفارس أست. وأز أين جهت نفعش عام نبود ونزيدك طلاب عراق مشهور نكشته بود براى أنكه ديكران نيز أز آن كتب منتفع كردند بر آن شدم كه آنجه أز كتب فارس أو را بدست آورم بعربى ترجمه كنم).

(من المقدمة لترجمة كتاب الطوسي أوصاف الأشراف التي نهد فيها ركن الدين محمد بن علي الجورجاني/ والكورجاني وهو تلميذ ابن المطهّر الحلّي. وترجم ركن الدين أيضاً : كتاب فصول الطوسي، أساس الاقتباس، أخلاق وكتب أخرى).

(110) الطوسي، رسالة ص ١٣: تحرير رسالة وجيزة في معرفة الركن الثالث من أصول الدين وهو الكلام في إمامة الأئمة الطاهرين، الإشارة إلى الإمامة بوصفها "الركن الثالث" هو أمر يصعب شرحه وتفسيره. فالإمامة عند الشيعة تعدّ الثانية بعد النبوة. أما المذاهب السنية فالإمامة هي واحدة من الفروع. إن اسم السائل الذي سأل الطوسي ليكتب رسالة قد عرّف بأنه علي بن ناماور Namawar، الذي وصف وصفاً لافت النظر بأنه "أحد أعضاء"؟ إخوان الصفا) وهذا هو لقب أو تسمية ربما بنغمة توافقية إسماعيلية. وعن العلاقة بين الإخوان والإسماعيلية ينظر برنارد لويس Lewis في دراسته (أصول الإسماعيلية The origins of Ismailism ص ١٧، ٤٤، ٥٠، ٩٤ (وعلى أية حال، فإن استخدام كلمات "إخوان الصفا" لعله استعمل لأغراض دالة، يخصّ ذوي العهد والوفا"

(111) وقد أنقصت الأسئلة إلى خمسة مختصرة بالأدوات الاستفهامية: ماهي؟ هل؟ لماذا؟ كيف؟ ومن هو؟ والأسئلة الكاملة عندئذ قد عبّر عنها بصورة عامة كما يأتي: ما هي الإمامة؟ (أقصد معنى المصطلح أو التعبير طبقاً للعرف والتقليد والعادة المتبعة) وهل الإمام موجود دائماً، أو هل هو موجود فقط في أزمنة محددة أو معينة؟ أو أنه غير موجود؟ ولماذا ينبغي أن يكون هناك إمام؟ وأقصد الظرف الذي يتطلب حضوره؟ وكيف هو الإمام؟ بمعنى الخصائص التي يجب أن تتوافر فيه أو التي يمتلكها. وأخيراً من هو الإمام؟ أي من يجب أن يكون الإمام في زمن أو في وقت سيطرة الشريعة الإسلامية؟ ينظر الطوسي، رسالة ص ١٥.

إن ترجمة كلام للغة الطوسي أمر ليس سهلا دائماً. فالوضوح في الفكرة تحتاج في بعض الأحيان إلى يضحي المترجم بالدقة والصرامة. إن ذلك يرجع إلى الفيلسوف الذي يكتب أكثر منه بالنسبة إلى المفسر.

وهو جواب إلى سؤال هو (من هو الإمام الراشد؟) إنه الإمام الذي يسلّم ويلزم نفسه بطريقة أو أخرى (وأعني بين الآراء السنّية والشيعية). وقد أدى الطوسي هذا بشكل مناسباً جداً وقياسي: (فالإجماع إجماع الناس جميعهم في العالم أو في الدنيا صحيح وأعني أن النموذج هو الحصول على إجماع جامع وشامل. فإن لم يتعظوا، فإن الراشد هو ذلك الشخص الذي يجمع عليه المسلمون أنفسهم. فإن لم يتفق المسلمون (بينهم) فإن الراشد هو ذلك الذي يجمع عليه أهل الحق. أولئك الذين يؤمنون بوحدة أو بالتوحيد، والعدل، والنبوة، والإمامة، على أساس يستند أو يشترط العقل ومدعوم بالحديث. فإذا ما عرفت ذلك عليه أن تعلم أيضاً إن الناس قد اختلفوا حول هذه المسألة. فبعضهم قال بأنه ليس هنالك من حاجة إلى إمام بالمرّة. وآخرون أكدوا على الناس لابد أن يعينوا أو ينصبوا إماماً من بينهم.

وآخرون اعتقدوا بأن التعيين والنصّ في الإمام واجب أو مهمة من الله. وقد قيل بما فيه الكفاية في البرهنة وإثبات صحة أولئك الذين يعتقدون بالرأي الأخير، وخطأ الآخرين[١١٢].

وبما أن الطوسي قد أفرز تلك المجموعة من بين المسلمين ممن كان الحق معهم، فإنه واصل حديثه للتحدث بخاصة عن تنصيب أو نصّ تنصيب الإمام الراشد. ولذلك قال: (فقد اختلفت الأمة الإسلامية في مسألة تنصيب الإمام. وأن الجماعة الأخيرة، التي تعتقد بأن تنصيب الإمام إن هو إلاّ مهمة يقوم بها الله، قد أكدت بالحجة، بأن الأئمة هم أثنا عشر إماماً محددين من آل بيت النبي. أما الآخرون فقد أكدوا أئمة آخرين ولكل مجموعة إماماً. ومهما يكن، فإنك تعلم بأن الحقيقة ينبغي أن تكون من بين جميع الناس. ولذلك، طالما أن أولئك الذين يعتقدون بأن النصّ علي

[١١٢] الطوسي، رسالة ص ٢٣.

الإمام هو ليس بالضرورة خطأ، فإن حقيقة آراء الأثني عشرية أصبحت جلية وبيّنة[١١٣].

وبعد أن أسس الطوسي بهذه الطريقة، المكانة والمنزلة الصحيحة للشيعة الأثني عشرية بخصوص تنصيب أو تعيين الإمام، فإنه عالج مرة أخرى وباختصار وباقتضاب جداً ولكن بشكل مباشر، مسألة أو أمراً أخرا مثيرا للجدل كثيراً، وهو المعروف بالعصمة، عصمة الإمام. إذ أن بعض المسلمين المعينيين كانوا يعتقدون بأن العصمة من الواجب أن تنسب إلى الإمام، بينما البقية الأخرى من المسلمين رفضوا هذا أو أنكروا هذا. وأن أولئك الذين أكدوا عليه أو اتفقوا عليه قد تبنّوا آراء الأثني عشرية، وأما الآخرون فقد تبنّوا آراءاً أخرى وقد أظهرنا بأن الحقيقة كانت معهم (وأقصد مع الاثني عشرية بخصوص النص في تنصيب الإمام) ولذا فإنه لابدّ أن تكون العصمة لهم هنا أيضاً. وبخلاف ذلك فإن الأمة ستكون بالإجماع على خطأ وبهتان[١١٤].

في هذه الوسيلة استطاع الطوسي توكيد الآراء الشيعية الأثني عشرية فيما يتعلق بالأمر بالنصّ، نصّ الله للإمام، فضلاً عن استطاعته في توكيد عصمة الإمام. بعد ذلك فقد أثار الطوسي ثمة تساؤلات أحدهما يتضمن أهمية خاصة بما أنه يتعلق مباشرة بمعتقدات القسم الأعظم الآخر من الشيعة، أي السبعية (الإسماعيلية) فيقول الطوسي ما نصّه (إذا يقول بعضهم، بأن السبعية أيضاً يعتقدون بأن الإمام ينصّب من قبل الله، فإنه لا يقترف أفعالاً تستحق الشجب، ولذلك فأن السبعية أيضاً يجب أن يكونوا على حق، فأجيب على هذا .. بأن السبعية قد فصلوا وعزلوا أنفسهم من الأمة الإسلامية بادعائهم بقدم الأجسام eternity of bodies وغيرها من الخرافات. فهم بإنكارهم الردّة أو الارتداد عن الواجب وإلزامهم بعدم اقتراف الإمام أفعالاً تستوجب الشجب، فإنهم لا يقولون (بالتخصيص).إن الإمام لا يختار القيام بمثل

---

[١١٣] م.ن.

[١١٤] م.ن.

هذه الأفعال، ولكنهم بالأحرى يقولون بأن أفعال الإمام برمتها إن هي إلا أفعال طاعة (أي طاعة الله) أيا كانت هذه أقوال الزور أو البهتان أو الطغيان والحكم المطلق، أو شرب النبيذ أو الزنى – طالما أن آراءهم هي خاطئة بشكل ظاهر) ويخرج الطوسي بنتيجة مفادها (إننا لن نأخذ أقوالهم الأخرى بنظر الاعتبار)[١١٥].

ليس من السهولة بمكان تفسير هذه الإدانة، وجرحها للآراء أو للأفكار السبعية، بما أن الطوسي قد كان لبعض الوقت قد دعم واحتفظ بأفكار أو آراء ومعتقدات إسماعيلية معينة[١١٦]، وأن بعض أعماله ومؤلفاته قد كتبت من زاوية أو وجهة نظر إسماعيلية إذ أنه تحدث عن حالات ووجهات معرفية وعلمية عن الباطن والظاهر[١١٧]. وإن القصة التي تظهر كيف أن الطوسي كان لبعض الوقت مفتوناً أو مأسوراً بالإسماعيلية وكيف أنه قدّم المساعدة للمغول في الاستيلاء واحتلال (قلعة الموت) هي قصة معروفة جداً وتستحق الإعادة والتكرار ها هنا[١١٨]، ويكفي هنا تقديم حكم وتقدير العالم المشهور الطوسي الذي عبّر عن ذلك بقوله (إن الموقف

---

[١١٥] م.ن ص ٢٣-٢٤.

[١١٦] عمل أو كتاب الطوسي المشهور جداً، أخلاق ناصيرى، قد كتب بطلب من ناصر الدين محتشم حاكم (أو والي) قهستان في عهد الحاكم الإسماعيلي علاء الدين محمد. ففي استهلال أو مقدمة مبكرة جداً للكتاب امتدح الطوسي راعيه أو سيده؛ وبعدئذ فقد سحب الطوسي إطراءاته السابقة قائلاً (فالإستهلال أو المقدمة السابقة عن أولئك الحكام الكفرة قد حذفت أو ألغيت) ينظر E The, cat.cols للمخطوطات الفارسية مجلد ١ رقم ٢١٥٥، ١١٨١-١١٨٢.

وعن الطوسي والإسماعيلية في قهستان ينظر عباس إقبال: تاريخ ص ٥٠١-٥٠٢.

[١١٧] ينظر على سبيل المثال أيفانوف W.Ivanow في بحثه باللغة الإنجليزية الموسوم "كتاب أو عمل إسماعيلي من تأليف نصير الدين الطوسي" المنشور في مجلة JRAS (١٩٣١) ص ٥٢٧-٥٦٤؛ كذلك ينظر دانسابزوه Danispazuhفي بحثه باللغة الفارسية بعنوان كفتارى أز خواجه طوس بروش باطنيان) المنشور في مجلاى دانشكداى أدبيات جامعه تهران، مجلد ١١١ (١٩٥٧/١٣٣٥) رقم ٤ ص٨٢-٨٨، إذ اقتبس المؤلف نصّ قول الطوسي قائلاً (در علوم حقيقى روشن شده أست كه وراء عالم محسوس عالمى ديكر هست معقول كه نسبت آن عالم باين جون نسبت جان با تن باشد. وأز اينجاست كه آنرا عالم روحانى ميكويند واين را عالم جسمانى. وبإزاء محسوس ودرين عالم معقولى در آن عالم أست، ومقابل هر شخص أزينجا روحى در آنجا، ونظير هر ظاهرى اينجا باطنى آنجا...).

[١١٨] ومهما يكن، فإن هذه الحادثة لا تقتضي أو لا تستلزم حكم أو تقدير براون E.G.Browne المنشور في LHP (تاريخ الأدب الفارسي) جزء ٢ ص ٤٥٧ ومفاده أن الطوسي كان (خائناً ومتلوناً Double-dyed traitor)ولا ما أفادت به، حول هذا الموضوع، ملاحظة آربري Arberry بأن نصير الدين قد اختار (خيانة بلده أو خائن يتعاون مع محتلي بلاده من أجل الرخاء الاقتصادي quisling prosperity) في عهد المغول أكثر من كونه (عتيق أو محرر في منفى Freedom in exile) ذلك الذي فضّله حلال الدين الرومي. ينظر آربري A.J.Arberry من دراسته (الأدب الفارسي القديم – الكلاسيكي) المطبوع في لندن سنة ١٩٥٨ ص ٢٦.

السياسي قد تقرر وتحدد بعاطفته القوية مع الأثني عشرية، تلك التي جعلت منه زعيماً ورأساً لاوليغاركيه أو الحكم الشيعي الإيراني إلى جانب المغول ضدّاً بالخلافة)(١١٩).

فرسالة الطوسي عن الإمامة تنتهي بإشارة مختصرة إلى موضوع المهدي، وهو الوجه المهم في المذهب الشيعي: (وعن الغيبة، غيبة الإمام الثاني عشر، وطول مدة هذه الغيبة، إذ لا ينبغي أن لا تكون بعيدة الاحتمال بين أولئك الذين يؤمنون بأن الله هو القادر والعالم بكل شيء)(١٢٠).

إذن فإن نصير الدين الطوسي بإعطائه هذه الآراء المحددة والمهمة مع أنها مقتضبة بشأن ثلاثة مبادئ ومعتقدات أساسية كثيراً في التشيع الإمامي (ونقصد الإمامة، والعصمة عصمة الإمام والمهدية) يكون قد وضع نفسه تماماً في الموضع المركزي للتعاليم الأثني عشرية. وعلى هذا الأساس، فإنه من المحتمل عدّ الطوسي الرابطة أو الصلة الرئيسة بين العالم الشيعي الأكبر، الذي يرجع إلى البلدة نفسها

(١١٩)ينظر شتروسمان R.strothmann بحث (الطوسي) في دائرة المعارف الإسلامية E.I (الطبعة القديمة)؛ وينظر أيضاً دراسته الأخرى باللغة الألمانية الموسومة (الشيعة الأثني عشر Die zwolfer schi'a) المطبوع في ليزج عام ١٩٢٦. وحول أكثر المحصلات التي تلخص النتائج في آراء شتروسمان بشأن هذا الموضوع ينظر بحثه باللغة الألمانية عن الشيعة الموسوم schiiten und charidschiten المنشور في كتيب عن الاستشراق Handbuch der orientalistik مجلد ٨/ عدد ٢ (ليدن + كولن Leiden+ coln / ١٩٦١) ص ٤٧٦-٤٩٥؛ ينظر أيضاً هنري لاوست Henry Looust في دراسته باللغة الفرنسية الموسومة (دراسة عن .. تيمية) المطبوع في القاهرة ١٩٣٩، ص ٣٦ حيث قد وافق هذا المستشرق على إن الطوسي (ممثل مقنع جداً عن المذهب الإمامي الأثني عشري
Representant profondement convaincu de la doctrine duodecimaine
أما حكم عباس العزاوي عن الطوسي (في أثناء تعقيباته بشأن مقالة عن نصير الدين الطوسي كتبها سليمان داهر في مجلة مجمع اللغة العربية في دمشق مجلد ٣٦ ص٢٤١-٢٤٧ وهي مقالة شاملة جداً. فيقول ما نصّه: (فمن الضروري أن نقول أنه "أي نصير الدين الطوسي" إسماعيلي مع الإسماعيلية ومتصوف مع غلاة التصوف ونُصيري مع النصيرية وأثنا عشري مع الأثني عشرية. ونزيد أنه متكلم مع أهل السنة من المتكلمين إلا في الإمامة فإنه خالف فيها أهل السنة ينظر بحثه الموسوم "تعليق على مقالة نصير الدين الطوسي" المنشور في مجلة المجمع العلمي مجلد ٣٧ رقم ٢ "دمشق، نيسان ١٩٦٢" ص ٢٠٧-٢١٥).أما بالنسبة إلى ابن بلد العزاوي، العالم العراقي مصطفى جواد، ففي بحث حديث له حاول أن يردّ الاعتبار إلى الطوسي وأن يفسر بعض الدوافع في علاقاته مع الإسماعيلية، والخلافة في بغداد ومع المغول. فقد شدّد جواد على وجهة النظر الإنسانية التسامحية؛ ومع كل ذلك فإنه قد مات وهو إمامي. ينظر بحث مصطفى جواد "اهتمام نصير الدين الطوسي بإحياء الثقافة الإسلامية أيام المغول" في كتاب (يادنامه ى خواجه نصير الدين الطوسي Yadnama-yi Hwaga Nasir ad-din tusi مجلد ١ "مؤتمر في ٢٧ مايس إلى ٢ حزيران ١٩٥٦").

(١٢٠)الطوسي، رسالة ص ٢٤.

طوس، محمد بن الحسن الطوسي، شيخ الطائفة، المتوفى سنة ٤٥٨هـ/١٠٦٦(*)، والعلماء الشيعة المتأخرين(١٢١) فقد أحرز أو نال لنفسه في خاتمة المطاف العالم الشيعي الذي يحمل لقب المحقق(١٢٢).

المطهّر، وابن تيمية، والخنجي والتستري:

تلميذ الطوسي والعالم الآخر الذي سنعالجه في هذه الزاوية أو الاتجاه العام هو ابن المطهّر الحلّي(١٢٣).

يعدّ ابن المطهّر المسؤول، أكثر من أي عالم آخر أو أكثر من أي شخص آخر، في جعل قضية التشيع الإمامي تحقق نجاحاً خلال أزمنة المغول الإليخانيين وأوقاتهم. ومدة حياته (٦٤٨-٧٢٦هـ/١٢٥٠-١٣٢٥م) تغطي كما يبدو النصف الأخير من

(*)المعروف أن العلامة الطوسي قد توفي أما في سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٧ الأكثر رجحاناً ٤٦٠هـ/١٠٦٨. (المترجم)

(١٢١)أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، شيخ الطائفة (المتوفى ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦) وكان يعرف بأنه مؤلف لكتابين من كتب الأصول الشيعية الأربعة، وهما كتاب الاستبصار وكتاب تهذيب الأحكام (أما الكتابان الآخران فهما الكافي للكليني ومن لا يحضره الفقيه لابن بابويه. كذلك فإنه ألف الكتاب المعروف جداً "فهرست كتب الشيعة" الذي حققه سبرنجر A.Sprenger وطبع في كلكتا ١٨٥٣. وعن محمد بن الحسن الطوسي ينظر (بروكلمان GAL مجلد ١ ص ٥١٢-٥١٣ وكذلك محمد التنكابني at-Tunakabunl في كتابه الموسوم (قصص العلماء) المطبوع في طهران (بلا تاريخ) ص ٤١٤-٤١٦.

(١٢٢)واعتماداً على وصية الطوسي أن يدفن في جوار ضريح الإمام السابع موسى بن جعفر الكاظم. ينظر خواندمير، حبيب السير مجلد ٣ ص١٠٦. الذي قال ما نصّه باللغة الفارسية (در جامع رشيدي مسطور أست كه خواجه نصير الدين وصيّت فرمود كه أورا در جوار مزار فيض آثار إمام بزركوار موسى الكاظم دفن كنند).
واعتماداً على العزاوي (تاريخ جزء ١ ص ٢٧٨) فإن القبر الذي دفن فيه الطوسي كان في الأصل معدّا لأن يكون للخليفة الناصر. ينظر أيضاً المدخل الطويل في كتاب مجالس الشوشتري ص ٣٢٨-٣٣١، حول الطوسي، إذ أن هنالك مراجع أخرى قدّمها عن دفن الطوسي في الضريح الشيعي.
وخلاصة لكتابه الأخلاق قد فوّض ببراءتها في حقبة أوج الحقبة الصفوية من قبل الشاه صفي (١٠٣٩-١٠٥٢/١٦٢٩-١٦٤٢)؛ ومجموعة قصيرة للصلوات على الأئمة الأثني عشر (دا فاز داهى إمامي خواجه نصير) وهذه المجموعة ما زالت بهيأة مخطوطة في مدينة مشهد المقدسة. ينظر مدرس رضوى؛ أحوال وآثار ص ٢٥٩ وص ٣١٧-٣١٨.

(١٢٣)بغية أن نقدّم أسمه الكامل وبعض عناوين مؤلفاته، فإنه كان يعرف بالعلامة، آية الله جمال الدين الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي (٦٤٨-٧٢٦هـ/ ١٢٥٠-١٣٢٥م).

القرن الثالث عشر الميلاد والربع الأول من القرن الرابع عشر الميلادي، التي تتوافق وتتزامن مع حقبة سيطرة الإليخانيين على إيران(١٢٤).

ولقد سبق أن أشرنا بالفعل في الفصل التمهيدي أو التقديمي إلى مؤلف ابن المطهّر وهو (قواعد الإسلام) وهو الكتاب أو العمل الوحيد الذي يوجد عن التشيع الإمامي حينما وطّد الشاه إسماعيل الديانة الجديدة في إيران(١٢٥) وعلى أية حال فإن هذا الكتاب الذي يحمل هذا العنوان الخاص لم يذكر ولم يوجد بين كثير من مؤلفات المطهّر(١٢٦).

(١٢٤)ولابد من ذكر عالمين شيعيين آخرين مشهورين في هذا الصدد، أحدهما يرجع إلى نفس الحقبة التي عاشها ابن المطهر، وأما الآخر فيرجع إلى الجيل التالي. فالأول هو (جعفر بن الحسن الحلي) "المحقق الأول" وينظر عنه في أعلاه؛ أما الآخر فهو (محمد بن مكي العاملي) "الشهيد الأول، العلامة الثاني" الذي قد أعدم في دمشق في سنة ٧٨٦هـ/١٣٨٤م؛ وعن سيرته ينظر بروكلمان GAL جزء ٢ ص ١٣١؛ وكذلك ملحقه جزء ص ١٣١-١٣٢، التنكابني، قصص العلماء ص ٣٣٧-٣٤٢؛ التستري، مجالس ص ٢٤١، ومحمد رضا شمس الدين، حياة الإمام الشهيد الأول (النجف ١٣٧٦هـ/١٩٥٧) وينظر أيضاً في أدناه.
وفي رسالة مرسلة من رشيد الدين فضل الله إلى ابنه أمير علي، حاكم أو والي بغداد، يدوّن ابن المطهر قائمة أسماء إحدى وخمسين عالماً وهم من العلماء الذين كانوا يتسلمون منح أو مكافآت من البلاط المغولي. وخصص له ٢٠٠٠ ألفا دينار وعباءة من الفرو، وحصان وسرج أو صهوة حصان، وقد منحت نفس الأشياء إلى البيضاوي، والإيجي وآخرين. ينظر مكاتباتي رشيدى، رسالة برقم ١٩، ص ٥٦-٦٩.
(١٢٥)ينظر فصل ١ ص ٦.
(١٢٦)ويقدم بروكلمان في قائمته كتابان يحملان عنوان قواعد الإسلام أحدهما آلفه عز الدين السلمي (المتوفى ٦٦١/١٢٦٢) أما الآخر فمؤلفه أباضي، ينظر GAL الملحق ١ ص ٧٦٧، كذلك ملحق ٢ ص ٣٤ (ج)؛ الخوانساري، روضات الجنات ص ١٧٢، يذكر من ٧٠-٩٠ كتاباً كتبها ابن المطهر. ولعل الكتاب الذي ذكر تواً كان يعرف بعنوان أو باسم آخر، وهي ظاهرة لم تكن ظاهرة غير مألوفة في المؤلفات أو الكتب الإسلامية ولاسيما كتب المسلمين الأوائل وهي تكون أما بشكل مختصر أو بأسماء أو عناوين مختلفة اختلافاً طفيفاً. ومن بين مؤلفات ابن المطهر كتاب يحمل عنواناً هو (قواعد الأحكام؛ بروكلمان GAL جزء ٢ ص ٢١١؛ والملحق جزء ٢ ص ٢٠٧ (ونسخة حجرية في طهران ١٣٢٩هـ/١٩١١)؛ أغا بزرك، الذريعة جزء ٢ ص ٤٩٦ وأيضاً الكنتوري Kanturi كشف ص ٤١٧. وهناك كتاب آخر بعنوان الأحكام الشرعية على مذهب الإمامية بروكلمان GAL جزء ٢ ص ٢١١، والملحق جزء ٢ ص ٢٠٨. ولعله من المحتمل أيضاً أن نسبة كتاب قواعد الإسلام إلى ابن المطهر خطأ في أساسه، وأن هذا العمل هو إلى العالم الشيعي الإثني عشري الآخر المشهور وهو عم ابن المطهر الحلي ومعلمه جعفر بن الحسن الحلي "المحقق الحلي" (المتوفى سنة ٦٧٦هـ/١٢٧٧م)، والذي كان أيضاً مؤلف عمل مهم آخر بشأن الشريعة الإمامية المعروف بـ (شرائع الإسلام). وقد ولد نجم الدين جعفر بن الحسن بن يحيى بن سعيد الحلي "المحقق الأول" في مدينة الحلة سنة ٦٠٢هـ/١٢٠٥م، وتوفي في مدينة بغداد سنة ٦٧٦هـ/١٢٧٧. وعن أعماله ينظر بروكلمان GAL جزء ١ ص ٥١٤-٥١٥، والملحق جزء ١ ص ٧١١-٧١٢. وينظر عنه أيضاً التنكابني، قصص العلماء ص ٣٦٤-٣٦٧؛ إذ وضع سنة وفاته في ٧٢٦هـ/١٣٢٥. كذلك ينظر أعلاه الفصل الأول. وأما كتابه الموسوم (شرائع الإسلام) فقد ترجمه كويري A.Querry إلى اللغة الفرنسية بعنوان:
Droit Musulman, Recueil des lois concernant les musulmans schyites.

ولا شك أن تحليلاً شاملاً لآراء ابن المطهّر ولمنزلتها ومكانتها في الأدب الشيعي وفي عالم الشيعة بشكل عام نحصل عليه بشكل ممتاز من الأخذ بنظر الاعتبار من مؤلفين أو عملين هما من أكثر أعماله إثارة للجدل وسوف يقدم لنا هذا الكتاب تبصراً أكثر أهمية إلى الإشكاليات الدينية المتورطة.والمؤثرة خلال القسم الأول من الحقبة التي نأخذها بعين الاعتبار، فضلاً عن الآثار والأصداء إبان ذروة القرن الخامس عشر.

العمل أو الكتاب الأول (منهاج الكرامة في معرفة الإمامة) لم يفنده أي عالم عدا ابن تيمية، وهو من أكبر المعاصرين ومن ألد الخصوم لأبن المطهر(١٢٧) أما الكتاب الثاني: فهو (نهج الحق) الذي فنده فضل الله بن

وهو في جزئين، طبع في باريس ١٨٧١-١٨٧٢؛ وكان المترجم القنصل الفرنسي في مدينة تبريز. وهناك ملخص لكتاب شرائع الإسلام بعنوان (المختصر النافع في فقه الإمامية) وقد طبع في القاهرة (التحقيق الثاني ١٣٧٧هـ/١٩٥٧-١٩٥٨). وفي الواقع، فإن الكتاب المعروف جداً لابن المطهر، المعروف (الباب الحادي عشر) أنه كان معروفاً بسبب توافره بترجمة قام بها وليم مللر William Miller باللغة الإنجليزية بعنوان (الباب الحادي عشر: رسالة حول عقائد الشيعة الفقهية:
Al-Babu' L-Hadi, Ashar: a treatise on the principles of shi'ite theology.

(١٢٧)لقد أثار الكتاب اهتمام ابن تيمية في دمشق حيث من المحتمل أنه وجد بعض القرّاء المتعاطفين، ينظر لاوست Laoust في دراسته باللغة الفرنسية المشار إليها سابقاً (دراسة عن ابن تيمية Essai sur...b.Taimiya) ص ٣٦-٣٧.

وتفنيد أو دحض ابن تيمية اعتماداً على الذهبي الذي اختصره (الحافظ أبو عبد الله محمد بن عثمان ٦٧٣-٧٤٨هـ/ ١٢٧٤-١٣٤٨ وينظر عنه بحث محمد بن شنب Moh.ben.Chenb وسيموجي J.de somogyi في دائرة المعارف الإسلامية (طبعة جديدة، المجلد ٥؛ ومختصره بعنوان (المناقب من ...، تحقيق محب الدين الخطيب) القاهرة ١٣٧٤/١٩٥٤، وهو أحد تلامذة ابن تيمية المشهورين جداً نقل العنوان بأنه (منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والإعتزال. وأن عمل الأصلي قد طبع تحت عنوان "منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية"، القاهرة، بولاق، أربعة أجزاء ١٣٢١هـ/١٩٠٣م.
ومن النادر أن يعطي ابن تيمية عناوين مكتبه؛ ينظر الذهبي، المنتقى ص ١٧، حاشية رقم ١. لقد صنف ابن المطهر كتاب (منهاج الكرامة) للخان المغولي أوليجتو Ulgaitu في نصه الآتي:
(.. خدمت به (أي بالكتاب) خزانة السلطان الأعظم ملوك ملوك طوائف العرب والعجم شاهنشاه غياث الله والدين خداه بنده).
الذهبي، المنتقى ص ٢٥. والنص الكامل لإهداء الكتاب ويبدو أن الذهبي قد تلاعب بهذا الإهداء واقتصره، إذ أنه في مقدمته الخاصة (ص١٧-٢٤ في الطبعة المنشورة قد كتب هذه الصفحات الذهبي، وأن الاختصار الملائم يبدأ من ص ٢٥) قد صرف النظر عن عمل ابن المطهر وآرائه وآراء المؤيدين أو أنصاره في الدين إلى الصيغة الآتية (وقلّت معرفتهم بالدين والعلم.. وقد دخل منهم على الدين فساد ما لا يحصيه إلا رب العباد) والنصيرية والإسماعيلية والباطنية، من بابهم دخلوا، والكفار والمرتدة، بطريقهم وصلوا، فاستولوا على بلاد الإسلام وسبوا الحريم وسفكوا الدم الحرام) الذهبي: المنتقى ص ١٨. [أقول، إن الذهبي بحقده وتعصبه ضد الشيعة قد قلب الرواية التاريخية التي

روزبهان الخنجي العالم السني الكبير في دولة الآق قوينلو Aq-qoyunlu، والذي فند بدوره فيما بعد من قبل مؤلف شيعي كبير يضاهيه وهو القاضي نور الله شوشتري خلال القرن الثاني.

شخصها (ابن الأثير) في الكامل في التاريخ، التي تنص صراحة – على عكس ما أبطنه الذهبي – على أن الخليفة الناصر بالدين هو الذي كتب إلى المغول لغزو العراق وذبح أهله رجالاً ونساءاً وأن ابن الأثير قد دعم رأيه بأبيات من الأبيات الشعرية المؤلمة التي تفضح عمل هذا الخليفة، ولا شأن للشيعة الذين كانوا مقهورين على أمرهم في ظل الخلافة العباسية غير الشرعية. وهكذا كان الحال زمن آخر خليفة عباسي المستعصم عندما ضعف قائده العسكري وخارت عزيمته أما هجوم هولاكو سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨ فانهزم تاركاً جنوده إما غرقى في المياه وإما عائدين إلى بغداد بشكل مخز، يراجع ابن الأثير، الكامل؛ الحوادث الجامعة، المنسوب لابن الفوطي طبعة بيروت، دار الغرب الإسلامي ١٩٩٧، ص ٣٤٩-٣٣٥. المترجم].

ويستمر الذهبي في إدانته بقوله أن الرافضة (وهو مصطلح في الأغلب الدعم يغطي جميع المسلمين من غير السنة بصورة عامة؛ وها هنا فالذهبي يقصد اتباع ابن المطهر، أي الإثني عشرية) وهم يشابهون اليهود في خداعهم وكذبهم وتقلبهم Capriciousness ويشابهون المسيحيون في غلوهم وتطرفهم وجهلهم.

ومن بين العلماء السابقين لابن المطهّر، يدوّن الذهبي اسم نصير الدين الطوسي. ويضيف أنهم (أي الإثني عشرية) وموازنة بالخوارج، فإن الخوارج أناس أكثر إخلاصاً منهم. [نعم، فالذهبي وأنصاره من المتعصبين والمتحاملين والذين يبغضون أهل البيت – الإمامية الإثني عشرية – أكثر بكثير من القتلة الخوارج الأزارقة. فهؤلاء من أهالي الكوفة هم الذين ناصروا معاوية ضد الخليفة الشرعي وابن ملجم أحدهم هو الذي طعن الإمام علي كدليل وفاء لمعاوية وعمرو بن العاص الذي يعدّهم الذهبي من أولياء الأمر. المترجم].

فممارسة التقية – كما يضيف المؤرخ الحنبلي التيمي نسبة إلى ابن تيمية. المترجم. عند الشيعة إنما يفهم منه أنه نفاق خالص وواضح [إذ أن الذهبي وأنصاره من أنصار ابن تيمية كانوا يعيشون في هدوء بال وأمان من السلطات الجائرة فهي سلطاتهم ولم يدركوا شيئاً مما عانى منهم أئمة أهل البيت واتباعهم من ذبح وقتل بالسم وتخريب بيوتهم وقطع أرزاق من قبل بني أمية وبني العباس وجلاوزتهم، فإعلان التقية خوفاً وخشية من تصفية الحكام المتعسفين ووعاظ سلطانيهم كابن الجوزي وابن قيم الجوزية وابن تيمية والذهبي إن هو ألا نفاق . المترجم]. ينظر الذهبي، المنتقى ص٢٠، ٢٢. أما ابن تيمية في تفنيده لكتاب ابن المطهر – كما هو معتاد في كتاب طبيعته مثل هذه الطبيعة –فإنه يقتبس من النص الأصلي مقاطع وفصول، ومن ثم يبدأ تعقيباته وذلك بالإشارة إلى الأخطاء التي يعتقد حسب رأيه بأن المؤلف (ابن المطهر) قد وقع فيها [إنه منهج ما زال يتبع من قبل المتحاملين والمتعصبين وإن كانوا أساتذة أكاديميون منهج بتر نصوص المؤلف أي مؤلف من الشيعة أو من شايعهم، ليفهم من قبل القارىء كيف أن هذا الباحث كافر أو مشرك أو حتى زنديق، مثلما حدث بالنسبة إلى المترجم حينما كتب عن (الطبري وثورة الزنج في البصرة) وبالنسبة إلى العباسيين وظلمهم وبالنسبة إلى الطبري واستشهاده بأبي بكر المغولي وهو يشتم الثوار الزنج. المترجم].

ومن هذه الاقتباسات من الكتاب الأصلي يمكن إعادة مباني الكتاب وإعادته. [طبعاً مؤلف هذا البحث يقع في خطأ فادح، فكيف للذهبي، وهو كاره وحاقد على الشيعة الإثني عشرية وعلى ابن المطهر شخصياً أن يأتي بذات الآراء التي قالها المطهر الشيعي الإمامي دون أن يحرفها ويقلل من أهميتها أو ربما يزيفها، وابن تيمية معروف بأنه يتبع منهج التزييف والتحريف. لذلك على المؤلف أن يقول أنه من الضروري بمكان العودة إلى المصدر الأصلي الذي ألفه ابن المطهر الحلي للكشف عن مدى تزوير وتحريف وكذب ابن تيمية. المترجم]. ولم يكن كتاب ابن تيمية منهاج السنة متوافراً بغية الاستشارة به، وهكذا فإن الاستشهادات المتوافرة هي في حقيقتها للذهبي في كتابه المنتقى. وأن الطبعة الحديثة لمنهاج السنة (القاهرة ١٩٦٤ فصاعداً) تتضمن نص كتاب ابن المطهر (منهاج الكرامة) وقد قدّمه بشكل منفصل في البداية).

فكتاب ابن المطهّر (منهاج الكرامة) هو عمل عن الإمامة وقد ألف (لملك الملوك للأمم العربية والفارسية) أي للسلطان المغولي الإليخاني أو لجيتو خدا بندا Lilgaitu Hudabando[١٢٨]، وهو من خمسة أقسام: الأول منها بشأن الإمامة بناءاً على المذاهب المختلفة، والقسم الثاني عن الحاجة الضرورية في تقليد واتباع المذهب الإمامي، أما الثالث فهو عن الأدلة والبيّنات عن إمامة علي، وأما الفصل الرابع فهو بشأن الأئمة الاثني عشر، والخامس يتناول عدم شرعية أو إبطال خلافة أبي بكر وعمر وعثمان[١٢٩].

وقد افتتح ابن المطهّر استهلاله للكتاب بإثارة تساؤل بأن مسألة الإمامة هي من أكثر المسائل أهمية في الأمور الدينية وأنها من أكثر الموضوعات جدارة بالذكر بالنسبة إلى المسلمين جميعهم قد لاقت رداً سريعاً من أبن تيمية وهو الرد الآتي (قوله أن مسألة الإمامة من أكثر الموضوعات أهمية هو أنه هو بإجماع رأي المسلمين الذي يعتقد بعقيدة الإمام كونها مهمة جداً)[١٣٠].

---

[١٢٨]تعدّ الحقبة التي حكم السلطان الإليخاني أوليجيتو خدا بنده (٧٠٣-٧١٦هـ/١٣٠٤-١٣١٦) فعالة في الحوارات والمجادلات الدينية والفقهية. وأن وزيره الأعظم رشيد الدين فضل الله قد ألف في ذلك كتاباً الفوائد السلطانية التي هي عبارة عن (محادثاته ومناقشاته مع الأليخان أو ليجتتو بخصوص الإشكاليات الدينية والفلسفية) ينظر توجان Togan في بحثه الموسوم (تصنيف تاريخ المغول..) المنشور في المجلة الآسيوية Central Asien Journal مجلد ٧ عدد ١ /١٩٦٢ ص ٦٠ واعتماداً على توجان (ص ٦٢) فإن الفوائد "تمثل الفقه في حقبة اوليجتو، الذي كان مشغولاً شغلاً غامراً أو ساحقاً (ص٦٢) في مختلف المناقشات والمحاججات). وبصورة عامة ينظر حول أوضاع الشيعة خلال عهد أولجيتو شبولر Spuler في دراسته باللغة الألمانية (إيران في عهد المغول Die Mongolen in Iran) ص ١٩٠-١٩١. وكان لأوجيتو مدرسة متجولة التي كانت تتحرك وتنتقل مع القافلة train الملكية. وقد كتب ابن المطهر بعض مؤلفاته في هذه المدرسة المتنقلة. ينظر الخوانساري، روضات الجنات ص ١٧٦؛ وكذلك ينظر ابن المطهر، كتاب الألفين الفارق بين الصدق والمين (النجف ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م) جزء ١ (المقدمة) وجزء ٢ ص ١٨٤. ينظر أيضاً العمري، مسالك الموجود في كتاب كلاوس ليج Klaus Lech باللغة الألمانية الموسوم (عالم المغول Des Mongolische Welfeich) ص ٩٨ إذ جاء ما نصه:

(ومن عادة هذا السلطان (أي أولجايتو خدابنده) أن يصحبه في الأردو وفي كل حل ومرتحل أعيان من العلماء والمدرسين برواتب جاريات على السلطان، ومع كل منهم فقهاء وطلبة، وهؤلاء هم المسموم بمدرسي السيارة).

[١٢٩]ابن تيمية عند الذهبي ص ٢٥.

[١٣٠]م.ن.

ويستمر ابن تيمية للبرهنة على نقطته بالإشارات الاعتيادية في الاقتباسات القرآنية والحديثية[١٣١] وبعد ذلك روى أن اجتماعاً كان له مرة مع أحد الإمامية، وأن هذا قد سخر واستهزأ بوجهة نظر الإمامية حول المهدية: (أنت ونفسي تلاميذ للعلم الديني، وللحقيقة، وللهداية الملائمة الصحيحة. إذ يقول الإماميون بأن الشخص الذي لا يؤمن بالمهدي المنتظر هو كافر. هل رأيته؟ أو هل رأيت أي شخص رآه؟ أو هل تعرف أي من أقواله وأحاديثه؟... أنت تسأل أو تطلب الولاء لطفل عمره ثلاث أو خمس سنوات قد دخل نفقاً قبل أربعمائة وستين سنة.. في حين أننا قد أمرنا أن نطيع ونتبع أئمة معروفين وموجودين أولئك الذين يمارسون سلطة مؤقتة أو سلطة زمنية)[١٣٢].

وكل قول أو ذكر في الكتاب الأصلي قد اتخذ ونوقش مناقشة كاملة، وفي النهاية يفنده ابن تيمية على عهدة أو على أساس أحاديث أخرى. وهذه الأقوال بضمنها أمور مثل التبجيل المتطرف أو الزائد للشيعة لمشاهد الأشخاص الشيعة المقدسين (حتى إن بعضهم يعدّ الحج إلى هذه المراقد أكثر أهمية من الحج إلى مكة) [ينظر ص ٥١ وكذلك ١٥٨-١٥٩؛ والإشكاليات هي أن تعزى إلى الله وأسمائه (ص ٨٠ وما بعدها من الصفحات)؛ وكذلك فقد هاجم وجهات نظر نصير الدين الطوسي (ص ١٠٧)[١٣٣]، مسألة القضاء والقدر (ص ١٢٩)؛ وضع أو حالة معاوية والأمويين إزاء الشيعة (ص ٢٥٢)؛ ومسألة عصمة الإمام (ص٤١٥ وما بعدها من الصفحات وفي أماكن متفرقة من الكتاب)؛ ومسألة الحديث المشهور حديث خم وآل بيت النبي، العترة (ص

---

[١٣١]ابن حجر العسقلاني، الفقيه أو القاضي من القرن الخامس عشر للميلاد، يعقب باختصار في سيرة ابن المطهر في كتابه (الدرر الكامنة جزء ٢ ص ٧١) على نقض ابن تيمية لكتاب ابن المطهر فيقول أن ابن تيمية قد أبلى بلاءاً حسناً، "غير أنه قد حمل أو نقل محاججاته بعيداً جداً في عدد من المواضع بتفنيد أو نقضه أحاديث محددة التي هي في الحقيقة موجودة على الرغم من سندها أو موثوقيتها الضعيفة التي قال ابن تيمية أنها مزورة أو ملفقة أو مختلفة) وكتاب ابن تيمية هنا قد أشير إلى كتاب أو العنوان الشعبي جداً: الردّ على الرافضي.

[١٣٢]ابن تيمية عند الذهبي: المنتقى ص ٧، ٣٠-٣١.

[١٣٣]م.ن. ص ١٦٠.

(قال "ابن المطهر" الوجه الثاني في الدلالة على وجوب اتباع مذهب الإمامية ما قاله شيخنا الأعظم خواجه نصير الدين محمد بن حسن الطوسي قدسّ الله روحه، وقد سألته عن المذاهب فقال بحثنا عنها وعن حديث ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة فوجدنا الفرقة الناجية الإمامية لأنهم باينوا جميع المذاهب).

٤٧٥)[١٣٤]. ومسائل متعلقة بالتواطىء بين المغول والشيعة ومساعدة في تسليم بغداد وتورط نصير الدين الطوسي في هذا الموضوع (ص ٣٢٥-٣٢٧)؛ وأمور أخرى.

ومهما يكن، فإن ابن تيمية في أحد نوباته المزاجية الأقل عنفاً يلخص الموقف الحقيقي للمسلم السني تجاه اتباع المذاهب الهرطقية بقوله (ومن بين الرافضة أولئك الاتقياء والورعين والزهاد والمخلصين، غير أنهم ليسوا – على الرغم من هذه الخصائص – مثل اتباع الفرق الأخرى. فمثلاً نجد المعتزلة أكثر معقولية وأكثر اعتدالاً وأكثر ذكاءاً وإطلاعاً Know Ledgeable وأكثر تديناً؛ وبينهم فإن الكذب والفسوق أو العمل الأخلاقي أقل مما هو موجود بين الرافضة. والشيعة الزيدية هم أفضل وأقرب إلى الحقيقة والعدل والمعرفة بالعلم الديني. وليس هنالك من جماعة بين الفرق من هم أكثر إخلاصاً وصدقاً من الخوارج، وعلى الرغم من ذلك، وأعني على الرغم من خصومتهم وعدائهم للمسلمين (ألارثودوكس المحافظين) فإن السنة يعاملونهم معاملة المساواة والعدل، ولم يضايقونهم، وذلك لأن الظلم والجور محرم إطلاقاً.. وفي الواقع أن السنة هم أفضل وأكثر عدلاً مع الرافضة أكثر من بعض الجماعات الرافضية بعضهم للبعض الآخر[١٣٥].

وبهذا القول الذي يحتمل أنه من أكثر أقواله توازناً للكتاب، نترك ابن تيمية[١٣٦] لنواصل الأخذ بنظر الاعتبار عملاً أو كتاباً آخراً من كتب ابن المطهّر وهو كتاب (نهج الحق).

و(نهج) ابن المطهّر، ككتابه الأول الذي تمت مناقشته تواً، قد صنف أيضاً بناءاً على أوامر من السلطان المغولي أوليجايتو Ulgaitu[١٣٧] فهو يستهل كتابه بعد مقدمة

---

[١٣٤] إحدى الصيغ التي ظهر فيه هذا الحديث المشهور (إنني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي).

[١٣٥] ابن تيمية عند الذهبي، المنتقى ص ٣٢٨.

[١٣٦] ومهما يكن فإن عمل ابن تيمية كان ذاته قد هوجم في ردّ من قبل محمد بن مهدي الكاظمي في كتابه (منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية) المطبوع في النجف ١٣٤٦هـ/١٩٢٧-١٩٢٨، في جزئين وهو عمل حديث.

قصيرة مباشرة لمناقشة المسألة الأولى، تلك التي سماها (الإدراك) بمعنى العقل reason[١٣٨] ومهما يكن، فإن فضل الله بن روزبهان الخنجي[١٣٩]، وكذلك القاضي (نور الدين الشوشتري)[١٤٠]، كل منهما قد تحدث في مقدماتهما بشيء من التفصيل عن العمل الأصلي (واقصد نهج الحق)، وباختصار رسماً بإيجاز السبب الدافع الذي دفع ابن المطهر على تصنيفه. ففي تمهيد القاضي نور الله هناك أيضاً مناقشة لدحض أو تفنيد الخنجي وتعقيباته على الكتاب بشكل مختصر بشأن المؤلف السني وحياته[١٤١].

---

(١٣٧)التستري، إحقاق الحق جزء ١ ص ٧٦ (هامش رقم ١) (ويقتبس المحقق في هذا الهامش النص الكامل للخطبة (في المقدمة) التي خطبها ابن المطهر في نهج الحق.

(١٣٨)(العقل Reason) لعله ليس أفضل ترجمة لكلمة إدراك العقلية التي بإمكان الإنسان في معرفة الله. وأن الذي فنده أو دحضه وهو ابن روزبيهان قد تعجل في إشارته في هذا الاستعمال وقال أن ابن المطهر يقصد في الواقع بأنه يريد من ذلك الرؤية Sight، الشوشتري، إخفاق ج١ ص ٧٩.

(١٣٩)وعن فضل الله بن روزبهان خنجي: (أ) وعن مدخل قصير عنه ينظر ابن المطهّر، حبيب السير ج٤ ص ٦٠٧ تحت خواجه مولانا أصفهاني، إذ قال:

(جون خواجه.. در مذهب تسنن بغايت تعصب بود، در زمان دولت شاهى (يعني صفويه) أز آذربيجان بهرات آمده)- لأن الخواجه.. كان من مذهب السنة ومتعصب جداً، خلال وقت وصول الدولة الشاهية (أي الصفوية) إلى آذربيجان — هراة- .

وقد قدّم تاريخ وفاته بأنه كان في ٥ جمادي الأولى ١٥٢١/٩٢٧- (ب) التستري، إحقاق ج٢ (مقدمة) ص ٧٤-٨٢ ومقدمة الجزء الثاني من صفحة ٥٧-٦٤، إذ هناك إشارة قد عملت إلى بحث عن ابن روزبيهان ألفها أحد المنحدرين من العائلة التي ظهرت في فرهنك إيران زمين جزء ٤ رقم ٣ (١٩٥٧/١٣٣٥) ص ١٨٣. (ولم يكن هذا البحث متوافراً لاستشارته أو لمراجعته. وهناك ذكر في هذا البحث عن خال صبحي من جهة أمه، الخواجه جمال الدين إسماعيل السعدي، الذي كان يشغل منصب وزير لبير بوداق Rr Budaq من أسرة قره قوينلو) (ج) الخوانساري روضات الجنان ص ٥٠٠-٥٠١ (ففيها مدخل قصير يؤشر إلى دحضه و تفنيده لكتاب ابن المطهر النهج، بعد ذلك يطلق لسانه في إشارة وضيعة وخسيسة في ابنة ابن روزبيهان التي كانت حسبما يبدو قد ضلت go astray (د) أحمد اقتداي؛ لارستاني كهن: تحقيق دار براى لارستان قديم (تهران ١٣٣٤هـ/١٩٥٦م). وفي فصل عن هذا للأشخاص المشهورين في لارستان، كثير منهم من كان من عائلة روزبهان. وعن فضل الله هناك مطولين: ص ١٤٣-١٤٥، ١٨٦-١٩٢. وأن ثلاثة عشر من كتبه قد دونت في قائمة على صفحة ١٩٠-١٩٢، أحدهما، الديار بكرية قد نسبت إليه خطئاً. (هـ) وضخ Hung بلده تقع في الجنوب الشرقي من شيراز باتجاه الخليج الفارسي (ينظر كيهان جغرفيايى مفصلي ايران، ج ٢ ص ٢٣١، وكانت خنج معقلاً للسنية. واعتماداً على أوبين J.Aubin في بحثه باللغة الفرنسية الموسوم (ملاحظة حول بعض الوثائق عن آلاق موينلو Aq-qoyunlu ص ١٣٣ هامش رقم ٣) فإن دور وثائق هذه المدينة قد دمرت خلال حقبة نادر شاه. (و) النسائي، فارس نامه بى ناصري القسم الثاني ص ١٩٧-١٩٨. (وليس هناك ذكر لابن روزبهان (ز) فضل الله بن روزبيهان الأصفهاني (الخنجي) سلوك المسلوك، تحقيق المرحوم نظام الدين، ١٩٦٦، في صدر آباد (الدكن) غير أنه متوافر قبل بضعة سنوات بعد ذلك فقط، في الوقت الذي أرسلت مخطوطة هذا الكتاب فعلاً إلى المطبعة.

(١٤٠)وعن القاضي نور الله التستري، ينظر كتابه إحقاق، جزء ١ (المقدمة) ص ٨٢-١٦١.

(١٤١)مرشد مختصر إلى إحقاق الحق للشوشتري: فالكتاب كما طبع من قبل كتاب فروش —ى إسلامية في طهران، هو في حقيقته ثلاثة كتب في كتاب واحد. وهذا هو الذي تركه لنا المؤلف الثالث القاضي نور الله من كتابات أو توقيعات، فهو الذي خلال كتابته الكتاب أورد أولاً المؤلف الأصلي (ابن المطهر) ثم أعقبه المؤلف الثاني (ابن

والإشارة إلى ابن روزبهان الخنجي بالنسبة إلى تبني التشيع في العهد الصفوي يقول في مقدمته (هناك جماعة من الهراطقة الذين احتلوا البلاد ونشروا الآراء الرافضية والتشيع للطائفة sectarianism بين الناس. وهذا السبب الذي اضطرني إلى أن أغادر بلادي واختيار منفى بعد أن ودعت بلادي الحبيبة واحبتي من أصدقائي. ولذلك تركت مدينتي أصفهان ووصلت إلى قاشان إذ صارت مستقري.. حيث كانت آراء الناس فيها من أهل السنة والجماعة هي المنتشرة، وحيث لم يكن أي تشيع لطائفة وأي إلحاد(*))(١٤٢)..

وبينما هو في قاشان(١٤٣) التي كانت أول مرحلة في رحلاته التي أخذته أو حملته في نهاية المطاف إلى أراضي الأوزبك في الشرق. فقد التقى مصادفة بكتاب ابن المطّهر

روزبيهان) ثم قدّم آراءه على الكتابين، داحضاً آراء ابن روزبيهان ومثبتاً آراء ابن المطهر. وقد قدّم هذا على وفق موضوع بعد آخر أو نقطة بعد أخرى، وفصل بعد آخر، وفي بعض الأحيان قدمها مقطعاً إثر مقطع وجملة إثر أخرى. وقد قدّمت كلمات ابن المطهّر وفقاً للتعبير الآتي: (قال المصنف رفع الله درجته، والكلمات التي عبّر عنها عن أبن روزبهان "قال الناصب حفضه الله" وعن إسهامات ومشاركات القاضي نور الله باستخدام تعبير (أقول) وفضلاً عن هذه الثلاثة نصوص، فإن الكتاب يحتوي أيضاً "وفي هذه الحالة على صيغة هوامش) على تعقيبات واسعة وشاملة قدّمها شهاب الدين النجفي، وهو مؤلف حديث. وتعليقات النجفي تشغل في الأعم الأغلب عدة صفحات في كل مرة- وهكذا فإن النص يقاطع وتشغل التعليقات جميع الصفحة. وعلاوة على ذلك، فإن النجفي قد قدّم جميع العمل (الكتاب) بمقدمة من ١٦١ صفحة [والتي في واقعها تحمل عنواناً أو أسماً خاصاً مطبوع بالحبر الأحمر: كتاب اللئالى المنتظمة والدرر الثمينة، وهي تبحث في الكتاب ذاتها ص ١٢-٣٥، وعن حياة العلامة ابن المطهر ص ٣٥-٧٠؛ وعن أولجيتو ص ٧٠-٧٣، وعن الخنجي ص ٧٤-٨٢، وأخيراً عن القاضي نور الله نفسه ص ٨٢-١٦١. والمحقق العام هو الحسن الغفاري، والواقع فإن المرء ينبغي أن يعترف بما قدّمه من عمل جيد وذلك بحسن معالجته وتدبيره لجميع هذه المعلومات. وفضلاً عن لوحة المحتويات فإن هناك لوحة منفصلة وشاملة لمحتويات التعقيبات والملاحظات التي قدّمها النجفي، فضلاً عن ملاحق أخرى. والأمر المهم الذي ينقص العمل هو الفهرست العام. وإن دراسة تامة وشاملة للكتاب بصورة عامة يعدّ بمثابة ثقافة في التشيع والإسلام وواقعاً على امتداد واسع للتاريخ الإسلامي والفكر الإسلامي. وقد ظهر الجزء الأول سنة ١٣٧٦هـ/١٩٥٦ والجزء الثاني من ١٣٧٧هـ/١٩٥٧ والجزء الثالث في ١٣٧٨هـ/١٩٥٨، وأن عملية الطبع والنشر ما زالت مستمرة وغير منتهية (والأكثر صحة فإن جميع الكتاب ما زال غير متوافر للباحث صاحب البحث هذا) وعلى أية حال، فإن القسم الذي يهمنا بشكل أكبر في هذه المناقشة، هو ذلك المتعلق بموضوع الإمامة الذي يبدأ من الجزء الثاني ص ٢٨٦ (وهو فعلاً في الجزء الثالث من الإحقاق قد ظهر في ١٣٨٤هـ/١٩٦٤-١٩٦٥).

(*)وهذا في الواقع هو التطرف والغلو والرفض بعينه. فكيف يدّعي ابن روزبهان لنفسه بالعالمية وهو لا ينظر إلا من خلال زاوية في الكره والحقد والعداء للآخر؟ إنه بذلك يتعارض والإسلام الحق وما جاء في القرآن الكريم والحديث الشريف.. ردّ فعله دليل واضح على ضعف مذهبه [المترجم].

(١٤٢)التستري، إحقاق جزء ١ ص ٢٥-٢٦ (من النص) ينظرأيضاً خنجي / ما ينورسكي Minorsky، بلاد فارس، ص ٧ وهامش رقم (١).

(١٤٣)عن موقع كاشان في بلاد ما وراء النهر وإشكالية تحديد هويتها مع كاسن Kasan في إيران أو مع كاسان (قاسان) في بلاد ما وراء النهر ينظر تحقيق منوشهر ستودا Manucihr sutfda لكتاب الخنجي مهمان نامه ى

نهج الحق وقرأه، وشرع في تفنيد المحاججات التي خططت فيه. وقبل أن يبدأ تفنيده ودحضه شرع في إبراز القسم الرئيس من دحضه، وذلك كوّم heap أو كدس ثمة نعوت أزدرائية عن الذي كان من اتباع موالياً للعقائد الإمامية وموالياً لأئمة أهل البيت الاثني عشر، العقيدة التي وجد الخنجي من الصعب قبولها. أنه نفسه كان يعتقد بهؤلاء الأئمة ويجلهم أو ويحترمهم كثيراً، وقد واصل ذلك الاحترام بذكر بعض الأبيات الشعرية التي نظمها في مدحهم(١٤٤)، بعد ذلك ذكر الأسباب التي تعهد بها في مشروعه التفنيدي، مشدداً بشكل يبدو فيه غير عالم في الموضوع ما سنذكره لاحقاً والذي يكشف أو يظهر إشارات أو آيات محددة بأن المؤلفات الاثني عشرية قد كانت مطلوبة بشدة من قبل الحكم الصفوي الجديد، إذ قال: (فعندما استعرضت المحتويات، محتويات الكتاب وفكرت ملياً ببدع الإمامية وارتفاع شأنها في البلاد، وأنهم كانوا قد عادوا إلى محو آثار الكتب السنية... بدأت اندهش أو اتعجب بأن فساد الأوقات قد يؤدي إلى أن يقود الإمامية إلى وهم المبالغة والغلو في نشر هذا الكتاب، وأنه ربما حتى جعله الأساس في آرائهم الفاسدة)(١٤٥).

ومن الجهة الأخرى فإن القاضي نور الله زودنا بتفصيلات أكثر بخصوص التصنيف الأصلي للكتاب ابن المطهر فضلاً عن هجوم ابن روزبهان الخنجي. فهو

Mihman nama بخارى (تهران ١٣٤١هـ/١٩٦٣م) (المقدمة) ص ٢٣-٢٤، هامش رقم ٤، وظهر تحقيق هذا العمل بعد أن اكتملت أغلبية المحاججة أو المناقشة عن الخنجي. وعند النظر إلى هذا وإن كان بصورة سريعة ومتعجلة فإنه من اللافت أو من الغريب ملاحظة أن الخنجي لم يشر إلى ظهور الصفويين في الغرب — وهذه نقطة مؤلمة ومحزنة إذ أعدّ هجمات لاذعة وسافرة في كل من كتابيه الإبطال (وأقصد هنا تفنيده ودحضه لكتاب ابن المطهر النهج) وفي كتابه تاريخي عالم آرا اميني. وهذه هي كل ما هناك بالنسبة إلى الصراع النهائي بين محمد شيباني خان أوزبك (وهو داعمه والشخصية البارزة في كتابه مهمانامه) وبين تصاعد نجم الشاه إسماعيل الشيعي. ومهما يكن فإن مقدمة السيد ستودا Sutuda لتحقيقه (صفحة ١١-٣٤) وللسيرة التي كتبها عن الخنجي (صفحة ٣٣-٣٤) لابد من فحصها وتدقيقها بشكل أكثر لإحتمالية وجود معلومات إضافية عن الخنجي وعصره.

(١٤٤)التستري؛ إحقاق جزء ١ ص ٢٨ (من النص) ينظر أيضاً جزء ١ ص ٧٩-٨٠ (من المقدمة) إذ وردت قصيدة مطولة في مدح الأئمة الإثني عشرية. وكان ابن روزبيهان ذلك السنّي الصامد والمخلص مثل أكثرية الكتّاب السنة — دائماً يقدرون ويعدّون آل البيت تقديراً واعتباراً غ البين، وهذا هو مثال لطريقة الفهم السنية بصورة عامة حين تكون جميع الآراء بصورة خاصة مقبولة وبوسعها أن نجد مكاناً في جميع المعتقدات الارثودكسية السنية المغلقة والمحجوبة envelope.

(١٤٥)شوشتري؛ إحقاق جزء ١ ص ٣٣ (من النص) فقد سبق أن أشرنا سابقاً أن أحد أعمال ابن المطهر عمل ليكون أساساً لديانة الصفويين الجديدة ينظر أعلاه.

يقول بأن فرقة الاثني عشرية التي أكدت جازمة على أن مسلمي الفرقة فقط هم الذين سينجون في يوم الحساب[١٤٦] وكان لها أعداء كثيرون حتى حقبة اعتلاء السلطان غياث الدين محمد خدابندا فهو الذي قد تردد في بداية الأمر بين اتباع المذهب الحنفي والمذهب الشافعي[١٤٧].

وأخيراً، فإنه في جلسة مناقشة عقدت في البلاط بين مختلف المذاهب، وكان ابن المطهر قد بعث لذلك وظهوره في البلاط يشرح الآراء الإمامية فبرع في عرضها، ولذلك قيل أن السلطان قبل بالتشيع الاثني عشري وأمر بأن يكون الدين الرسمي للبلاد[١٤٨].

---

[١٤٦] وأقصد هنا الفرقة الناجية من بين الإثني والسبعين أو الثلاث والسبعين فرقة التي ذكر النبي أنه قالها بأن الأمة الإسلامية ستفترق إليها.

[١٤٧] الستري، إحقاق جزء ١ ص ١١-١٢ (من النص).

[١٤٨] م.ن جزء ١ ص ١٣-١٦ (من النص) إن قصة هذا الخلاف والنقاش قد احتفظ على أحسن وجه ابن بطوطة في رحلته (طبعة بيروت) ص ٢٠٤ وما بعدها من الصفحات، فالرحالة المشهور كان في المنطقة في شهر جمادي الآخرة سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٦ - أي بعد سنة أو اثنتين من وفاة ابن المطهر — إذ أضاف إلى نهاية روايته بأن الديانة الإثني عشرية لم تبق في تصاعد طويلاً أو لم تبق مهيمنة طويلاً، وسرعان ما ارتد أو تخلى السلطان (أوليجتو) عن الآراء الرافضية وكتب إلى أقاليمه طالباً ولاء الناس إلى آراء السنة والجماعة (رحلة ص ٢٠٦ تحقيق جب Gibb جزء ٢ ص ٣٠٤).
وحول قصة أو حادثة تحول أوليجيتو إلى التشيع الإثني عشري ينظر أيضاً المصادر الآتية:
التستري، إحقاق جزء ١ (المقدمة) ص ٣٥-٧٣ مع الإضافات الموجودة في الجزء الثاني (المقدمة) ص ٥٢-٥٤.
ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة جزء ٢ ص ٧١-٧٢، كذلك جزء ٣ ص ٣٧٨-٣٧٩.
خوانساري، روضات الجنات ص ١٧٢-١٧٧.
التستري، مجالس ص ٢٣٧-٢٣٩.
المجلسي، بحار الأنوار جزء ١ (المقدمة) ص ٢٠٣-٢١٦.
التنكابوني، قصص العلماء ص ٣٥٥-٣٦٤.
السبكي، طبقات الشافعية ج٦ ص ٨٣-٨٤، تحت عنوان (قاضي مجد الدين الشيرازي).
ابن خلدون، تاريخ ج٥ ص ٥٤٩.
العزاوي، تاريخ ج١ ص ٤٠٧-٤١٠؛ ولنفس المؤلف تاريخ النقود العراقية، ص ٥٢-٥٤ (من سنة ٧٠٧هـ/١٣٠٧م عن أن أوليجيتو ابتدأ ضرب نقود مكتوب عليها الصيغة الشيعية "علي ولي الله": ينظر النقود الرديئة التي ضربها أوليجيتو المعاصرة عند العزاوي، تاريخ النقود. وعن وصف ختم أوليجيتو بالصيغة الشيعية ينظر سقوفي N.Siquffi في بحثه باللغة الفرنسية الموسوم "دراسة تقويم ختم للسلطان المغولي أوليجيتو خدابنده"
Notice sur Le cachet de sultan Mogol oledjaitou Khodabendeh
المنشور في المجلة الآسيوية JA عدد ٩ رقم ٨ (١٨٩٦) ص ٣١-٣٤٥.
مير خواند، روضة الصفا جزء ٥ ص ٤٢٦ وما بعدها من الصفحات.
(وبالنسبة إلى مير خواند فإنه عزا أو نسب التشيع إلى أوليجيتو نفسه) بقوله بالفارسية:
(وجون عقيده الجايتو سلطان محمد خدا بنده بر محبت أهل نبى وولى منطوى بود فرمان بود).

بعد هذا يخبرنا القاضي نور الله كيف أعلن ابن روزبهان عن تفنيده ودحضه للكتاب. فبناءاً على قوله فإن ابن روزبهان فعل ذلك (كإنتقام وأخذ الثأر للمذبحة الكبيرة التي أصابت أو ألحقت بشركائه المتدينين في أصفهان) في عشية أقامة أو إعلان الدولة الصفوية(١٤٩) ثم أن القاضي ذكر بعد ذلك بأن ابن روزبهان هرب من البلاد نتيجة لتلك المذبحة في بلاد ما وراء النهر(١٥٠).

وعودة إلى أن كتاب ابن المطهّر المنوّه عنه سابقاً: فكما ذكرنا في البداية أنه ابتدأ الكتاب بمناقشة الإدراك reason وبعد ذلك عرّج على مناقشة طبيعة النظر observation وموضوع النبوة بعد ذلك، وفي النهاية وصل إلى المسألة الحاسمة وهي الإمامة(١٥١).

فالمسألة الأولى التي قدّمها في القسم الخامس وهو القسم الرئيس من الكتاب هو عصمة الإمام. يقول ابن المطهر أن الإمام لابد من أن يكون معصوماً. ثم يواصل قائلاً فبناءاً على المذهب الإمامي أن الأئمة كالأنبياء بالنسبة إلى الحاجة الماسة لأن يكونوا معصومين من ارتكاب الجرائم misdemeanors ومن الأمور البغيضة abominations طيلة جميع حياته من الطفولة حتى موته سواء قد اقترفوا مثل تلك

فصيحي؛ مجمل ج٣ ص ٢٤ (سنة ٧١٥هـ/١٣١٥-١٣١٦) إذ ذكر بالتحديد سيد ركن الدين البهري، قائلاً: (كه الجايتو خان را بمذهب شيعة تحريض (والأصح تحريض) ميكرد).

خواندمير، حبيب السير جزء ٣ ص ١٩٥، إذ قال (وآن بادشاه سعادت بناء بإرشاد آنجانب "يعني ابن المطهر" متابعت مذهب عليه إماميه نموده).

(١٤٩)التستري، إحقاق جزء ١ ص ١٩ (من النص) وينظر ابن بطوطه، رحلة ص ١٩٩-٢٠٠، طبعة جب Gibb جزء ٢ ص٢٩٤-٢٩٥. وعن وصف مدينة إصفهان التي كانت في ذلك الوقت مدينة جميلة أضاف ابن بطوطة قائلاً (لكن خلال رحلته صار أغلب المدينة خراباً نتيجة الفتنة "الحرب الأهلية" بين السنة والرافضة. وأن القتال ما زال مستمراً بينهم. (وتاريخ ذلك كان في جمادي الآخرة ٧٢٧هـ/١٣٢٦. واعتماداً على المعقب على كتاب الإحقاق النجفي إن جمعاً من العلماء السنة قد اعلنوا فتوى داعين أنصارهم لقتل الشيعة في المدينة. وكثير منهم قد ذبح. وحين قدوم الشاه إسماعيل إلى السلطة أمر بمذبحة مضادة أي بذبح السنة. ينظر إحقاق جزء ١ ص ١٩ (من النص) هامش رقم ٦.

وحول المشاكل الطائفية في إصفهان من منتصف القرن الخامس عشر ينظر أوبين Aubin في بحثه باللغة الفرنسية الموسوم (دراسة عن بعض الوثائق في عهد آلاق قونيلو) المشار إليها سابقاً ص ١٣٤.

(١٥٠)التستري، إحقاق جزء ١ ص ٤٢ (في النص).

(١٥١)م.ن. جزء ١ ص ٧٥ وما بعدها من الصفحات، ص ١٤٧ وما بعدها من الصفحات و ١٦٣ وما بعدها والجزء الثاني ص ١٩٠ وما بعدها وص ٣٩٩ وما بعدها، وجميع الجزء الثالث.

الأفعال عن طريق الصدفة أو عن طريق العصر. وذلك لأنهم حملة أو نقلة الشريعة المقدسة ولأنهم الأشخاص المسؤولون في استعمالها أو تطبيقها. وفي هذه الوسيلة، فإن أحوالهم تشابه حالة النبي[١٥٢].

وفي جواب ابن روزبهان على هذه المسألة يذكر بأنه اعتماداً على الأشعري فإن قضية الإمامة هي ليست أصلاً من الأصول، والأخرى أنها فرع من الفروع. فالإمامة بالنسبة إلى الأشاعرة هي مجرد خليفة succession للنبي في دعم وتأييد الدين وفي صيانة أو حماية إقامة المجتمع أو الأمة[١٥٣].

وفي جواب القاضي نور الله على تفنيدات ابن روزبهان يقتبس من المؤلفين السنة أمثال البيضاوي (مجلد ٢ ص ٣٠٧) وابن حجر العسقلاني (مجلد ٢ ص ٣١٢) والدوّاني (مجلد ٢ ص ٣١٥) التفتازاني (مجلد ٢ ص ٣١٧) أقوالاً في دعم محاججة ابن المطهّروتأييده.

أما بالنسبة إلى النقطة الثانية التي ذكرها ابن المطهر أثناء مناقشته موضوع الإمامة، فهو الرأي بأن الإمام ينبغي أن الشخص الأفضل في الأمة. ومناقشة هذه

---

[١٥٢]م.ن. جزء ٢ ص ٢٨٦-٢٩٣.

[١٥٣]م.ن. جزء ٢ ص ٢٩٤-٣٠٤ وفي ختام تفنيده وحضه لهذا الفصل أو القسم، يستنتج ابن روزبيهان بمقطع شعري يشتمل على تلاعب لفظي في اسم ابن المطهر (الذي يعني حرفياً "ابن أحد المطهر"): حيثما يأتي عبر كلمات نظيفة طيبة، فإنه يوسخها في قاذورات من الأكاذيب. بأمور صافية ونقية يخلطها نفسه أو يمزجها ببذاءات لإطهاره. ولذلك فكم كان ابن المطهر ملوثاً وفاسداً!
أما القاضي نور الله ففي نهاية تفنيده ودحضه لابن روزبيهان لم ينس أن يرد عليه في الإجابة بمقطع شعري هجائي مشابه لما قاله ابن روزبيهان؛ وفي هذه المرة فإن الدور أو التلاعب بالألفاظ على أول كلمة من اسم ابن روزبيهان وهي (فضل) الذي تعني أيضاً (فاضولات الطعام) Lef- Overs، إحقاق جزء ٢ ص ٣٠٥ و ٣١٩. والظاهر أن ابن المطهر لم يأخذ هذه النوادر بجدية وخاصة بشأن اسمه. فقيل أنه التقى بابن تيمية عندما كانا في الحج في مكة. وإن الشخصان تناقشا بعض الشيء سوية وكان ابن تيمية متأثر ومعجباً فسأله (من أنت؟) وأجاب ابن المطهر (أنت تدعوني ابن النجس) وقد كسر هذا الموقف حاجز الثلج بين العالمين. (وهذه القصة قد وردت على عهدة السخاوي الذي كان قد سمعها من معلمه أو شيخه ابن حجر العسقلاني وأضافها إلى بخطه إلى نسخة ابن حجر الدرر الكامنة. ينظر الدرر جزء ٢ ص ٧٢ هامش رقم (راء).

النقطة أو المسألة قد تدور حول نيّة ابن المطهّر وقصده في استعماله للمصطلح ذاته[١٥٤].

وقد أعقبت هذه المسألة مسألة أخرى هي النصّ على تنصيب الإمام. ففي هذا الموضوع كان لابن المطهّر رأي إذ يقول: (جميع الأئمة قد قبلوا بأن المنهج أو الطريقة في التنصيب تنصيب الإمام هي... بنص من الله أو نبيه، أو من قبل إمام تأسست إمامته بالنص، أو عبر حدوث معجزات يقوم بها أو يجترحها. وذلك لأن حالة الإمام باعتباره معصوماً، وهذه قضية باطنية ومقصورة لا يعملها سوى الله)[١٥٥].

ومهما يكن، فإن أجوبة ابن روزبهان كانت تمثل الآراء السنية، أي (إن الشخص بمجرد كونه مناسباً للإمامة وامتلاكه أشراطها ليس بحاجة بالضرورة أن يكون إماماً. فهناك حاجة إلى شرط آخر: البينة النصية من النبي، وأن الإمام السابق يتطلب إلى إجماع الأمة الإسلامية)[١٥٦]. وأنه أيضاً ذكر البيعة لأولئك الذين في السلطة.

وفي جواب القاضي نور الله على هذا القسم، اهتبل الفرصة للتعقيب على قول ابن روزبهان قائلاً أنه كان يضلل ويخادع أهالي ما وراء النهر بكتابه ، وقد اعترف بالحقيقة، فقد استقبله عدد من علماء البلاط شيباني خان Saibani Han في بلاد الأوزبك استقبالاً جيداً[١٥٧].

---

[١٥٤] وحتى في اللغة الإنجليزية تتحدث الترجمة.

[١٥٥] التستري، إحقاق جزء ٢ ص ٣٣٤.

[١٥٦] م.ن. جزء ٢ ص ٣٣٦.

[١٥٧] م.ن. جزء ٢ ص ٣٤١-٣٤٤، قال القاضي نور الله (لقد رأيت على جلد أو غطاء نسخة من هذا الكتاب المنحوس أو السيء الطالع Starredill–لاحظ أحد قضاة ما وراء النهر، وبضعة أسطر من الإطراء المبالغ به عن هذا الكتاب وعن مؤلفه. ونص القصيدتين من قبل الخنجي، واحدة باللغة الفارسية والأخرى باللغة التركية أرسلتا من ما وراء النهر إلى السلطان سليم تحثانه على مهاجمة شاه إسماعيل، وهما محفوظتان في فريدون Feridun، منشئات Munsa'at جزء ١ ص ٣٦٧، ينظر أيضاً إحقاق جزء الثاني (المقدمة) ص ٥٩-٦٣. وفيهما خاطب السلطان العثماني بلقب (مهدي آخر الزمان).

أما المسألة الرابعة التي تقع ضمن إشكالية، أن الإمامة تتعامل مع الحقيقة التي تفيد، واعتماداً على أقوال الإمامية، بأن علياً كان الإمام بعد النبي(١٥٨) ومن البديهي، فإن ابن روزبهان كان يدعم ويؤكد على أن خليفة ووريث النبي كان أبو بكر ولم يكن هذا من خلال أي توجيه نصي ولكن من خلال الإجماع)(١٥٩) والقاضي نور الله تدخل في هذا الشأن وذلك عن طريق تقديم كل الدليل أو البينة الممكنة التي كان باستطاعته تقديمها من أجل تثبيت والمدافعة عن القول الذي قدّمه ابن المطهر(١٦٠).

بعد ذلك استمر ابن المطهر باقتباس آيات من القرآن تلك الآيات التي يعتقد الإمامية أنها راد بها الإشارة إلى علي أو وراثته وخلافته أو وراثة غيره من أفراد آل البيت(١٦١) وكل واحدة من هذه الآيات بدورها قد تم مناقشتها من قبل ابن روزبهان الذي قدّم من خلالها التفسير السنّي لما يراد مناه، ثم أن كل واحد منهما قد عزّز رأي القاضي نور الله وثبته بما يوافق العقائد الإثني عشرية.

---

(١٥٨)التستري، إحقاق جزء ٢ ص ٣٥٥.

(١٥٩)م.ن. جزء ٢ ص ٣٥٦.

(١٦٠)المعلق على الإحقاق بالنسبة إلى هذه النقطة يأتي إلى مساعدته ويورد عدد آخر من المصادر وقد تخلى أو عزل قاضي نور الله. إحقاق جزء ٢ ص ٣٥٨-٣٩٩.

(١٦١)حول هذه المسألة ينظر الملاحظات المهمة التي أريدها منوشهر مرتضوي Manucihr Murtazawi ص ٧٤-٨٠ من بحثه الموسوم "دين ومذهب در عهدى اليخانيان) المذكور في هامش رقم ١ ص ٢٢ في أعلاه، وكذلك جواد سغاديا Gawad saggadiya في بحثه بالفارسية أيضاً (بنودل تعصب مذهبى در دورة مغول) (ليس هناك تعصب مذهبي أو طائفي في العصر المغولي) المنشور في نشرياتى دانشكاده – ى أدبيات مجلد ١١ (تبريز ١٩٥٩/١٣٣٨) ص ١٥١-١٥٩. ينظر أيضاً ألعمري، مسالك (في كتاب كلاوس ليج Klaus Lech الموسوم العالم المغولي باللغة الألمانية Das Mongolische weltreich ص ١٠ إذ أنه ذكر (ومن قوانينهم التي ألفت منهم أن لا يتعصبوا لمذهب من المذاهب على مذهب).

الاستنتاج:

لكي نستعيد ما سبق ذكره: فإننا قد عرضنا بإيجاز بعض كتب أربعة من العلماء.

وهم نماذج علماء زامنت حقبة حياتهم مع الهيمنة المغولية الإليخانية في العالم الإسلامي. ولقد استعرضنا أحد مؤلفات أو أعمال نصير الدين الطوسي الصغير بشأن الإمامة وعقبت على ارتباطه بمجيء المغول، وسقوط بغداد، والجدل حول آرائه الإسماعيلية السبعية والإثني عشرية. بعد ذلك ناقشنا الجدل والخلاف الكبير بين العالم البارز الإثني عشري ابن المطهر الحلي مع اثنين من أشهر وأكثرهم خصومة له: الكاتب الحنبلي ابن تيمية الكبير الذي كان معاصراً له، وكذلك وبنسبة متساوية المفكر السني الأشعري المعروف فضل الله بن روزبهان الخنجي الذي عاش في أواخر القرن الخامس عشر للميلاد. كذلك فقد قمنا بنظرة سريعة على هجوم ابن تيمية على النصيرية الذي كانوا يمثلون نموذجاً لرأي الغلاة الشيعة المتطرفة، وأخيراً أختتمنا هذا بتضمين ملاحظات عابرة على التفسير القرآني الكبير للبيضاوي الذي كان في ذلك الوقت وذلك المكان الذي استطاع كتابة واحد من أفضل التفسيرات المعروفة للكتاب المقدس.

وبحسبما يشير هذا العرض السريع بصورة واضحة جداً بأن الحقبة المغولية (وأعني الأرباع الثلاثة الأولى من القرن أو إلى حدَّ ما من تلك الحقبة التي نحن بصددها) قد تميزت بخلاف وجدل ديني هائل؛ غير أنه وفي الوقت نفسه كانت حقبة تواجد مختلف الأفكار والآراء الدينية الإسلاميةوتعايشها. وقد وصلت تقريباً إلى حدٍّ حرية العقائد الدينية وإلى حدٍّ التسامح المتبادل[١٦٢] وعلى أية حال فهناك علامات

---

(١٦٢) اقتبسها من حافظ آبرو، مجموع التواريخ (تهران) مكتبة ملك Malik ، مخطوطة، عن ميل أو تميل غازا خان نحو التشيع، منوشهر مرتضوى يقول في بحثه:
(بادشاه غازان خان را ميل تمام بدان طايفه بودى. أما هركز أز غايت كنايت إظهار نكردى ورعايت مصلحت عام فرمودى، وكسى را زهرة آنكه كند نبودى). ينظر قوله هذا في بحثه (دين ومذهب در عهدى اليخانيان) ص ٤٥؛ عباس العزاوي في تاريخ النقود العراقية ص ٥٤ يحاول أن يبرهن أن المغول في عهد أوليجيتو أسسوا التشيع كرد

متزايدة تؤشر، وإن كان ببطىء، إلى الطريق في سيادة أو هيمنة العقائد الإثني عشرية ضمن الدوائر العالية من البلاط وكذلك في المدن[١٦٣]. وقد بان أو ظهر ذلك بوضوح في المحاولات التي أبداها (أوليجيتو) في الانشغال على نطاق ضيق dabble في مختلف المذاهب. فالسلاطين المغول على العموم، يبدوا أنهم كانوا يؤدون مثل هذا الدور بصيغة المتفرج البرىء وغير المؤذي؛ ولكن مواقفهم واتجاهاتهم على أية حال لا يمكن وصفها بوصفة (طاعون أو وباء ويبدو أنه مثل شائع في بلاد المؤلف a plague on both your houser أكثر من كونهم قد أبدوا أي اهتمام أو مصلحة في تقدير وتقويم تلك الجدالات أو الخلافات الحية. مع ذلك فإنهم ظلوا أساساً بكونهم أجانب بالنسبة إلى ما كان يدور حولهم على الصعيد الديني. ورجالهم كانوا يطيعوا القوانين).

وفيما يتعلق الأمر بواجباتهم أو مهماتهم الدينية، فإن الخانات المغولية الأولى قد عهدوا التصرف بالأوقاف الدينية بالشخص القادر والكفوء ممن يتمتع بالكفاية في إدارتها بشكل فعال. وهو نصير الدين الطوسي فقط[١٦٤] وقد اعتمدوا عليه وحسبوا

فعل للخلافة السنية التي حلوا محلها، غير أن هذه المحاولة قد فشلت ولذلك صار لابد أن يرجعوا أو يعودوا إلى السنة التقليدية.

[١٦٣] بار هبروس (ابن العبري) مختصر الدول (بيروت طبعة ١٨٩٠) ص ٥٠٠-٥٠١، وكذلك براون Browne، تاريخ الأدب الفارسي LHP جزء ٣ ص ١٨. وقد استفسر ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار عن أراضي الأوقاف في عهد المغول فقال: (وسألت .. إن كان الأوقاف باقية في نواحي هذه المملكة (أي مملكة الأليخانيين) كما هي عليها الآن أم تناولتها أيدي العدوان، فأخبرني بأنها جميعها جارية في مجاريها لم يتعرّض إليها متعرض لا في دولة هولاكو ولا في ما بعدها بل كل وقف في يد متوليه ومن له الولاية عليه، وكل ما يقال من نقص حال الأوقاف بإيران جميعاً هو من سوء ولاة أمورها أكثر من سواهم) ينظر العزاوي، تاريخ ج٣ ملحق رقم ٢ ص ٣٩؛ وينظر الآن النص الأصلي لمسالك العمري (في كتاب كلاوس ليج باللغة الألمانية الموسوم العالم المغولي، ص ٩٢ من النص العربي؛ وتعقيب كلاوس ليج على أراضي الأوقاف ص ٣٣٢-٣٣٣ في الطبعة الألمانية وحول وصف أداء الطوسي في هذا الصدد ينظر ابن الفوطي أو الغوطي (المتوفى ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣-١٣٢٤) الحوادث الجامعة (بغداد ١٣٥١هـ/١٩٣٢) ص ٣٧٥، إذ أن أراضي الأوقاف ظلت تحت إشراف الطوسي وأولاده حتى سنة ٦٨٧هـ/١٢٨٨-١٢٨٩م، عندما عادت ثانية إلى حكومة بغداد.

[١٦٤] مجتبى منوفى Mugtaba Minovi وما ينورسكي V.Minorsky في بحثهما باللغة الإنجليزية الموسوم (نصير الدين الطوسي مديراً للمالية أو للشؤون المالية) المنشور في مجلة BSOAS مجلد ١٠ (١٩٤٠-١٩٤٢) ص ٧٥٥-٧٨٩.

رسالة ربما كتبت لهولاكو من أجل جعله الحاكم الأجنبي على إطلاع بنظام الضرائب والضرائب في الأراضي المفتوحة حديثاً.

له حساباً في مختلف الأمور الأخرى نظير الجانب المالي أو الموارد المالية[١٦٥]، أما السلاطين المغول المتأخرين، فقد زادوا من الأراضي الوقفية محاولة منهم إلى تحسين علاقاتهم مع رجال الدين المسلمين[١٦٦] ومهما يكن، فإن اهتماماتهم الأول يبدو في التوجه نحو تشجيع ورعاية العلوم الفلكية والتاريخية[١٦٧].

وكان السلاطين الإيلخانيون في كثير من المناسبات يأخذون على عاتقهم دور الراعي أو الظهير أو دور الوسيط. فإن غازان خان (٦٩٤-٧٠٣/١٢٩٥-١٣٠٤) على سبيل المثال بينما كان في زيارة للعتبات المقدسة الشيعية في كربلاء، بنى أوقافاً عدة، كرابطة للدراويش، وكذلك أوقاف عدة للمدارس الشافعية والحنفية، وأسس محل إقامة للسادة[١٦٨]. وفي حقبة مبكرة فإن أحمد تكدار Ahmad Takudar(٦٨٠-٦٨٣هـ/١٢٨١-١٢٨٤) أدار مراسلات مطولة مع السلطان المملوكي في مصر قلاوون بشأن مسائل دينية[١٦٩].

---

[١٦٥] علي زاده A.A.Ali zade في بحثه بالإنجليزية (النظام الزراعي أو الذي له علاقة بالأراضي الزراعية في آذربيجان من القرنين الثالث عشر والرابع عشر المنشور في أوراق المؤتمر
Akten des vierundz wanzigsten orientalism- Kongresses
المعقوفي ميونيخ Munchen، في ٢٨ آب – ١٤ أيلول من سنة ١٩٥٧، الذي حققه فرانك H.Franke المطبوع في فيسبادن Wiesbaden ١٩٥٩ ص ٣٤٠.

[١٦٦] محمد معين، حافظ شيرني سهانHafiz-I sirin suhan.
المطبع في طهران ١٣١٩هـ، القسم حول (علماء وأدبيات در عصرى حافظ ص ٢٥ وما بعدها؛ الطوسي في مراغه والمؤرخين الجويني ورشيد الدين).

[١٦٧] براون Browne، تاريخ الأدب الفارسي LHP جزء ٣ ص٤٢، ٤٤، ٤٦.

[١٦٨] م.ن. ج٣ ص ٢٥-٢٦، وحول نماذج من هذه المرسالات ينظر هوارث H.H.Howorlh في دراسته باللغة الإنجليزية (تاريخ المغول) القسم الثالث الموسوم (مغول بلاد فارس) المطبوع في لندن ١٨٨٨ ص ٢٩٠ وما بعدها من الصفحات، دى أوسون G.d'ohsson في دراسته باللغة الفرنسية (تاريخ المغول منذ جنكيز خان Histoire des Mongols depuis Tchin- guiz- kan الجزء الثالث (المطبوع في Hague سنة ١٨٣٤) ص ٥٦٣ وما بعدها من الصفحات؛ كذلك هامر – برغشتال Hammer- purgstall في الدراسة باللغة الألمانية (تاريخ الأليخانيين Geschichte der ILchane) الجزء الأول المطبوع في درمشتان Darmstaotl ١٨٤٢، ص ٣٣١ وما بعدها من الصفحات (الذي استند فيه إلى تاريخي وصاف Tarihi wassaf؛ ينظر طبعة هامر – برغشتال في الدراسة باللغة الألمانية الموسومة (تاريخ وصاف Geschichte Wssafis المطبوع في فينا ١٨٥٦، الجزء ١ ص ٢٣١ وما بعدها من الصفحات (والنص الفارسى) وطبعة بومباي (١٢٤٩هـ/١٨٣٣م) وأعيد طبعه في ١٣٣٨هـ/١٩٦٠م) ص ١١٣ وما بعدها من الصفحات؛ المقريزي، سلوك جزء ١ قسم ٣، ملحق ٧ ص ٩٧٧-٩٨٤، (ومراسلات مغولية – مملوكية أخرى في ملاحق ١٢-١٦).

[١٦٩] براون Browne تاريخ الأدب الفارسي LHP جزء ٣ ص ٥٠-٥١.

وقبل أن يعطي أوليجيتو وزناً للإثني عشرية كان في أحد الأوقاف قد أمر بإعدام أحد الأكراد لإدعائه بأنه المهدي، وأن مبعوث شيعي متطرف (غالٍ) حاول أن يبدل دينه(١٧٠).

وأن رئيس الوزراء المغولي رشيد الدين فضل الله وكان من أكثر الأشخاص نفوذاً في البلاط المغولي يبدو أنه حاول أن يتخذ مسلكاً واضحاً بين هذه المجادلات والخلافات الدينية: ففي إحدى المرات أنقذ عالمين شافعيين من بغداد اللذين قد وجهت إليهما تهمة نشاطات تنطوي على الخيانة مع مصر، وفي مرّة أخرى كان هو العامل المساعد في تنفيذ الإعدام بنقيب الأشراف chief ropresentative of the famity of the prophd(١٧١)، ويبدو أن محافظته – سنيته- قد كانت في مأمن أو كانت مصانة(١٧٢).

---

(١٧٠)م.ن. ج٣ ص ٧٠-٧١.

(١٧١)مخطوطة تحتوي على الترجمة الفارسية لكتاب رشيد الدين (لطائف الحقائق.. "وتحتوي على نسختين من البينات والبراهين على سنية الآراء الفقهية لرشيد الدين موقعة من سبعين دكتور من الدكاترة اللامعين في الفقه الإسلامي. وهذه البينة أو الشهادة قد صيغت كنتيجة لإتهام اتهم به رشيد الدين بالهرطقة قدم ضده من قبل أحد رفاه الحقودين" ينظر بروان LHP جزء ٣ ص ٧٦).

(١٧٢)ابن بطوطة، رحلة ص ٧٦؛ ترجمة جب Gibb جزء ١ ص ١٠٩ وما بعدها من الصفحات؛ وقد بعث الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م ثلاثين فدائي assassins من سوريا إلى إيران. وقد خاف السلطان أبو سعيد فهرب مختبئاً في خيمة. وقد أخبر أمير جوبان Guban مبعوث الناصر قائلاً: (ويلك أنت كل قليل تحضر إلينا هدية وتريد منا أن نون متفقين مع صاحب مصر لتمكر بنا حتى تقتلنا الفداوية والإسماعيلية) المقريزي، سلوك جزء ٢ القسم الأول ص ٢٠٧. وقد أدخل أو أدرج أبو سعيد في معاهدة السلام التي عقدت وانتهت بمدة قصيرة كشرط من شروطها أن لا يدخل أي إسماعيلي بلاد المغول. وعن معاهدة السلام هذه ينظر المقريزي، السلوك ص ٢٠٩-٢١٠. وعن هذه ينظر محمد جمال الدين سرور، دولة بني قلاوون في مصر (المطبوع في القاهرة ١٩٤٧) ص ٢٠٦ وما بعدها من الصفحات؛ وينظر أيضاً العزاوي تاريخ جزء ١ ص ٤٧٠-٤٧١.
وقد حاول المماليك في بعض المرات أن يكبحوا أو يضبطوا النشاط الإسماعيلي: أبو الفداء، كتاب المختصر جزء ٤ ص ٧٦ عندما كان أميرا لحمص فقد نصح: (أن لا تكون بحماة وبلادها حماية للدعوة الإسلامية).
فإخلاص وولاء الإسماعيليين للسلاطين المماليك في مصر (الذين كانوا سنة) أمر غريب ولافت للنظر، وأن الملاحظة الآتية التي لاحظها القلقشندي (وهي ملاحظة في الأصل من العمري) جديرة بالاقتباس، إذ قال: (وقد ذكر "العمري" في مسالك الأبصار نقلاً عن قصد مهم مبارك من علوان أن كل من ملك مصر كان مظهراً لهم. ولذلك يرون اتلاف نفوسهم في طاعته لما ينتقلون إليه من النعيم الأكبر في زعمهم ورأيت نحو ذلك في أساس السية لابن ظافر. وذكر أن ملوك مصر كالنواب لأئمتهم لقيامهم مقامهم).
ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى جزء ١٣ ص ٢٤٥.وبالنظر إلى جميع هذا فإن النشاط الإسماعيلي لما بعد قلعة آلموت (الفدائيون)، فمن الصعب قبول قول برنارد لويس بأن (أن الإسماعيلية قد أمضت أو أطالت أيامها ووجودها بشكل موهون ومتحجر) ينظر بحث لويس الموسوم (بضعة ملاحظات حول أهمية الهرطقة في التاريخ

اما بخصوص الإسماعيلية في قلعة (آلموت) فعلى الرغم من تخريب أو تهديم قلعتهم، يبدو أنهم واصلوا بعض الفعاليات والنشاطات والهجمات الفدائية بتوجيه من حكام مصر المماليك (كالحالة التي أبان العهد الفاطمي). إذ يصف ابن بطوطة أثناء مروره عبر قلاعهم في سوريا وقد قدّم الوصف الآتي بالنسبة إلى هذا الجانب من النشاط الإسماعيلي: (إن هذه القلاع تعود إلى فرقة تدعى الإسماعيلية. وقد عرفوا أيضاً باسم الفداوية (الكوماندو: الأشخاص الذين يضحون بأرواحهم خدمة لقضيتهم) فقد كانوا سهام (السلطان المملوكي المصري) الملك الناصر، وبها ضرب أو رمى أعدائه أولئك الذين لم يستطع الوصول إلى العراق والبلدان الأخرى، فقد كانوا مرتزقة أو تدفع إليهم الرواتب)[١٧٣].

والواقع أن إسماعيليين قلعة الموت، قيل أنهم أعادوا السيطرة على مدن قلعتهم لبعض الوقت، الأمر الذي تطلب أن يجرد المغول حملة أخرى لإزاحتهم[١٧٤]، وقد قدّم عالم بارز في التاريخ والفكر الإسماعيلي تقويما للتأثير الإسماعيلي بعد سقوط قلعة الموت قائلاً: (إن الانتشار السريع للتشيع بعد الغزو المغولي وبعد تدميرهم القوة السياسية للإسماعيلية ربما يعزى إلى المدى الواسع والكبير إلى أن ينجرف أو تنقل drifting المجموعات أو المجتمعات الإسماعيلية تحت غطاء الفرق التي من أصل واحد وطبيعة واحدة التي أحرزت على تأثير في ذلك الوقت).

ومن الجانب الآخر فإن التشيع الاثني عشري أبدى أو أظهر علامات أو آيات محددة وواحة من الازدهار والانتعاش ولاسيما أبان عهود كل من غارات خان واوليجيتو. أما بالنسبة إلى الفرعين الآخرين من التشيع، أي الإسماعيلية والغلاة، لم

الإسلام) المنشور في مجلة studio, Islamica المجلد ١ (١٩٥٣) ص ٤٣-٦٣. والاقتباس الوارد هنا هو من المصدر نفسه ص ٥٠.

[١٧٣] براون، تاريخ الأدب الفارسي LHP جزء ٣ ص ٢٥ فمحاولة اغتيال لقتل تيمور في دمشق قد نفذت في وقت متأخر من سنة ١٤٠٠، ينظر المصدر نفسه جزء ٣ ص ١٩٧.

[١٧٤] أيفانوف W.Ivanov، في البحث الموسوم (عمل أو كتاب إسماعيلي) المنشور في مجلة JRAS (١٩٣١) ص ٥٢٩ هامش رقم ١.

تحصل على نجاح جيد. فالتشيع الاثني عشري بوصفه مذهباً إسلامياً بمجموعة مبادئه المعترف بها والنظام المحكم والمفصل للعقيدة وتعاليمها، تمكن من أن يطبق عملياً جنباً إلى جنب مع النظام المؤسس لحكومة كما هي متمثلة في العهد الإليخاني (والواقع، فإن النظام الإسماعيلي كان كذلك في العهد الفاطمي في مصر في قرن مبكر). فخلفاء الإسماعيلية المتأخرون الذين عرفوا الفداوية الذين خلفوا الحكم في قلعة آلموت، فضلاً عن جماعات منفصلة أو المنشقة مثل الغلاة النصيرية، ليس لها مجالاً أو مكاناً في نظام حكم منظم ومؤسس بشكل جيد.

وعلى أية حال، فإن انتصار التشيع الإثني عشري لم يدم طويلاً، وأن المغول في عهد أبي سعيد (وحتى أيضاً بالفعل في عهد السنوات الأخيرة من حكم أوليجتو) قد ارتد وعاد إلى الضد synthesis السني. وعلى الأقل كان ذلك رسمياً وأسمياً؛ وذلك لأن التشيع الاثني عشري في الواقع قد استمر وواصل وجوده في عهد بعض الدويلات المغولية التي أعقبت ذلك نظير الكوبانيين Cubanids والجلايريين.

وواصل العلماء الشيعة نضالهم من أجل الفوز والظفر بالحكومة المركزية (أي حكومة مركزية – وذلك لأنه بعد الإليخانيين أصبح استعمال المصطلح أكثر أكاديمية) للتشيع الاثني عشري في الأجيال الثانية والثالثة بعد ابن المطهّر. وكان محمد بن مكي العاملي (الشهيد الأول) (الذي قتل في سنة ٧٨٦هـ/١٣٨٤م) وأحمد بن فهد الحلّي (المتوفى سنة ٨٤١هـ/١٤٣٧) العلماء البارزين. غير أنه بحلول زمانهم فإن الحالة أصبحت إلى حدٍّ ما متغيرة. فمثلاً، إذ كانت انشغالات ابن المكي مع الإمارة الغالية السربدارية؛ في الوقت الذي أبدى ابن فهد علامات ومؤشرات من الألفة والصداقة الحميمة مع كل من الغلاة والصوفية. وأن تلميذيه الذين كانا من اكثر التلامذة شهرة محمد بن فضل مؤسس الدولة الشيعية الغالية وهي الدولة المشعشعية التي تأسست في البطائح (الأهوار) في جنوبي العراق، ومحمد النور باش الذي أسس النظام أو الطريقة الصوفية النورباشية في شرقي إيران.

فالقول بأن التشيع الإثني عشري قد تشتت قوته ووجد ملاذه المؤقت أو ملجأه المؤقت في الطرق الصوفية وفي الحركات الشيعية الغالية في القرنين الرابع عشر والخامس عشر فإن مثل هذا القول ترفضه وتكذبه وجود العلماء الشيعة وممارسة الاهتمامات الدينية والتعلق المتحمس والمحارم بالرواية المفصلة والمحكمة التي ترجع في التارخ إلى قرون سابقة. ولعله من الأكثر صحة القول بأن الطرق الصوفية فضلاً عن الغلاة قد سرقوا وانتحلوا مظهر ومشروع التشيع واستخدام التشيع لباسه الأكثر شعبية والأكثر من ذلك لباسه الشعبي الإسلامي خدمة لأهدافهم ومصالحهم الخاصة. ولعل هذه الصورة هي الصورة الأكثر حقيقة وواقعية؛ ولعله من الأفضل رؤية ذلك من خلال دراسة لواحدة من الطرق الصوفية، تلك طريقة شيخ صفي الدين الأردبيلي، المؤسس الذي اتخذ الصوفيون أسمه.

نبذة عن سيرة مؤلف

مقتل الإمام الحسين

البروفسور كريم دوغلاس كرو عضو في المركز الدولي للدراسات الإسلامية العليا في ماليزيا كوالا لومبور منذ سنة ٢٠٠٨. حقّق دراسات عدة عن الأفكار التاريخية التي لها طابع سياسي وإسلامي . واهتماماته تمثلت بدراسة الميادين الحضارية في اتجاهاتها العالميةمع المجتمعات الإسلامية في علاقتهامع الثقافات الأوربية – الأمريكية. ولد في بيروت من أبوين لبناني+ أمريكي. ودراسته الأولية كانت في جامعة بيروت سنة١٩٧٢ ،وفي دمشق والقاهرة. درّس الحضارة الإسلامية جامعات أمريكية عدة وأشرف عليكثير من الرسائل الجامعية . وألف عدة كتب من بينها :- متى خلق الله الحكمة:قصص خلق العقل في الإسلام. الإمام الصادق مصدر إشعاع فكري وروحي :- سيرة حياة وتعاليم جعفر الصادق المتوفى١٤٨/٧٦٥ . وحقّق مشاريع علمية عدة مثل؛ الإسلام نقلة ثقافية وعودة ظهور الفلاسفة ؛ طبع في طهران المركز الفلسفي الإيراني سنة ٢٠٠٩؛ الجهاد كفاح سلمي وصراع قتالي المطبوع في جامعة ملايا سنة ٢٠٠٥. وله بحوث كثيرة منها :- جذور التقليدية السنّية الراديكالية : الخوف من العقل والحشوية" نشر في RSIS في سنة ٢٠٠٨؛ " الإسلام ، السلام ، اللاعنف. نشره في سنة ١٩٩٨.

المحور الثاني

الفصل الخامس :- مقتل الحسين والآراء المبكرة للإمامة

الفصل السادس :- الإمام الصادق مصدراً للأحاديث الشيعية

الفصل الخامس

التشيع في العراق في دراسات المستشرقين

(أئمة أهل البيت)

مقتل[175](*) الحسين بن علي والآراء المبكرة للإمامة[(176)]

المستشرق الأمريكي دوغلاس كريم كرو

(*)كتب البحث البروفسور دوغلاس كرو Douglas K.crow

(176)هذه رواية موسعة لبحث (ورقة) قدمت إلى المؤتمر الذي أعدّ بمرور الذكرى الـ ١٤٠٠ سنة على مولد الإمام الحسين (لندن – تموز ٦-٩/١٩٨٤) الذي عقد بزعامة Muhammadi Trust (ينظر السراط مجلد ١٠ / عدد٢ [خريف ١٩٨٤] ص ٢٤-٢٩) إنني مدين إلى لطف الدكتور مهدي محققي في طهران لمساعدتي في المواد العلمية المهمة لإكمال مستلزمات البحث.

نظر المسلمون من المذاهب جميعها إلى مقتل الإمام الحسين بن علي (٤-٦١هـ/٦٢٦-٦٨٠م) على أنه ربما الكارثة والفاجعة العظيمة جداً التي حلّت أو أصابت الأمة الإسلامية في تاريخها المبكر. ومن المؤكد، فإن بين ذلك القسم أو الجزء من الأمة الإسلامية الذي يعدّ المحور وواقعا العامل الحاسم، ألا وهو حقوق آل بيت النبي. لهذا فإن ذبح الحفيد الأصغر للنبي محمد أدّى باستمرار وتواصل إلى غلونة وتزويد الناردوماً بوقود جديد، الهوية الذاتية لدى الإسلام الشيعي، ورؤيتهم العالمية. فطينة أو تراب كربلاء يترك أثره وبصمته بتواصل ودون انقطاع طبعاته على جباه الشيعة، منذ اللحظة التي تفوه فيها الحسين أونبس بصلاته الأخيرة على رمال و تراب كربلاء وحتى يومنا هذا. فبالنسبة للشيعة، فإن التاريخ ككل قد تلطخ بالدم الذي ساح في أرض كربلاء. ومع هذا فإنهم أيضاً قد فهموا أن قتل الحسين يمثل الذروة المفعمة بالحركة لحدث تراجيدي أعظم، وهو أن تدمير بعثة محمد ذاتها وتخريبها ويلمّح الملا محمد باقر المجلسي وهو من العلماء البارزين في العهد الصفوي إلى هذه الملاحظة بأن الحسين (قد قتل فعلاً في يوم السقيفة)[١٧٧]؛ وفي زماننا هذا فإن الإمام الخميني قد عبّر عن رأي[١٧٨] مماثل لذاك إذ قال: (يعدّ اغتصاب معاوية الحكم من علي الكارثة العظمى التي حلّت أو أصابت الإسلام... وكانت هذه النكبة اسوأ حتى من مأساة كربلاء والبلية التي أصابت سيد الشهداء ؛ وفي الواقع فإنها أدّت أو قادت

---

[١٧٧] المجلسي؛ بحار الأنوار (بيروت ١٩٨٣؛ وأعيد طبعه في طهران) جزء ٤٥ ص٣٢٨.

[١٧٨] ينظر (الإسلام والثورة: كتابات وبيانات ووثائق عن الإمام الخميني) ترجمه إلى اللغة الإنجليزية حميد عليغر Algar بعنوان:
Islam and Revolution: Writings and Declarations of Imam Khomeini.

إلى مأساة كربلاء. فهذه النكبة والكارثة لم تمنح للإسلام فرصة أو لم تسمح للإسلام أن يقدّم للعالم بشكله الصحيح إن هذه بحدِّ ذاتها النكبة الأعظم من كل ذلك.

مثل هذه الآراء لعلها تعكس ظروف الدولة أو نظام الحكم الشيعي منذ حقبة الحكم السياسي للتشيع الإثني عشري، مع أنه في حقبة مبكرة أكثر من تاريخ الشيعة، فإنهم، أي الشيعة قد تناقشوا وتجادلوا حول أهمية مقتل الحسين بطريقة تعكس بوضوح أحوالهم الخصوصية المهمة في القرون القليلة التي اعقبت موت الإمام.

الجدل الذي أثاره مقتل الحسين خلال الأجيال المتعاقبة من قبل المجتمع الشيعي قد سلّط الضوء على معنى المعاناة التي عانى منها الإمام ومضامينها . وفي نهاية المطاف فقد أسهمت في تطوير معتقدات أساسية محددة في عقيدة الإمامة. ويبدو أن هذه العملية قد بدت لأن تكون مدينة بصورة كبيرة إلى هداية وتوجيه الأئمة الخامس والسادس من الأئمة الإثني عشرية، إلى محمد الباقر (٨٣-١٤٨هـ/٧٠٢-٧٦٥م) وذلك بما أن سيرة حياة هذين الزعيمين النشيطة والفاعلة ؛فضلاعن أن البحث الضليع في الحركة الشيعية امتدت لتشمل وتغطي أكثر من خمسين سنة منذ ضعف أوضاع الدولة الأموية وتدهورها حتى سنوات الحكم العباسي الأولى، فإن المركزية أو التمركزية في تلك الحقبة كان موجه نحو أحكام التعاليم المتعلقة بالعصمةوإتقانها، عصمة الإمام، بدقة، ونحو بشرية الإمام وإنسانيته ، ومساهمته في الحكم السماوي للوجود بعد الموت، وكذلك حول الكيفية التي التوفيق بين العدل الإلهي (الله) بما يتعلق بالظلم والتعسف والخطأ الذي ارتكب بحق آل النبي، فهذه المسائل جميعها من الواجب أن يشدد أو يؤكد عليها[١٧٩]. مثل هذه المفاهيم والأفكار قد أثارت توتراً مسيحياً messianic محدداً الذي بواسطته قد تم الاحتفاظ بتشكيل

---

[١٧٩] سيد جعفري H.M.Jafri في كتابه الموسوم باللغة الإنجليزية The Origins and Early development (جذور والتطور المبكر للإسلام الشيعي) of shi'a lslam المطبوع في لندن ١٩٧٩؛ كذلك كوهلبرغ E.Kohlberg في بحثه بالإنجليزية الموسوم (بعض تفسيرات الشيعة الإمامية للتاريخ الأموي) المنشور في الكتاب الذي حققه جونيبول G.H.A.Juynbol الموسوم باللغة الإنجليزية (دراسات عن المجتمع الإسلامي في القرن الأول للهجرة (المطبوع في أربانا urbana سنة ١٩٨٢) ص ١٤٥-١٥٩.

مذهب الإمامة لمفهومية الإمام وفقاً لمصطلح أو لغة قريبة أو تماثل شخصية النبي آخروي يتعلق بالبعث والحساب eschatological[١٨٠]، فموت الحسين قد وظّف كمسألة أساسية التوضيح وظائف وأدوار المعاناة، والشفاعة والثواب والعقاب الرؤيوي الخاص بالإمام.

الشيعة الأوائل:

إنه لموضوع ضروري جداً تقويم الأحداث الرئيسة ضمن الحركة الشيعية خلال القرن الذي أعقب استشهاد الحسين في العاشر من محرم سنة ٦١هـ/١٠ تشرين الأول من سنة ٦٨٠م. فكان موته صدمة لها تأثير على التجليات، أو المظاهر التاريخية للشيعة في عهد الأمويين. فهناك نتيجتان مباشرتان لموته قد حدثتا في الكوفة، أولهما حركة التوابين، وما تسمى بحركة النادمين (يقصد الباحث التوابين)penitents (٦١-٦٥هـ) تلك الظاهرة التي كانت ظاهرة عربية تماماً[١٨١]، والثانية حركة الكيسانية التي انبثقت أو التي نشطت بثورة المختار بن أبي عبيد الثقفي، الذي عبأ أو حشّد أولاً الفرس الموالي في مشاركة فاعلة، وهكذا أعطى للحركة الشيعية مناشدة أو إغراءاً أوسع[١٨٢]. وكان المختار كما يبدو أحد الزعماء الأوائل يفيد من مفهوم المهدي الذي مهدى من الله، لذلك كانت ثورته في الكوفة جنقتْ (أو قد أطلقت بالمنجنيق catapulted) إلى النجاح بالعواطف التي أحدثها التوابون، وحدث ذلك من مجموعة معينة من بين اتباع الغلاة الكيسانية (وأعني البقية الباقية من السبأية الذين

---

[١٨٠] مصطلح eschatological قد استعملته هنا من وجهة نظر أو زاوية تاريخ الأديان. فإن شخصية الإمام الشيعي تمثل تطور مهم في التاريخ الديني للشرق الأوسط، وأن سماتها المتميزة بما له علاقة بالأشخاص الغنوصية والمنقذة النبوئية الأولى وكذلك على مغايرة معها هي موضوعات علينا أن نصورها بدقة.

ينظر وايدنغرين G.Widengren في سلسلته الموسومة باللغة الإنجليزية (الملك والمنقذ) المطبوعة في ابسالا Uppsala ١٩٤٥-١٩٥٥؛ كذلك تور اندريه Tor Andrae في دراسته باللغة الألمانية عن (حياة محمد وشخصيته Die person Muhammeds in Lehre und Glauben seiner gemeinde المطبوع في استوكهلم Stockholm ١٩١٨ ص ٢٩١-٣١٣.

[١٨١] جعفري كتابه (جذور) ص ٢٣٢.

[١٨٢] م.ن؛ وينظر مادولنك W.Madelung في بحثه الموسوم (الكيسانية)، في دائرة المعارف الإسلامية (طبعة جديدة) مجلد ٤ ص ٨٣٦-٨٣٨.

كانوا يعيشون في الكوفة خلال أيام المختار) قد استمدت واشتّقت عدداً من الحركات الغالية المبكرة (وأعني) المجموعات الشيعية الراديكالية الذين اعتنقوا رأياً غالياً بالنسبة إلى الإمام(**). فهذه الجماعات قد أرجعت الإمامة عبر محمد بن الحنفية (المتوفى ٨٤هـ) الابن الثالث لعلي بن أبي طالب.

وأصبحت الكيسانية بقوة دافعة مثيرة متنفساً ومنفذاً لمختلف المجموعات التي شابتها بيئات مزدكية ومزدية Mazdean (أمثال الحربية، الجناحيه والخدمية) والمجموعات المتنوعة الأخرى للشيعة العباسيين نظير، الراوندية، والتشرب absorption الذي أدى إلى ظهور تيار الإثني عشرية في العراق(***). فلقد شكل الوجود الظاهري الواسع الانتشار للأفكار الرئيسة والأساسية للمهدي، والبداء والغيبة والرجعة، وفضلاً عن النص (وترجمها المؤلف explicit designation) والأوجه المهمة الأخرى للنظرية الراديكالية المتطرفة أو الاساسية الدينية للإمامة، فقد انتشرت أولاً مع الكيسانية ومجموعاتها المتحدرة من أصل واحد والمماثلة. فالايدولوجية الأخروية الخصوصية أو المتميزة المسيحية Messianism الكيسانية الجديدة neo-kaysani قد ميزت أو حددت بالتوجه والنزاعة الثوريتين إزاء الفوضى الخفية (وأقصد دافع الثأر والتوقعات السياسية الملموسة أو العينية تلك التي كانت قد تغلفت كلاهما ضمن عقيدة المهدي)، والتي أدت إلى انفجار متوالف مع الشرعية العلوية، وهكذا ضمنت الإغراء أو المناشدة الواسعة الدائمية والمستمرة

(**)وهذه الفكرة بحاجة إلى مناقشة، ونعتقد أن الأستاذ (كرو) قد تأثر بما طرحه (متى موسى) في كتابه (الشيعة الغلاة) والمقصود هنا، في هذه الأحداث، الكيسانية الذين غالوا في وصف محمد بن الحنفية. فهذا على الرغم من أنه ابن الإمام علي بن أبي طالب لكنه غير إمام في مقياس الأئمة الإثني عشر من نسل فاطمة الزهراء [المترجم].

(***)هذه تفسيرات وآراء لا يؤيدها التاريخ وتاريخ الفرق الإسلامية على وجه الخصوص فالحربية نسبة إلى الباقي من اتباع عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الذي ثار في سنة ١٢٧هـ/٧٤٤م والمغيرية والجناحية و الطيارية وغيرهم من اتباع عبد الله بن معاوية. وليست هناك مؤثرات مزدكية في آرائهم كما يرى المؤلف، كما أن هذه الفرق المتطرفة لا علاقة لها بالإمامية. وإن رأي المؤلف عن الراوندية غير صحيح تماماً. وهنا أيضاً قد تأثر البروفسور تأثراً كبيراً بكتاب (متى موسى) (الشيعة الغلاة) مع أن موسى قد وقع في أخطاء كثيرة أشرت إليها في كتابي (التشيع والاستشراق). والبروفسور (كرو) يبدو أنه لم يراجع المصادر الشيعية عن الفرق الإسلامية ولا حتى المؤلفات السنّية. واكتفي الى أن أشير هنا إلى دراسات البروفسور (تكر) W.F.Tucker من بينها: عبد الله بن معاوية والجناحيةAbd allah ibn Muawiya and the vanahiyya ناجي، د. عبد الجبار، التشيع والاستشراق، بيروت ٢٠١١، ص ٤١٧-٤٧٨ ؛ Der Islam (١٩٧٨) [المترجم].

للتوقعات السياسية الألفية chiliastic في الإسلام. فإنها هي التوليفة التي جمعت بين الفكر والأيدلوجية المسيحية messianic وبين العناصر الأرستقراطية العربية الشرعية، تلك التي تموضعت وراء أو خلف الثورات العلوية للطالبي عبد الله بن معاوية والثورات الحسنية وراء محمد وإبراهيم ابني عبد الله. والحزب العباسي قد سخر واستخدم طاقة المؤمنين وزخمهم بالعصر الألفي السعيد من الكيسانية المحدثة أو الجديدة بشكل كفوء وفعال أكثر مما فعل العلويون، ولاسيما بالنسبة إلى استثمارهم توقعات الموالي. كذلك لابد لنا من ذكر توجهين رئيسيين آخرين حدثا خلال القرن الذي أعقب وفاة الحسين: حزب زيد بن علي بضغطه على الشرعية العلوية التي كانت في حالة اتزان بالعروضات المعتدلة أو الاقتراحات المعتدلة بالنسبة للدوائر السنّية التقليدية والفقهية، وبين الجناح الديني المتطرف للشيعة المتمثل بعدد من الدوائر أو الجماعات المتطرفة والثورات المتطرفة، وفي أغلب الأحيان كانت هذه الفرق والثورات المتطرفة يقودها أشخاص كان لديهم نوع من الصلة والارتباط مع الحسينيين محمد الباقر وجعفر الصادق (وأقصد بيان بن سمعان، والمغيرة بن سعيد وأبو منصور العجلي وأبو الخطاب)[١٨٣].

واللافت للنظر، أن الخط النسبي للحسين من أبنه علي السجاد فصاعداً لم يسهموا بأية حركة سياسية ظاهرة، فهؤلاء الزعماء لم يشجعوا ثورة رؤية apocalyptic كذلك لم يقبلوا بالمفاهيم المعتقد بها عموماً بالنسبة إلى السلطة والهداية والعلم تلك التي كانت تنشر وتطوّر أو توسع من قبل الدوائر الشرعية والفقهية والحديثية للحجاز والعراق، مفضلين بدلاً عن ذلك أن يعلنوا أو ينطقوا وجهة نظرهم الخاصة ومجموعة من الأحاديث بشأن جميع الأوجه والمظاهر لفروع المعرفة الإسلامية المزدهرة burgeoning فالباقر والصادق كانا موثوقين ومسؤولين

[١٨٣]تكر W.F.Tucker في دراسته باللغة الإنجليزية الموسوم (العقيدة الألفية Chiliasm الثورية في العراق الأموي: دراسة عن البيانية والمغيرية والمنصورية والجناحية الفرق الشيعية المتطرقة) أطروحة دكتوراه جامعة انديانا univ.Indina (١٩٧١)؛ برنارد لويس B.Lewis في بحثه (أبو الخطاب) المنشور في دائرة المعارف الإسلامية (طبعة جديدة) جزء ١ ص ١٣٤؛ مادولنك W.Madelung في بحثه (الخطابية) المنشور في دائرة المعارف الإسلامية (طبعة جديدة) ج٤ ص ١١٣٢-١١٣٣.

عن إعداد وصناعة عقيدة متماسكة للإمامة التي قد وفرت الأساس لمدرسة الإثني عشرية إلى يومنا هذا(*).

واجه العلويون الحسينيون وضعاً صعباً في هذه المهمة، حتى وإن كانت قد نظر إليها من بين التيارات الشيعية المنافسة في ذلك الزمن. فمن جهة، كان على الباقر والصادق أن يوحدا ويقويا مجموعاتهما الخاصة ويوسعا دائرة أنصارهما اللذين قد انشقوا باتجاه الحركات الناشطة الثورية، وذلك عن طريق تحديد مزاعم وإدعاءات آل بيتهم والدفاع عن إدعاءاتهم بوراثتهم الشرعية والسلطة ضداً بإدعاءات الآخرين المنافسين لهم. ومن الجهة الثانية، عليهما أن يتكافئوا offset مع ما كان باستمرار ينسب إلى المغامرين والمتحمسين أولئك الذين سعوا أو جدوا في سبيل الحصول على الشرعية والتأييد لنشاطاتهم وذلك عن طريق انتحال بنص التعاليم العلوية الحسينية البارزة والأساسية الملامح والسمات، وقد لازم أو صاحب هذا العمل من خلال ضبط اتباع وأنصار مضللين وتدريبهم misguided، وكذلك شنّ الهجوم على حجج وإدعاءات وإيدلوجيات لشخصيات بارزة قريبة أولئك ممن أثاروا أسئلة واستفسارات مثيرة ومحرجة لهذين[١٨٤]الإمامين(*).

وأهمية هذا التحدي المزدوج في إتقان نظرية الباقر والصادق في الإمامة وأحكامها لم تزل باقية دون تحري شامل وكبير، إلا أن عدداً من السمات المحددة

(*) لا نعتقد بصحة ما أورده الأستاذ (كرو) في هذا الاستنتاج من أن الإمامين توجها إلى تطوير عقيدة النصّ والإمامة في الفكر الشيعي الإمامي فحسب، والدليل على ذلك الملاحقة والمتابعة العنيفتين من قبل السلطتين الأموية والعباسية لكل خطوة يخطوها الإمام إنما تدل على خشية بل وخوف هؤلاء الحكام من وجود الإمامين، وما المسألة المعروفة بالنسبة إلى متابعة أبي جعفر للإمام الصادق بشأن وفاة ابنه إسماعيل إلا الدليل الواضح على خوف أبي جعفر من أي نشاط للإمام الصادق [المترجم].

(١٨٤) أأمل أن أوفر توثيق لمثل هذه الإدعاءات في دراسة لاحقة عن التعاليم العلوية الحسينية، ينظر هودجسون M.G.S.Hodgson في بحثه باللغة الإنجليزية الموسوم (كيف أصبح الشيعة الأوائل فرقة) المنشور في مجلة JAOS مجلد ٧٥/ عدد ١ (١٩٥٥) ص ١-١٣.

(*) طبعاً الباحث لا يقدّم أي دليل أو مصدر عن هذا الزعم وهو في هامش هذا الزعم يقرّ قائلاً ما ترجمته الحرفية "أأمل أن أوفر توثيقياً أكثر بالنسبة الى هذه الإدعاءات في عمل لاحق حول تعاليم العلويين والحسينيين" هامش ١١ في أصل البحث، والواقع أن هذه المزاعم (وليس التوكيدات) غير مقبولة، في منهج البحث العلمي لأن الأستاذ (كرو) قد أسّسها اعتباطاً، كما يقول هو [المترجم].

بالوسع تقييمها فعلاً على كونها مسائل مألوفة مستوطنة أو مرض مستوطن endemic عند الشيعة الأوائل عموماً. وأحد هذه المسائل المؤثرة كثيراً والمبكرة جداً هي الطبيعة الواقعية لموت الإمام، أي إمام، أو النبي أي نبي، واستمرارية وجوده بعد موته أو اختفائه.

ابن الحنفية، اليسوع والقرآن:

إن رأي الكيسانية المبكر بأن (محمد بن الحنفية) قد اختفى عن الأنظار وأنه يعيش ويطعم بمعجزة في ظروف شبه فردوسية على جبل رضوى، يغذى بالماء والعسل، وأنه سوف يظهر كمهدي، (عقيدة الغيبة والرجعة)(١٨٥). حيث ثبت عند الشعراء الناطقين بلسانهم، وهذه قد دحضها أو كذّبها المذهب الإثني عشري في الحقب المتأخرة(١٨٦)، ونذكر إحدى الروايات عن مناقشة جرت بين كيساني هو حيان السرّاج وجعفر الصادق، الذي وجه سؤالاً إلى حيان بشأن ما كان أصحابه يقولون بخصوص ابن الحنفية(١٨٧)(*).

---

(١٨٥)القاضي، الكيسانية ص ١٧٠-١٩٦؛ كذلك بهل Fr.Buhl في بحثه الموسوم بالإنجليزية (محمد بن الحنفية) المنشور فيد ائرة المعارف الإسلامية (طبعة أولى) جزء ٣ ص ٦٧١، سوف لن أناقش هنا المعتقد القديم بأن محمداً أو علي لم يموتا وسوف يرجعان كرجعة اليسوع. وحول هذه المسألة وحول إشكالية السبأية الأولى ينظر فريد لاندر I,Fried Lander في بحثه باللغة الألمانية الموسوم (عبد الله بن سبأ، مؤسس الشيعة، وأصوله اليهودية) المنشور في مجلة Zeitschrift fur Assyriologie مجلد ٢٣ (١٩٠٩) ص ٢٩٦-٣٢٧ ومجلد ٢٤ (١٩١٠) ص ١-٤٦؛ عبد الله فياض في كتابه: تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة (بيروت ١٩٧٥) ص ٩٢-١١٠؛ القاضي، الكيسانية ص ١١٩ وما بعدها من الصفحات؛ كذلك قارن محمد بن الحسن الصفار، بصائر الدرجات، تحقيق محسن كوحه بانجي (قم ١٣٨٠ وأعيد طبعه طهران ١٤٠٤) ص ٤٢٨-٤٣٠.

(١٨٦)القاضي، الكيسانية ص ٢٧١-٢٨٨. وقد أشارت إلى أن إصرار الشيعة الإثني عشر على موت ابن الحنفية كان في الحقيقة يهدف إلى الرد على الرأي القائل أنه الإمام الغائب وليس الإمام الثاني عشر، والذي سيرجع كالمهدي. ص ٢٨٤-٢٨٥، وفيما إذا كان رأي القاضي بأن جميع تلك الروايات يمكن اعتبارها على أنها اختلاقات وتلفيقات جدلية متأخرة ينبغي أخذها أو تبنيها من دون تردد، وهذا يعتمد على فهم المرء لتطورات المذهب الإمامي نفسه.

(١٨٧)ينظر عن شحة المعلومات المتوافرة عن حيان السراج، المامقاني تنقيح المقال (النجف ١٣٥٠) ج١ ص ٣٨٣ (فقرة ٣٦٨٠)، الذي أشار إلى أنه ينبغي عدم الخلط مع حنّان السرّاج وكيل موسى الكاظم في الكوفة وكان من زعماء الواقفية. وتوجد هذه الرواية عند كل من ابن بابويه القمي، والشيخ الصدوق في كمال الدين وتمام النعمة، تحقيق الغفاري، طهران ١٣٩٠ ص٣٦. ونفس الرواية، مع اختلافات بسيطة وحذوفات موجودة في كتاب الكشي: أختيار معرفة الرجال، في تنقيح شيخ الطائفة الطوسي (تحقيق حسن المستوفي (مشهد ١٣٤٨ شمسي) ص ٣١٥-٣١٦ (فقرة ٥٧٠). ويزود الكشي بإسنادين لروايته، وكلاهما يرجعان قديماً إلى حمّاد بن عيسى الجهني (المتوفى ٢٠٩هـ) عبر سعد بن عبد الله بن أبي خلف القمي (المتوفى ٢٩٩هـ أو ٣٠١هـ) المعروف جداً بأنه مؤلف أحد الكتب

حيان: يقولون أنه حيّ يرزق.

الصادق: أخبرني أبي أنه كان من بين أولئك الذين كان حاضراً خلال مرضه، وهو الذي أغمض عينيه (عند موته)، وهو الذي وضعه في قبره، وأنه الذي تزوج بامرأته وهو الذي قسم ورثه.

حنين: يا أبا عبد الله، محمد بن الحنفية يشبه بالمسيح ابن مريم Mary في أمته؛ وأن أمره سيظهر (شبه له أمر وهو يموت) أمام الناس (شبه أمره للناس).

الصادق: هل شبّه أمره أو ظهر أمره (شبه أمره للناس) إلى أصدقائه أو إلى أعدائه (شبه أمره على أوليائه أو على أعدائه)؟

حيان: الأحرى إلى أعدائه.

الصادق: هل أنت تزعم أن أبا جعفر محمد بن علي الباقر هو عدو عمه من أبيه محمد بن الحنفية؟

حيان: كلا.

المبكرة جداً التي بقيت من المؤلفات الفرقية وهو (المقالات والفرق) ويقدم ابن بابويه إسناداً واحد يرجع إلى الوراء عبر محمد بن يعقوب الكليني لحمّاد، وبعد ذلك للحسين بن المختار القلاني. وجميع هذه الحلقات والسلسلات في الأسانيد لكل من الكشي وابن بابويه هي تعدّ موثوقة؛ وكل من حمّاد وابن المختار قد ذكرا على أنهما ينقلان عن الصادق واللذين الفا كتباً ينظر المامقاني: تنقيح جزء ١ ص ٣٤٣ (فقرة ٣٠٦٣) وص ٣٦٦ (فقرة ٣٣١٧).

(*)ننقل ما ذكره المامقاني في كتابه (تنقيح المقال) طبعة النجف ١٣٥٠ هجرية، وذلك من أجل التحقق من صحة ترجمة المؤلف كرو Crow.

(دخل يوماً حيان على الصادق فقال له أبو عبد الله: يا حيان ما يقول أصحابك في محمد بن الحنفية؟ قال: يقولون، أنه حيّ يرزق، فقال الصادق: حدثني أبي ، أنه كان فيمن عادوه في مرضه وممّن غمّضه وادخله حفرته وزوّج نساءه وقسّم ميراثه فقال: يا أبا عبد الله إنما مثل محمد في هذه الأمة كمثل عيسى بن مريم شبّه أمره للناس. فقال الصادق شبّه أمره على أوليائه أو على أعدائه؟ قال بل على أعدائه، فقال: أتزعم إن أبا جعفر محمد بن علي عدو عمه محمد بن الحنفية؟ فقال: لا، ثم قال الصادق: يا حيان أنكم صدفتم عن آيات الله وقد قال تبارك وتعالى (سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب. بما كانوا يصدفون) سورة الأنعام آية ١٥٧ المترجم].

الصادق: يا حيان، أنتَ وأصحابك يحجبون أو يصدون عن آيات الله الرحيم الكريم، الذي قال عز من قائل (سوف نكافىء أو نجازي أولئك الذين صدّوا أو صرفوا عن آياتنا شرّ العقاب بما كانوا يصدّون) سورة ٦/ آية ١٥٧ (*)؟

وفيما إذا كان هذا القول أو هذه الرواية يمكن أن ينظر إليها على أنها من الجدال والمناظرة المتأخرة، كما لمّحت إليه القاضي(١٨٨)(**)، أو فيما إذا كانت بالفعل تعكس سمات الايدلوجية الكيسانية في هذا الجزء من النصف الثاني الهجري، وهي أن ابن الحنفية قد شبه بالمسيح وإن الآية القرآنية ١٥٧ من السورة رقم ٤ تستدعي ذلك فهذا أمر مهم(*).

إن مثل هكذا شيء مرتبط بالذاكرة يبدو أنه ظل حياً ومثيراً للاهتمام في المجموعات أو الدوائر الكيسانية المحدثة أو الجديدة إلى الحقبة التي صنفت ضمن القرامطة الأوائل؛ في الأحداث التي حدثت سنة ٢٧٨هـ، إذ ذكر المؤرخ الطبري في كتاب قرمطي منسوب إلى أبي الفرج بن عثمان، الذي جاء فيه إن رجلاً هو أحمد بن محمد بن الحنفية قد أشير إليه على كونه المسيح وبأنه عيسى وأنه الكلمة والمهدي... وجبرئيل(١٨٩).

(*)[والذي يقصده المؤلف سورة الأنعام آية ١٥٧ التي ترجم هذا الجزء منها ترجمة غير دقيقة تماماً، فقد قال الله تعالى في هذه الآية {أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ} المترجم].

(١٨٨)القاضي، الكيسانية ص ٢٨٥، إحدى الإشارات إلى أن هذه الرواية إنما تمثل حقبة متأخرة عن حقبة الصادق ربما تكون معادلة (لآيات الله) في سورة ٦ آية ١٥٧ [ويقصد سورة الأنعام آية ١٥٧ التي جاء فيها {أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ} المترجم]، أي معادلة آيات الله بالأئمة، مفترضين إن هذا انعكاس للتطورات المذهبية المتأخرة في المذهب الإثني عشر. ومع أن هناك كثير جداً من الروايات عن الباقر والصادق التي تجعل هذه المماثلة والمطابقة؛ فهي أيضاً تزويرات أو تلفيقات.

(**)[يقصد الأستاذة وداد القاضي مؤلفةكتاب الكيسانية في التاريخ والأدب، المطبوع في بيروت ١٩٧٤

(*)[إشارة الأستاذ كرو crow إلى السورة ٤ آية ١٥٧ أي سورة النساء، آية ١٥٧التي قال فيها الله تعالى {وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً} [المترجم]).

(١٨٩)الطبري، تاريخ (تحقيق دي غويه، ليدن ١٨٧٩-١٩٠١) مجلد ٣ ص ٢١٢٨، وقد زعم الفرج أيضاً أن المسيح ظهر له في جسم أو شكل إنسان (المسيح تصوّر له في جسم إنسان) وهناك إشارة أخرى للتراث الكيساني في

وها هنا فإن الآيات القرآنية التي ذكرت موت عيسى: قولهم، إنا قتلنا أو ذبحنا المسيح، عيسى بن مريم Mary، رسول الله، حيث أنهم لم يقتلوه، أو لم يذبحوه ولم يحدثوا أو يسببوا موته على الصليب، ولكنه صار ليبدو لهم كذلك [أي يشبه شخصاً مصلوباً] (شبّه لهم)؛ وإن أولئك الذين اختلفوا في ذلك هم بالتأكيد في حالة شك فيه، فليس لهم علم بذلك؛ ولكنهم فقط متابعة pursue الحدس: على الرغم من أنهم لم يقتلوه دون ريب على عكس ذلك، رفعه الله، وأن الله الحكيم القدير. وأنه ليس بين أهل الكتاب، لكن يجب أن يؤمن به قبل موته (يؤمن به قبل موته)؛ وأنه في يوم القيامة سيكون شاهداً ضدهم. سورة ٤ آيات ١٥٧-١٥٩(**).

إن هذه الآيات قد استدعت أو أثارت تفسيرات متباينة بين المسلمين، والسؤال المركزي والمهم هو فيما إذا كان القرآن باتّ وصريح في تكذيبه أن عيسى قد صلب، أو قتل من قبل اليهود، على الرغم من ظهوره وإن الله قد أخذه إلى أعلى. فالأستاذ بارندر F.Parrinder يجزم أو يؤكد (إن القرآن نفسه لم يقل أن عيسى قد تعذب أو قد تألم في جسم كاذب (على نمط دوستيك Docetic) كذلك لم يقل أن بديلاً عنه قد خلق أو صنع وهكذا فإن شخصاً آخر تألم أو تعذب مكانه. فإن التأثير المعزز أو التراكمي للآيات القرآنية قوية جداً لصالح الموت الواقعي، والاستسلام المطلق والتام لليسوع(١٩٠).

المجموعات القرمطية المبكرة وهو أبو سعيد الحسن بن بهران الجنابي (الذي قتل سنة ٣٠١هـ) مؤسس النفوذ القرمطي في شرقي الجزيرة العربية، الذي (حصل على اتباع بسرعة، ربما بين جماعة كانت مرتبطة بخط ابن الحنفية) ينظر كارا دي فو وهودجسون Carra de Vaux and M.G.S.Hodgson بحثهما المنشور في دائرة المعارف الإسلامية (طبعة جديدة) مجلد ٢ ص ٤٥٢.

(**)[هنا لابد من ذكر النصّ القرآني كما جاء في هذه الآيات الكريمة لأن الأستاذ كرو قد ترجم بعض نصوص الآيات ترجمة غير دقيقة، قال الله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم (وقولهم إنّا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه – والمؤلف ترجمها ترجمة غير دقيقة – ولكن شبّه لهم وإن الّذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلّا اتباع الظنّ- هنا أيضاً ترجمة غير دقيقة - وما قتلوه يقينا – بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيما- . وإنّ من أهل الكتاب إلّا ليؤمننّ به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) [المترجم].

(١٩٠)باريندر G.Parrinder في دراسته باللغة الإنجليزية الموسومة (يسوع في القرآن) المطبوعة في نيويورك ١٩٦٥، ص ١١٢، ١٢١.

ومع أن إجماع مؤلفات التفسير الإسلامية الأولى، بأن عيسى لم يصلب أبداً، وأن شبيهه أو صورته (شبه) قد ألقيت على واحد من تلامذته الذي كان عند قد صلب خطئاً بدلاً عنه، وأن (اليسوع) بعد ذلك أنجز صعوداً جسدياً إلى السماء[١٩١]، وأن التعبير في سورة النساء آية ١٥٧ (شبه لهم) [على أنه يشابه شخص يصلب] أو أنه (أي شبه لهم بتشبه تماماً)، وأنه تقليدياً أو وفقاً للاعتقاد أو الفهم بأنها إشارة إلى أعداء اليسوع من بين اليهود الذين كانوا يتبجحون بأنهم قتلوه على الصليب، وبهذا يثبت بطلان إدعاءه بأنه قد بعث نبياً من السماء. فالنقطة في سؤال الصادق: (هل أن أمور [ابن الحنفية] قد عملت أو قدّمت لتظهر [وكأنه قد مات] إلى أصحابه، أو إلى أعدائه؟ وكان جواب حيان لا ليس فيه هو (بالأحرى أعداؤه) وهو جواب انعكاس للفحوى القرآني. والظاهر أن الصادق كان يلمح بسؤاله أن أصحابه يسوع (تلامذته) لم يعتقدوا بموته على الصليب (صلبه)، كما كان يعتقد به اليهود، ولكنهم أنفسهم ربما قد أنكروا بأن يسوع قد مات على الصليب (أو صلب)[١٩٢].

والآية التالية (آية ١٥٨) تتضن تعبير (رفعه) التي فسرت لتعني أنها أن يسوعا قد توفي، لكنه روحياً رفع، بما يفهم منه أن الله شرّفه، وأما ببساطة أن الله قد رفع أو أخذ اليسوع إلى السماء حيث يعيش جسمياً أو جسدياً في الجنة، ومن هناك سوف يرجع في نهاية الزمان من أجل مساعدة في إكمال أو تحقيق الدراما الأخروية جنباً إلى جنب مع المهدي.

---

[١٩١] بنجامين لاوسون Benjamin T.Lawsor في دراسته باللغة الإنجليزية الموسوم (صلب اليسوع في القرآن وتفسير القرآن: مسح تاريخي) رسالة ماجستير، من مركز الدراسات الإسلامية في جامعة ميغل McGill ١٩٨٠.

[١٩٢] تقليد صوفي يسلم بالتفسير الآتي المنسوب إلى الصادق بخصوص السورة ٤ آية ١٥٧ [ويقصد الباحث سورة النساء آية ١٥٧ إذ قال الله تعالى {وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً} المترجم]. إذ أنه حصر نفسه إلى فكرة قتل عيسى، وميّز ثلاثة أنواع من القتل: أحدها قتل الدنيا وذلك عن طريق التخلي عنها أو هجر الدنيا إلى أعداء المرء؛ وواحد هو قتل الذنوب والآثام، وهو المحبّ، وقتل عاص أو متمرد، وهو العارف، وأنه: قد قتل رفعة تماماً كما رفع الله أنبياءه (لهو في قتله رفعة كما رفع الله أنبيائه) ينظر تفسير الصادق مخطوط في مكتبة جستر بيتي Ghester Beatty رقم ٥٢٥٣ ورقة ٣٣ب (ترجمتي لنصّ تختلف عن ترجمة لاوسون، المصدر السابق ص ٥١-٥٣).

أما الآية التي اعقبت، أي آية ١٥٩ من السورة ذاتها، قد فسّرت أيضاً تفسيراً مختلفاً، أعتماداً على الكيفية التي فهم فيها تلفظ الضمير His (ضمير الغائب المتصل) الوارد في تعبير (قبل موته): أما أن يشير الضمير (الغائب المتصل) إلى أي شخص من أهل الكتاب، أولئك الذين يدركون الحقيقة، حقيقة اليسوع، والذين يؤمنون به قبل موته، وأما إن كان الضمير الغائب Hisيشير إلى اليسوع، الذي لم يمت على الصليب (لم يصلب)، وأنه ما زال يعيش جسمياً وأنه سوف يظهر قبل يوم القيامة حين يكون هناك الموت النهائي لليسوع، وأن الجميع قد آمنوا به قبل ذلك، وإن هذا الرأي الأخير قد نسب إلى الباقر: اليسوع سوف ينزل إلى العالم [من السماء] من قبل يوم النشور، وأن البقية من المعترفين أو المجاهرين بالإيمان بالنصرانية أو اليهودية سوف يؤمنون جميعاً به قبل موته [أي موت يسوع] وأنه سوف يصلي وراء المهدي(١٩٣). وهناك أيضاً تفسير آخر، وهو المتداول بين المسلمين في عدد قليل من القرون الإسلامية الأولى تلك التي قدمت قصة ملتوية ومحرفة عن الرأي السابق، وهي أن الضمير الغائب his في السورة رقم ٤ آية ١٥٩ تشير إلى النبي محمد نفسه، الذي سيرجع في نهاية الزمن، عندما يؤمن في نهاية الأمر اليهود والمسيحيون جميعاً به (أي بمحمد)(١٩٤).

يظهر الوصف القرآني لموت عيسى إنه إشارة إلى الاختلاف أو الاختلافات التي أدّت إلى انقسام الكنيسة الشرقية في زمن محمد، حينما كان الأغلبية العظمى من المسيحيين السامين ChristiansSemiticإن كانوا من الموحدين أم من النساطرة. وكثير من العلماء قد أكّدوا أو دافعوا عن الآيات القرآنية في هذا الصدد تبين أو تظهر أن محمداً كان بالتأكيد حذر أو متيقظ للمفاهيم المعارضة لصلب المسيح الذي اعتقد به مختلف الجماعات أو المجتمعات المسيحية في محيطه وجدالاتهم حول طبيعة عيسى

(١٩٣)علي بن إبراهيم القمي، تفسير، تحقيق طيب الموسوي الجزائري (النجف ١٣٨٦-١٣٨٧) جزء ١ ص ١٥٨.

(١٩٤)م.ن. ومحمد بن مسعود العياشي، تفسير، تحقيق هاشم الرسولي المحلاتي (قم ١٣٧٠) جزء ١ ص ٢٨٣-٢٨٤ إذ يروي عن الباقر والصادق ورواياته حول هذا الموضوع. وإحدى الروايات فإن الصادق قدّم التأويل الآتي لهذه الآية: أهل الكتاب تشير إلى ذرية علي من نسل فاطمة، الذي لم يمت من دون قبول الإمامة للإمام الحقيقي (أعني الصادق نفسه).

الناسوتية أو الإلهية[١٩٥]، فمثلاً يرى زيهنر Zaehner أن وضع القرآن بخصوص الطبيعتين للمسيح كأنه أقرب إلى النسطورية[١٩٦]. بينما رأى جريجوار H.Gregoire في سورة ٤ آيات رقم ١٥٦ وما بعدها من الآيات كأنها تهدف إلى استرضاء المجتمع المسيحي في نجران، الذين كانوا موحدين للمعتقد أو لمذهب الجولياني (من جوليان) Julianis،وهكذا فإن القرآن تبنى موقفهم الصلب للمسيح الظاهري (الذي يطلق عليه الصلب الوهمي phantasiast) [١٩٧].فقد قاد جوليان الهاليكرنوسي Halicarnassuc الموحدين المتطرفين في منتصف القرن السادس الميلادي، ودعم الموقف الآبرثودكسي Aparthodocetist،بأن المسيح قد تألق بالسعادة السماوية وأن جسده دون حياة للضعف الجسدي وغير قابل للفساد والتفسخ[١٩٨]، منكراً أي شبيه له في الطبيعة بين ناسوتية المسيح، وناسوتية الإنسان. بالنسبة إلى جوليان، لما كانت ناسوتية المسيح معصومة وغير آثمة وخالدة وغير قابلة بالشعور بالألم (فوق الألم والمعاناة)، عندئذ فإن تألم ، فإن هذا لكونه من جهد متعمد وهو شاعر بالألم إرادياً[١٩٩]، في الوقت الذي اتهمهم فيه الموحدون المعتدلون والمتشددون في الدفاع أو في تأييد الأفكار الغنوصية الهرطقية في الطبيعة الـ docetic، وأنه من الصحيح كثيراً

---

[١٩٥] هذه وبضمنها الذين حرموا القول بالطبيعة الواحدة على تخوم الإمبراطورية البيزنطية، سواء الموحدون المعتدلون ام السفنيانيون Sevenan في الحبشة، والنسطوريون في العراق الفارسي وحديثاً دخلوا إلى اليمن عن طريق الفتوح الفارسية، والجوليانيون Julianist أو الموحدون المتطرفون في المجتمع النجراني المهم، دون أن نذكر المجموعات الغنوصية والهرطقية المعينة.

[١٩٦] زيهنر R.C.Zaehner في دراسته باللغة الإنجليزية الموسومة (مقارنة الأديان) المطبوع في بوستن Boston ١٩٥٨، ملحق (القرآن والمسيح) ص ١٩٥-٢١٧، ٢٠٣.

[١٩٧] جريجوار H.Gregoire في بحثه باللغة الفرنسية الموسوم (محمد والموحدون Le Mohophysisme) المنشور في Melanges Charles Diehl (في باريس ١٩٣٠) ص ١٠٧-١٠٩، ١١٢، وما بعدها من الصفحات.

[١٩٨] ينظر قرار أو مرسوم ٣١/٢ و ٣٥/١٣ بخصوص عدم فساد جسد المسيح.

[١٩٩] جوليان قال عن عيسى (الموت هو قدر أو نصيب الأوغاد والأشرار. ولهذا فمن الواضح أن عيسى الذي كان معصوماً لم يمت واقعياً)؛ ينظر وجرام W.A.Wigram في دراسته باللغة الإنجليزية الموسومة (انفصال الموحدين) المطبوع في لندن ١٩٢٣ ص ١٥٥، صوّر الجوليانيون جسد المسيح وكأنه أزلي غير مخلوق، وهو نوع أو طبيعة تتجسد الله God head، رؤية ومنظور في اللاهوت الخلاصي Soteriological، وشددوا على رفعة الناسوتية عند المسيح برفع مريم العذراء إلى السماء بعد موتها by assumption إلى آله. وقد دعم جوليان في جداله مع سيفريوس severus، في الإسكندرية الرأي أن جسد المسيح غير قابل للفساد incorruplible، في الوقت الذي أتهم فيه سيفريوس، بدوره جوليان بأن تعاليمه من المذاهب المانوية Manichaean وأن آلام المسيح passion هو خيال جامح fantasy.

أن نطلق على المؤيدين لمذهب جوليان بـ المستقيمين والقويمي الأخلاق أكثر من كونهم (أنصار الصلب الوهمي phantasiasts) طالما أن الرواية الجوليانية للموحدية أكدت على أن المسيح لن يتألم، ولن يمت على الصليب، ما عدا بأي عمل أو إجراء طوعي وبموافقة وقبول إرادي.

ورأي أنصار المذهب الجولياني أن التخلص من الخطيئة التي وقعت في لحظات الصلب حينما قدم المسيح الخيار أو بالتضحية العالية التي فرضتها حالة المعاناة والموت على الصليب تلك التي كانت ناسوتية لم تكن ضمن ذلك؛ في الوقت الذي كان فيه موقف الموحدين المعتدلين يعتقد بأن التخلص من الخطيئة كان بالفعل قد تنبأ به المسيح تجسد المسيح في الجسد الميت المعاني أو المعذب(٢٠٠).

وقد انتقد جاري J.Jarry أطروحة جريجوار Gregoire على أساس إنه إذا ما كانت الآيات القرآنية المشار إليها في أعلاه قد ناقشت وأشارت في الواقع إلى وجهة نظر (الدوستيك Docetic) عن عيسى، حينها كيف تكون هذه الفكرة هي متبناة من اليهودية حينما عرف محمد المجتمع النجراني مباشرة، وليس فقط من الافتراء الموجه ضدهم من جانب أعدائهم الذين اتهموهم بأنهم الواهمون phantasiasts يعتقدون في الصلب المرئي أو الظاهر (أو الصلب المشبه له) التي كان عيسى في الواقع لم يعذب أو يعاني على الصليب؟(٢٠١).

ولذلك فإن جرّي Jarry قد قيد إلى اقتراح هو أما أن كان المسيحيون النجرانيون قد اخترقوا من جناح محدد أو معين من الموحدين المتطرفين الذين كانوا يشايعون أو يخلصون الولاء إلى تعاليم جاينوس Gaianus، الذي كان يعلّم أو يدرس تناسخ الناسوتية في اللاهوتية في المسيح؛ أو أن ثمة تيارات في الرهبنة السورية

---

(٢٠٠) جرّي J.Jarry في دراسته باللغة الفرنسية الموسومة (الهرطقات ومثيرو الشقاق factions في الإمبراطورية البيزنطية من القرن الرابع إلى القرن السابع الميلادي) المطبوع في القاهرة ١٩٦٨، ص ٧٤-٨١.

(٢٠١) جرّي J.Jarry في بحثه الموسوم (سووات الرابع sourate والجذور المعروفة soi distant للجوليانيين للإسلام) المنشور في حوليات المنطق الإسلامي Annales Islamologiques مجلد ٩ (القاهرة ١٩٧٠) ص ١-٧؛ كذلك نفسه في دراسته السابقة الذكر (الهرطقات) ص ٨٥-٨٨.

– والتي من بلاد الرافدين سيبولوتاميا في القرنين السادس والسابع الميلاديين قد آوت أو أخفت عناصراً من المسيحية Messalians، أو شبه الهرطقة عند الأوديون Audianو من المانوية، الذين كانت معتقداتهم تقترب في بعض المسائل ذات النظرة الغنوصية عن الصلب المرئي أو الظاهر(٢٠٢).

ويجادل جرّيJarry إلى أبعد من ذلك بأن الجايونية Gaianism ذاتها هي بشكل أو آخر أو جزئياً. المظهر الكاذب أو الذي يتظاهر بالمسيلينازم Messalianism التي كانت ترى في تعاليم الجوليانية في عدم تفسخ أو عدم فساد الجسد، جسد يسوع، رأوا فيها مفهومهم عن تجسد الناسوتية في المسيح وهكذا في تمجيد أو تألق الجسد إلى السعادة السماوية(٢٠٣). وهناك ثمة إشكاليات استخدمت في أطروحة جاري Jarri، نظير تفسيره للآيات ١٥٧-١٥٩ من سورة النساء بكونها معبرة لوجهة الظر الدوستيكية Doecetic عن موت عيسى اليسوع، وأن الافتراض بانتشار الجينتية Gaianite إلى داخل نجران (أو أخيراً إلى العراق)، أو حتى حضور أو وجود الاتجاهات الغنوصية عند مسيحي الجزيرة العربية(٢٠٤).

---

(٢٠٢)جرّي J.Jarry بحثه السابق (سورات الرابع) ص ٤-٧.

(٢٠٣)جرّي J.Jarry في بحثه باللغة الفرنسية الموسوم (Le Gaianisme un raassis d'heresis) المنشور في مجلة BIFAO مجلد ٦٣ (١٩٦٥) ص ١٢١-١٣٠، ص ١٢٦ وما بعدها من الصفحات، والظاهر أن بعضاً منا لجيانتز Gaianites اعتقدوا بفكرة الجسد السماوي والمبجل للمسيح متزامن ومتواقت مع ظهوره الأرضي، وينكرون حقيقة الصلب؛ وكان جيانوس Gaianus يعدّ نبياً وفي بعض المقاييس مساوٍ للمسيح، وهو موقف أو اتجاه يذكرنا أو يعيد إلى الذهن نبوة المساليز Messalians. وبخصوص الإشكالية المثيرة والمحيرة لل messalianism ينظر الإشارات المصدرية التي زودنا بها جرسواين N.Garsoian في بحثه باللغة الفرنسية الموسوم Nerses Le grand, Basile De Gesaree et Eustathe de sebaste المنشور في مجلة الدراسات الأرمنية Revue des Eludes Armeniennes رقم السلسلة ١٧ (١٩٨٣) ص ١٤٧ هامش ١١.

(٢٠٤)جرّي J.Jarry في بحثه المشار إليه سابقاً (الهرطقات) ص ٨٦ وما بعدها من الصفحات، إذ أنه هنا يعترف أن [جملة باللغة الفرنسية للمستشرق جرّي وهي:

L'allusion de la sourate est beaucoup trop breve et trop restreinte pour qu'on puisse dire avev certitude s'il s'agit d'une allusion a un julianisme degenere au manicheisme, au messalianisme ou a une survivance du marcionismi.

هذه المسائل جميعها قد تكون لها تأثير قليل على أو صلة قليلة بالقرآن نفسه أكثر مما لها من تأثير التفسير الكيساني(*). لهذه الآيات – فالموقف الشيعي المتطرف أو الراديكالي الذي رسم خطاً موازياً واضحاً بين اليسوع والإمام أو المهدي، والذي يسلط أضواء على التعبير الرئيس الأول لمفاهيم الغيبة والرجعة، يشير على فهم مبالغ به عن شخص الإمام. في حين أن المساهمة للأفكار العربية القديمة وتمجيد البطل بالنسبة إلى هذه المواضيع ينبغي أن لا نفقد البصيرة والرؤية، وكذلك لا نتجاهل الأحداث الحقيقية التي صاغت أو شكلت الإدراك الداني للشيعة الأوائل في تطور هذه المفاهيم، والذي بقي هو التأثير الذي لا يمكن نكرانه للأفكار الدينية التي ارتبطت بشخصيات الأنبياء الأوائل الأخروية، لا سيما المتعلق منه بالمفاهيم الرئيسة بالعصمة وعدم تفسيخ الأجساد(٢٠٥).

(*)(تقول رواية أبي الفرج الأصفهاني في كتابه مقاتل الطالبيين ص ١٢٠ النصّ الآتي. وأذكرها هاهنا من أجل مقارنتها بما نصّت عليه الترجمة لما قال المؤلف Crow:
(دعا يزيد "لعنه الله" بعلي بن الحسين فقال ما أسمك فقال علي، قال أو لم يقتل علي بن الحسين. قال: قد كان لي أخ أكبر مني يسمى علياً فقتلوه. قال: بل الله قتله. قال علي: (الله يتوفى الأنفس حين موتها) سورة الزمر آية ٤٢، قال يزيد (وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) سورة الشورى آية ٣٠، قال علي: (ما أصاب من مّصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلّا في كتاب من قبل أن نبرأها إنّ ذلك على الله يسير، لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحبّ كل مختال فخور) سورة الحديد آيات ٢١-٢٢. قال فوثب رجل من أهل الشام، فقال: دعني أقتله فألقت زينب نفسها عليه. فقام رجل آخر فقال: يا أمير المؤمنين هب لي هذه الجارية اتخذها أمة) [المترجم].

(٢٠٥)فضلاً عن شخصية عيسى، فإن النبي موسى أيضاً يفيد كأنموذج للنبي – الأخروي eschatological وفي أغلب الأحيان فإن المسيح يشبه (نبي مثل موسى) الذي سيظهر في نهاية الزمن End Time لليهودية والسامارية samaritanism وهناك ثمة خيوط في الرواية اليهودية تؤمن إن مكان دفن موسى مجهول، طالما أنه حقيقة صعد إلى السماء، من حيث يرجع مرة أخرى كموسى ثانٍ، يظر ميكس w.a.Meeksn في دراسته باللغة الإنجليزية الموسومة (النبي الملك: أحاديث أو روايات موسى والتعليل اللاهوتي لشخص المسيح christlogy بحسب الجوليانيين (المطبوع في ليدن ١٩٦٧) ص ٢٠٩-٢١١، فمثلاً جوزيفيوس Josephus كتب عن موسى: (بينما كان موسى لاحتضان ايليزار Eleazar ويوشع Joshua على جبل نيبو Nebo بعد أن ودع شعبه استقرت أو وقفت غنيمة فجأة فوقه، بعد اختفى، ومع أنه كتب في الكتاب المقدس أنه توفى، وهذه جاءت بسبب خوفه بأن الناس ربما يقولون لأنه كان ذو فضيلة وطهارة استثنائية وفوق العادة فقد تحول إلى إله divinity فإن أساطير من هذا الضرب، صارت في متناول مدارك الناس مثل رفع موسى والعهد الجديد لموسى، إذ كانت هذه كما يبدو قد قاومها الحاخامات Rabbis. ينظر القول الذي نسب إلى الحسن البصري قوله (لو علم أولاد أو بني إسرائيل أين كان قبر موسى، فإنهم سيتخذون موسى وهارون إلهين إلى جانب الله) (عمارة بن وثيمة الفارسي: كتاب بدء الخلق وقصص الأنبياء) تحقيق خوري R.G.Khoury (المطبوع في فيسبادن ١٩٧٨) ص ٥١، وعن رد فعل عمر الأولي لموت محمد، بأنه سيرجع مثل موسى. ينظر كازنوفا p.Casanova في دراسته باللغة الفرنسية الموسومة (محمد ونهاية العالم fin du Monde) المطبوع في باريس ١٩١١-١٩٢١، ص ٥٧.

الحسين ما شكل موته:

أحد أحداث مأساة كربلاء تربط أفكار الوفاة، والعقوبة على خطأ، أو ذنب معاً في أسلوب ملفت للنظر فالمشهد قد ورد ذكره في الروايات المختلفة على كونه مواجهة أو مجابهة بين ما بقي حياً من أبناء الحسين علي بن السجاد، ووالي الكوفة الأموي ابن زياد فقط – أو مع الخليفة يزيد نفسه– في دمشق[٢٠٦]، حول دخول أفراد من آل بيت الحسين الذين بقوا أحياءاً. فقد سأل يزيد علي بن الحسين[٢٠٧]: (*)

---

[٢٠٦] الطبري، تاريخ مجلد ٢ ص ٣٧٢-٣٧٣، ٣٧٦-٣٧٧؛ والشيخ المفيد، الإرشاد، تحقيق المياموي (تهران ١٣٧٧) ص ٢٢٨-٢٣٠، وكلاهما قد روى تبادلين exchangesمنفصلين، أولهما في الكوفة بين ابن زياد وعلي بن الحسين، وثانيهما في دمشق بين الخليفة يزيد وعلي، وكان مصدر الطبري لكل من الروايتين أبي مخنف. ففي التبادل الأول، وبعد أن أكد يزيد أن الله، لا الناس، قد قتل حسيناً، فردّ علي: الله يتسلم الأرواح في وقت متوهم (سورة ٣٩ آية ٤٢) [ها هنا يقصد المؤلف سورة الزمر آية ٤٢، التي قال فيها عزّ من قائل (الله يتوفى الأنفس حين موتها..) فنرى أن الفعل receive الذي يعني تسلم، أو استلم، أو يلقي ويلاقي لا تتوائم مع الفعل الإلهي (يتوفى) المترجم] وليس هناك من روح تموت إلا بإذن الله، وهو قرار ثابت(سورة ٣ آية ١٤٥). [وهنا يقصد المؤلف الإشارة إلى سورة آل عمران آية ١٤٥ التي جاء فيها (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ الله كِتَاباً مُؤَجَّلاً) كذلك فإن المؤلف قد ترجم كتاباً مؤجلاً الذي يفسر كتاباً مؤقتاً بوقت معلوم إلى كلمة decree الذي ترجمته مرسوم أو قرار وهي ترجمة لا تتوائم مع (ما موجود في كتاب الله) كذلك ترجم (مؤجلاً) بكلمتين fixed terim ترجمتها أجل ثابت أو محدد وهذه أيضاً لا تعبّر عن فاعلية الكلمة القرآنية (كتاباً مؤجلاً) أي مؤقتاً بوقت معلوم. المترجم] أما التبادل الثاني فقد لام يزيد أو انتقد بشدة علي بن الحسين بأن والده كان ينشد أو يسعى إلى نزع wrest سلطة الخلافة منه، وهكذا تعرّض لعقوبة الله نتيجة جريمته crime. بعدها ردّ علي: حيث يصيب بمصيبة سواء في الأرض أم من أنفسكم، ولكنه مسجل في كتاب قبل أن نأتي به ليكون . سورة ٥٧ آية ٢٢ [هنا أيضاً يشير الإمام إلى سورة الحديد آية ٢٢ التي جاء فيها (ما أصاب من مّصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير) فنلحظ أن ترجمة الآية الكريمة كما أوردها Crow غير موفقة لا سيما أنه لم يترجم كلمة (نبرأها) التي تفسّر هنا نخلق هذه الكائنات. المترجم] وبعدها سأل يزيد ابنه خالد أن يهيء جواباً، وعندما لم يستطع خالد على ذلك، قال له يزيد عليه أن يقول: ومهما أصابتك مصيبة هي نتيجة ما صنعته يديك، وأنه يغفر كثير من ذنوبك، سورة ٤٢ آية ٣٠ [والمؤلف هنا يشير إلى سورة الشورى آية ٣٠ التي يقول الله تعالى فيها (وما أصابكم من مّصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) فالمؤلف ترجم النصّ كسب بما يقابله صنع أو عمل.. الخ المترجم]. والرواية الموجودة عند أبي الفرج الأصفهاني في كتابه فضائل الطالبيين تحقيق أحمد سقر، القاهرة ١٣٨٦ (ص ١٢٠) يظهر أنها قد دمجت بين هاتين الحادثين في حادثة واحدة بين يزيد وعلي في دمشق، وهكذا جعل الكلمة الأخيرة يغفر لكم.

[٢٠٧] فالرواية المجموعة أو الموحدة في كتاب الأصفهاني (فضائل) ص ١٢٠ قدمت هنا طالما أنها تكشف بشكل أكبر الورطة أو الأزمة الإيدولوجية التي فرضت بموت الحسين بالنسبة إلى العقيدة الشيعية في العصمة.

(*) وجدت ها هنا أهمية في التعليق على وجهة نظر الأستاذ كرو Crow ، فبعد أن أسهب في الحديث عن موضوع الكنيسة المسيحية وأنشقاقاتها بشأن طبيعة السيد المسيح أإنها لا هوتية تماماً أم ناسوتية تماماً أم تتضمن اللاهوتية والناسوتية في آن واحد. مستشهداً بسورة النساء الآيات ١٥٦-١٥٧. وفي ختام أسطر هذا الموضوع البعيد عن استشهاد الإمام الحسين أعاد فكرته القائلة بأن فرقة الكيسانية وتفسيرها يرجع إلى تلك الآيات. أقول إن الإشارة إلى الكيسانية كيفما اتفق أمر بحاجة إلى نظر لأنها تفرقت إلى إحدى عشرة فرقة كل واحدة نسبت إلى شخص محدد، الذي وجد في نفسه أما إماماً أو نبياً أو كليهما. ولا أريد الخوض طويلاً غير أن تحديد ابن خلدون مع أنه متأخر في تاريخه وهو مؤرخ سنّي قد يفيد في تفنيد رأي كرو Crow يقول ابن خلدون: (ومنهم – من الزيدية– من ساقها –

يزيد: هل الله لم يقتل علي بن الحسين.

علي: لي أخ يعرف أيضاً علياً. قتله الناس.

يزيد: الأحرى أن الله قتله.

علي: يأخذ الله الأرواح في وقت موتها [سورة ٣٩ أي الزمر آية ٣٠ قوله تعالى إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ].

يزيد: وأن أي مصيبة تصيبك هو نتيجة ما ارتكبته يديك [سورة ٤٢ آية ٣٠ أي سورة الشورى آية ٣٠ قال تعالى {وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ}.

علي: أي وما من مصيبة تحدث أما في الأرض أو في أنفسكم أو أشخاصكم، لكنها مدونة في الكتاب قبل أن نجليها إلى الوجود – وبالتأكيد أن هذا على الله سهل

الإمامة- بعد علي وابنيه السبطين على اختلافهم في ذلك إلى أخيهما محمد ابن الحنفية ثم إلى ولده وهم الكيسانية نسبة إلى كيسان... أما الكيسانية فساقوا الإمامة من بعد محمد بن الحنفية إلى ابنه أبي هاشم وهؤلاء هم الهاشمية ثم افترقوا فمنهم من ساقها بعده إلى أخيه علي ثم إلى ابنه الحسن بن علي وآخرون يزعمون أن أبا هاشم لما مات بأرض السراة... أوصى إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وأوصى محمد إلى ابنه إبراهيم وأوصى إبراهيم إلى أخيه عبد الله بن الحارثية... وهذا مذهب الهاشمية – الكيسانية- القائمين بدولة بني العباس وكان منهم أبو مسلم الخراساني وسليمان وأبو سلمة الخلال وغيرهم من شيعة العباسيين) [مقدمة ابن خلدون، دار الفكر- بيروت (بلا تاريخ) ص ١٥٦، ١٥٨] اقتصرنا في مصدرنا على ابن خلدون ولم نأت بأي مصدر شيعي وذلك لكي يوضح ابن خلدون مسألة بنى عليها كرو Crow أفكاراً خاطئة جداً. فالكيسانية غلاة انشقوا عن حركة التشيع وصاروا دعاة لبني العباسي لا للتشيع الإمامي. ويقول ابن خلدون أيضاً أثناء حديثه عن الكيسانية في النصّ السالف الذكر ما يأتي "ومنهم طوائف يسمون بالغلاة تجاوزوا حدّ العقل بالحلول يوافق مذهب النصارى في عيسى صلوات الله عليه" م.ن ص ١٥٦. فالكيسانية فرقة عدّت الأصل لأكثر الأفكار الغالية وخرجوا عن التشيع. ومقام الإمامة قد انحطّ كثيراً على يد زعماء الكيسانية حين أباحوا لأفراد ليسوا من العلويين ولا من الهاشميين بصلة جعلوهم أئمة. وقسم منهم من رأى في محمد بن الحنفية المهدي المنتظر، وأنه لم يمت بل غاب في مكان مامن جبل رضوى. ومنهم من قال بالتناسخ. وآخرون أباحوا المحرمات وتركوا المسائل الشرعية. وفرقة الراوندية – العباسية – هي من فرق الكيسانية. والرزامية هي الأخرى كيسانية وهم اتباع رزام بن رزم الذين نقلوا الإمامة إلى بني العباس. والبيانية اتباع بيان بن سمعان من الكيسانية الذين قالوا بانتقال الإمامة من أبي هاشم إلى بيان مدعياً بأن الآية القرآنية الكريمة ٣ من سورة آل عمران (هذا بيان للناس وهدى) فقال أنه وصي أبي هاشم بنصّ إلهي.. واعتقد بالتجسيم. وأنه ادّعى بانقضاء النبوة، وأنه نسخ بعض شريعة محمد. وأنه دعا الإمام الباقر للدخول في دعوته وخاطبه قائلاً (وقد أعذر من أنذر) (ينظر النوبختي) فرق الشيعة (النجف ١٩٣٦) ص ٣٤؛ الشهرستاني، الملل والنحل (مصر ١٩٤٨-١٩٤٩) ج١ ص ٢٤٦. (المترجم)

ويسير- وأنك ربما لا تحزن على ما فقدته ولا تبتهج، لأنك قد منحك الله، والله لا يحب كل متباهي أو فخور(*).

فهذه المعاني المتضمنة في هذه الاقتباسات من القرآن يمكن أن يفهم منها موضوعين مركزيين على الأقل بالنسبة إلى الشيعة: عصمة الإمام، والواقع أيضاً الأحن التي عانى منها آل البيت إنما كانت هي بقضاء الله وقدرة كبيّنة أو دليل على أنه اصطفاهم. والنسبة إلى يزيد باستخدامه آية ٣٠ من سورة ٤٢ وهي: ما حدث لكم من مصيبة فهي بما عملته أيديكم، وهو برهان على أن موت الحسين كان نتيجة أو جاء بغضب من الله وعقوبتة جريمة التمرد ضد الخلافة، وكانت هذه من الجدل والمناقشة القوية التي كان عليه أن يرد عليها بشكل معاكس(*).

والإجابات قد نسبت إلى السجاد تحتوي على منشأ أو أصلها قد ابتدأت لتطلع أو تنبت عن طريق الأئمة.

وعندما سأل عدد من أصحاب الصادق أن يفسر المعنى الدقيق للآية (سورة ٤٢ آية ٣٠) فقد سألوه: هل تعتقد أن الذي حدث أو أصاب علياً وأفراد من آل بيته أنه نتيجة من نتائج ما عملته أيديهم، ومع ذلك إنهم آل بيت أطهار ولم يرتكب ذنباً؟

فكان ردّ الصادق على هذا بقوله(٢٠٨):

(*)[أي أنه يشير إلى ٥٧ الآيات ٢٢-٢٣. وهي في الواقع سورة الحديد إذ قال سبحانه وتعالى {مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ}. والملاحظ أن الأستاذ كرو Crow قد ترجم (نبرأها) بتعبير لا يوافق بالضبط ما ورد في الآية الكريمة والتعبير هو Bring it into being، وتفسير نبرأها هو نخلق هذه الكائنات المترجم].

(*) [الأستاذ كرو يقصد باستشهاده من القرآن سورة الشورى ٤٢ آية ٣٠ التي قال الله تعالى فيها {وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ} وقد ترجم (كسبت) بمعنى عملت Wrought وهي فعل ماضي من Work.

(٢٠٨)ابن بابويه القمي، الشيخ الصدوق؛ معاني الأخبار (تحقيق الغفاري (تهران ١٣٧٩) ص ٣٨٣-٣٨٤؛ وعبد الله بن جعفر الحميري؛ قرب الإسناد (تحقيق عبد المولى الطهراني (نجف ١٣٦٩) ص ١٠٣؛ ينظر أيضاً أبا الفضل علي الطبرسي؛ مشكاة الأنوار في غرر الأخبار (نجف ١٣٨٥) ص ٢٩٥؛ وسئل حمران الباقر عن نفس الآية.

(لقد اعتاد رسول الله أن يطلب التوبة والمغفرة من الله، الله العلي الكبير، وينشد المغفرة مئات المرات في كل يوم أو ليلة، دون أن يرتكب عمل، وذلك لأن الله العلي المتعالي يمنح أصدقائه بالمصائب وذلك من أجل أن يكافئهم من أجل المحن والبلايا، من دون أن يرتكبوا أي إثم).

كان جواب الصادق واضحاً بأن بلايا وآلام الأنبياء والأئمة هي من الله، ولكن ليست عقوبة على إثم أو ذنب، إنما بفضل من الله والسماء يعزى إلى عصمتهم. والأكثر من ذلك، فإن محن آل النبي قد كانت متنبأً بها وبمشيئة الله وتعدّ جزءاً من خطته لإنقاذ أو لتخليص خلقه من الخطيئة، كما يمكن ملاحظته من جواب الباقر إلى حمران بن أعين(٢٠٩).

حمران: أخبرني عن مسألة أو موضوع علي بن أبي طالب والحسن والحسين، وخروجهم وإنطلاقهم إلى المعركة أو الى الحرب وعن تنفيذهم دين الله، وما أصابهم من قتال الطغاة ودحرهم، إلى أن قتلوا أو قهروا Vanquished؟

الباقر: يا حمران ؛ الله تعالى ، قد قضى وقدّر لهم، وقد قرّره وقضاه ويعيده ويوحده؛ ثم أنجزه. وهكذا فبعلم مسبق لهذا من رسول الله إليهم، علي والحسن والحسين، سلام الله عليهم، ثاروا، وبعلم محدّد منهم، هو الذي صامت من بيننا ظل صامتاً (بعلم صمت من صمت منّا) . يا حمران فإن هم حيثما تصيبهم مصيبة التي تأتي من إرادة لله ومنحه الانتصار للطغاة عليهم – فإذا سألوا الله ليدفع الأذى عنهم- وإذا تضرعوا إلى الله لطلب إزالة أو التخلص من سلطان الظلمة، عندها سيستجيب الله لهم وسوف يجنبهم ذلك. بعدها فإن حقبة الطغاة الظلمة قد انتهت وسلطانهم قد زال وتلاشى أسرع من أن يثبت بخيط إذ حينما يقطع الخيط سرعان ما يطرح جانباً. فما الذي وقع لهم هو الاندحار. يا حمران لم يكن هذا عن خطيئة وإثم ارتكبوه، ولم يكن أيضاً عقوبة، عن عمل أو فعل المعصية، التي عارضوا بها الله. إنما [هذه الأمور التي

(٢٠٩)الصفار؛ بصائر الدرجات ذكره المجلسي؛ بحار جزء ٤٤ ص ٢٧٦-٢٧٧.

حدثت أو وقعت لهم] هي لمنازل، وكدليل شرف ونبل من الله التي يريد الله أن يبلغوه أو يصلوا إليه.

وهنا بالوسع أن ندرك اتقان بيّنة وبرهان النصوص التي استحضرت من قبل علي بن الحسين أمام يزيد (أو ابن زياد) كان موت الحسين قد تنبأ به وكانت نتيجة لإرادة الله، يشير إلى سرّ عميق عن وضعية أو وضع الإمام، الذي قبل بالظلم والاضطهاد من الطغاة الظلمة وكأنه فضل سماوي إلهي، وبتلك الوسيلة يحول المعاناة والعذاب إلى أرقى وسيلة وأنبل معنى وأعلى هدف[٢١٠].

ومع ذلك، فإن الشيعة دوماً يتذكرون هذه المعضلة التي طرحت بموت الحسين، وكيف يفهم منها فشلاً أو خيبة ظاهرية لقضيتهم وحينما تكون حقيقية، أقرت من الله الذي كان يريد أيضاً دحر وتعذيب أئمتهم. أنهم لم يفشلوا في مناشدة والبحث عن حل مرضي لهذه المعضلة، طالما أن الأمويين ومؤيديهم هم الذين عملوا أو صنعوا من اليوم الذي قتل فيه الحسين حدثاً يحتفلون به في التاريخ المقدس ويلحظونه بأنه يوم بركة. إذ يظهر هذا أن الامويين كانت لهم تقاليد في اختراع أو تلفيق أو إدعاء بأن اليوم الذي قتل فيه الحسين كان نفس اليوم الذي ندم تأسف repent فيه آدم، وفيه قبل الله كفارة أو توبة داود، والتي فيها خرج يونس Jonah من الحوت، والذي أرست فيه سفينة نوح على جبل الجودي. وهو اليوم الذي عبر فيه الإسرائيليون البحر الأحمر[٢١١] ففي رواية طويلة قدّمناها هنا بالكامل، فإن أحد بني هاشم، المنحدر من حارث بن عبد المطلب عرف بعبد الله بن الفضل بن ببّه الهاشمي سأل الصادق عن هذه المسألة[٢١٢].

---

[٢١٠] ينظر الصراط مجلد ١٠/ عدد ٢ (١٩٨٤) ص ٢٤-٢٩، إذ ناقشت أهمية موت الحسين كألم محسن به وفعال.

[٢١١] الشيخ الصدوق؛ الأمالي (تحقيق فضل الله الطباطبائي قم ١٣٧٣) ص ٧٧-٧٨، مجلس ٢٧؛ وهذه الرواية مصدرها ميثم التمار، أحد أصحاب علي بن أبي طالب الذي عاش حتى حقبة الباقر.

[٢١٢] (لقد أتى المستشرق كرو Crow علي المحادثة بين الإمام الصادق وبين عبد الله بن الفضل ابن ببّه الهاشمي، عندما سأل هذا- الهاشمي- الإمام سؤالاً، وبدوري سوف أنقل نصّ السؤال والجواب الذي قدّمه الإمام من كتاب

يا ابن رسول الله، كيف يصير يوم عاشوراء وهو يوم الحزن والفاجعة والكرب والعويل والنواح، أكثر من اليوم الذي رحل فيه رسول الله إلى جوار ربه، واليوم الذي توفيت فيه فاطمة، واليوم الذي قتل فيه أمير المؤمنين علي، واليوم الذي سمّ فيه وقتل فيه الحسن؟

علل الشرائع للشيخ الصدوق، تحقيق محمد صادق بحر العلوم (النجف ١٣٨٢ هجرية) يوم عاشوراء، للتأكد من صحة ترجمة المستشرق لهذا النص المهم:

(حدثنا عبد الله بن الفضل الهاشمي قال قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق: يا ابن رسول الله كيف صار يوم عاشوراء يوم مّصيبة وغم وجزع وبكاء دون اليوم الذي قبض فيه رسول الله واليوم الذي ماتت فيه فاطمة واليوم الذي قتل فيه أمير المؤمنين واليوم الذي قتل فيه الحسن بالسم. فقال، إن يوم الحسين أعظم مّصيبة من جميع سائر الأيام وذلك أن أصحاب الكساء الذين كانوا أكرم الخلق على الله تعالى كانوا خمسة فلما مضى عنهم النبي بقي أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين ، فكان فيهم للناس عزاء وسلوة فلما مضت فاطمة كان في أمير المؤمنين والحسن والحسين للناس عزاء وسلوة فلما مضى منهم أمير المؤمنين كان للناس في الحسن والحسين عزاء وسلوة فلما مضى الحسن كان للناس في الحسين عزاء وسلوة فلما قتل الحسين لم يكن بقي من أهل الكساء أحد للناس فيه بعده عزاء وسلوة فكان ذهابه كذهاب جميعهم كما كان بقاؤه كبقاء جميعهم فلذلك صار يوم أعظم مصيبة، قال عبد الله بن الفضل الهاشمي له: يا ابن رسول الله فلم يكن للناس في علي بن الحسين عزاء وسلوة مثل ما كان لهم في آبائه ، فقال: بلى إن علي بن الحسين كان سيد العابدين وإماماً وحجة على الخلق بعد آبائه الماضين ولكنه لم يلق رسول الله ولم يسمع منه وكان علمه وراثة عن أبيه عن جده عن النبي ، وكان أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين قد شاهدهم الناس مع رسول الله في أحوال في أن يتوالى فكانوا متى نظروا إلى احد منهم تذكروا حاله مع رسول الله وقول رسول الله له وفيه فلما مضوا فقد الناس مشاهدة الأكرمين على الله عز وجل ولم يكن في أحد منهم فقد فقدوا جميعهم إلا في فقد الحسين لأنه مضى آخرهم فلذلك صار يومه أعظم الأيام مصيبة.

قال عبد الله بن الفضل الهاشمي، فقلت له : يا ابن رسول الله فكيف سمّت العامة يوم عاشوراء يوم بركة، فبكى ثم قال: لما قتل الحسين تقرّب الناس بالشام إلى يزيد فوضعوا له الأخبار وأخذوا عليه الجوائز من الأموال فكان مما وضعوا له أمر هذا اليوم وأنه يوم بركة ليعدل الناس فيه من الجزع والبكاء والمصيبة والحزن إلى الفرح والسرور والتبرك والاستعداد فيه حكم الله ما بيننا وبينهم. قال، ثم قال: يا ابن عم وإن ذلك لأقل ضرراً على الإسلام وأهله وضعه قوم انتحلوا مودتنا وزعموا أنهم يدينون بمولاتنا ويقولون بإمامتنا زعموا أن الحسين لم يقتل وأنه شبّه للناس أمره كعيسى بن مريم فلا لأئمة إذن على بني أمية ولا عتب على زعمهم يا ابن عم من زعم أن الحسين لم يقتل فقد كذّب رسول الله وعلياً وكذّب من بعدهم الأئمة في أخبارهم بقتله ومن كذّبهم فهو كافر بالله العظيم ودمه مباح لكل من سمع ذلك منه.

قال الهاشمي، فقلت يا ابن رسول الله فما تقول في قوم من شيعتك يقولون به، فقال ما هؤلاء من شيعتي وإني بريء منهم كذا وكذا وكذا إبطال القرآن والجنة والنار. قال، فقلت فقول الله تعالى (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ) قال إن أولئك مسخوا ثلاثة أيام ثم ماتوا ولم يتناسلوا وإن القردة اليوم مثل أولئك وكذلك الخنازير وسائر المسوخ ما وجد فيها اليوم من شيء فهو مثله لا يحل أن يؤكل لحمه. ثم قال لعن الله الغلاة والمفوضة فإنهم تعمدوا عصيان الله وكفروا به وأشركوا وضلوا وأضلوا فراراً من إقامة الفرائض وأداء الحقوق) علل الشرائع ج١ ص ٢٢٥-٢٢٧ باب ١٦٢ .

الشيخ الصدوق؛ علل الشرائع (تحقيق محمد صادق بحر العلوم (النجف ١٣٨٢) جزء ١ ص ٢٢٥-٢٢٧ باب ١٦٢؛ أورده المجلسي؛ بحار جزء ٤٤ ص ٢٦٩-٢٧١ وعن أبي عبد الله بن الفضل الهاشمي ينظر محمد بن علي الأردبيلي، جامع الرواة (قم ١٣٣١) جزء ١ ص ٤٩٩.(المترجم)

الصادق: إن يوم قتل الحسين أعظم من جميع تلك الأيام الفائتة، وذلك لسبب أن أصحاب الكساء، الذين كانوا خمسة عندما رحل عنهم النبي، وبقي منهم أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين؛ وكانوا السلوى والمؤاساة للناس. وعندما رحلت فاطمة، كان السلوى والمؤاساة للناس بأشخاص أمير المؤمنين والحسن والحسين؛ ثم حينما رحل أمير المؤمنين عنهم كان هناك المؤاساة والسلوى للناس في الحسن والحسين؛ وعندما رحل الحسن كان الحسين هو السلوى والمواساة للناس. ولذلك فإنه عندما قتل الحسين غمره الله وأفاضه بالعظمة والمجد، لم يبق أحد من أهل الكساء ليكون سلوى ومواساة للناس بعده. وهكذا فإن رحيله كان آبه باختفائهم جميعاً، تماماً كالذي في بقائه هو أشبه بأن يكون استمراراً لهم. ولهذا السبب فإن يومه صار أعظم يوم للحزن.

الهاشمي: يا ابن رسول الله، إذن لماذا لم يكن هناك سلوى ومواساة للناس في علي بن الحسين (السجاد) مثلاً أو شبيهاً إلى ما كان لأجداده من سلوى.

الصادق: بالتأكيد كان علي بن الحسين سيد العابدين؛ وإماماً وحجةً Exemplary witness للخلق من بعد موت آبائه. وعلى أية حال فإنه لم يلتق برسول الله، ولم يسمعه مباشرة، وأن علمه هو تراث أو ميراثه بوصية من أبيه، ومن جده، ومن النبي. أما بالنسبة إلى أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين قد أدركهم الناس ورأوهم مع رسول الله في مواقف متوالية ومتتابعة ومتواصلة ومستمرة. وعندما كان ينظر إلى أي منهم فإنهم اعتادوا على أن يتذكروا مكانته من النبي، وأن حديث رسول الله له وعنه. لهذا عندما رحلوا، فقد الناس رؤية المعززين عند الله. وفقط في فقد الحسين كان هناك أيضاً خسارتهم جميعاً. وذلك لأنه رحل عنهم وآخر من رحل عنهم. ولذلك السبب أصبح يومه أعظم الأيام للفاجعة.

الهاشمي: يا ابن رسول الله، إذ لماذا الأمة سمّت يوم عاشوراء كيوم بركة؟.

الصادق: بكى ثم قال: عندما قتل الحسين، فإن الناس في دمشق تملقوا ليزيد طلباً لرضاه، واختلقوا روايات له، ووضعوا له الروايات [حول من هو الذي قتل الحسين وكيف قتل]، وحصلوا على الجوائز والأموال بعملهم هذا. ومن بين ما وضعوا واختلقوا له كان أمر هذا اليوم، وأنه كان يوم بركة، من أجل أن يصرفوا الناس عن الحزن والبكاء والمصاف والكرب، إلى الابتهاج والفرح الشديد والمرح والمسرة والبهجة والسرور والنزوع أو والميل لها. نطلب من الله أن يكون حكماً بيننا وبينهم.

يا ابن عمي، حقاً، ذلك هوناً على الإسلام وعلى آله، من أن يزيف أو يلفق جماعة الذين يدّعون أو ينتحلون لأنفسهم مودتنا ويزعمون أنهم مدينون بالولاء إلى مناصرتنا وموالاتنا، ويعترفون بإمامتنا. فهم يزعمون أن الحسين لم يقتل إنما شبه للناس كاليسوع، ابن مريم Mary، ففي تلك الحالة، فليس هناك من شر لا يباريه نشر الأمويين، وليس هناك لوم أو استهجان لإدعائهم [بأن يوم عاشوراء هو يوم بركة].

يا عم، أيا ما كان يدعي أو يزعم أن الحسين لم يقتل، فإنه يكذب على رسول الله، وعلى علي، وأنه يتهم الأئمة من بعده بالكذب عن رواياتهم بشأن مقتله. وأياً ما كان يتهمهم بالكذب، فإنه كافر بالله تعالى، وأن دمه حلال وشرعي عن أي شخص سمعه يتحدث بذلك.

الهاشمي: يا ابن رسول الله، ثم ماذا تقول بشأن جماعة من شيعتك يدافعون عن أن الحسين قد قتل(*) [وهو لم يعد حياً]؟

الصادق: هؤلاء ليسوا من شيعتي، وأنني أغسل يديّ منهم.

(*)النصّ كما ورد عند العلامة المجلسي في بحار الأنوار هو (فما نقول في قوم من شيعتك يقولون به – بقتل الحسين- لعل الإشارة (به) إلى أن الحسين لم يقتل وإنما شبّه له كالحالة التي تدلّ الآيات القرآنية الكريمة. ولعل السائل يقصد فرق من الغلاة الذين انشقوا من التشيع الإمامي) [المترجم].

الهاشمي: ثم ماذا بشأن قول الله: وبالتأكيد، فلقد علمتهم نهاية أولئك من بينكم، الذين تعدّوا في موضوع البّث. فهكذا قلنا لهم، كونوا قردة، محتقرين! سورة ٢ آية ٦٥(*).

الصادق: أولئك الذين نسخوا إلى قردة لمدة ثلاثة أيام، ثم بعد ذلك ماتوا، ولم ينجبوا ذرية. والقردة اليوم يحملون تشابهاً مع أولئك، مثل الخنزير وبقية المسوخ [المخلوقات المنسوخة]؛ وما نجده منهم اليوم من شيء إلا شبهاً بها؛ إنه محظور أكل لحمها. ألا لعنة الله على الغلاة والمفوضة، وذلك لأنهم استهانوا أو استخفوا بمعصية الله، وأنهم كفروا الآخرين إلى الضلالة، وتركوا أو تخلوا عن أداء الواجبات الطقوس الدينية وإنجاز الأوامر الشرعية.

هذه الرواية أو القصة، التي يتضمن إسنادها رجال هم أما مجهولون أو لهم مسحة الغلو(٢١٣)، وتشدّد الرواية على خطر أو عظم النكبة، نكبة موت الحسين إن ذلك يتسق مع الواقع بأن الباقر والصادق شجعا ورفعا من شعيرة يوم عاشوراء ومناصريهم وكذلك كوسيلة لتقديم حقوق آل بيتهم(*)(٢١٤)، فينظر إلى عاشوراء على

(*)[ويقصد المؤلف سورة البقرة آية ٦٥ التي قال الله جل وعلا فيها (ولقد علمتهم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين) سورة البقرة آية ٦٥ [المترجم].

(٢١٣)يربط الإسناد المصنّف ابن بابويه للهاشمي بسلسلة من خمس حلقات. والحلقتان الأولى والثانية، محمد بن علي بن بشار والمظفر بن أحمد، وكانا كلاهما من قزوين وأن الأخير ينقلها عن محمد بن جعفر الأسدي (المتوفى ٣١٢هـ) أحد الأبواب للإمام الغائب خلال الغيبة الصغرى؛ مامقاني في كتابه تنقيح ص ١١ (ب) ٩٢ (فقرة ١٠٤٨٨) وينقلها الأسدي عن سهل بن زياد الآدمي، وهو أحد أصحاب الأئمة التاسع والعاشر والحادي عشر، مؤلف الكتابين: التوحيد والنوادر. وكان سهل حرم أو عزل عن قم من قبل أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري، فذهب إلى الري، وذلك لأنه أتهم بالتطرف (الغلو) وعدّ ضعيفاً في رواياته من قبل الفقهاء، على الرغم من أن هذا الحكم لم يقبل دائماً من قبل المؤلفين المتأخرين؛ تنقيح ١١ (ب) (٧٥، فقرة ٥٣٩٦؛والحلقة الأخرى قبل الهاشمي هو سليمان بن عبد الله، ويبدو أنه مجهول، وجميعهم مجهول؛ ينظر الأردبيلي؛ جامع جزء ص ٣٨٢. ولعله من المناسب قوله أنه يطابق شخصية أخرى هي أبو محمد سليمان بن عبد الله الديلمي، وكان كوفياً من قبيلة بجيلة، وكان من أصحاب الصادق، وألف كتاباً عنوانه (يوم وليلة) ووصف من قبل النجاشي أنه كذاب وغالي – متطرف؛ تنقيح (١١أ) ٦٠ (فقرة ٥٢٠٢، ووصف أبنه محمد بن سليمان بأنه ضعيف وغال – متطرف؛ جامع جزء ٢ ص ١٢٢.

(*)ها هنا يكشف الباحث كرو Crow بأنه يحجّم من أهمية استشهاد الإمام الحسين وينظر إليها، كأمريكي، بمنظار براغماتيكي ذرائعي – كما يراه الإنسان في أمريكا إن كان سياسياً أو غير ذلك، إذ ينبغي أن تكون هناك أهداف وراء أي حدث – متغافل عن أن الشيعة إنما يجدون فياستشهاد الإمام ثورة ضد الظلم والطغيان وضدّ دناءة الحكام المستبدين من بني أمية، ولذلك رفع الثوّار والحركات السياسية التي حدثت خلال العصر الأموي والعصور

أنه (اليوم الأعظم للفاجعة والحزن والكرب) قبالة اعتباره يوم ابتهاج وأفراح وكأنه (يوم بركة) من طرف الأمويين. مع ذلك فإن الصادق قد خصّ بكون شيعة معينين ممّن له وجهات نظر أو آراء راديكالية متطرفة بخصوص طبيعة موت الحسين شكلوا خطراً أعظم على الإسلام وعلى آل النبي وبالأحرى أكثر من هذه الممارسات في النحيب والعويل للأمويين، أي أولئك الذين يشبّهون الحسين بيسوع عن طريق تكذيب حقيقة موته. مثل هذا الآراء تؤدي على تقويض أو تشويه undermine القوة الأخلاقية والأيدولوجية للشيعة وذلك بإزالة أو بتحويل مسؤولية قتل الحسين عن الأمويين، فضلاً عن أنه يصيب أو يهاجم على صدقية وموثوقية الأئمة الذين دعموا أو أيّدوا حقيقة موت الحسين وآلامه وعذابه.

فمن الواضح أن الصادق يشير إلى بعض من أصحابه بقوله الناس الذين ممن كان يعتنق هذا الرأي الخاطىء عن الحسين؛ فهؤلاء لم يكونوا اتباع مديح آخر للإمامة، ولكن كانوا من بين أولئك الذين أرادوا أن يعدّوا كاتباعه أو كأنصاره، وفوق ذلك، فإنه أدان جماعة أخرى من الشيعة أولئك الذين ادّعوا أيضاً بكونهم مؤيدين لقضية آل البيت النبي، مع إنهم يؤيدون أو يدافعون عن أن الحسين في الواقع قد قتل، وعلى هذا الأساس فإنه لم يعدّ حياً. مثل هذا الرأي من المحتمل يشير إلى الجماعات الكيسانية المحدثة ممن كان يعتقد أنه بعد موت الحسين، فقد انتقلت الإمامة إلى ابن الحنفية، إن خطورة هذه الآراء أن هي إلا تحريف وتشويه بطبيعة الحقيقة ولطبيعة مهمة ووظيفة الإمام هي وراء صرامة الصادق في إدانته، أي، بأن هؤلاء الذين فكروا أو استضافوا هذه الأفكار ينبغي أن يقتلوا شرعاً. ثم يأتي السؤال عن النسخ فهو مرتبط بطريقة أو أخرى بمشكلة موت الحسين، وإن الصادق قام بإدانة المتطرفين ممّن اعتنق هذه الآراء.

الأخرى شعارا لثوراتهم وحركاتهم وبضمنهم انصار الدعوة العباسية شعار يالثارات الحسين أو يا لثارات آل بيت محمد[المترجم].

(٢١٤) بصورة عامة، راجع جعفر بن محمد بن قولويه؛ كامل الزيارات (تحقيق عبد الحسين الأميني التبريزي (نجف ١٣٥٦) في صفحات هنا وهناك من الكتاب فعلى سبيل المثال ص ٣٣٠ وما بعدها من الصفحات باب ١٠٨؛ وحول توصيف النشاطات والفعاليات التي تعقد على قبر الحسين من الكوفيين زمن الصادق ينظر في الموضع المذكور سابقاً ص ٣٢٦: قراءة القرآن، قاص يروي القصص، نساء يندبن قتل الحسين، وإلقاء المراثي).

وربما فإن لمحة على بعض القصص والأساطير والمعتقدات التي ارتبطت مع موت الحسين أو مع الأئمة ستساعد في توضيح الغموض عن هذه الآراء الراديكالية المبكرة(*).

موت الحسين: ما هو نمط حياته.

هناك كثير من الأساطير(*) قد نشأت وتطورت من إعادة أحداث كربلاء من جديد(٢١٥)، نظير تلك الأساطير التي أحاطت بحدث الرأس المقطوع للحسين، وإحدى هذه الأساطير جعلت رأسه كان يتحدث. مع زياد بن الأرقم إذ سمعه يردد آية من سورة ١٨ آية ٩ (ويقصد سورة أهل الكهف آية ٩): هل تعتقد أن أصحاب الكهف والرقيم كاوا من بين المندهشين من آياتنا؟ [قال الله تعالى في هذه الآية الكريمة {أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً} كما أنه قد عرض بموكب في شوارع الكوفة(٢١٦)، إن زخرفة أو تزيين سير القديسيين من هذا

(*)ها هنا لابدّ من التنويه أن الأستاذ كرو crow في هذا المقطع بدءاً من (من الواضح أن الصادق يشير ... الخ) يريد بل ويصرّ على إقحام أفكار خاطئة تدل على عدم بصيرة أو تفهم، وهو منهج غير علمي وعقيم. لأنه لم يجد منفذاً في ردود الإمام الصادق الواضحة، فبات يتكهن ويتطرف في تحليلاته غير المنطقية. فالإمام يردّ على أقوال الهاشمي عن الآراء الغالية بشأن استشهاد الحسين قائلاً:

١ - أي من كان يزعم بأن الحسين لم يقتل فهو كاذب وكافر وينبغي قتله من قبل أي شخص يسمعه.

٢ - إن هؤلاء ليسوا من شيعتي، وأنه تبرأ منهم.

٣ - هؤلاء مثلهم مثل اليهود في كونهم يمسخون إلى قردة، وإن القردة والخنازير تشبههم.

٤ - لعنة الله على الغلاة والمفوضة، فهؤلاء كفار أضلوا الناس وتحللوا من العبادات والطقوس الإسلامية.

وبعد كل هذا يستنتج Crowإنهم من الشيعة؟! [المترجم].

(*)لا أعرف لماذا يستمر الأستاذ كرو Crow على إصراره غير الواقعي بأن ما حلّ بالإمام الحسين من قبل أعداء آل البيت هو أساطير وخرافات فهل يمتلك روايات أخرى بديلة عن روايات أبي مخنف وهشام الكلبي وعوانة بن الحكم والطبري لكي يطوّر فكرة عن خرافة روايات ذلك الحدث المحزن والمخيب للآمال بشأن إسهام الكوفيين بنهب ملابس الإمام بعد استشهاده ؟ فضلاً عن غير التاريخي بأن الإمام الحسين قد قتل بسيوف الأمويين ، ولم يمتّ كذلك فإن رأسه الكريم قد قطع ومُثل بجسده وسرقت ملابسه وانتزع خاتمه بعد قطع أصبعه. فلماذا كل هذه الروايات قد عدّها من قبل الأساطير والخرافات أساطير، وقد تحدثت عنه الرواية الأموية ذاتها [المترجم].

(٢١٥)م.ن هنا وهناك من صفحات الكتاب؛ أيوب M.Ayoub في دراسته باللغة الإنجليزية الموسوم (الألم الاقتدائي في الإسلام) المطبوع في The Hague ١٩٧٨، فصل ٤ بع نهوان (الشهيد المظلوم Wronged) ص ١٢٠-١٣٩.

(٢١٦)المفيد، الإرشاد ص ٢٢٩؛ أيوب، المصدر السابق، ص ١٣٣. وهذه الإشارة إلى أصحاب الكهف الذين رفعهم الله للحياة مرة أخرى بعد ٣٠٩ سنة (سورة ١٨ آيات ٩-٢٦) [أي سورة الكهف آيات ٩-٢٦ التي يقول الله تعالى في آية ٩ [أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) ويقول الله تعالى في آية ٢٥ (ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا) المترجم]. قد أتخذت مثال آخر يضاف للأهمية على ضوء البعث الجسدي للحسين

النوع هي مثيرة ولافتة للنظر في التعويل والاعتماد على مفرد أو متكرر وباعث مسيحي، بالأصح الموازاة الواضحة بين الحسين ويوحنا المعمدان John the Baptist[٢١٧] ومن الطبيعي، أن العثمانية، أو خصوم آل علي، لهم شبيه بذلك وهو دم عثمان، ثالث خلفاء محمد، إلى ذلك الشبه بيوحنا المعمدان، يفيد أو يحول في موضوع أو فكرة رئيسة للثأر المطالب به من الدم المسفوك من أحد أعزاء أو أحباء الله[٢١٨].

وفكرة رئيسية أخريمن المناسب ذكرها في هذا المجال هي أن لحوم الأنبياء والأئمة لا تتفسخ ولا تتعفن في الأرض بعد موتهم. وإن أقوالاً بهذا الشأن متوافرة منسوبة إلى النبي محمد قوله: حقاً فإن الله قد جعل منه لحومنا لا تنتهك وهي (بمعنى

في الرجعة، سنناقشها في أدناه، فالآية تمثل إن كان رأس الحسين قد يلمح إلى بعث فذهل أكثر من ذلك المشار إليه في أصحاب الكهف. وحول أساطير أخرى ترتبط بالرأس ينظر أيوب في دراسته السابقة (الألم) ص ١٣٢-١٣٤.

[٢١٧] ابن قولويه، كامل، باب ٦٨، ٨٩-٩٣؛ والمجلسي، بحار جزء ٤٥ ص ٢٠١-٢١٩ وفي أماكن أخرى من الكتاب؛ علي بن عيسى الأربلي؛ كشف الغمة في معرفة الأئمة (تحقيق إبراهيم ميانجي، تبريز ١٣٨١هـ) جزء ٢ ص ١٧٩، ٢٤٦. التشابه بين يحيى John والحسين في هذه الروايات تحتوي على الحقيقة بأن قتلة كليهما كانوا أولاد زنا (غير شرعيين)، وكذلك فإن السماء لم تبك على أحد سواهما تحول بكاءها دماً أحمرا. فبينما الحسين — أمير الشهداء — هو شبه يحيى بن زكريا، فإن روايات أخرى تربط الحسين مع موت أنبياء آخرين: رضي الدين بن طاووس، كتاب اللهوف على قتلى الطفوف (المطبوع في صيدا ١٣٤٧/١٩٢٩) ص ١٠، إذ ورد أن الحسين يقتل كما قتل آبيل من قبل قابيل Cain وأن ثأر أخذ دمه سيكون بقتل آبيل لقابيل. ابن قولويه؛ كامل ص ٧٥ وما بعدها من الصفحات وصفحة ٩٣: قال الباقر لهشام ابن عبد الملك أنه في تلك الليلة التي قتل فيها علي، وجد دم تحت كل صخرة، ونفس العلامات والآيات قد ظهرت لموت كل من يوشع Joshua وهارون Aaron وسيمون Simon وعلي والحسين، وكذلك حدث عندما رفع عيسى إلى السماء، في الوقت الذي أوردت رواية أخرى أن ذلك الدم قد وجد تحت الصخرة في هيكل أورشليم عند موت الحسين. وهذا التفصيل عن الهيكل وثيق الصلة بالموضوع، بما أن الأسطورة الإسلامية تقول عن دم يوحنا يحيى المعمدان الذي غلي وسوف لن يخمد حتى يقتل سبعون ألفاً ثأراً له (بحار جزء ٤٥ ص٢٩٩، عن ابن شهر آشوب مناقب آل أبي طالب)؛ وفي الرواية الشيعية، وهذه ترتبط مع ذرية قتلة الذين قتلوا الحسين بسبب ما صنعه أسلافهم (بحار جزء ٤٥ ص٢٩٥-٢٩٨)؛ وكذلك أسفل من ذلك صفحة ٢٠. والقصص الإسلامية المبكرة عن الأنبياء تتضمن على روايات بشأن عصمة وطهارة يوحنا، يحيى بن زخريا، نقلت من محمد بن وثمة: قصص ص ٣١١؛ ونعمة الله الجزائري في كتاب النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين (بيروت ١٩٧٨) ص ٣٩٦-٤٠١.

[٢١٨] وقد اختار الجاحظ هذه المماثلة بين عثمان ويوحنا في رسالة النابتة (تحقيق سندوبي (رسائل الجاحظ، القاهرة ١٣٥٢/١٩٣٣) ص ٢٩٣، وقد ظهر أن هذه المماثلة والمشابهة كانت جزءاً من المخزون الجدلي للحزب العثماني؛ ينظر شارل بلا في دراسته باللغة الفرنسية الموسومة (محيط أو بيئة البصرة وتكوين الجاحظ) باريس ١٩٥٣ ص ١٩٢ و ١٩٣ هامش رقم (١).

لا تتفسخ) في الأرض، فضلاً عن أنه لا يتلف أي جزء منها ولا يلتهم. وقد وسعت وضخمت من قبل الصادق إذ قال[٢١٩]:

(ليس هنالك من نبي أو وصي للنبي من يبقى في الأرض أكثر من ثلاثة أيام[٢٢٠]، فروحه وعظامه ولحمه ترفع إلى السماء؛ ومع ذلك فالناس يأتون إلى مواقع أو مواضع آثارهم، وأن السلام والتحية تصل إليهم من بعيد أو من بعد، [والأنبياء والأئمة الأوصياء] يسمعونها مسبقاً في مواضع آثارهم.

إن عدم فساد أو تفسخ أجساد القديسيين هو موضوع أو فكرة مألوفة في الكنيسة الكاثوليكية وفي الأسطورة المسيحية في العصور الوسطى، واعتيادياً فإن هذه الفكرة أتخذت لتكون دليلاً أو آيةً على طهارة تصرفات القديس وعصمته، وهذه الفكرة غير موجودة في التقليد اليهودي إلا نادراً[٢٢١]، فالرواية عن الصادق تقتبس وتخص على نحو واضح النسبة إلى الصعود الروحي والمادي؛ وهي تحتفظ بفكرة أو

---

[٢١٩] حول الرواية عن محمد، ينظر الصفار، بصائر الدرجات ص ٤٤٣-٤٤٤، وعن الرواية عن الصادق ينظر المصدر نفسه ص ٤٤٥ باب ١٣ من القسم ٩، وكامل ص ٣٢٩-٣٣٠، ويوفر كل من الصفار وابن قولويه نفس الإسناد الذي يذهب إلى الوراء حيث نسبتها الصادق عبّر أحمد بن محمد بن عيسى علي بن الحكم، إلى زياد بن أبي هلال، وهوكوفي من أصحاب الصادق، ومؤلف كتاب، وعدّ موثوقاً (تنقيح جزء ١ ص ٤٥٣ (فقرة ٤٢٩٣).

[٢٢٠] المعتقد أن الميت سوف يبعث بعد ثلاثة أيام له ما يقابله في الرواية اليهودية والمسيحية أيضاً. فصعود عيسى أو بعثه يقع في اليوم الثالث بعد صلبه. وفيما يخص الرواية المزدكية، فإن الروح، عند مغادرتها الجسد، عليها أن تنتظر ثلاثة أيام للقرار الإلهي؛ عندئذ فقط بوسعها عبور جسر سنفات Cinvat.

[٢٢١] سنتيفز P.Saintyves (مع أميل نوري Emile Nourry) في الدراسة باللغة الفرنسية الموسومة (على حافة Marge أسطورة دورية Doree) المطبوعة في باريس ١٩٣٠ ص ٢٩٣، ٣١٥ الذي يشير إلى أنه في الأسطورة الكنسية جسد النبي زخريه Zachariah قد وجد كاملاً محفوظاً مدة طويلة بعد موته. وعن عدة روايات يهودية بشأن عدم تفسخ أجساد القديسين نظير بابثرا Baba Balhra (١٦٩): هناك سبعة (أبراهام، إسحاق، يعقوب، موسى، هارون، مريم وبنجامين) ينظر تقويم هيللر B.Heller لكتاب نورّي Norry في مجلة دراسات يهودية Revue des Eludes Juives مجلد ٩٨ (لسنة ١٩٣٤، ص ١٣٠، وهو الذي أضاف بأن بعض العلماء الموثوقين اعتقدوا أن داود David هو أيضاً قد منح هذه النعمة. ويعالج هيللر الأسطورة في تحنيط جسد جوزيف (يوسف)، ويزودنا بإشارات مصدرية وتصويبات لمناقشة جنزبرغ L.Ginzberg لهذا النص في دراسته باللغة الإنجليزية الموسومة (أساطير اليهود) المطبوعة في فيلادلفيا ١٩٢٥، جزء ٢ ص ١٥٠. وقد عدّ عدم التفسخ الفيزيولوجي على أنه مؤشر أو علاقة على عصمة روحانية أو دينية. وهناك مثال مشهور في مسألة المحافظة الكاملة لجسد هي أسطورة سنت كاثرين St. Catherine في الإسكندرية، فجسدها قد اكتشف في نهاية القرن الثامن الميلادي على جبل سيناء في الجزيرة العربية كما هو مظنون، يعبر نفسه لدير معروف جداً في منطقة مجاورة، نورّي Nourry في دراسته (أسطورة) ص ٣١٩-٣٢٣، ويؤيد أو يدعم الأرثودوكس الشرقيين والكنيسة الروسية بصورة مستمرة وبقوة عدم تفسخ أجساد القديسين (المصدر ذاته ص ٥٢٩-٥٣٢).

مفهوم زيارة القبور، الأنبياء والأئمة من الأوصياء، وذلك بشرط الصلوات للشفاعة وهي ستصل إليهم، طالما أنهم أحياء في الجنة.

وقد قدمت هذه المسألة للمرة الثانية في رواية أخرى عن عبد الله بن بكر الأرجاني[٢٢٢]، الذي وافق الصادق في الحج إلى مكة. ففي طريقهما، وبالقرب من قرية عسفان أشار الصادق له إلى جبل أسود منعزل ومقفر يدعى الكمر إذ يقع تحته وأدى هو وادي جهنم يضم قتلة الحسين، وفيه يعذبون عذابا وعقوبة شديدة. واخبر الصادق الأرجاني إن كل ظالم أو عاتي وكافر أو وغد يعذب أيضاً هناك معهم أي مع قتلة الحسين[٢٢٣]، أخيراً سأل الأرّجاني الصادق[٢٢٤]:

((هنا أيضاً راجعت كتاب كامل الزيارات لمؤلفه جعفر بن محمد بن قولويه تحقيق عبد الحسين الأميني التبريزي "النجف، ١٣٥٦هـ، وأتيت على ذكر النصّ الذي ترجمه الأستاذ كرو Crowومن أجل تبيان ما تركه المستشرق من النصّ العربي من صفحة ٣٢٦-٣٢٩ باب ١٠٨. عن عبد الله الأصمّ عن عبد الله بن بكير الأرجاني (أو الأرجاني) وقال صحبت أبا عبد الله في طريق مكة من المدينة فنزلنا منزلاً يقال له عسفان... قلت أبي بكير جعلت فداك أخبرني عن الحسين لو نبش كافر يجدون من قبره شيئاً؟ قال: يا أبا بكير ما أعظم مسألك.. الحسين مع أبيه وأمه وأخيه الحسن في منزل رسول الله يحيون كما نحيي ويرزقون كما ترزق فلو نبش في أيامه لوجد، وأما

---

[٢٢٢]كامل ص ٣٢٦-٣٢٩ باب ١٠٨؛ والجزء الأخير من هذه الرواية تعالج البقايا الجسدية للحسين وهذه أيضاً متوافرة في المصدر ذاته ص ١٠٣ باب ٦٢ (التي منها في البحار جزء ٤٤ ص٢٩٢)، وقد جاء عبد الله بن بكر الأرجاني [الأرجاني أو البرجاني] من إقليم الأهوار، وقد عدّ ضعيفاً من قبل بعض المؤلفين. فهو مشوب بالغلو لأنه أظهر تعاطفاً لأبي الخطاب؛ تنقيح (الثاني أ) ص ١٧٠ (فقرة ٦٧٦٦) والحلقة التالية في الإسناد هو عبد الله بن عبد الرحمن الأصم المسمعي، بصري صنف كتاباً عن الزيارات، وقد وسم أو صنّف بكونه غالياً أو متطرفاً؛ تنقيح (lla) ١٩٦ (فقرة ٦٩٢٧) وأظهر المامقاني تحفظات على هذه الأحكام. وينقل ابن قولويه هذه الرواية عن شيخه (معلمه) جعفر بن عبد الله الحميري، وعن محمد بن خالد البرقي، وهما يعدّان من أكثر محدثي ومصنفي القرن الثالث احتراماً وحسن سمعة.

[٢٢٣]هؤلاء بضمنهم بول Paul– بولس- ونسطوريوس (الذين علموا المسيحيين أن عيسى المسيح، هو ابن الله، وأنه ثلاثة، كامل ص ٣٢٧) وأن فرعون Pharaoh ونمرود وقاتل علي، وقاتل فاطمة وقاتل جنينها الذي لم يولد محسن، وكذلك قتلة الحسن والحسين.

[٢٢٤]المصدر نفسه ص ٣٢٩؛ والرواية على صفحة ١٠٣ وقد اختصرت قليلاً، مع اختلافات ثانوية.

اليوم فهو حي عند ربه يرزق وينظر إلى معسكره وينظر إلى العرش متى يؤمر أن يحمله، وأنه لعلى يمين العرش منطق يقول يا رب أنجزل لي ما وعدتني، وإنه لينظر إلى زوّاره وهو أعرف بهم وبأسماء آبائهم وبدرجاتهم وبمنزلتهم عند الله من أحدكم بولده، وما في رحله وأنه يرى من يبكيه فيستغفر له رحمة له. ويسأل إياه الاستغفار له ويقول: لو تعلم أيها الباكي ما أعدّ لك لفرحت أكثر مما جزعت، فليستغفر له كل من سمع بكاءه من الملائكة في السماء وفي الحائر، وينقلب وما عليه من ذنب) كامل الزيارات ص ٣٤٣-٣٤٤[*].

الأرجاني: أخبرني عن الحسين، أن يُخرج من القبر إلى النور، هل سيجدون أي شيء في قبره؟

الصادق: يا أبا بكر، ما هذا السؤال المرّوع الذي سألته! الحسين مع أبيه وأمه، وأخيه الحسن مع رسول الله؛ وقد ظلوا يحيون[٢٢٥]، كما إنه كان حياً، وأنهم يرزقون

---

[*](حدثني محمد بن يعقوب عن عدّة أصحابه عن أحمد بن محمد بن عيسى عن علي بن الحكم عن باد بن أبي الحلال عن أبي عبد الله قال: ما من نبي ولا وصي نبي يبقى في لأرض بأكثر من ثلاثة أيام ثم ترفع روحه وعظمه ولحمه إلى السماء، وإنما تؤتى مواضع آثارهم ويبغونهم من بعيد للسلام ويسمعونهم في مواضع آثارهم من قريب) كامل الزيارات صفحة ٣٤٤.(المترجم).

[٢٢٥]القراءة الصحيحة لهذه العبارة ينبغي أن يكون (يحيّون كما يحيى بدلاً من يحبرون (كامل ص ١٠٣؛ والبحار جزء ٤٤ صفحة ٢٩٢): they are gladdened] والواقع فإن اختيار الأستاذ Crow للفعل، gladdened و glad غير موفق للتعبير عن فعل (يحبر ويحبرون. المترجم]. والإشارة هنا هي بوضوح تشير إلى الآية القرآنية المتعلقة بشهداء معركة أحد (سورة ٣ آية ١٦٩: لا تعتقد أن أولئك الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً (بل أحياءٌ عند ربهم يرزقون). [وهنا يقصد سورة آل عمران آية ١٦٩ إذ يقول عزّ من قائل {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} المترجم]. كذلك قارن سورة ٢٢ آية ٥٨: أولئك الذين يتركون بيوتهم في سبيل الله، ثم يموتوا أو يقتلوا، سيوفر لهم الله رزقاً جيداً. [والمقصود هنا سورة الحج آية ٥٨ إذ يقول الله تعالى (والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقاً حسناً وإن الله لهو خير الرازقين) ونلاحظ الاختلافات بين ترجمة الأستاذ Crow للآية الكريمة وبين الآية ذاتها في القرآن الكريم. المترجم].
فالرأي على أن الحسين حيّ ويرزق جعلت التضمينات من هذه الآيات واضحة، وكما هو الحال في رأي الكيسانية عن ابن الحنفية فإنها تتضمن فهماً خاصاً لصلة الروح بالجسد. ينظر مناقشة موت وقتل في أدناه [وها هنا نجد الأستاذ كرو Crow يعاود مرّة بل مرّات على جعل الكيسانية وأفكارها الغالية أساساً لفهم هذه الآيات الكريمة ولفهم حالة الإمام الحسين في الجنة. فالآيات واضحة على أن الشهداء عند الله لم يموتوا إنما أحياء عند ربهم. والإمام الحسين كان شهيداً واستشهد في أرض المعركة وهو ينازل من ظلم من الحكام الأمويين العتاة فهو لم يمت موتاً طبيعياً كالحالة التي توفي فيها محمد بن الحنفية (رضي الله عنه). فما علاقة هذا بذاك. المترجم].

كما يرزق هو. فإن كان سيخرج في يومه، فإنه سيكون في قبره، أما بالنسبة إلى اليوم فإنه الآن يعيش مع الله وأنه يزرق منه.

إنه ينظر إلى معسكره وينظر إلى العرش، ليرى متى سيأمره الله لحمل العرش. أنه يرجىء مؤقتاً ويقف إلى الجانب الأيمن من العرش، وأنه يقول (يا إلهي، هبني ما وعدتني، وينظر ليرى زوّاره [الذين يزورون قبره]، وأنه يعرفهم ويعرف أسماءهم ويعرف أسماء آبائهم، ومراتبهم أو درجاتهم ومواضعهم مع الله، أفضل منك يعرف أبنه وما الذي موجود في عدل خرجه، هو يرى الشخص الذي يبكيه على قبره، وهكذا يلتمس مغفرة وغفرانه له، وبسبب العطف، ويسأل آباءه [علي ومحمد] أن يلتمس العفو عن ذنوبه.

وهكذا فالحسين حي في السماء أو في الجنة، ومنها فإنه والأعضاء الآخرين من آل النبي يشفعون نيابة عن أنصارهم واتباعهم الذين يزورون قبره. أنه يرزق ويزود أو يجد من الله في مملكة أو عالم العرش، وذلك لأن بدون وجوده هناك، فإن فعالية الزيادة إلى موضع قبره ستهمل أو ستزول، وليس هناك من قوة للشفاعة بدله، وفي الوقت ذاته، فإنه معصوم، وإن موته قد جاء إليه، ليس كعقوبة من أي نقص أو عيب، ولكن كآية أو دليل خاص على اختيار وشرف من الله، وبقضاء وقدر كجزء أو مفصلة من التاريخ الخلاصي. هكذا، فإن إدانة الصادق، لأولئك الشيعة الذين يزعمون أن الحسين قد قتل ولم يعدّ حياً، فهذه إذن تضطلع بأهمية أكبر.

مع أن الشيعة المتطرفين الراديكاليين(*)، وكأنهم ملازمون لفكرة الغيبة ومتضمنة أو ملحمة كما هو في المصطلح (شبه لهم)، وهي المعتقد يقابل الإمام أو المهدي وكأنه الأوج أو الذروة في مسرحية أو دراما البعث والحساب، وأقصد مفهوم الرجعة الملمح له في مصطلح (رفعه). أنه معتقد واسع الانتشار بين الشيعة الأوائل بأن الحسين سوف يرجع في الأيام الأخيرة من العالم، قبل أو مع المهدي، وذلك بغية

(*)[وهو تعبير كما أشرنا سابقاً يقصد به الغلاة، والشيعة ليسوا غلاة كالكيسانية أو جميع فرقها. المترجم]،

أن يفرض أو ينتزع انتقام الثأر من أعدائه ما داموا ينكرونه أو يرفضون الاعتقاد به، وأيضاً كالجزء المكمل والمتمم لعدل الله[٢٢٦].

وقد أشار ساجدينا Sachedina بأن الأحاديث الأثني عشرية بشأن أو عن الرجعة تكشف عدد من الآراء المتباينة وبضمنها مسألة الرجعة، رجعة الأئمة الآخرين من غير الأئمة الثاني عشرية[٢٢٧] إذ يقول:

(الرجعة في العقيدة الإمامية تعني عودة مجموعة من المؤمنين إلى هذا العالم قبل حدوث البعث الأخير خلال أيام حكم القرآن وسلطته، أو قبل أو بعد تلك الحقبة، فالرجعة ستحدث أو ستكون لأجل أن يعلن المؤمنون سلطة أو حكم الإمام الراشد وكذلك من أجل انتزاع انتقام الثأر من أعداء أهل البيت... إذن، بالوسع ترجمة أو تفسير الرجعة كمقدمة للبعث النهائي أو الأخير. في الوقت الذي تكون فيه مهمة المهدي هو بداية الظهور وبدء الثورة في الأيام الأخيرة، إن علياً، ولاسيما كثيراً، الحسين هو الذي سيؤسس الحكم الإسلامي بعد عودته إلى الحياة، في أعقاب الظهور. فالأحاديث عن هذا الجانب من الرجعة مجمعة بالنسبة إلى حسين، فهو الشهيد من الطراز الأول par excellence للتشيع، ومصدر شرف في المبادرة، حكم العدل والمساواة، بالتعاون مع علي والقائم).

وهناك مصنفات أدبية شيعية مبكرة ومتنوعة تتضمن روايات قليلة ولكنها مهمة وطريقة التي تسلط الضوء على حالات وأوجه عدة لمثل هذه المعتقدات بشأن الرجعة رجعة أئمة معينين. ولعله من أكثر المجموعات المصدرية قيمة لمثل هذه المعلومات ظلت باقية وحيّة في عمل أو كتاب من العالم الحسن بن سليمان الحلي ويرجع إلى القرن الثامن الهجري، وعنوان كتابه (منتخب بصائر الدرجات). وكتاب الحلي هو في الظاهر اختصار أو سلسلة من المقتطفات من كتاب لمؤلفه سعد بن عبد

---

[٢٢٦] ساجدينا A.A.Sachedina في دراسته باللغة الإنجليزية الموسومة (المسيحية messianism الإسلامية: فكرة المهدي في التشيع الإثني عشري (الباني Albany ١٩٨١) ص ١٦٦-١٧٣.
[٢٢٧] م.ن. ص ١٦٧-١٦٨، ١٧١.

الله بن أبي خلف الأشعري القمي (المتوفى في سنة ٢٩٩هـ أو ٣٠١هـ) الموسوم (مختصر بصائر الدرجات) على الرغم فإنه ضمن مقتطفات من مصادر أولية أخرى أيضاً. وكتاب سعد بحدّ ذاته ربما كان هو أيضاً اختصار أو مختصر لكتاب محمد بن الحسن بن فروخ الصفار القمي (المتوفى ٢٩٩هـ) وكان معاصره وأكبر سناً منه. والصفار مؤلف مجموعة مهمة من الأحاديث الموسومة بـ (بصائر الدرجات)[٢٢٨] وكرّس الحلي فصلاً حول موضوع الرجعة يسمى باب الكرّات، فصل عن (العودات) أو (التكرارات Recurrences, Returns)[٢٢٩] واستخدمت رواياته مصطلح كرّه كمرادف قديم للرجعة مستنداً إلى عدد من النصوص القرآنية.

ومن دون الدخول في تعقيدات هذه المواد والمعلومات، ومع ذلك فإنه سيكون من الحيوي جداً أن نذكر ها هنا أحد النقاط الرئيسة التي تدور حولها المناقشة برمتها

---

[٢٢٨] حسن بن سليمان بن خالد الحلّي، مختصر بصائر الدرجات (تحقيق محمد علي الأربادي الغروي (نجف، ١٣٧٠هـ) هناك ثمة غموض فيما إذا كان مختصر الحلّي قد استند إلى كتاب سعد بن عبد الله فقط، أو فيما إذا كان كتاب سعد تصنيفاً منفصلاً بمعزل عن بصائر الدرجات للصفار. آغا بزرك الطهراني؛ الذريعة إلى تصانيف الشيعة (النجف ١٣٥٥) مجلد ٣ ص ١٢٤ ومجلد ١ ص ٩١، فإنه يؤيد أن سعداً قد اختصر عمل الصفار في تصنيفه (المختصر)، الذي يعرف حقاً مختصر بصائر الدرجات؛ وأن الحلي فيما بعد قام بعمل منتخب من مختصر سعد، مضيفاً إليه مواداً جمعها من مصادر أولية أخرى، في منتخبه (منتخب البصائر) ينظر محمد تقي دانش بازوه؛ فهرست كتابخانه محمد مشكاة بدانشكاه تهران ٣، مجلد ٣ (تهران ١٣٣٥) ص ١٥٧٣-١٥٧٩ (فقرة ١٣٢٠)، حيث أن هذا الرأي قد تثبت. ويبدو من المحتمل أن (١) كتاب سعد مختصر البصائر لم يعد متوافراً، طالما أن النسخ المتوافرة للعمل هي تحت هذا العنوان (فؤاد سزكين GAS جزء ١ ص ٥٣٨ (فقرة ٢ و ٣٠) هي في الواقع نسخ من تصنيف الحلي المنتخب؛ و (٢) أن تصنيف الحلي منتخب البصائر هو مطابق لكتاب (كتاب الرجعة والردّ على أهل البدعة المنسوب له [ينظر داننش بزوه، المصدر المذكور آنفاً) ص ١٥٧٧؛ وهو كتاب قد أشير له أيضاً بكتاب (إثبات الرجعة) في الذريعة ج١ ص ٩١ فقرة ٤٣٩]، والذي جمع أو كدس روايات عن بصائر الصفار من خلال مختصر سعد، إلى جانب مصادر قديمة أخرى تلك التي عالجت موضوع الرجعة والأفكار المرتبطة بها. نلاحظ أن كتاب الصفار الأصلي بصائر يتضمن مادة قليلة جداً عن الرجعة. وقد أبدى أو أظهر الحلي اهتماماً قوياً في الأفكار الأخروية في البعث والحساب، ككتاب أخر يعلن صحة هذا الأمر، وهو المحتظر في إثبات حضور النبي والأئمة عند المحتظر. ويعتمد المجلسي بشكل أساس على منتخب الحلي في باب الرجعة في البحار جزء ٥٣ ص٣٩-١٢١.

[٢٢٩] ((راجعت كتاب مختصر بصائر الدرجات للحسن بن سليمان بن خالد الحلّي فورد في موضوع "كل نفس ذائقة الموت" باباً هو "باب الكرات وحالاتها وما جاء فيها حدثنا محمد بن الحسين بن أبي الخطاب عن محمد بن سنان عن عمار بن مروان... عن جابر بن يزيد عن أبي جعفر قال: ليس من مؤمن إلا وله قتلة أو موتة أنه من قتل نشر حتى يموت ومن مات نشر حتى يقتل ثم تلوت على أبي جعفر هذه الآية "كل نفس ذائقة الموت" فقال هكذا أنزل بها جبرئيل على محمد "كل نفس ذائقة الموت" ومنشورة ثم قال ما في هذه الآمة أحد برّ ولا فاجر إلا فينشر أما المؤمنين فينشرون إلى قرةأعينهم وأما الفجار فينشرون إلى خزي الله إياهم ألم تسمع أن الله تعالى يقول "ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر")) مختصر بصائر الدرجات ص ١٧ [المترجم].
الحلّي، منتخب ص ١٧-٢٩، أيضاً ص ٣٦-٣٨، ٤١-٤٣، ٤٥-٥١، وصفحة ٢١١.

حول مسألة دوران الموت والعودة، أي الاختلاف بين الموت (الموت الطبيعي) والقتل (الموت عن طريق القتل). فمثلاً قد استشهد أو استحضر الباقر آيات عدة لإظهار أو لبيان أن الموت والقتل هما أمران مختلفان (ففي سورة رقم ٣ آية ١٤٤ و ١٥٨)[*]، وكذلك حينما سأل عن آية ١٨٥ من سورة ٣: كل روح أو نفس سوف تتذوق الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة..) فقد خص الباقر أن (أي مؤمن له كل من الموت قتلاً والموت ميتة طبيعية، ولهذا فإن الذي يقتل يؤتى به ثانية ليحيا حتى يموت، وأن [أي سورة آل عمران آية ١٨٥ التي جاء فيها (كل نفس ذائقة الموت الذي يموت سيرجع إل الحياة إلى أن يقتل)[٢٣٠]. وعلى وجه الضبط والدقة فإن هذا الهدف الأخروي الذي يتموضع وراء سرّ موت الحسين، فمن المحتمل أنه لهذا السبب يمكننا تعليل لماذا بعض الشيعة قد فهموا أن الحسين قتل، ولكنه لم يمت.

لقد بيّن الصادق أن (أيام الله ثلاثة، اليوم الذي سيظهر القائم، ويوم الكرّة، يوم البعث)[٢٣١]. وقد سأل جميل الدرّاج الصادق حول آية ٥١ من سورة ٤٠[*]: بالتأكيد فنحن نمدّ أو نساعد رسلنا وأولئك الذين آمنوا وكل في الحياة الحالية وفي اليوم الذي يقوم الأشهاد)، وقد خصص الإمام أن الآية تشير إلى رجعة الأنبياء والأئمة أولئك الذين لم يحرزوا على النصر ويقتلوا، غير أنه سيكون منتصراً عند

[*]والمقصود سورة آل عمران آية ١٤٤ التي قال فيها عزّ من قائل {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ} أما الآية الكريمة رقم ١٥٨ فقد جاء فيها {وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَى الله تُحْشَرُونَ} [المترجم].

[٢٣٠]م.ن. ص ١٧، ١٨، وينظر صفحة ١٩، ٢١، ٢٥ (الصادق على ٢٧: ٨٣) كذلك ينظر العياشي؛ تفسير جزء ١ ص ٢٠٢، وعن روايات متماثلة، أو زرارة بن أعين، أراد أن يسأل الباقر بشأن الرجعة لكنه لم يرغب في ذكر الموضوع مباشرة، ثم أنه سأل فيما إذا المرء الذي يقتل هو حقاً ميت. ومرة ثانية، حينما سأل بشأن سورة ٣ آية ١٨٥: كل روح أو نفس ذائقة الموت [والسورة هي آل عمران آية ١٨٥ إذ جاء فيها {كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ} المترجم]، وأجاب الباقر زرارة: هل أنك لم تقتل رجلاً إذا ما قتل أخيك؟ نعم (إذا يموت موتاً طبيعياً، هل أنت، إذن، تقتل أي شخص لمصلحته؟ ألا ترى لم ميّز الله بين الاثنين، المصدر ذاته.

[٢٣١]الحلّي، منتخب ص١٨.

[*]المقصود هنا سورة غافر آية ٥١ وقد قال الله تعالى فيها {إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ} فترجم ننصر رسلنا بكلمة help وهي لا توافق الفعل القرآني [المترجم].

رجعتهم[٢٣٢]، وهناك رواية أخرى قال فيها الصادق أن (الأول الذي ستنشق له الأرض وتفتح ويعود أو ويرجع إلى العالم وهو الحسين بن علي، والرجعة هي ليست للجميع لكنها محدودة: فقط المؤمنون الأتقياء أو وجميع الوثنيين سيرجعون)[٢٣٣] بينما بعض الروايات جعلت محمداً وعلياً يرجعون لدحر أعدائهم، وكثير من الروايات الأخرى تصف رجعة الحسين الذي سيحكم لمدة طويلة والذي سيصدر حكماً على الناس قبل يوم البعث وبعده، بعد أن يأخذ ثأر الانتقام لنفسه على أعدائه[٢٣٤]. مثل

---

[٢٣٢] عن عمر بن عبد العزيز عن جميل بن درّاج عن أبي عبد الله قال، قلت له قول الله عز وجل {إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ} قال ذلك في الرجعة، أما علمت أن أنبياء الله كثير ألم ينصروا في الدنيا وقتلوا وأئمة قد قتلوا ولم ينصروا فذلك في الرجعة)) مختصر بصائر الدرجات ص ١٨-١٩ [المترجم].

م.ن، ص ١٨-١٩؛ ينظر أسفل.

[٢٣٣] ((عن حمران بن أعين وأبي الخطاب يحدثان جميعاً قبل أن يحدث أبو الخطاب أنهما سمعا أبا عبد الله يقول: أول من تنشق عنه الأرض ويرجع إلى الدنيا الحسين بن علي. وإن الرجعة ليست بعامة وهي خاصة لا يرجع إلا من محض الإيمان محضاً أو محض الشرك محضا. مختصر البصائر ص ٢٤ [المترجم].

م.ن ص ٢٤؛ ينظر ساجدينا، في دراسته (المسيحية) ص ١٦٨، وهذه الرواية قد رواها محمد بن مسلم عن حمران بن أعين وأبي الخطاب سوية، عن الصادق، ورواية أخرى، منتخب ص ٢١، عن الباقر، وفيها أن استجواب الأنفس في قبورها تنطبق أو تصح على الظاهر والعفيف pure في عقيدته فقط أو على كل الوثنيين وعبّاد الأوثان. ينظر أيضاً المصدر المذكور ص ٥٠، ٢١١.

[٢٣٤] عن حمران بن أعين قال: قال أبو جعفر لنا ولسوف يرجع جاركم الحسين بن علي فيملك حتى تقع حاجباه على عينيه من الكبر. ص ١٨ [المترجم].

عن حكم الحسين بعد رجعته، ينظر منتخب ص ١٨، ٢٢، كذلك المصدر ذاته ص ١٧-١٨، ٢٦-٢٧ (محمد وعلي) ص ٤٥-٤٩ (رجعة علي والحسين ثم بعد ذلك القائم، ص ٢٩ (رجعات متعددة لعلي، وأصطلح على ذلك بصاحب الكرّات) وص ٥٠-٥١ (يروي الباقر بأن الحسين قال بأنه يكون الأول الذي ينطلق من الأرض ويتقدم أو وينطلق إلى ميدان المعركة، وجيوش من الملائكة سوف تنزل لمساعدته، وأن علياً يسلم الحسين سيف النبي، فيفتح الحسين العالم). ينظر المصدر ذاته ص ٤١-٤٣ (أخذت المعلومة من القمي، تفسير جزء ١٢ ص١٣٠-١٣١)، وعلى سورة ٢٧ آية ٨٣: (وذكرهم عن اليوم حينما نجمع من كل أناس فئة من بين أولئك الذين جحدوا بآياتنا، وأنهم سيفرقون إلى جماعات منفصلة) (الفحوى القرآني هو يحكم على الكفار عن الذنب الذي اقترفوه ضد آيات الله) [والأستاذ يقصد هنا ما جاء في سورة النمل آية ٨٣ بسم الله الرحمن الرحيم {وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ} ونلاحظ أن الأستاذ كرو crow لم يترجم هذه الآية بما يتلاءم مع الهدف منها (يوم نحشر) بما يقابلها وذكرهم عن اليوم حينما نجمع ... الخ) كذلك ترجم (من كل امة فوجا) بعبارة غير دقيقة، فجعل (الفوج) بما يقابلها a party، والفوج يفسر بجماعة أو زمرة، وجعل الفعل (يوزعون) إلى تعبير غير ملائم وهو form into separate froups وتفسير فعل (يوزعون) فهم في حالة يوقف أوائلهم لتلحقهم أو أخرهم ثم يساقون جميعاً. فترجمة هذه الآية غير دقيقة. المترجم]. إذ فسر الصادق هذا الجزء من الآية (الذنب الذي اقترفوه ضد آيات الله) كأنها تشير إلى يوم الرجعة وليس إلى يوم القيامة. وفوق هذا فإن علياً قد طابق بوضوح في بعض الروايات بالحيوانات التي تنطلق من الأرض (دابة من الأرض سورة ٢٧ آية ٨٢ [ويقصد الأستاذ سورة النمل آية ٨٢ إذ يقول فيها الله تعالى {وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ} المترجم]. حيث دل على أعدائه بسمة أو بعلامة الحديد والمؤمنين بالآية ينظر منتخب ص ٤٣؛ والقمي، التفسير جزء٢ ص ١٣٠. وقرأ الصادق تكلمهم – دون تشديد اللام- (سيجرحهم) بدلاً من تكلمهم (سيكلمهم). وعن هذه المطابقة التي طابق فيها عليّ الحيوان الرؤيوي apocalyptic الذي ينفذ غضب الله، وعن القراءة البديلة

هذه الروايات تستشهد، وعلى نحو كثير، الباعث في عدم مقابلة الانتقام بأخذ الثأر لمقتل علي والحسين وكأنه السمة المركزية للإيمان بالأخرويات عند الشيعة، وتزويد الحسين بوظيفة أو أداء يعادل وظيفة وأداء المهدي في الأحداث التي تسبق نهاية الزمان. فهذه وكأنها تعني أن الحسين قد اضطلع بدور البشير أو النذير **precursor** للقائم، وبكليهما في نهاية الأمر يتم تحقيق وإتمام ما كان الأول يستطيع عمله. فالمطابقة والتماثل بين الحسين ويوحنا المعمدان في هذا الخصوص لعلها مناسبة وموفقة(*)(٢٣٥)، وإن انتصار الأئمة النهائي، والنجاح الموعود وإثبات حقوق آل النبي، يكتمل في

تكلمهم (دون تشديد اللام) ينظر بحار جزء ٥٣ ص١٦ وما بعدها من الصفحات؛ وراجع بوسيه W.Bousset في دراسته باللغة الإنجليزية الموسومة (أسطورة المسيح الدجال antichrist) ترجمها كين A.H.Keane (لندن ١٨٩٦) ص ٢٠٠-٢٠٢. كذلك ينظر الروايات عن طريق جابر بن يزيد الجعفي عن الباقر التي تذهب إلى أن الحسين (اصطلح عليه المنتصر) سوف يحكم لمدة ثلثمائة وتسع سنين (ينظر أعلاه هامش ٤٤، عن أصحاب الكهف) بعد ظهور القائم، بعد ذلك سيتبعه علي بن أبي طالب (وأصطلح عليه السفاح) وكلاهما سوف ينفذ ثأر الانتقام؛ بحار جزء ٥٣ ص١٠٠-١٠١، ١٠٣-١٠٤؛ الغيبة (رقم، ١٣٨٥) ص ٢٨٦، والشيخ المفيد؛ الاختصاص تحقيق علي أكبر الغفاري (تهران، ١٣٧٩) ص ٢٥٧-٢٥٨، ويحتمل أن ذلك كان بسبب معتقدات من هذا النوع بين المجموعات الثورية الكيسانية، تلك التي كان أول الحكام العباسيين الذي دعا نفسه (السفاح).

(*)إن هذا التكرار والأصرار من قبل الأستاذ كرو Crow جعله لا فهم من تراث التشيع واستشهاد الإمام الحسين سوى الزاوية التي يتعمد الوصول إليها، ألا وهي مدى التأثير المسيحي على كل مفصلة من مفاصل التاريخ الإسلامي، وإن كانت استشهاد الإمام الحسين [المترجم].

(٢٣٥)الرواية اليهودية والمسيحية المبكرة ترى يوحنا المعمدان هو الياس Elijah في دور أو وظيفة البشير والنذير لعيسى (إنجيل متى 15-11:13 وإنجيل مارك 13-9:11 وإنجيل لوقا ١:٦) وحول رجعة الياس، بالتزامن مع بعث الميت، وأن جون (يوحنا)/ وهو الياس Elijah الجديد كخادم متألم، أو عيسى كيوحنا قد أعيد إلى الحياة، ينظر جين ستاينمن Jean Steinmann في الدراسة باللغة الإنجليزية الموسومة (سنت يوحنا المعمدان ورواية الهجر Deserl، ترجمة بويز M.Boyes (نيويورك ١٩٥٨) صفحات ٩٨-٩٩، ١٠٦-١٠٨؛ وينر بوامن J.Bowman في الدراسة باللغة الإنجليزية الموسومة (إنجيل مارك) المطبوع في ليدن ١٩٦٥، صفحات ١٥-١٦، ١٥٢-١٥٤، ١٩٥-١٩٨، ٣٤١-٣٥٦، فالموازنة الواضحة بين جون (يوحنا) والحسين ستجعل الحسين يرجع إلى أداء دور البشير والنذير للقائم، مثل الياس / ويوحنا بالنسبة إلى المسيح؛ ولكن هذا الدور أو الوظيفة قد خصصت لمحمد وعلي أيضاً في بعض الروايات القديمة. ينظر أيضاً السلامات التي تلفظ أو ينطق بها على يوحنا وعيسى في القرآن (سورة ١٩ آية ١٥ وسورة ١٩ آية ٣٣) [والأستاذ كرو يقصد سورة مريم آية ١٥ التي قال فيها عز من قائل (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا) أما آية ٣٣ من السورة ذاتها فجاء فيها {وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا} المترجم]. الآيات التي تتضمن يوم بعثهم وهناك بعد آخر المماثلة يوحنا/ الحسين هو النموذج أو المثال عن ألم العبد، استحضرها الصادق بهذه الطريقة (أبو الفضل علي الطبرسي، مشكاة الأنوار ص ٢٨٦). (عندما يحب الله عبداً فإنه يحرض الناس على أن يقولوا عنه ذلك بأنه عن أي شيء سوف يكافئه ومن هؤلاء الذي يجعلهم على خطأ. ومتى يكره عبداً. وهو يوزع الحب في قلوب العبيد من أجل أن يقولوا عنه ما ليس فيه، وهكذا يسبب لكل منهما هو وهم الخطأ. وهو الذي كان محبوباً أكثر عند الله من يوحنا وزخريا(يعني زكريا)؟ ثم يحرض ضده كل من يراه، إلى أن يعملوا له ما عملوا له. وأنه محبوب من الله أكثر من الحسين بن علي؟ ثم يحرض ضده بعض الناس إلى أن يقتلوه. فإنه ليس كما قالوا [أي أن الله لم يعاقب الحسين عن ذنب أو معصية وذلك بجعله يقتل].

المعارك الفضيعة للأخرويات، حتى وإن كانت دومنيون [dominion] السيادة السماوية أو المقدسة مؤكدة ومثبتة؛ فاعتماداً على الصادق فإن الأئمة أعطوا أو منحوا (السيادة أو السلطة العليا للجنة والسلطة العليا لملك الكرّة)[٢٣٦][*].

فالمعتقد أو الإيمان بالرجعة كان مسألة حساسة على نحو موجع sore للكثير من اتباع الباقر والصادق، ممن كان يتهم بأنه يعتقد بآراء هرطقية فيما له علاقة ببعث الأجساد. فهناك بضعة روايات تجعل مسألة الورطة أو المأزق لبعض تلامذتهم البارزين، واضحة إزاء المناقشات والطروحات مع خصومهم الذين أثاروا الشكوك في أذهانهم حول هذا المعتقد[٢٣٧]، وأكدوا ودافع الصادق على أن المؤمن سيرجع إلى الحياة الجسدية في هذه الحياة الدنيا إلى الزمن الذي يقتل فيه أولئك الذين قد ماتوا، وأولئك الذين قد قتلوا سيموتون، وأن هذا الرأي كان جزءاً من القدرة الإلهية؛ وفوق هذا وذاك، فقد هاجم الصادق القدرية لنكرانهم هذا[٢٣٨]، مع أن العقيدة الشيعية الأولى في موضوع عودة الجسد إلى عالم الدنيا قبل يوم القيامة قد نافسه وجاراه من قبل آخرين ولاسيما فيما يخص الإنجاز أو الإجراء المركزي للعدل الإلهي كعملية أخذ ثأر الانتقام من الأعداء، أعداء آل النبي. وكان هؤلاء المنافسين والمجارين له

---

[٢٣٦]((عن محمد بن سليمان الديلمي عن أبيه قال سألت أبا عبد الله عن قول الله عز وجل (وجعلكم أنبياء وجعلكم ملوكا) فقال الأنبياء، رسول الله وإبراهيم وإسماعيل وذريته والملوك الأئمة قال، قلت: وأي ملك أعطيتم، فقال: ملك الجنة وملك الكرة)) مختصر بصائر الدرجات ص ٢٨ [المترجم].
الحلّي، منتخب، ص ٢٨.
[*][لقد ترجم الأستاذ كرو "الملك" إلى كلمة sovereignty وهي في الحقيقة تعني السيادة أو السيادة العليا أو السلطة العليا، فنلحظ الفرق الواضح بين الكلمة القرآنية ملك وبين السيادة. المترجم].
[٢٣٧]م.ن، ص ٢٠-٢٤ وفي مواضع أخرى، واتباع هذين الإمامين أولئك الذين عرفوا بأنهم أدينوا بسبب عقيدة الرجعة وبضمنهم جابر بن يزيد الجعفي (ينظر مادولنك W.Madelung في بحثه في دائرة المعارف الإسلامية طبعة ثانية، الملحق sepp مجلد ٣/ ٤ سنة ١٩٨١ ص ٢٣٢) حارث بن هيره الأزدي الكوفي ومؤمن الطاق.
[٢٣٨]عندما سئل الباقر عن الكره قال (هذه قدرة، ولذلك لا تنكرها أو لا تتنصل عن المسؤولية) وقد عنّف أو وبّخ القادرية لنكرانهم ورفضهم الرجعة (منتخب صفحات ٢٠، ٢٢، ١٣٥-١٣٧ فالقدري سيبعث كقرد أو خنزير) والروايات عندنا عن الباقر والصادق كانا يحذّران اتباعهم من مناقشة الآراء عن الرجعة أو يقدمون آراء عن الرجعة في المناسبات أو المجالس الجدلية، وحتى أن لا يتشاوروا معهم أو مشورتهم وذلك أعترافاً بأنهم اعتادوا على الاعتقاد به ولكنهم الآن لم يعودوا يعترفون به، المصدر ذاته ص ٢٤.

يحملون رأياً أكثر تطرفاً، كالذي يؤمن بتناسخ الأرواح في مختلف الأجساد[٢٣٩] وقد كان هذا الرأي واسع الانتشار بشكل كافٍ بحيث أدى إلى إثارة الصادق الملفتة للنظر في إدانته للغلاة والغنوصية كما ذكر في أعلاه.

وهناك تفسير في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري يربط هذا المذهب في النسخ (وتناسخ الأرواح لرجال في أجساد الحيوانات كعقوبة لما ارتكبه من معصية) مع كل من الإمامين علي بن الحسين السجاد والباقر[٢٤٠] واعتماداً على هذه الرواية، فإن السجاد اعتاد على أن يربط قصة المنتهكين أو المتجاوزين في السبت الذين راحوا يصطادون (سورة ٧ آية ١٦٣-١٦٦)[*] قد عوقبوا بأن حولوا أو تشوهوا إلى قرود وذلك نتيجة تمردهم المتغطرس والوقح؛ ثم بعدها أن الإمام وازن بين عقوبتهم وبين ما هو مخزون في الذاكرة من قتلة أبيه الحسين[٢٤١] وهنا رواية أخرى تنسب إلى

---

[٢٣٩] كارا دي فو B.Carra de Voux في الدراسة باللغة الإنجليزية الموسومة (دائرة المعارف الإسلامية المختصرة) المطبوعة في ليدن ١٩٦١ ص ٥٧٢؛ ساجدينا؛ المسيحية ص ١٦٧ (إذ يلخص الأشعري في كتابه مقالات ج١ ص ١١٤)؛ أيضاً فريدلاندر I.Fried lander في بحثه باللغة الإنجليزية الموسوم "هرطقات الشيعة في تقديم ابن حزم" المنشور في مجلة JAOS مجلد ٢٩ (١٩٠٨) ص ٢٣-٣٠ فالغلاة الأوائل أو الشيعة الراديكاليون المتطرفون توقعوا أو تنكروا عن حلول (أي انتقال أو إقامة الله في رجال معينين) ويعتقدون بمذهب النسخ (أي انتقال الروح إلى أجساد الحيوانات) وهو استعمال وتطبيق محدود كثيراً لفكرة التقمص أو التناسخ.

[٢٤٠] بحار جزء ٤٥ ص ٢٩٥-٢٩٦ (أخذت من تفسير الإمام العسكري)؛ كذلك توجد في كتاب الاحتجاج للطبرسي جزء ٢ ص ٤٠-٤١، وينبغي أن نضع نصب أعيننا بأن الاعتقاد بالنسخ كان واسع الانتشار في عدة قرون أولى من الإسلام، كما هو مذكور في روايات عند مسلم والبخاري وآخرين، التي تجعل التحول إلى قردة وخنازير لتكون عقوبة لمختلف المعاصي والذنوب؛ ينظر عبد الوهاب الشعراني؛ مختصر تذكرة القرطبي (حلب ١٣٩٥) ص ١٨٤-١٨٥، ١٨٩؛ كذلك ابن وثيمة، قصص ص ٢٧٦-٢٧٩؛ وعن قصة السبع سنوات من محنة النسخ التي تحملها بختنصر كعقوبة لما قام به من تدمير الهيكل في أورشليم (القدس)، خلالها تحول إلى شكل لكل من المخلوقات الحية. وأفكار مشابهة موجودة اليوم، مثال المعتقد الموجود بين كثير من الطبقة الدنيا من الأمريكيين "بأن المقصرين والمشوهين هم حقيقة "منسوخون" لأنهم عوقبوا في هذا الوقت وذلك بسبب أعمال شريرة ارتكبوها في الحياة السابقة" (ينظر فوسل P.Fussell في دراسته الموسومة (الطبقة Class) المطبوعة في نيويورك ١٩٨٣ ص ١٧٢.

[*] ويقصد كرو Crow سورة الأعراف آيات ١٦٣-١٦٦، إذ قال الله تعالى {وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ وَإِذَ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ، ، فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ، فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ} [المترجم].

[٢٤١] القصة أو الحكاية القرآنية عن الرجال الذين تحولوا إلى قردة apes أحدثت في الظاهر عند السجاد إلى أن يصل إلى الوراء إلى أسطورة يهودية قديمة، ولم يبق منها سوى آثار يمكن اكتشافها في مجموعة معينة من المعارف اليهودية التقليدية. ينظر جنزبرغ Ginzberg في دراسته المشار إليها سابقاً؛ أساطير جزء ١ ص ١٨٠ وكذلك ٤٥٢ أسطورة

الصادق، من كتاب التسالي لأحمد بن محمد بن الحسين بن دول القمي (المتوفى ٣٥٠هـ)[٢٤٢]، يصف فيها كيف أن الكافر سيستجوب أو يستنطق عند موته من قبل محمد وعلي وملك الموت، فإذا ما وجد أنه يبغض آل النبي بنكرانه ولاية علي، فإنه يعاقب في الجحيم إذ تواجه روحه عذاباً شديداً في جبل برهوت Barahiut[٢٤٣]، بعد أن يخضع إلى كل أنواع القاذورات الكريهة والتي تكرهها النفوس وتشوه خلقته إلى مختلف أو إلى أنواع المركبّات[*]، أي إلى تبدلات جسدية، وأخيراً يبعث الكافر حين ظهور القائم، الذي سيقطع رأسه.

أن موسى حول أو نقل أولئك الذين المنتهكين للسبت إلى قردة. وعن الرواية عن هذه الحكاية، ينظر الجزائري؛ النور المبين ص ٣٥٥-٣٥٨.

[٢٤٢]وردت في البحار جزء ٤٥ ص ٣١٢-٣١٣، وعن كتاب التسالي ومؤلفه، ينظر الذريعة جزء ٤ ص ١٧٧؛ أبو العباسي أحمد بن علي النجاشي؛ رجال (رقم ١٣٩٨) ص ٦٥-٦٦؛ المامقاني، تنقيح ص ٣٥٥-٣٥٨.

[٢٤٣]حول جبل برهوت جاء في كتاب كامل الزيارات لابن قولويه ص ٣٤١-٣٤٢ ((بهذا الإسناد عن عبد الله بن الأصم عن عبد الله بن بكير الأرجاني قال: صحبت أبا عبد الله في طريق مكة في المدينة فنزلنا منزلاً يقال له عسفان ثم مررنا بجبل أسود عن يسار الطريق موحش، فقلت له: يا ابن رسول الله ما أوحش هذا الجبل! ما رأيت في الطريق مثل هذا. فقال لي: يا ابن بكير أتدري أي جبل هذا؟ قلت لا، قال: هذا جبل يقال له كمد وهي وادٍ من أودية جهنم، وفيه قتلة أبي الحسين استودعهم فيه تجري من تحتهم مياه جهنم من الغسلين والصديد والحميم وما يخرج من جب الجوّي وما يخرج من الغلق من أنام [وقيل وما يخرج من آثام] وما يخرج من الخبال [وقيل من طينة الخبال] وما يخرج من جهنم وما يخرج من لظى ومن الحطمة، وما يخرج من سقر وما يخرج من الحميم وما يخرج من الهاوية وما يخرج من السعير وما مررت بهذا الجبل في سفري فوقفت به إلا رأيتهما يستغيثان إلي لأنظر قتلة أبي. وأقول لهما، إنما هؤلاء فعلوا ما أسستما لم ترحمونا إذا وليتم وقتلتمونا وحرمتمونا ووثبتم على قتلنا واستبددتم بالأمر دوننا، فلا رحم الله من يرحمكما، ذوقا وبال ما قدمتما وما الله بظلام للعبيد وأشدهما تضرعاً واستكانة الثاني. كامل الزيارات ص ٣٤١-٣٤٢ [المترجم].

وحول الجبل الأخروي، أو وادي برهوت، ينظر أيضاً الصفار، بصائر ص ٤٢٤، إنه موضع في جهنم حيث أعداء آل بيت النبي يعذبون عذاباً شديداً. قارن وادي جهنم تحت جبل كمد (أعلاه ص ٢٠) وينظر الشعراني؛ مختصر ص ١٠٥-١٠٧؛ وحول طوبوغرافية جهنم، وحضرها المتنوعة، وأفرانها وودياتها... الخ فالتشديد على العقوبة المحددة التي تنتظر أعداءهم موجودة في الأدب الشيعي وهي معلّمة وواضحة جداً، وهناك عدد من الكلمات الرمزية code تستخدم للإشارة إلى بعض الشخصيات البارزة مثال قنفذ وهي إشارة إلى أبي بكر (ينظر ملحق رقم ٢ في النهاية) فالمسألة هي بأنه ليس هناك من مغفرة إلهية أو شفاعة إلهية تعرض لقتلة الحسين، أو الأعداء الذين لا يعرفون الصفح أعداء آل النبي، فهذه المشاهد المرعبة والرهيبة لا يضاهيها شيء إلا بتعهد ضخم للاتباع المخلصين للأئمة فإنهم يتمتعون بغبطة بالغة وسعادة. ينظر أسفل هامش ٨٩.

[*]ترجم الباحث كلمة المركّبات التي قد تعني مجموعة من العناصر التشويهية في الخلقة إلى كلمة vehicles التي تترجم إلى مركبات بمعنى عربات شحن ونقل.

ويضيف الصادق قائلاً بأن هذا هو المقصود من سورة ٤٠ آية رقم ١١: يا إلهي، أنت أحدثت فينا موتتين وأعطيتنا الحياة مرتين(**)، وأكد أو أعلن أن (الزمن سوف لن ينتهي قبل أن يمسخ أعداؤنا metamorphosized ظاهراً (مسخا ظاهراً)، وحينها الشخص أو الرجل منهم يشوّه في حياته إلى قرد أو خنزير، فإن عقوبة مؤلمة وقاسية ستلحق بهم[٢٤٤]، وهناك كثير جداً من الروايات قالها كل من الباقر والصادق تؤكد أو تشدد على الحقيقة بأن القائم سوف يقتل أخذاً لثأر الانتقام لقتل الحسين وجميع ذرية قتلة الحسين، دون أن تأخذه شفقة أو رحمة، بسبب ما ارتكبه أسلافهم[٢٤٥].

فهذه المفاهيم والأفكار عن البعث الجسدي بهدف أخذ ثأر الانتقام والعقوبة في هذه الدنيا كانت هكذا مركزية في المذهب الشيعي المبكر في الرجعة أو الكرّة. وهذه

(**)ويقصد الباحث سورة غافر (المكية) آية ١١ التي جاء فيها قوله تعالى {قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ}، فنلاحظ الترجمة الجيدة نوعاً ما [المترجم].

(٢٤٤)بحار جزء ٤٤ ص ٣١٢-٣١٣، وهّا هنا التشديد أو التوكيد النهائي وهو على العقوبة في هذه الدنيا، ويحتمل في أيام الكرّة، كرّة الحسين ورجعة القائم. ومسخ أعدائهم سيكون على هذا الأساس في كل من العالمين العالم الآخر (في الروح في جهنم) والعالم الحالي هذا (ففي الجسد عند رجوعهم وبعثتهم عند الرجعة) ويبدي المجلسي ملاحظة في نتيجة هذه الرواية أن السيد المرتضى (وهو أحد الحلقات في السند لرواية) لم يبدي أعتراضاً على هذه الرواية، على الرغم من غرابتها، ولكن علق فقط بأن المذهب الإمامي ينكر أو يرفض بأن الروح بوسعها أن تلتحم بجسد آخر (أي الحلول)، وكذلك لا يمكن لجسد أمرء أن يبدل أو بغير جوهر المادي (أي النسخ) ينظر ساجدينا، في دراسته (المسيحية) ص ١٦٧-١٧١، وحول رأي مفكرّي المذهب الإثني عشري عن موضوع الرجعة، أن فكرة النسخ والرجعة كانا متمم الواحد منها للآخر ويمكن ملاحظة ذلك في تبادل بين مؤمن الطاق (هو أبو جعفر محمد بن علي بن النعمان، وهو صرّاف كوفي ومن أصحاب الصادق) وأبو حنيفة، إذن أن أبا حنيفة تسخر من مؤمن الطاق حول اعتقاده بالرجعة مقترحاً أن يسلفه خمسمائة دينار، وأنه سوف يعوضه عندما يرجعان كلاهما مرة أخرى إلى الحياة. وكان المؤمن الطاق الكلمة الأخيرة بجوابه بأنه يطلب أو يحتاج إلى ضمان بأن أبا حنيفة سيرجع بشكل رجل، بما أنه لا يستطيع أن يجبي الدين من قرد؛ النجاشي رجال ص ٢٢٨، والطبرسي، الاحتجاج ج٢ ص ١٤٨.

(٢٤٥)بحار جزء ٤٥ ص ٢٩٥-٢٩٩؛ كامل ص ٦٤؛ العياشي تفسير جزء ص ٨٦-٨٧ (وحول سورة ٢ آية ١٩٣ ليس هناك استرخاء unbenging في العدوان [يعني لا يسمح] ما عدا ضد الظالمين [ويقصد الأستاذ كرو حتى سورة البقرة آية ١٩٣ إذ يقول الله تعالى {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ} ونلاحظ أن ترجمة هذا الآية الكريمة كما ترجمها كرو لا تتواءم ومغزى الآية القرآنية في هذه الآيات المتعلقة بالقتال. المترجم].

فمن الطبيعي إن هذا الموقف يؤدي إلى صعوبات ومشاكل فقهية مع المدارس أو المذاهب الفكرية الأخرى (ينظر ساجدينا؛ المسيحية ص ١٧٠-١٧١)، ومن بين آراء المفكرين السنة أيضاً فقد أختلفت بخصوص فيما إذا كان قتلة الحسين ربما يلقون مغفرة وعفوا قتال على هؤلاء المفكرين السنة الشعراني؛ مختصر ص ١٥٨.

تتجلى وتتضح في التساؤل الذي وجهه عبد الله بن الحسين للصادق[٢٤٦] ما الذي تقوله بخصوص الكرّة؟

الصادق: أقول بما قاله الله، العظيم المتعال، الذي قال حقاً، إذن أنها رجعة خاسرة (سورة ٧٩ آية ١٢) [أي سورة النازعات آية ١٢ قوله تعالى {قَالُوا تِلْكَ إِذاً كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ}. المترجم]. فإنهم إذا رجعوا إلى هذه الدنيا (بعد موتهم) وكان بمقدورهم أن يحققوا أو ينجزوا أخذ ثأر الدم (أقصد العرب الوثنيون سخروا من إدعاء أو زعم من بعث الأجساد، طالما إن كانوا حقيقة يبعثون إلى حالتهم الأولى، إذن هكذا سوف يكون الذين قد قتلوا انتقاماً، وهكذا يتفادون انتقامهم).

عبد الله: يقول الله، إنها ستكن صرخة واحدة، فانظر فإنهم جميعاً سيبقون متيقظين في الليل (فإذا هم بالساهرة) سورة ٧٩ آيات ١٣-١٤؟

الصادق: عندما يأخذ الثأر بالانتقام على (أولئك الذين سخروا واستهزأوا ببعث الأجساد)، وتموت الأجساد، حينئذ تبقى الأرواح مستيقظة تراقب في الليل، فهي لا تنم ولا تموت (بقية الأرواح ساهرة لا تنام ولا تموت).

فالمفهوم الأساس، والمفهوم ضمناً، للكرّة هو مجموعة معتقدات تتعامل مع العلاقة، علاقة الروح بالجسد التي تخدم أو تفيد في تبرير الإدانة في الجوهر الروحي بعد الموت، وأن بعث الأجساد في هذه الدنيا، والتمييز بين الموت والقتل، وبالنسبة للبعض، معتقد التناسخ كعقوبة عن المعصية والذنب. هذه المفاهيم أو الأفكار انبثقت

---

[٢٤٦]((بإسناد عن الحسن بن راشد قال حدثني محمد بن عبد الله بن الحسين قال: دخلت مع أبي على أبي عبد الله فجرى بينهما حديث فقال أبي لأبي عبد الله: ما تقول في الكرة. قال: أقول منها ما قال الله عز وجل وذلك أنه تفسيرها صار إلى رسول الله قبل أن يأتي هذا الحرف بخمس وعشرين ليلة قول الله عز وجل تلك إذاً كرة خاسرة إذا رجعوا إلى الدنيا ولم يفضوا أحوالهم فقال له أبي: يقول الله عز وجل (فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ، فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ) أي شيء أراد بهذا فقال: إذا انتقم منهم وماتت الأبدان بقيت الأرواح ساهرة لا تنام ولا تموت) مختصر بصائر الدرجات ص ٢٨ [المترجم].
الحلّي، منتخب ص ٢٨ فالراوي محمد بن عبد الله بن الحسين الذي يجعل المحادثة بين والده والإمام يظهر أنه غير معروف.

أو نبتت من مفهومية رجل استلزم أو استخدم مفهوم الحلول، وهي السمة المميزة لجماعات الشيعة المتطرفة، والتي كثيراً ما ترتبط بمذاهب التجسيد[٢٤٧] غير أن هذا سوف يأخذ بنا إلى أبعد من الحدود التي تحدد هذه الدراسة الحالية.

الأثر العقدي لموت الحسين:

إن عملية إجبار أو إكراه الأئمة في الردّ على الآراء المختلفة والمنحرفة من بين أجنحة وتيارات من الحركات الشيعية المبكرة فيما يتعلق الأمر بطبيعة الإمام، وحالته، قد يسرت أو سهلت الحل لأزمة ضاغطة أيدلوجية وفقهية. فكيف فهمَ الشيعة دور ووظيفة الإمام كمضطهد ومظلوم، ومسلوب، والمبتلى ظلماً – إن كان هذا قد جاءه من خلال إرادة الله وقدره وبأيدي الله،بوصفه قدر مقدور من قبل التاريخ؟ وإن كانت حقوق آل محمد قد أُقرت إلهياً، وكون الإمامة نصّ وتنصيب إلهي من المفروض طاعته، وتعتمد على مساعدة وإمداد وموافقة من الله، كيف إذن نقر أخفاقهم الظاهري؟ هناك عاملان لابد من وضعهما نصب أعيننا من أجل أن نقدر الإجابات حق قدرها بالنسبة إلى هذه المعضلة تلك الإجابات التي وفرّها العلويون الحسينيون. أولاهما، بما له علاقة بهجوم خصومهم على إدعاء العلويين الحسينيين بنص الإقرار الإلهي، وقد تركز هجوم الخصوم محاججين على أن موت الحسين كان مجرد عقوبة لمعصية ارتكبها (وأقصد جريمة عدم طاعة ولي الأمر)، وقد ذهبوا إلى أبعد من ذلك باعتبار الحادث وكأنه "يوم بركة"(*). وثانيهما، هناك رأي مؤثر قد ترسخ أو تأصل بين صفوف الشيعة وقد حاولوا توفير جواب لهذه المعضلة وذلك بتبني رأي مبالغ به عن الإمام، وذلك برؤيتهم له بأنه فوق التألم beyond suffering، وحتى

---

[٢٤٧] ينظر هوامش ٦٧، ٧٢ في أعلاه؛ ومناقشة تعبير شبه ينظر في أدناه. وحول قائمة أسماء الجماعات أو المجموعات الشيعية الراديكالية التي كانت تعتقد بهذا المذهب ينظر أنواتي G.C.Anawati ولويس ماسنيون L.Massignon في بحثهما في دائرة المعارف الإسلامية (طبعة جديدة) مجلد ٣ ص٥٧١.

(*) مما يؤسف أن الأستاذ كرو Crow عدّ ثورة الحسين على حكّام الجور معصية وإثم. يا أستاذ هل كان مجيء معاوية وابنه إلى الحكم شرعياً؟ فالسؤال هنا يقصد منه الطعن وإثارة هذا الشك ويظهر تماماً أن كرو يميل إلى ذلك على الرغم من أقوال المؤرخين السنّة أن نظام الحكم الأموي ملك وليس خلافة [المترجم].

كونه فوق نطاق الموت، وهكذا اعتنقوا أسطورة أو خرافة myth غيبته في هذا العالم آملين تحقيقها عند عودته أو رجعته في المستقبل القريب. وأن جاذبية هذه الرؤية الراديكالية المتطرفة كانت مهيمنة وكبيرة التأثير خلال القرن الذي أعقب موت الحسين، والشكر كله يرجع إلى قوات أطلق الكيسانية لها العنان والمطابقات النبوئية prophetic parallels التي استخدمت في دعم الأسطورة أو الخرافةوإسنادها(**).

فوجهة النظر الراديكالية أو المتطرفة يعاد ظهورها باستمرار حتى بين الدوائر أو المجموعات الإثني عشرية، إذ ظهر تيار الواقفية في الانتظار لرجعة هذا الإمام أو إمام آخر. وأخيراً فإن هذا الموقف الراديكالي الذي تبناه أسمياً أو صورياً formally في حالة الإثني عشر إمام المختفين من قبل المذهب الإثني عشري.

وفي الموت، فإن الحسين يصبح بشكل مضخم ومغالٍ فيه come to loom أكبر بكثير مما كان في حياته في الوعي الشيعي وفي الواقع، بالوسع المحاججة أن الحسين وصل إلى مرحلة تفيد كإنموذج ومثال للأئمة المتأخرين في دوره كشفيع إلهي أو سماوي الذي إليه يصلي المصلون ويرثونه بمرثية على قبره يغلب عليها الحزن والكآبة وهي مرثية تسمع وبعبارة مثيرة تنبض بالحياة. بحزن لا ينضب(*). وليس

(**)نلاحظ بشكل فاضح مناصرة الأستاذ كرو للباطل ولدعاة المذهب الأموي؛ فالعاملان اللذان عرضهما لا وجود لهما بالمرّة ؛ وكان الحري به أن يناقشهما مناقشة علمية ولاسيما طاعة الحكام البغاة؛ أما وقوفه على العامل الثاني فهو يدل دلالة قاطعة على ضعف أرضيته التاريخية فكيف لنا أن نسدي الشكر كله إلى حركة قد أنكرها الأئمة الباقر والصادق. أنه أعطى أهمية كبرى إلى حركة قد ظهرت وسرعان ما أختفت متوارية وراء آراء غلاة متطرفين ليسوا من الشيعة. ثم كيف وفّق بين أثر الكيسانية والمقاربات النبوئية في تشكيل عقيدة الغيبة؟ هذا باطل وغير صحيح [المترجم].

(*)يعتقد الشيعة بالدرجة الأولى إن الإمام الحسين قد ضحّى بنفسه وعائلته وأهل بيته وأنصاره من أجل قضية تهمّ الدين الإسلامي ومن أجل إصلاح المجتمع، فهو شهيد. ولذلك صار إنموذجاً للشهادة الإنسانية والسياسية والاجتماعية والدينية. هذا لا علاقة له بما كان عليه الإمام في حياته، كما يحاول الأستاذ كرو الدسّ والتشويه. حقيقة أن زيارة قبر الإمام الحسين أيام شهر محرم تعدّ من الزيارات المهمة يقرأ فيه الزوار رواية مقتله وقراءة الأدعية المخصصة لهذه الذكرى المؤلمة، وبصورة خاصة في أربعينية الإمام التي تتمثل بها عظمة هذا الإمام ومدى تعلق قلوب الناس بعد كل أربعين يوم من عاشوراء الحرام. والأربعين يوم بعد وفاة أي شيعي وشيعية تقليد معروف، إذ اعتاد أهالي الميت زيارة قبره.

هناك من إمام آخر من الخط الإثني عشري يظهر أن أصبح مركزاً أو بؤرةً لشعائر زيارة قبر الحسين في الحداد والحزن فزيارة قبره في نفس الفحوى لزيارة قبر النبي في المدينة[٢٤٨] والإقرار بالنسبة إلى زيارة قبر علي في الغري في النجف الذي ثبت بشكل متأخر نسبياً خلال سنوات الصادق الأخيرة[٢٤٩]، الشيخ المفيد محمد بن النعمان (المتوفى سنة ٤١٣هـ) قد أوجز بموثوقية وجدارة عقيدة المذهب الإثني عشرية المتأخر فيما يتعلق بظروف الأئمة بعد موتهم[٢٥٠]:

أقول أن رسل الله، تعالى، هم رجال، وأن الأنبياء والأئمة من بين خلفائه وورثته خلقوا أو صوروا أو وكيّفوا؛ فالآلام والعذابات تألفهم وتختارهم والمتع تحدث أو تخطر ببالهم؛ وأجسادهم تنمو بغذاء وتضعف أو وتنقص بمرور الزمن؛ والموت يفسدهم أو يعيبهم والفناء يلحقهم أو يدركهم. إجماع الناس عن وحدة الله [أقصد المذهب الإثني عشري] يتفق على هذا المعتقد. غير أن الأفراد المندمجين أو المنضمين [بالعقيدة] تفويض (تفويض السلطة من الله إلى محمد إلى الإمام إلى المدعي) وأن أصناف الغلاة قد اختلفوا معنا فيه.

مع هذا فإن تصوير الأستاذ كرو Crow على أن الشيعة يستذكرون يوم استشهاده لا يعني، كما ذكر، إن الشيعة لا يستذكرون ذكرى وفيات الأئمة الأربعة عشر الآخرين، ففي هذه الوفيات يشدّ الشيعة الرحال إلى قبر الإمام موسى بن جعفر الكاظم والإمام محمد علي الجواد وفي ذكرى كل إمام. كذلك اعتادوا على عدّ أيام ولادات الأئمة جميعاً هي أيام أعياد وأفراح. فالأستاذ كرو خاطىء في استنتاجه على أن الأمر مقصور على ذكرى استشهاد الحسين [المترجم].

(٢٤٨) ينظر كامل ص ٣٢١ (فقرة ٩)، وحول زيارة الحسين في مغزى زيارة قبر النبي في المدينة.

(٢٤٩) محمد الحسين المظفري؛ الإمام الصادق (نجف ١٣٦٩) جزء ١ ص ١٣٩-١٤٤، ويرى جعفر أيضاً لبناء القبر في كهف حيث قبل أن جسد علي قد وضع.

(٢٥٠) راجعت كتاب الأوائل والمقالات للشيخ المفيد، تحقيق فضل الله الزنجاني، الطبعة الثانية تبريز ١٣٧١هـ ص ٤٥، فورد النصّ فيها كالآتي، وأني أنقله للتأكد من صحة ترجمة الأستاذ كرو Crow.

((وأقول أن رسل الله تعالى من البشر وأنبياءه والأئمة من خلفائه محدثون مصنوعون تلحقهم الآلام وتحدث لهم اللذات وتنمي أجسامهم بالأغذية وتنقص على مرور الزمان ويحل بهم الموت ويجوز عليهم العناء، وعلى هذا القول إجماع أهل التوحيد، وقد خالفنا فيه المنتمون إلى التفويض وطبقات الغلاة. وأما أحوالهم بعد الوفاة، فإنهم ينقلبون من تحت التراب فيسكنون بأجسامهم وأرواحهم جنة الله تعالى [يلاحظ أن المستشرق جعلها يوم الحساب أي The Day of Reckning] فيكونون فيها أحياء يتنعمون إلى يوم أطهاث يستبشرون بمن يلحق بهم من صالحي أممهم وشيعتهم ويلقونه بالكرامات وينتظرون من يرد عليهم من أمثال السابقين من ذوي الديانات. الشيخ المفيد: الأوائل ص ٤٥ المترجم].

الشيخ المفيد، أوائل المقالات، تحقيق فضل الله الزنجاني، طبعة ثانية (تبريز، ١٣٧١) ص ٤٥؛ وقد ورد أيضاً في البحار جزء ٢٧ ص٣٠١-٣٠٢.

أما بخصوص حالتهم بعد الموت [نعتقد] أنهم يتحولون من تحت الأرض ومن ثم يسكنون جنة أو فردوس الله بأجسادهم وأرواحهم. ولذلك، فإنهم موجودون في [الجنة] أحياءاً ويحيون حياة الراحة والطمأنينة إلى أن يأتي يوم الحساب Day of Reckoning.

ويستمر الشيخ المفيد في تأكيده أو إثباته بأن النبي والأئمة هم يعلمون تماماً ما الذي تؤديه الأمة وتفعله فيثيبون التقي منهم بالمعجزات؛ إذ يسمعون صلوات شيعتهم في الحياة الدنيا الذين يتلون الزيارة على قبورهم، مهما يكونوا بعيدين. والشيخ المفيد يشير إلى سورة ٣ آية ١٦٩ كدليل نصيّ على استمرارية وجودهم وحضورهم بعد موتهم[٢٥١](*)، وحتى عندما يهاجم المفيد الغلاة لرفضهم الإيمان بأن الأئمة يخضعون إلى فناء أو تحلل جسدي بالموت، فإنه يدعم أو يؤيد وجودهم أو بقاءهم الفردوسي paradisial وحضورهم السماوي أو الإلهي كضرورة لدورهم في شفاعتهم.

إن طريقة وعادة بقاء الأئمة ووجودهم الروحي بعد موتهم تدل ضمناً على تحولهم إلى الفردوس جسدياً وروحياً، وهذه تقترب من فكرة الصعود(*)، كما قد لاحظناها سابقاً في حالة يسوع. والشيعة المتطرفون الراديكاليون يطلقون العنان إلى توقعاتهم أو تأملاتهم بشأن هذا العالم، عالم الوجود السماوي أو العلوي، متصورينه كأنه استعادة أو استرداد شكلاً أو صيغة من الوجود الذي يتمتع به الأنبياء والأئمة في حقبة قبل وجودهم الأرضي – بهيئة أو صيغة أجساد نورانية، أو طيف أو شبح ضوئي phantom[٢٥٢]، وهو يصطلح عليه بضروب متنوعة كالظل أو أشباح (جمع لكلمة

---

[٢٥١]ينظر في اعلاه هامش ٥٥.

(*)[ويقصد المستشرق كرو Crow سورة آل عمران آية ١٦٩ التي يقول فيها الله جلّ وعلا {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} المترجم].

(*)(ربما يقصد الباحث صعود السيد المسيح إلى السماء، وهي فكرة مسيحية ووردت في القرآن الكريم. المترجم)

[٢٥٢]ينظر هالم H.Halm في دراسته باللغة الألمانية الموسومة (الغنوصية الإسلامية: الشيعة الغلاة – المتطرفين والعلويين) Die Islamische Gnosis. Die shia unddie Alawiten المطبوعة في زوريخ – ميونخ Zurich- Munchen ١٩٨٢؛ ص ٢٤٠-٢٧٤، ٢٨٤-٣٥٦ (وعن رواية الغلاة الكوفيين والنصيرية)؛ بوري

شبح) أو ببساطة أجساد نورانية. والفكرة بأن يوم الكرّة يؤشر إلى الفناء أو التحليل، أو التكرير، للأشياء لصقلها وإعادتها إلى صورتها الأصلية، وهذه موجودة في رواية أخذت من كتاب الكرّة لمؤلف بحسبها يبدو غير معروف أو مجهول(٢٥٣)؛ ويعلق الصادق على آية ١٣ من سورة ٥١: اليوم حينها [الكفار] يعذبون بعذاب النار(**).

وقوله: (إنهم سوف يكسّرون Fragmentized في الكرّة كما يكرر الذهب حتى يرجع كل شيء إلى شبيهه [ويضيف الراوي] وهو الذي نقول فيه رجعة كل شيء إلى حقيقته.

وفوق ذلك، فإن تصوير الحسين بأنه لم يتألم جسمياً أو جسدياً، على الرغم من جروحه الفضيعة، قد وجدت مقترنة بالفكرة برجعته الأخروية. فقد روى الباقر كيف أن الحسين أبلغ أصحابه في كربلاء عن تنبؤ النبي بما يتعلق الأمر بموته هناك، فضلاً عن رجعته في معاركه المقبلة في المستقبل التي منها استخدامه سيف النبي وتساعده جيوش من الملائكة؛ وقد صور وكأن محمد يقول للحسين(٢٥٤): ((أنك سوف تستشهد في [العراق] وإن جماعة من أصحابك سوف يستشهدون معك. وأنهم سوف لن يتألموا من ضرب الحديد، ثم بعد ذلك قرأ آية ٦٩ من سورة ٢١: أيها النار كوني وسيلة للبرودة والأمن على إبراهيم – فالقتال سوف يكون وسيلة للبرودة والأمن لك

روبين u.Rubin في بحثه باللغة الإنجليزية الموسوم (الوجود القبلي أو السبقي والنور، أوجه أو مظاهر عن مفهوم نور محمد) المنشور في مجلة دراسات إسرائيلية شرقية مجلد ٥ (١٩٧٥) Israel Oriental studies؛ وأيضاً أيوب Ayoub في دراسته: (تألم) ص ٢٤٥-٢٤٩ (عن صعود الحسين إلى السماء في الرواية الكوفية الغالية).

(٢٥٣) الحلّي، منتخب ص ٢٨، ولم استطع العثور على ذكر الرواة أبو عبد الله أحمد بن محمد السياري وعبد الله بن قبيصة (أو قبيصة) المهلبي في مؤلفات الإثني عشرية اللبيلوغرافية- الحياتية.

(**) [ويقصد سورة الذاريات آية ١٣ جاء فيها قول الله سبحانه وتعالى {يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ} ونلاحظ أن المستشرق جعل كلمة يفتنون بما يعادل يعذبون والواقع أنها تعني يحرقون ويعذبون. المترجم].

(٢٥٤) م.ن. ص ٥٠-٥١؛ ينظر ص ٣٦-٣٨ إذ نجد الرواية ذاتها قدّمت عبر سعد بن هبة الله الراوندي؛ الخرائج والجرائح.

ولأصحابك)) (والمؤلف يقصد آية ٦٩ من سورة الأنبياء التي يقول فيها الله تعالى {قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ} (*).

فالإصرار على الزعم هنا لا يتناسق أو لا يتوافق مع ذكر أو قول المفيد بأن الأئمة في الواقع يتألمون، وهي عقيدة تلائم الفكرة أو مفهوم العصمة[٢٥٥]. وعلى أية حال، فإن هذا يوافق أو يلائم بشكل مألوف جداً مع الأوصاف رباطة الجأش وعدم الخوف أو الشجاعة التي ظهرت بالنسبة إلى الحسين خلال أحداث كربلاء[٢٥٦].

والفكرة المتطرفة الراديكالية بأن الحسين هو فوق الألم الجسدي قد ينظر إليها من زاوية أو مغزى أو مفهوم صعود الحسين، أما أن يكون هذا الصعود جسدياً أو كجسم أو جسد نوراني، وإحلال شخص ما آخر يتألم بدلاً عنه. وأن اسم حنظلة بن أسعد الهمداني الشامي قد أشير إليه أو ذكر على أنه الصحابي الذي أرتكزت عليه الصورة أو الشبه بالحسين في كربلاء في الوقت الذي صعد فيه الحسين نفسه إلى السماء[٢٥٧] وأن هذا الرأي قد اعتقد به بعض الجماعات المتطرفة في سواد الكوفة،

(*) جاء في كتاب مختصر الدرجات السابق ذكره في الهامش (٨١) ما يأتي: ((ومما رآه أبي ورويته عن السيد الجليل بهاء الدين علي بن السيد عبد الكريم بن عبد الحميد الحسني بإسناده وعن أبي سعيد يرفعه إلى أبي جعفر قال، قال الحسن لأصحابه قبل أن يقتل: إن رسول الله قال لي: يا بني أنك ستساق إلى العراق [المؤلف كروCrow ترجم ستساق إلى ستقتل martyred أو تستشهد] وهي أرض قد ألتقى فيها النبيون وأوصياء النبيين وهي أرض تدعى عمورا وأنك تستشهد بها ويستشهد معك جماعة من أصحابك [يلاحظ أن المؤلف كرو لم يترجم من وهي أرض عمورا] ولا يجدون ألم من الحديد وتلى (يا نار كوني برداً وسلاماً فابشروا فو الله لو قتلونا فأنا نرد على نبينا ثم أمكث ما شاء الله فأكون أول من تنشق الأرض عنه فأخرج خرجه أمير المؤمنين وقيام قائمنا وحباه رسول الله ثم لينزلّن عليّ وفد من السما من عند الله عز وجل لم ينزلوا الأرض قط ولينزلّن إليّ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وجنود من الملائكة ولينزلّن محمد وعلي وأخي وجميع من منّ الله عليه في حمولات من حمولات الرب خيل بلق من نور لم يركبها مخلوق ثم ليهزّن محمد لواءه وليدفعنه إلى قائمنا مع سيفه ثم أن الله تعالى يخرج من مسجد الكوفة عيناً من دهن وعيناً من لبن وعيناً من ماء ثم أن أمير المؤمنين يدفع إليّ سيف رسول الله فيبعثني إلى المشرق والمغرب فلا آتي على عدو الله إلا هرقت دمه)) المجوجز ص ٥٠-٥١ وقد أتيت بالنص الكامل لقول الإمام الحسين بهدف المقارنة مع ما أختزل المؤلف كرو Crow منه . المترجم].

[٢٥٥] ينظر السراة مجلد ١٠/ عدد ٢ (١٩٨٤) ص ٢٧ وما بعدها من الصفحات.

[٢٥٦] مثال الشيخ الصدوق؛ معاني الأخبار ص ٢٨٨؛ إذ يروي السجاد كيف أن الحسين شجع أصحابه قائلاً: (كونوا ثابتين وأوفياء... ما الموت إلا جسر يحملك فوق الألم والعذاب والمحن إلى صديقة أو روضة فسيحة وسعادة عظيمة أبدية؟ فمن منكم كاره أن يتحول أو ينتقل من سجن إلى قصر؟ وبالنسبة إلى أعدائكم، فالموت هو الوحيد للمرء الذي يتحول أو ينتقل من قصر إلى سجن وعقوبة.

[٢٥٧] الشيخ الصدوق؛ عيون أخبار الرضا (تحقيق مهدي الحسيني الأجوردي، قم ١٣٧٧) جزء ٢ ص ٢٠٣ باب ٤٦ (فقرة ٥)؛ وهي موجودة في بحار جزء ٤٤ ص٢٧١-٢٧٢، وعن حنظلة ينظر السيد إبراهيم الموسوي

والذي أدانه الإمام الثامن علي الرضا (المتوفى ٢٠٣هـ/٨١٨م)؛ ومرة ثانية، نستحضر التماثل هذا مع صعود عيسى. وهناك ثمة أقوال أخرى تدين الاعتقاد بأن الحسين لم يمت أو لم يقتل (بمعنى لم يعاني الألم وأنه قد صعد أو رفع إلى السماء) قد نجمت أو نشأت من حقبة الغيبة الصغرى للإمام الثاني عشر (٢٦٠- إلى حوالي ٣٢٩هـ/٨٧٤-٩٤١م)، وقد قدمت لاحقاً في ملحق رقم (١). فهذه الحقبة الأخيرة قد أشير إليها في محادثة أو مقالة من نوع أكثر عقلانية كالذي تتبين في رواية من الحسين بن روح النوبختي وقد قدمت في الملحق رقم (١٢) فالحقيقة بأن هذه الحقبة التكوينية في تطور أو تطوير العقيدة ضمن المذهب الاثني عشري قد شهد إدانة متكررة لمثل هكذا رأي ربما تقود المرء إلى إثارة سؤال فيما إذا كان قول الرضا (في الملحق رقم ١٢) هو فكرة أو إسقاط متأخر ماض ومع ذلك فنحن لا القليل عن مجموعات الغلاة الكوفية خلال أواخر القرنين الثاني والثالث الهجريين توهلنا في اتخاذ رأي.

فالسؤال عن كيفية كسب أو حصل ظهور الأرثودكسية – السنّة – على إجماع ضمن المجموعات الإمامية أبان هذه الحقبة. فأنه سؤال غامض، وفي الأقل، فأن الباقر والصادق قد أجبرا على معالجة هذه المسائل التي أحاطت بموت الحسين تظهر قدمها وكذلك إلى حيوية التراث الشيعي المتطرف الراديكالي وفاعليته.

إن أهمية هذا التوقف والتماثل بين المعمدان والحسين قد لمحنّا إليه[٢٥٨]، وفي الرواية المتأخرة، فإنه القناة الدافقة للتمجيد أو للمبالغة vas magnified، ولاسيما فيما يتعلق بعظم أو حجم ردود الفعل السماوية والكونية لموت الحسين، وخطورة أو وثقل الحكم الإلهي: على أمة كانت تشتمل حتى على الحيوانات والطيور في الهواء. وإحدى هذه الأفكار الرئيسة في هذا الصدد هو ذلك الجيش المؤلف من أربعة آلاف من الملائكة الذين كانوا في الأصل يقصدون المجيء إلى المساعدة في كربلاء، لكنهم

الزنجاني؛ وسيلة الدارين في أنصار الحسين (بيروت ١٣٩٥) ص ١٣٤-١٣٦؛ المامقاني: تنقيح، جزء ١ ص ٣٨٢ (فقرة ٣٤٤٦)؛ كذلك أيوب Ayoub، الألم (أو العذاب) ص ١١٦، ١٣٥-١٣٦، أن نص هذه الرواية عن الرضا قد قدّمت في ملحق رقم ١ (A).

[٢٥٨] ينظر في أعلاه هوامش ٤٥، ٦٣.

وصلوا المعركة متأخرين جداً؛ وأنهم يتوقعون رجعة الحسين عندما يقدمون في النهاية مساعدتهم في المعركة نهائياً، أو إلى حين ظهور القائم الذي سيكمل أخذ ثأر الحسين[٢٥٩](*).

وأحد مثل هذه الروايات رواية ذكرها الصادق عندما قتل الحسين، فإن الملائكة أحدثت جلبة وضجيجاً في مكان قريب من الله، صارخة ومنتحبة:

(يا الله، هل الحسين، صديقك الحميم bosom وابن نبيك، هكذا إذن يعامل؟؟ وهكذا أحدث الله ظلاً (الجسد- الشبح) القائم، وقال: بهذا سوف آخذ الثار له من ظالميه).

وتختتم هذه الرواية بوصف للأربعة آلاف ملك الذي يشرفون على قبر الحسين، محدثين ومثيرين هيجاننا من النحيب والبكاء إلى حين يوم البعث.

جميع هذه الموضوعات التي ترتبط بموت الحسين: الدور المقدر بالنسبة له ولآل بيته وما يخضعون له من آلام كمؤشر إلى اصطفائهم أو اختيارهم، ودعمه غير المحجم للحقيقة بوجه الظلم والبلية، وحضورهم الحيّ والمفعم بالحيوية والمدرك في الجنة التي منها يشفع لشيعته، ويعاقب أعداؤه، ومهمته أو ووظيفته كحجة ونذير أو وبشير للقائم، الذي سيظهر لتنفيذ عقوبة الأخذ بالثأر لدم الحسين نيابة عنه؛ جميع هذه

---

[٢٥٩]ينظر مثال على ذلك كامل ص ٧٤ (روح الحسين أغضبت ٧٠,٠٠٠ ألفاً من الملائكة في كل سماء من السماوات، الذين كانوا ينتظرون أو يترقبون نهاية الزمان من أجل أخذ الثأر)؛ الشيخ الصدوق، علل الشرائع، جزء ١ ص ١٥٤، الكليني؛ الأصول من الكافي (تحقيق الغفاري، تهران ١٣٧٤) جزء ص ٥٣٤ (والملائكة عرضوا الأئمة، وجميعهم كانوا القائم، والذي سوف ينفذ عقوبة الثأر)؛ كذلك الكليني في مواضع أخرى جزء ١ ص٢٨٣؛ كامل ص ٥١١، ١٩٢.

(*)جاء في كتاب كامل الزيارات الذي صححه وعلّق عليه بهزاد الجعفري بإشراف علي أكبر الغفاري صفحة ٧٤ ما يأتي نصه:

((حدثني محمد بن جعفر الرزاز عن محمد بن عبد الحسين بن أبي الخطاب عن موسى بن سعدان عن عبد الله بن القاسم عن عمر بن أبان عن أبان بن تغلب قال، قال أبو عبد الله: إن أربعة آلاف ملك هبطوا يريدون القتال مع الحسين بن علي لم يؤذن لهم في القتال فرجعوا في الاستئذان فهبطوا وقد قتل الحسين فهم عند قبره شعث غبر يبكونه إلى يوم القيامة. رئيسهم ملك يقال له: المنصور)) والملاحظ أن المؤلف كرو crow قد حذف من النصّ بعض الكلمات وأضاف كلمات أخرى لم ينصّ عليها مؤلف كتاب كامل الزيارات [المترجم].

قد احضرت سوية في حديث مثير للاهتمام وجد عند ابن قولويه في كتابه كامل الزيارات[٢٦٠]، الذي قدّمناه لاحقاً في محلق رقم ٢. والمشهد هو رحلة محمد الليلية إلى السماء، حيث أبلغ الله الرسول بأنه سوف يختبر عن إخلاصه ووفائه من خلال ثلاث بلايا:

١- الجوع.
٢- نكران الذات والخوف في قتال الكفار، والألم والضرر أو والأذى في معركة.
٣- والجحود ونكران المعتقد، والظلم، والقتل الذي سيلحق بآل محمد.

فالنبي قد أخبر وأعلم بجميع الألم والبلية المقدّرة أو المقدورة لقول أو تقع على أفراد آله المباشرين، وعلى التعاقب، وقبل بها، مشيراً ومميزاً طاعته لأمر الله، وفي الختام، أظهر لمحمد شبه القائم، الذي سيحدث النصر الموعود الذي لم يعدّ بوسع النبي تحمّله على الأحجام أو الإمساك من المطالبة به. فالمشهد ينتهي بآل النبي وهم يصدرون حكماً على أعدائهم، والعقوبة الشديدة جداً تنزل عليهم بدون رحمة أو شفقة، طالما أن الشفاعة للشفعاء غير مجدية لهم[٢٦١] وها هنا بالوسع إلقاء نظرة خاطفة عمق الحب والكره التي كانت تمثل القوة في دفع الأيدولوجية الشيعية.

إنه من الشائع جداً في الدراسات الغربية عن استشهاد الحسين وشعائر التعزية في محرم بصورة عامة، وذلك لكي ترسم أو لتثير موازنة مع آلام عيسى. فالصلب،

---

[٢٦٠] كامل ص ٣٣٢-٣٣٥ باب النوادر (فقرة ١١) ويصل السند إلى الوراء إلى الصادق من خلال محمد بن خالد البرقي وعبد الله بن جعفر الحميري. وقد لخصت هذه الرواية في ملحق رقم ٢.

[٢٦١] إن وصف الحسين ورؤيته في الجنة أو في السماء مع عدد آخر من أفراد آل بيت النبي، وهم يشفعون للزوار، وعن الوديان في جهنم حيث يعذب وتتألم القتلة، لابد من أن تصور ضمن فحوى ومغزى، رؤيوي، وتستدعي أفكاراً عن ميعاد أو موعد شرفي وصور من حقبة قبل الإسلام. ويلاحظ جون كولينز John J.Collins بأن (اللغة الرؤيوية هي رؤية مركبة في شخصيتها وصفتها: فهي تلزمنا أن رؤية ورأى للعالم من أجل أعمال وأداءات ووجهات أو حالات تلك التي تستلزم نتائج لابد منها... والأكثر من تلك جميعاً تستلزم تقويماً للمصدر الكبير ذلك الذي يقع في التصور أو المخيال الإنساني لبناء عالم أو حياة رمزية حيث بالوسع المحافظة على كمال وسلامة الضيم بوجه أو إزاء الوهن والضعف السياسي والاجتماعي وحتى من خطر أو تهديد الموت) ينظر دراسته الموسومة باللغة الإنجليزية (المخيال أو التصور الرؤيوي Apocalyplic) المطبوعة في نيويورك ١٩٨٤ ص٢١٥. ينظر جدلكوفسكي P.Chelkowski (شعائر النوح الشيعية الشعبية) بحث ص ٢٠٧-٢٢٦ في الجزء الذي سبق ذكره الموسوم (التصور الرؤيوي) وهو جزء حول وصف المشاهد الرؤيوية من الفن الشعبي الديني.

والموت، ورجعة عيسى لعلها تماثلات طبيعية بالنسبة إلى المسيحي من أجل أن يقرب مسألة الألم الإرادي أو المقصود وسرّ الحياة بعد الموت. مع أن التماثل مع آلام المسيح قد انتزعت بشكل واضح من بعض الشيعة من أواخر القرن الأول الهجري فصاعداً. فالمسلمون الأوائل وجدوا أنه من الطبيعي انتزاع أو سحب تشابه بين موت شخصية نبوية وموت وصعود الأنبياء الأوائل نظير موسى وعيسى. في حين ظهر الشيعة المتطرفون الراديكاليون بأنهم قد عملوا بشكل أكثر بالنسبة إلى المتقدم عيسى بخصوص موت الحسين، أنه من الملفت للانتباه أن الاتجاه السائد بين العلويين الحسينيين كان الربط بين الحسين ويوحنا المعمدان، فضلاً عن الأنبياء الآخرين الجديرين بالاهتمام من أجل التمثيل المتفق عليه والمتعمد لآلام وصبر النبي أيوب Job.

فالباقر دعم بأن أيوب يعدّ إنموذجاً كنبي معصوم الذي تألم، مع أنه معصوم، كثيراً من البلايا وحط قدره وذلك من أجل أن يفوز بالمكافأة السماوية الإلهية[٢٦٢]. وأحد أسباب آلام أيوب، أعتماداً على قول الباقر، كان ((أنهم نسبوا إليه الربوبية، فإن كانوا يعرفون أو يفهمون كيف أن إرادة الله أن يمنح أيوب من الأمور المذهلة والاستثنائية من بركاته..))[٢٦٣].

فالواضح أن الخطورة التي أدركها الصادق في التمثل بين عيسى / الحسين، والتي تقع خلف إدانته المشددة للمفوضة، تكشف عمق المسألة تلك وأهميتها في تعاليمه بشأن الإمامة. إذ أن الغلاة قد اتهموا التفويض، الذي يعني فكرة هرطقية

---

[٢٦٢] الشيخ الصدوق، الخصال (تحقيق محمد مهدي السيد حسن الخراساني (النجف ١٩٧١) جزء ٢ ص٣٩٩-٤٠٠؛ بحار جزء ٤٤ ص٢٧٥-٢٧٦، وحول ألمه وعذابه على الرغم من أنه كان معصوماً، فإن أيوب Job عرض حالة من عدم التفسخ الجسدي بعد الموت.

[٢٦٣] ينظر القاضي النعمان؛ دعائم الإسلام (القاهرة ١٣٧٠) ص ٤٢ وما بعدها من الصفحات (تفسير الصادق للآية ١٢١ من سورة رقم ١٦ [والمقصود سورة النحل آية ١٢١ إذ قال الله سبحانه وتعالى عن إبراهيم (شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم) المترجم]. وقد أورد ذلك دجرون R.Dagron في دراسته باللغة الفرنسية الموسومة (آية أو علامة Geste إسماعيل) المطبوعة في باريس وجنيف ١٩١٨) ص ٢٤١؛ وكتاب الهفت Haft الشريف (بيروت ١٩٦٤) ص ٩٢-٩٣، الذي أورد أيوب Ayoub في دراسته (الألم أو العذاب) ص ٢٤٧.

للنبوة التي تعتقد بأن الله قد فوض سلطته في القضايا الدينية لمحمد، والذي هو بالتتابع فوض علياً، ومن بعده الأئمة، وأن هذه المنزلة النبوية قد زعموا أنها منحت إلى مختلف المتحمسين من الأئمة؛ وكان ذلك يصاحبه ويرافقه إدعاءٌ بأن الأئمة هم إلهيون (فكرة الإلهيين: إله في السماء، وإله في الأرض).

وأما الصادق فإنه أثار تشابهاً بين النبي إسماعيل وابنه إبراهيم، والحسين، كحجة وبرهان على تحويل الإمامة من الحسن إلى ذرية الحسين(٢٦٤).

وهذا التماثل لابد أنه قدم خدمة للردّ على إدعاءات كل من الزيدية والحسنية في الإمامة بتفضيل الخط الحسيني.

بالنسبة إلى الصادق ووالده، فإنه لابد للإمام أن يتألم من أجل تأكيد إنسانيته وتثبيتهاوإنسانية أو بشرية الأنبياء فضلاً عن تنفيذه ما سبق أن قدّره الله بشانهم. وفي الواقع، فإن الأنبياء وأوصيائهم يعانون العبء الأكبر والأعظم من الآلام فوق تحمل أي من الناس الآخرين بخير أن آلامهم هي آلام متعمدة ومقصودة وليست مستسلمة أو مذعنة أو سلبية، وإنها آلام تحدث على الرغم من العصمة؛ إنها توكيد على طهارة وبراءة الإمام، وعبء وواجب منزلته، وتتضمن اللطف الممنوح من الله.

فالعلويون الحسينيون يرون في موت الحسين، ومسألة حياته في موته، يرتبط ارتباطاً مباشراً مع الانقلاب أو الانعكاس النهائي في مصائر أو حظوظ الأئمة، عبر رجعته النهائية والفرحة بالنصر الرائد والمبشر بظهور القائم. فمطالب العدل بأن الحسين نفسه، وكذلك علي، أو حتى محمد، بالمعاقبة النهائية لأعدائهم ولكن الصادق لعله كان لا يشجع الفكرة بأن مثل هذه العقوبة تستلزم مسخهم أو تحويل أجسادهم في هذه الحياة، وذلك لأن هذه الفكرة الأخيرة تميل إلى تقليل أو تحجيم التوكيد أو أهمية البعث الجسدي في هذه الدنيا كداع أو ضرورة للعقوبة (الرجعة) وذلك عن

---

(٢٦٤)الصدوق، الخصال ص ٤٢.

طريق وضع الوطأة العظمى brunt لثأر الله وانتقامه على تحويله إلى صيغ وأشكال حيوانية.

وفي الختام لابد من كلمة احتراس وتحذير فهي كلمة ضرورية. إن عقيدة الإمامية تشتمل أو تتضمن على أكثر بكثير مما قد ألمحنا إليه في هذه الدراسة، وبغية فهم غرض وهدف الحسينيين، ومن أجل تقويم أفضل لبيان كيف أن تعاليمهم تتغاير في طرق مميزة أو متميزة مع تلك المجموعات الشيعية المماثلة، فإن كثيرا جداً سوف يحتاج إليه لكي تبحث بحثاً أعمق. فمثلاً، أن الشفاعة والنعمة الإلهية الممنوحة للشيعة كحالة معارضة مقابلة للعذابات القاسية التي صدرت لأعدائهم ما هي انعكاس لحالة واحدة فقط لتعاليمهم بشأن الحب والكره لصالح الله، وهي تحتاج إلى أن تعزى إلى رؤية مزدوجة للتاريخ وللفرد (وأعني هناك قوتان مميزتان للشخص في العداوة السماوية، كلاهما يعاكسان المبادىء داخل أو ضمن الفرد). ومرة أخرى، فإن الدوافع وراء اهتمامهم للقتال والنضال ضد الأفكار المتطرفة والمبالغة بها بشأن الإمام لم تكن وحدها تمثل أحساسهم عن الخطر الشخصي في أن تعبد كاشباه آلهة، ولكن إلتزاماتهم لحماية أو صيانة الدور المناسب الذي يرغبون في تحقيقه.

فقد روي أن الباقر كان يشكو بمرارة لأصحابه عن أولئك الشيعة الذين في الواقع أضروا، بربط أنفسهم بقضيته، بما يؤمنون به لأن يكون عرضة أو هدفه الحقيقي[٢٦٥] قال:

((إنني لأعجب من أناس يتولوننا ويتخذوننا أئمة، والذين يصورون طاعتنا كواجب ملزم على أنفسهم تشابه طاعة الله؛ والذين بعدها ينقضون شهادتهم ويحبطون أنفسهم من خلال ضعف أو وهن قلوبهم. وهكذا يحجمون أو يقللون حقوقنا وبعملهم هذا، فإن الأشخاص الذين منحهم الله البرهان أو سلطان الحقيقة لمعرفتنا والذين يصّدقون بقضيتنا هم لذلك يفضي إلى أن يعيبنا أو ينتقدنا بسبب [ما يقول

[٢٦٥]الصفار، بصائر ورد في بحار جزء ٤٤ ص٢٧٦-٢٧٧.

هؤلاء الآخرون بخصوصنا] (يعيبون بذلك علينا من أتاه الله برهان حق معرفتنا) هل تعتقد أن الله، الكريم العلي، يفرض الطاعة لأوليائه على خدمه، ومن ثم يحجب عن (الأئمة) أخبار أو أنباء السماوات والأرض؛ وهكذا يحرمهم من جوهر أو مواد العلم بما يخص ما أشار إليهم (بسبب سلطتهم الدينية)، والتي تحتوي أسس البقاء والإمداد لخدامه في الدين))[٢٦٦].

[٢٦٦] الوكيل الثاني من السفراء الذين كانوا سفراء أو ممثلين للإمام الغائب الثاني عشر الذي توفي في بغداد ٣٠٤هـ/٩١٧م.

هامش ٩٧/٩٦

ملحق (١)

(أ)

روايات تؤمن بالرأي القائل بأن الحسين لم يقتل

الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا (تحقيق مهدي الحسيني الأجاوردي، رقم ١٩٥٧/١٣٧٧) جزء ٢ ص٢٠٣ باب ٤٦؛ مقتبس في بحار الأنوار للمجلسي ج٤ ص ٢٧١-٢٨٢.

عن تميم القرشي عن والده عن احمد بن علي الأنصاري بأن الهروي قال :- قلت للرضا ،:-

في سواد الكوفة هناك جماعة يعلّمون بأن النبي لم يختبر أو لم يعرف السهو في صلاته(*).

حدثنا [المستشرق قال fromمن] تميم بن عبد الله بن تميم القرشي [عند المستشرق تميم القرشي فقط] رضي الله عنه حدثني أبي قال حدثنا [عند المستشرق from] أحمد بن علي الأنصاري عن أبي الصلت الهروي [عند المستشرق أن الهروي قال] قال، قلت للرضا ، يا ابن رسول الله [لم يترجمها المستشرق] أن في سواد الكوفة قوماً يزعمون [ترجمها المستشرق يعلمون who Leach] أن النبي لم يقع عليه السهو في صلاته [ترجم السهو بكلمة distractedness وتعني الذهول أو **اللهو أو الحيرة]** فقال: كذبوا لعنهم الله إن الذي لا يسهو هو الله الذي لا إله إلا الله. قال: قلت يا ابن

(*)[رجعت إلى كتاب الشيخ الصدوق: عيون أخبار الرضا تحقيق مهدي الحسيني الاجواردي (رقم ١٩٥٧/١٣٧٧) جزء ٢ ص٢٠٣ باب ٤٦، وقارنت بين نصّ الباب وترجمة المستشرق. فابتدأ المؤلف الكتاب في هذا الباب بعنوان باب ٤٦ باب ما جاء عن الرضا في وجه دلائل الأئمة ، والردّ على الغلاة والمفوضة لعنهم الله. المترجم].

رسول الله وفيهم قوماً يزعمون(*)، إن الحسين بن علي لم يقتل وأنه ألقي شبهة على حنظلة بن أسعد الشامي، وأنه رفع إلى السماء كما رفع عيسى بن مريم. ويحتجون بهذه الآية(**)، فقال: كذبوا عليهم غضب الله ولعنه، وكفروا بتكذيبهم للنبي في أخباره بأن الحسين سيقتل. والله لقد قتل الحسين وقتل من كان خيراً من الحسين أمير المؤمنين والحسن بن علي. وما منا إلا مقتول. وأني والله لمقتول بالسم باغتيال من يغتالني. أعرف ذلك بعهد معهود إليّ من رسول الله ، أخبره جبرئيل عن ربّ العالمين عزّ وجلّ.

وأما قول الله عزّ وجلّ {وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً}(***) ولقد أخبر الله عزّ وجلّ عن كفار قتلوا النبيين بغير الحق [ينظر سورة النساء آية ١٥٥] ومع قتلهم إياهم لن يجعل الله لهم على أنبيائه سبيلاً من طريق الحجة. وقد أخرجت ما رويته في هذا المعنى في كتاب إبطال الغلو أو التفويض(****).

(*)[ترجمها maintain ومعناها يدافعون أو يؤكدون بالدليل والحجة. ويزعمون وفقاً لهذه الترجمة غير مباشرة في دلالتها. المترجم]

(**)[وترجم يحتجون إلى تعبير They advance as an argument وتعني وتقدموا أو اتجهوا من أجل المحاججة وهذا أيضاً ترجمة غير مباشرة لفصل يحتج وربما كلمة They argued أو They insisted أقرب إلى المعنى. المترجم] بهذه الآية {وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً} [وهي آية من سورة النساء آية ١٤١. المترجم]

(***)[سورة النساء آية ١٤١. فإنه يقول لن يجعل الله لكافر على مؤمن حجة (ترجمها المستشرق إلى كلمة proof).

(****)[والمستشرق لم يترجم هذا الإخراج. المترجم].

ملحق رقم ٢

رؤيا تتعلق بوضعية الحسين والمنقذ المستقبلي، القائم

ابن قولويه، كامل الزيارات، تحقيق عبد الحسين الأمين التبريزي (النجف ١٣٥٦) صفحة ٣٣٢-٣٣٥ باب النوادر (١١).

عن محمد بن عبد الله بن جعفر الهمايي عن أبيه عن علي بن محمد بن سالم عن محمد بن خالد (البرقي) عن عبد الله بن حمّاد البصري عن عبد الله بن عبد الرحمن الأصم (المسمعي) عن حماد بن عثمان، أن أبا عبد الله (جعفر بن محمد الصادق) قال:

((لما أسرى بالنبي إلى السماء قيل له إن الله تبارك وتعالى يختبرك(*)، في ثلاث لينظر كيف صبرك، قال: أسلم لأمرك يا رب ولا قوة لي على الصبر إلا بك فما هنّ؟ قيل له أولهن الجوع والإثرة على نفسك وعلى أهلك لأهل الحاجة. قال: قبلت يا ربِّ ورضيت وسلّمت ومنك التوفيق والصبر. وأما الثانية فالتكذيب والخوف الشديد وبذلك مهجتك في محاربة أهل الكفر بمالك ونفسك. والصبر على ما يصيبك منهم من الأذى ومن أجل النفاق، والألم في الحرب والجراح، قال: قبلت يا ربِّ ورضيت ومنك التوفيق والصبر(**).

وأما الثالثة فما يلقي أهل بيتك من بعدك من القتل، أما أخوك علي فيلقي من أمتك الشتم والتعنيف والتوبيخ والحرمان والجحد والظلم وآخر ذلك القتل. فقال يا رب قبلت ورضيت ومنك التوفيق والصبر. وأما ابنتك فتظلم وتحرم ويؤخذ حقها غصباً الذي تجعله لها وتضرب وهي حامل ويدخل عليها وعلى حريمها ومنزلها بغير إذن ثم يمسها هوان وذلّ، ثم لا تجد مانعاً وتطرح ما في بطنها من الضرب وتموت من ذلك الضرب. قال: إنا لله وإنا إليه راجعون. قبلت يا ربِّ وسلّمت ومنك التوفيق

(*)[استعمل المستشرق تعبير was testing him بينما الفعل يختبرك. المترجم]
(**)[ملاحظة أن المستشرق لم يترجم الأولى والثانية وانتقل رأساً إلى الثالثة. المترجم].

والصبر، ويكون لها من أخيك ابنان (٣٤٨) يقتل أحدهما غدراً ويسلب ويطعن،تفعل به ذلك أمتك، قلت: يا ربِّ وقبلت وسلمت إنا لله وإنا إليه راجعون ومنك التوفيق للصبر، وأما أبنها الآخر فتدعوه أمتك للجهاد ثم يقتلونه صبراً، ويقتلون ولده ومن معه من أهل بيته، ثم يسلبون حرمه، فيستعين بي وقد مضى القضاء عني فيه بالشهادة له ولمن معه، ويكون قتله حجة على من بين فطر بها؟ فيكبيه أهل السماوات وأهل الأرضين جزعاً عليه، وتبكيه ملائكة لم يدركوا نصرنه، ثم أخرج من صلبه ذكراً به أنصرك وأن شبحه عندي تحت العرش يملأ الأرض بالعدل ويطبقها بالقسط، يسير معه الرعب، بقتل حتى يشك فيه: قلت إنا لله! فقيل: أرفع رأسك فنظرت إلى رجل أحسن الناس صورة وأطيبهم ريحا، والنور يسطع من بين عينيه ومن فوقه ومن تحته فدعوته ما قبل إليّ وعليه ثياب النور وسيما كل خير حتى قبل بين عيني ونظرت إلى الملائكة قد لحقوا به، لا يحصيهم إلا الله عز وجل فقالت: يا رب لمن يغضب هذا ولمن أعددت هؤلاء؟ وقد وعدتني النصر فيهم فأنا انتظره منك؟ وهؤلاء أهل بيتي وقد أخبرتني مما يلقون من بعدي ولئن شئت لأعطيتني النصر فهم على من بغى عليهم، قد سلمت وقبلت ورضيت ومنك التوفيق والرضا والعون على الصبر. فقيل لي: أما أخوك فجزاؤه عندي جنة المأوى نزلاً بصبره، أفلح حجته على الخلائق يوم البعث، وأوليه حوضك يسقي منه أوليائكم ويمنع منه أعداءكم، وأجعل جهنم عليه برداً وسلاما، يدخلها فيخرج من كان في قلبه مثقال ذرة من المودة، وأجعل منزلتكم في درجة واحدة في الجنة. وأما أبنك المخذول المقتول، وابنك المعذور المقتول صبراً، فإنهما مما زين بهما عرشي، ولهما من الكرامة سوى ذلك مما لا يخطر على قلب بشر لما أصابها من البلاء فعليّ فتوكل. ولكلٍّ من أتى قبره من الخلق من الكرامة لأن زوّاره زوّارك و [٣٤٩] زوارك زواري وعلي كرامة زواري وأنا أعطيه ما سأل وأجزيه جزاء يغبطه ن نظر إلى عظمتي إياه، وما أعددت له من كرامتي.

وأمّا ابنتك فإني أوقفها عند عرشي فيقال لها: إن الله قد حكمك في خلقه فمن ظلمك وظلم ولدك فأحكمي فيه بما أحببت فإني أجيز حكومتك فيهم، فتشهد

العرضة فإذا وقف من ظلمها أمرت به إلى النار، فيقول الظالم: وآحسرتاه! على ما فرطت في جنب الله، ويتمنى الكرة.

(ب)

الطبرسي، الاحتجاج جزء ٢ ص ٢٨١-٢٨٣ وقد اقتبسه المجلسي في بحار الأنوار مجلد ٤ ص (*)٢٧١.

(عن إسحاق بن يعقوب قال: سألت محمد بن عثمان العمري أن يوصل لي كتاباً قد سألت فيه عن مسائل أشكلت عليّ(**) .

(ج)

الشيخ الصدوق؛ علل الشرائع، تحقيق محمد صادق بحر العلوم (النجف ١٣٨٣/١٩٦٣) جزء ١ ص ٢٤١-٢٤٣ باب ١٧٧، بشأن السبب الذي لم نجعل فيه الله الأنبياء والأئمة منتصرين في جميع أحوالهم، والموضوع اقتبسه صاحب كتاب الاحتجاج الطبرسي، جزء ٢ ص ٢٨٥-٢٨٨ (***).

((حدثنا محمد بن إبراهيم الطالقاني رضي الله عنه قال: كنت عند الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح قدس الله روحه مع جماعة فيهم علي بن عيسى القصري فقام إليه رجل فقال له: أريد أن اسألك عن شيء، فقال له: سلّ عما بدا لك. فقال الرجل. أخبرني عن الحسين بن علي أهو ولي الله؟ [ترجم المستشرق ولي الله friend of

---

(*)[لقد راجعت كتاب الاحتجاج واعتمدت عليه في ذكر النص الذي ترجمه المستشرق كما هو في كتاب بحار الأنوار. المترجم].

(**)[ترجمها المستشرق بمسائل قد سببت مشاكل لي questions that caused problems المترجم].

فورد التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان [ص ٢٨٣] وأما قول من زعم أن الحسين لم يقتل، فكفر وتكذيب وضلال (ص ٢٨٣).

(***) [راجعت كتاب علل الشرائع للشيخ الصدوق واستعنت به في متابعة ترجمة المستشرق كرو Crow المترجم]

god. قال: نعم، قال، أخبرني عن قاتله لعنه الله أهو عدو الله؟ قال: نعم، قال الرجل: فهو يجوز أن يسلط الله عدوه على وليه. فقال له أبو القاسم قدس الله روحه إن الله تعالى لا يخاطب الناس بشهادة الغياب ولا يشافعهم بالكلام ولكنه عزّ وجلّ بعث إليهم رسولاً من أجناسهم وأصنافهم بشراً مثلهم فلو بعث إليهم رسلاً من غير صنفهم وصورهم لنظروا عنهم ولم يقبلوا منهم فلما جاؤوهم وكانوا من جنسهم، يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، قالوا لهم أنتم مثلنا فلا نقبل منكم حتى تأتون بشيء نعجز أن نأتي بمثله فنعلم أنكم مخصوصون دوننا بما لا نقدر عليه فجعل الله تعالى لهم المعجزات التي يعجز الخلق عنها فمنهم من جاء بالطوفان بعد الإنذار والأعذار فغرق جميع من طغى وتمرد ومنهم من ألقى في النار فكانت عليه برداً وسلاماً ومنهم من أخرج من الحجر الصلد ناقة وأجرى في ضرعها لبناً ومنهم من فلق له البحر وفجر له من الحجر العيون وجعل له العصا اليابسة ثعباناً فتلقف ما يأفكون ومنهم من أبرء الأكمه والأبرص وأحييى الموتى بإذن الله وأنبأهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم ومنهم من أنشق له القمر وكلمته البهائم مثل البعير والذئب.

وغير ذلك فلما أتوا بمثل ذلك وعجز الخلق من أفهمهم عن أن يأتوا بمثله كان من تقدير الله تعالى ولطفه بعباده وحكمته أن جعل أنبيائه مع هذه المعجزات في حال غالبين، وفي أخرى مغلوبين، وفي حال قاهرين، وفي حال مقهورين، ولو جعلهم عز وجل في جميع أحوالهم غالبين وقاهرين ولم يبتلهم ولم يمتحنهم لاتخذهم الناس آلهة من دون الله ولما عرف فقل صبرهم على البلاء والمحن والاختيار ولكنه عز وجل جعل أحوالهم في تلك كأحوال غيرهم ليكونوا في حال المحنة والبلوى صابرين وفي حال العافية والظهور على الأعداء شاكرين ويكونوا في جميع أحوالهم متواضعين غير شامخين ولا متجبرين، وليعلم العباد أن لهم عليهم السلاح إليها هو خالقهم ومدبرهم ويطيعوا رسله وتكون حجة الله تعالى ثابتة على تجاوز الحدّ فيهم وادعى لهم الربوبية أو عاند وخالف وعصى وجحد بما أتت به الأنبياء والرسل وليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيي عن بينة. قال محمد بن إبراهيم بن إسحاق رضي الله عنه. فعدت إلى

الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح قدس الله روحه عن الغد وأنا أقول في نفسي أتراه ذكر ما ذكر لنا يوم أمس من عند نفسه فابتدأني فقال لي يا محمد بن إبراهيم لأن من السماء فتخطفني الطير أو تهوى بي الريح في مكان سحيق أحب إليّ من أن أقول في دين الله تعالى ذكره برأي ومن عند نفسي بل ذلك عن الأصل ومسموع عن الحجة صلوات الله وسلامه عليه.

نبذة عن السيرة الذاتية لمؤلف

"بحث جعفر الصادق مصدرا للأحاديث الشيعية"

الأستاذ الدكتور رونالد بوكلي الأستاذ في قسم الدراسات العربية في جامعة مانجستر في بريطانيا . ألّف العديد من الدراسات والبحوث من بينها :-

١- رحلة الصعود الليلية الى السماء في الإسلام : الاستقبال في القصة الدينية في الثقافة السنّية والشيعية والغربية . وطبعه في لندن سنة ٢٠١٢

The Night Journey and Ascension in Islam: The Reception of Religious Narrative in Sunni, Shi'i and Western Culture. London: I. B. Tauris, 2012. .

٢- "الإسراء والمعراج ووصف الصلاة الخمسة اليومية" وهو بحث نشره في مجلة الدراسات السامية في جامعة مانجستر سنة ٢٠٠٧

Buckley, R. "The Isra'/Mi'raj and the Prescription of the Five Daily Prayers." In *Journal of Semitic Studies*, 2007.

٣- " البراق : وجهات نظر من الشرق والغرب " بحث نشره في مجلة آربيكا في سنة ٢٠١٣

Ron Buckley. "The Buraq: Views from the East and West." *Arabica* 60, no. 5(2013) : 569-601.

٤- "مؤلفات جعفر الصادق" ونشره في ٢٠١٢

"The Writings of Ja'far al-Sadiq." *Festschrift for Paul Auchterlonie*(2012) : 15.

٥- " الإمام جعفر الصادق وأبو الخطّاب والعباسيون " نشر البحث في مجلة

Buckley, R. "The Imam Ja`far al-Sadiq, Abu 'l-Khattab and the Abbasids." *Der Islam*79(2002) : 118-140.

٦- " حول أصول الحديث الشيعي " ونشره في مجلة العالم الإسلامي

Buckley, R. "On the Origins of Shii Hadith." *The Muslim World*(1998)

٧- " الغلاة الشيعة الأوائل " نشره في مجلة

uckley, R. "The Early Shiite Ghulat." *Journal of Semitic Studies*(1997)

٨- " بنيوية وأهمية بعض الأحاديث الشيعية " نشرها في

Buckley, R. "The Morphology and Significance of some Imami Shi'ite Traditions." *Colin Imber Festschrift*(2007)

الفصل السادس

جعفر الصادق مصدراً للأحاديث الشيعية

البروفسور رون بوكلي

Ron P.Buckley

الشخصية الفذة والوحيدة والأكثر أهمية تلك المرتبطة بمسألة نشر مجموعة الأحاديث الشيعية خاصة والشاهد أو المصاحب attendant لظهور معايير وقواعد شرعية – دينية هو الإمام الشيعي جعفر الصادق (٦٩-٧٦٥م) . والبحث التي نحن بصدده الآن هو بحث لتسليط الأضواء على أداء ودور الصادق بكونه راوية للحديث الشيعي. وهو بحث لا يهدف الى الشأن الذي يأخذ بالحسبان ظهور أو نشوء الاهتمام بالحديث الشيعي في هذا الوقت.

فمصدر المعلومات المتوافر والملائم عن دور الصادق ضمن النظام الشرعي والعقيدي إن هو إلاّ جهد هائل وضخم، وهو في الأغلب الأعم متضارب وغامض. والمعلومات بشكل خاص هي في المكان الأول عبارة عن آلاف كثيرة من الأحاديث التي نقلت ظاهرياً على عهدته ؛ وكذلك تحتوي على كمية كبيرة من الأحاديث التي تعالج أو تتعامل مع العلاقات والروابط مع الرواة (الرجال) الشيعة. فضلاً عن تلك الأحاديث التي تتحدث عن مرافقته ومزاملته لعدد من العلماء السنّة. ونحن لا نأمل أن نعزل الواقعي منها– أي من تلك الأحاديث - عن المزيف بالنسبة إلى هذا الحجم الكبير من المعلومات، فضلاً عن عدم قدرتنا إلى الوصول إلى مجموعة الأحاديث التي هي بالتأكيد أصيلة ووردت عنه بشكل خاص. ولكن بالإمكان الوصول إلى ثمة استنتاجات عامة، وتوضيحات أو بالأحرى تحذيرات دفعاً لسوء الفهم ،وتحفظات تخصّ الجزء الأساسي corpus من الأحاديث الشيعية لاسيما تلك التي نسبت إلى الصادق.

منزلة الصادق في الحديث الشيعي:

إن واحدا من بين أهم العقائد الشيعية بل والأساسية التي أسست عليها هي أن الصادق يعدّ السلطة الدينية المطلقة والأساسية بعد النبي محمد، وهو معصوم من الخطأ وإنه قد وهب العلم . وهذا يمنحه معرفة وعلماً استثنائياً وفي الأغلب الأعم علماً فوق -- الطبيعي، وهذه الحالة بالضرورة لها أصداء على مفهوم الحديث عند الشيعة. ولذلك فإن كل الأسانيد الشيعية تقريباً تأخذ أحد الصيغ الثلاثة الآتية:

- فهي أمّا تكون قد رويت على عهدة الإمام فقط ؛ فالأسانيد تفضي أو ترجع إلى الوراء إلى إمام ذلك الذي يرويها على ثقة وعهدة أسلافه وأجداده.
- وأمّا أن ترجع الأسانيد إلى إمام ذلك الذي ينقلها على عهدة النبي محمد إن تكون مباشرة أو من خلال سلسلة تتألف من أجداده.

وإن الأغلبية العظمى من الأحاديث الشيعية لم تكن مستمدة على أية حال، من محمد، فضلاً عن لم تكن تستند إلى سلسلة من أجداد الإمام - أي إمام - لكنها في العادة تكون على صيغة سؤال يسأله أحد من الأشخاص للإمام مع جواب الإمام. فهذه هي التي تشكل السنة للمذاهب الفقهية الشيعية والإسماعيلية، وإلى حد بعيد فإن أعدادا كبيرة من أمثال هذه الأحاديث قد نسبت إلى الصادق، إلى الحدّ الذي صار هذا الفقه لا مناص من أن يسمى أو يدعى (بالفقه الجعفري) تمييزاً لمساهمة أو مشاركة الشخصية الرئيسة. فالشيخ المفيد وهو يشير إلى الصادق يذكر في كتابه كتاب الإرشاد قائلاً:

"نقل الناس على عهدته أو على ثقته العلوم الدينية تلك التي حملها الرحّالة معهم إلى بلدان كثيرة ولذلك أو هكذا انتشر صيته في البلدان. ولم ينقل العلماء المتعلمون على عهدة أحد من الأفراد سوى أهل البيت فنقل وروي كثيرا من الروايات على عهدته. ولم يلتق أهل البيت بكثير من رواة الأحاديث، أو أهل الأخبار ونقلة

الآثار بمثل ما فعل، وكذلك لم يرو أو ينقل أهل الآثار ونقلة الأخبار على ثقتهم أو عهدتهم إلى المدى نفسه كما رووا أو نقلوا على عهدة أبي عبد الله (الصادق) "(٢٦٧).

إن تدقيق وفحص مجموعات أدب الحديث الشيعي توضح أو تبين طبيعة الإسهام والمشاركة للأحاديث المنسوبة إلى الصادق . ففي أحد التآليف المعترف بها والشرعية، نرى ابن بابويه في كتابه (من لا يحضره الفقيه)، يثبت أن الصادق هو الثقة النهائي لحوالي ٦٠٪ من الأحاديث. ولم يقتبس أو يروي من أي إمام آخر بمثل ما روي من ذلك كثيراً جداً، والأحاديث التي لم ترو عن الصادق هي تلك التي تروى على عهدة والده الباقر (حوالي ١٥٪)، وعن النبي (حوالي ٧٪) وعلى علي الرضا (حوالي ٥٪) وعن علي بن أبي طالب (حوالي ٥٪). أما بالنسبة إلى الحسن بن علي، وموسى بن جعفر وعلي بن الحسين فإنهم يوفرون أكثرية الباقي من الأحاديث.

وعمل آخر يُضاف إلى كتاب ابن بابويه هو الاستبصار في ما اختلف فيه من الأخبار وكتاب (تهذيب الأحكام) وهما للطوسي هي كتيبات وجيزة وعملية في الفقه الإمامي، وتتضمن القليل المتعلق بمنزلة أو مرتبة الأئمة العقائدية domalic . وإن الأحاديث التي احتوتها هي في مجالها أو في معناها الأوسع شرعية legal ولا تختص بمفهوم الشيعة للإمامة، وبضمنها عصمة الأئمة، ومبدأ النص (designation) وما إلى ذلك. مع هذا، فإن ميدان أو مجال الصادق المشهود نراه يتسع إلى أبعد من الميدان الشرعي أو الفقهي، وفي تلك المجموعات من الأحاديث التي تدون أو تشير إلى العقيدة الشيعية، نظير كتاب الكافي في علم الدين للكليني والمجلسي المتأخر في كتابه بحار الأنوار، ففي هذه المؤلفات نجد السيادة المهيمنة المماثلة للأحاديث الجعفرية بادية للعيان.

(٢٦٧)الشيخ المفيد؛ كتاب الإرشاد، ترجمة هوارد I.K.A.Howard (لندن The Muhammadi Trust ١٩٨١) ص ٤٠٨. وهذا الحديث يشار إليه كثيراً في المصادر الشيعية، ينظر مثلاً محسن أمين؛ أعيان الشيعة، جزء ٤ ص ٣ (بيروت، والي التعارف للمطبوعات، ١٩٨٠).

وهكذا فإن أكثرية الأحاديث الشيعية قد نسبت إلى الصادق وتعالج المجموع الكلي للمواضيع المتعلقة بالنماذج والقواعد الفقهية للتفسير الشيعي للإسلام، وكذلك بالعبادات، أو المجالات الطقسية للتشيع، وبالأساسيات للنظام أو لنظام المعتقد الشيعي.

الصادق محدثاً ومشرعاً juriscontsult:

ليس هنالك من أدنى شك في أن يوصف الصادق بكونه مصدراً للأحاديث ؛ وهذا في الواقع ليس وصفاً زائفاً أو غير منطقي، ما لم يشك المرء بالمصادر برمّتها. ولعل من أكثر البينات التي تؤيد وتوثق دور الصادق محدثاً أو مشرعاً إنما تأتي لنا من المفسرين السنّة. فهؤلاء كما يبدو سوف لا يجنون أو يكسبون شيئاً بوصفهم الصادق بهكذا وصف، بما أنهم لا يضفون عليه وضعاً استثنائياً كما يضفي عليه الشيعة، وأن أحاديثه تشكل نسبة ضئيلة جداً فقط من المجموعات الحديثية السنّية. فبالنسبة إليهم، فإن الصادق يمكن أن يحكم عليه بما له من علاقات بذات المعيار النقدي في الجرح أو التعديل الذي يطبق على الرواة والنقلة الآخرين. وعلى الرغم من أن عدد الأحاديث الواردة عن الصادق والمقبولة من قبل السنّة هو عدد ضئيل نسبياً. فالعلماء السنّة بصورة عامة، ولكن ليس بصورة إجماعية، يرون فيه رأياً إيجابياً. فيصفه الذهبي بكونه ثقة وروي إن كلا من الشافعي ويحيى بن معين قالا عنهإنه ثقة trustworthy[٢٦٨]. ويورد أو ويقتبس ابن حجر قول ابن حيان بأن الصادق كان أحد الثقاة من الناس والمشايخ في الفقه والعلم من أهل البيت، كذلك فإن النسائي يعدّه ويقبله على كونه ثقة[٢٦٩]. وعلى نفس هذه الحالة يروي الطبري بأن الصادق كان يعرف أحاديث كثيرة وكان ثقة[٢٧٠].

---

[٢٦٨] الذهبي، تذكرة الحفاظ (حيدر آباد، دائرة المعارف العثمانية، ١٩٥٦) جزء ١ ص ١٦٦. ينظر أيضاً ابن حجر؛ تهذيب التهذيب (حيدر آباد، مطبوعات مجلس دائرة المعارف ١٣٢٥ هجرية) جزء ١ ص ١٠٣.

[٢٦٩] تهذيب جزء ١ ص ١٠٤.

[٢٧٠] الطبري؛ المنتخب من كتاب ذيل المذيل من تاريخ الصحابة والتابعين (ليدن بريل E.J.Brill) الجزءان ٣،٤ ص ٢٥١٠.

أما أهل السنّة المتأخرين، فإن كانت الروايات صحيحة وصادقة، أولئك المتعاصرون معه، كانوا بشكل خاص وعلى وجه الحصر تقريباً، قد وصفوا الصادق ودوره في رواية الأحاديث والفقه. ففي رأي هؤلاء، كان الصادق راوية للأحاديث في المقام الأول. وبوضوح فإن هذه كانت أهميته الأساسية ولعله كان محدثاً وفقيهاً بلغة العرف والعادة المتبعة التي كان يعالج الصادق في المصادر السنية والفقرات النوعية والخاصة للمعلومة التي اشتملت عليه هذه العادة المتبعة.

فالتاريخ المبكر لم يكن بعامة مهتماً بالثيولوجي، أو المسائل الدينية فيما عدا الحالات التي كانت هذه الميادين ملائمة إلى السلطات السياسية أو مرافقة أو مصادق عليها من قبل هذه السلطات. ولهذا السبب، فقد لقي العلماء اهتماماً أو انتباهاً قليلاً في المصادر التاريخية. وفي الأصناف الأخرى في الكتابة السنّية، فإن الموقف السنّي من الصادق قد أصبح واضحاً بشكل أكبر. ففي تلك المؤلفات التاريخية تلك التي كان المقصود بها بشكل أساسي أن تكون تتمات للدراسات الحديثية، نظير الذيل الذي ألحق بكتاب الطبري تاريخ الرسل والملوك وكتاب الذهبي تاريخ الإسلام، فقد وجدت العديد من الملاحظات التي تجسّد أو تصور هذا الموقف والاتجاه. وعلى الرغم من أن تحديد هوية الصادق محدثاً وكونه له رأي فقهي هو موضوع قد ذكر أحياناً بشكل واضح، وعادة ما كان يشار إلى ذلك عن طريق ملاحظات وإشارات تتعلق بكونه على نفس الإنموذج والمثال، كالتي توجد في الروايات التقليدية للعلماء الآخرين التي وجدت بصورة أساسية ورئيسة ضمن الصنفين المعروفين أي المناقب والطبقات.

فأحد هذه النماذج من الملاحظات ترجع أساساً إلى الاهتمام الذي ظهر وبرز في مجالس العلماء وفي العلاقات المتبادلة بينهم. وهكذا فقد ذكر أن الصادق كان متزاملاً مع مالك بن أنس عندما بعث إليه مالك خادمه أو مولاه ليسأله أو يستفسر منه

بخصوص بعض المسائل الفقهية[٢٧١]. وكذلك الحالة مع أبي حنيفة حينما سأل الصادق حول بعض المسائل والنقاط الفقهية والشرعية وكان ذلك بتحريض من المنصور الخليفة العباسي[٢٧٢]، فضلاً عن سفيان الثوري عندما سأل الصادق عن الطلاق والربا[٢٧٣].

ومما يستحق الذكر حول هذه المسألة أن المصادر الشيعية هي بشكل مماثل مفعمة أو طافحة بالأحاديث التي تبين علاقات الصادق وروابطه مع العلماء السنّة الأوائل. فيدّون ابن شهرآشوب بأن الصادق سأل أبن أبي ليلى عدداً من الأسئلة الفقهية عبر مبعوث[٢٧٤]. وأنه سأل أو استفسر من أبي حنيفة بخصوص آية في القرآن، وغيرها من الحالات. ويذكر المصدر ذاته (أي ابن شهرآشوب) أن مالك بن أنس قال عن الصادق[٢٧٥]:

"لم أر أحداً إطلاقاً أفضل وأعقل وأورع كثيراً من الصادق بن محمد... كان واحداً من العظماء والأكثر زهداً وورعاً في البلاد... وكان له كثير من الأحاديث وكان حسن العشرة والرفقة وله كثير من الدروس المفيدة"[٢٧٦].

عودة إلى المصادر السنّية، نجد أحياناً أن عالماً واحداً لا يمكن مضاهاته، كالذي عندما يذكر بعضهم أنه لم يرَ أبداً شخصاً أفضل من أبي حنيفة[٢٧٧]، وفي الطريقةنفسها، فقد ذكر لأبي حنيفة قولاً مفاده بأنه قال: لم ير أحداً أكثر علماً ومعرفة من الصادق[٢٧٨].

---

[٢٧١]ذيل الجزءان ٣،٤ ص ٢٥١٠.
[٢٧٢]الذهبي، تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام (دون تاريخ الطبع، مكتبة القدس) جزء ٦ ص ٤٥-٤٦.
[٢٧٣]تاريخ الإسلام جزء ٦ ص ٤٧.
[٢٧٤]ابن شهرآشوب؛ مناقب آل أبي طالب (النجف، مطبوعات الحيدرية، ١٩٥٦) ص ٣٩٠.
[٢٧٥]مناقب ص ٣٩٠.
[٢٧٦]مناقب ص ٣٩٦.
[٢٧٧]تاريخ الإسلام، جزء ٦ ص ١٣٥. وفيما يتعلق بمحدثين آخرين ينظر ذيل، الجزءان ٣،٤ صفحات ٢٥٠٣، ٢٥١٤، ٢٥١٥.
[٢٧٨]تذكرة جزء ١ ص ١١٦.

وبحالة مماثلة، فإن المناقب والطبقات تزود على نحو متميز أسماء أولئك الذين رووا من الثقات الأساسين أو المراجع الأساسية، أو أولئك ممن روت عنهم المراجع الأساسية. فيذكر ابن كثير بعضاً من هؤلاء الذين تلّقى أبو حنيفة الأحاديث عنهم(٢٧٩)؛ في حين يذكر الذهبي مصادر الأوزاعي(٢٨٠). ووفقاً لهذه العادة أو هذا التقليد فقد روي أن الصادق اقتبس من الزهري، ومن بين غيره الآخرين، وأن الصادق كان ثقة لكل من مالك وأبي حنيفة(٢٨١).

فإن دورَ أو أداءَ الصادق كمحدث قد أعلن عن صحته بشكل مقنع وحاسم إلى حد كبير وذلك بظهور الأحاديث عنه وعلى عهدته في كتاب الموطأ لمالك بن أنس (المتوفى ٩٥-١٧٩هجرية / ٧١٣م- ٧٩٥م) وكان مالك معاصراً له ومن أبناء مدينة واحدة ومن غير المحتمل أن تلك الأحاديث التي أوردها مالك عن الصادق لم تكن في الواقع قد صدرت فعلا عنه، كذلك فإن الصادق يظهر في جميع المجموعات الفقهية السنّية تقريباً، نظير تلك المؤلفات لمسلم (المتوفى ٢٦٢هجرية/ ٨٧٥م) وابن ماجه (المتوفى ٢٧٢هجرية/ ٨٨٦م) وأبي داوود (المتوفى ٢٧٥هجرية/ ٨٨٨م) والترمذي (المتوفى ٢٧٩هجرية/ ٨٩٢م) والنسائي (المتوفى ٣٠٤هجرية/ ٩١٦م). وإن أكثر المجاميع الحديثية ثقة ما هو حاضر في صحيح البخاري (المتوفى ٢٥٧هجرية/ ٨٧٠م) فإنه، على أية حال، وبشكل استثنائي لا يحتوي على أي من أحاديثه.

وفي الروايات جميعها التي وردت، يظهر أن السنّة على نحو نموذجي يخصّون الصادق من العلماء بصورة عامة، مشيرين الى أن هؤلاء كان ينظر إليهم – العلماء – وكأنهم مجموعة متجانسة إلى حد ما بما يتعلق بنشاطاتهم، ولم يكونوا متميزين باتفاقاتهم المذهبية والعقائدية، وهذا من المحتمل رؤيته في ثمة أسئلة وإشكاليات مثلاً؛ من هو الأفضل مجالد بن سعيد أو الصادق؟(٢٨٢). كان مجالد محدثا كوفيا المتوفى

(٢٧٩)ابن كثير، البداية والنهاية (بيروت: مكتبة المعارف ١٩٦٦) جزء ١٠ ص١٠٧.
(٢٨٠)تاريخ الإسلام جزء ٦ ص٢٢٥.
(٢٨١)تاريخ الإسلام جزء ٦ ص٤٥
(٢٨٢)ذيل الجزءان ٣،٤ ص ٢٥١٠.

سنة (٧٥١-٧٥٢م)، ومجالد لم يكن محدثاً شيعياً كما هو الحال في الصادق فإنها مقارنة ببساطة بما له علاقة بكونه راوية للأحاديث ومصدراً للمسائل الفقهية من دون أي أبعاد فرقية. وبعامة، فإن المصادر السنّية لم تضع تشديداً على دوره الديني المؤكد وهناك ذكر قليل عن حالةالعلاقة بالشيعة.

إذن، فإلى حدّ ما يظهر الصادق في المصادر السنّية على أنه لا يختلف كثيراً عن الأئمة / العلماء الآخرين الذين كرسوا ونذروا أنفسهم لمحاجحة المعايير والقواعد الإسلامية وممن في الوقت نفسه جذبوا مجموعة من التلاميذ حولهم لسماعهم وتدوين نتائجهم واستنتاجاتهم. فقد روي الشيخ المفيد في كتابه (الإرشاد) إن الصادق كان في المسجد الحرام في مكة خلال أيام الحج، يلّقي مسائل فقهية خلافية، ويجيب على أسئلة ويفسر القرآن[٢٨٣].

ففي هذا الدور لعل من الممكن القول بأنه بالنسبة الى كونه يعدّ الممثل الرئيس للمذهب هي مسألة ينبغي أن تؤخذبنظر الاعتبار إلى الصادق، ففي الحقبة العباسية الأولى كانت الدوائر والجماعات المختلفة مهتمة بالمسائل الفقهية والشرعية وبدأت تعترف بزعيم ديني واحد حيث ناصروا عقائدهم. وهكذا، فقد كان بالكوفة أولئك الذين كانوا يتبعون أبا حنيفة، في الوقت الذي اتبع فيه آخرون أبا يوسف. وكان في المدينة أتباع وأنصار مالك بن أنس، في الوقت الذي كانت الشام (سوريا) يهيمن عليها المذهب الذي صار هو مذهب الأوزاعي. وتقريباً بنفس الطريقة، كان الشيعة في الكوفة يشيرون إلى الصادق كزعيم لهم.

ويسجل الكشي، وآخرون، عدداً من الروايات تلك التي تظهر ارتباط الكوفين وتثبتهمبالصادق ورغبتهم في الحصول على الأحاديث على عهدته. فمثلاً، ذكر بأن مجموعة من الكوفيين كانوا مع الصادق[٢٨٤]، وإن المفضل بن عمر وخالد بن

---

[٢٨٣]إرشاد ص ٤٢٤.

[٢٨٤]الكشي؛ أخبار معرفة الرجال (مشهد، دانشكاهي مشهد، ١٩٧٠) ص ٢٨٩.

الجوّاز الكوفيان قد زاراه في المدينة[285]، وأن هناك تسعمائة رجل في مسجد الكوفة يروون جميعهم عن الصادق[286]، وهكذا في أمثلة أخرى[287]. وفي مكان آخر فقد زعم أن الصادق نفسه قد زار الكوفة وبينما كان هناك فإن العلماء ووجهاء المدينة اتّبعوه أو قلدوه[288]. وقيل أيضاً أنه زار الحيرة وكان له أنصار وأتباع كثر هناك[289] حتى أنه عاش في العراق مدة من الزمن[290]. والأكثر من ذلك، فإن أكثر من ٨٠٪ يعني أكثر من ٣٠٠٠ رجل ذكروا من قبل الطوسي في فاتحة اسمائه لأولئك الذين رووا عن الصادق وقد حددت هوياتهم بذكر النسبة (الكوفي)، غير أن هذه القائمة ربما تشتمل على أكثر من ذلك بكثير وهذا قد تسمح لنا القول بقدر لا بأس به من المبالغة التي وجدت في المصادر الشيعية، ومن دون أدنى شك أن أحاديث الصادق وآراءه كانت كثيراً ما يجدّ الطلب إليها من الشيعة المهتمين بالحصول على مجموعة من المبادىء والقواعد الفقهية المتميزة ومجموعة من التعاليم.

وأبان السنوات الأخيرة من الحكم الأموي فقد بدأ المتخصصون في الفقه والشريعة يتبنون وسيلة لصبغ صيغهم الفقهية بثقة أو بمرجعية من العلماء الموقرين في الماضي. وأن هذه النسبة الاستردادية قد اتسعت لتشمل صحابة النبي، وأخيراً فإن هذه العملية وصلت إلى الاستنتاج أو النتيجة المنطقية وهي أن تلك الأحاديث التي رويت بشكل مباشر عن النبي فقط على اعتبار كونها هي المقبولة. غير أن الحالة هذه بالنسبة إلى الشيعة مختلفة. ففي وقت كان الحصول على الأحاديث التي صارت شرعيتها سنية وذلك بسبب نسبتهم إياها إلى مراجع جديرة ووجيهة، فالشيعة بسبب خضوعهم إلى نفس الحافز والدافع، كانوا أيضاً ينشدون في أحاديثهم مراجعهم الخاصة، وعلى الرغم من أن نفس الاستنتاجات أو الأحكام الأساسية قد أقرت

---

[285] معرفة ص ٣٢٦.

[286] معرفة ص ٤٤٧؛ ينظر أيضاً النجاشي؛ كتاب الرجال (تهران: مصطفوي مركز نشر كتاب، بلا تاريخ) ص ٣١.

[287] وهناك أمثلة أخرى في كتاب معرفة ص ٣٣٧، ٣٤٤، ٣٧٦.

[288] مناقب ص ٣٧٦؛ الكشي يبدي ملاحظة أيضاً بأن الصادق قد زار الكوفة (معرفة ص ٢٨٨).

[289] مناقب، ص ٣٦٣؛ ويؤيد الكشي أيضاً أن الصادق ذهب إلى الحيرة (مناقب ص ٣١١).

[290] مناقب ص ١٦٦.

وأجيزت من قبل كلا الطرفين، فإن الأحاديث التي تقع ضمن المغزى الشيعي قد لا تتمتع بنفس الأسانيد التي تمتعت به الأحاديث السنية. فالنبي كان بطبيعة الحال يحتكم إليه في ذلك، ولكن صحابة النبي الذين يشكلون الحلقة المؤثرة في سلسلة النقل السنية وهذه أيضاً قد عدّهم الشيعة كما لو أنهم اغتصبوا حق علي في الخلافة، ولهذا فإنهم كانوا آثمين، وغير ثقة. ولذا فقد أنّبوهم أو انتقدوهم بشدة castigated وذلك بسبب تأييدهم خلافةالخلفاء الثلاثة الأول، أما ظاهراً أو ضمناً وذلك بإقرارهم الانتخاب بدلاً من عليّ. وكثير من المعلومات المتوافرة حول عقائد المجموعات الشيعية المبكرة تذكر سبّ وشتم كلّ من أبي بكر وعمر. لهذا فإن رفض الصحابة كرواة للأحاديث كان لهذا السبب شيء من الضرورة والحاجة المنطقية في أن: إذا ما سلّموا بأن لهم مرجعية لرواية ونقل الأحاديث وأنهم كانوا خلفاء النبي الروحانيين، فإنهم سوف يجدون ذلك من المتعذر عليهم الدفاع لتوكيد أو دعم الفكرة بأن الصحابة قد عملوا عملاً غير صحيح في اغتصاب حق عليّ في الخلافة.

فالوسيلة التي لابدّ منها هي أن الشيعة أن يجدوا طالبياً ينسبون إليه قراراتهم وأحكامهم. وفوق ذلك، أن المكانة المبجلة التي تتولى الإمامة القيام بها ضمن نطاق أو حدود القصيدة الشيعية في ذلك الوقت، حتى وإن كانت – أي الإمامة – قد رفعت إلى وضعية إلاهية أو سماوية من قبل بعض، الذي يعمل ضداً بالحاجة إلى وضع نسبت الأحاديث التي تبناها الشيعة ضد أي مصدر كان ما عدا ما يؤيده ويثبته أو يعلن الإمام عن صحته.

وأحد هذه النتائج التي لا محيص عنها في غياب الإسناد الذي قبل به السنّة؛ هو الندرة النسبية التي ظهر فيها الصادق ضمن إطار مجاميعهم الحديثية. فإن مؤلفات الصحاح السنّية الستةقدروت ما مجموعه ثمة ثمانين أو تسعين حديثاً مستقلاً جاءت عنه. وهذه على الرغم من الحقيقة، كما لاحظنا في أعلاه، أن المفسرين السنّة كانوا يحكمون عليه بصورة عامة بأنه راوية ثقة. وبشكل مماثل فعلى عكس المجاميع

الشيعية، هناك أربع وعشرين ناقلاً أو راوياً فقط لأحاديث الصادق في مجاميع الصحاح السنّية موازنة بأكثر من ثلاثة آلاف راوية على عهدته وثقته قد دوّنت ضمن قائمة رجال الطوسي. ففي المجاميع السنّية الستة، فإن الصادق يروي بشكل ثابت على عهدة والده محمد الباقر، وأن الأحاديث جميعهاتنتهي على عهدة النبي.

وعلى ضوء هذا العدد القليل نسبياً من الأحاديث السنّية التي تظهر الصادق وتصوّره على أنه راوية، فإنه بالتأكيد يظهر بأنه لم يكن مستودعاً كبيراً للأحاديث النبوية. وبما أن هذه هي الحالة فمن المؤكد إن أسمه يظهر بانتظام أكثر بين كثير من عشرات الآلاف من الأحاديث داخل المجموعات السنّية. وعلى نحو منوروفريد واستثنائي أن يضمن كتاب الموطأ لمالك بن أنس في مثل هذه المناقشة.وذلك لأن مالك كان معاصراً للصادق والأكثر من ذلك أنه من أهالي مدينته. لذا فقد كان في وضعية ممتازة أن يلتقي بالصادق وأن يتلقى مباشرة عنه أي من الأحاديث التي عنده. وفوق هذا وذاك، فإن بحقبة مالك نرى بداية دراسات فقه المدينة وأنه هكذا قد ترك لنا التدوين للأحاديث المتداولة تقريباً. وعلى أية حال، ففي الحقيقة أن موطأ مالك يحتوي على عشرة أحاديث فقط على عهدة الصادق.

ومن الطبيعي، فإنه من المناسب القول، أن المفسرين السنّة المتأخرين قد حذفوا كثير جداً من أحاديث الإمام الصادق من مجموعاتهم ومؤلفاتهم الحديثية الكاملة وذلك يرجع إلى التحفظات الجدية بخصوص مدى الثقة بها أو بخصوص موثوقيتها. ومهما يكن، فمن المؤكد، لا يمكننا دعم الفكرة بأن فحوى أو مضمون الأحاديث المروية عن الصادق لم تكن مقبولة من قبل السنّة المتأخرين. طالما أن الأغلبية العظمى منهم قد وجدوا ضمن المصادر الشيعية إنها لا تتضمن شيئاً عن صفتها أو طبيعتها الشيعية خاصة.

وهناك دون شك عدد من العوامل المجتمعة بعضها مع البعض الآخر قد سببت أو كانت باعثاً على المكانة أو المنزلة الرفيعة التي حفظها الصادق بين جميع أنواع

التلبيس ضمن التشيع في هذا الوقت. ومن بين هذه التلبيسات ربما كان اغتصاب العباسيين للخط الشيعي لابن الحنفية. فقد كان ابن الحنفية النواة الأساسية لإثارة الاهتمام والانتباه بالنسبة إلى الشيعة الأوائل، إلا أن العباسيين أدعوا بأن ابنه أبا هاشم قد أورث بوصية حقه في الإمامة إلى جدهم – جد العباسيين- محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ابن حفيد عمّ النبي. ومن الجانب الآخر، فقد قتل المنصور القسم الأعظم من نسل الخط الحسني decimated أبان الثورة الفاشلة لمحمد بن عبد الله في المدينة، لقد تم قتل محمد نفسه دون أن يعقب ولداً ذكراً(*). في الوقت نفسه، فإن أنصار ومؤيدي زيد بن علي قد واصلوا متابعة أئمتهم الخاصين بهم.

على أية حال، فمن وجهة النظر الحالية، يمكن القول بأن العامل الوحيد الأكثر حسماً كان حول توريث العباسيين وكان الصادق هو الفرد الوحيد من العائلة الطالبية الذي أعتنى نفسه في أحكام الفقه والشريعة والعقيدة. والأكثر من ذلك، فإن والد الصادق محمد الباقر يظهر أنه كان له حضوراً فقهياً. وخلال زمن الباقر فقد كانت الدراسات الفقهية قد شرعت لتكون في الإسلام علوماً ودراسات بارزة ومشهورة، والسنوات الأخيرة من حياته شهدت ولادة تشكيل المذاهب الفقهية الأولى. إذ حينما

(*)رأي المستشرق هذا صحيح إلى حدٍّ ما، وذلك لأن الكوفيين بعد تخليهم عن الإمام الحسين وساعدوا على استشهاده بوقوفهم ولاسيما وجهاء عشائرهم بدافع الحصول على الدراهم والدنانير من ابن سمية صاروا قلقين لا يعرفون ماذا يعملون. وحينما كاتبوا الإمام زين العابدين أو أرسلوا وفداً بغية حصولهم على موقف مؤيد للمختار لم يكترث لهم الإمام لما قد صنعوا بأبيه وعمه. وبالفعل فإنهم للمرة الثانية والثالثة تخلوا عن ثورة المختار وناصر وجهاء عشائرهم عدو المختار مصعب بن زبير، وتخلوا عن ثورة زيد بن علي. كل هذه المتغيرات في سلوكهم أدى بهم إلى التوجه إلى محمد بن علي (محمد بن الحنفية) لجعله منجيهم ومرشدهم. إذ أنهم بصيغتهم الجديدة الكيسانية قد اعتقدوا به مهديا وأنه غاب ليعود كرة أخرى. وكان محمد بن الحنفية قد ورث هو الآخر علم أبيه وشجاعته وموقفه المعارض للأمويين، لكنه لم يشهر سلاحاً في وجههم. وبعد وفاته سنة ٨١هـ/٧٠٠م أوصى لابنه أبي هاشم بالإمامة من بعده. وعلى الرغم من شحّة المعلومات عنه، فإن هذا النزر القليل يظهر أنه كان عالماً في علم الباطن. وكان كما يقول أبو الفرج الأصفهاني (لسنا خصماً عالماً) مقاتل الطالبيين ص ١٢٦. في هذا الوقت من العهد الأموي الذي وصف بالضعف وبدايات الانهيار استثمر أحد أعضاء الأسرة العباسية وهو علي بن عبد الله بن العباس الموقف فأبدى معارضة للأمويين. ولكن هذا كان ينقصه الشرعية لأنه جدّه العباس كان يقف إلى جانب أبي سفيان ضد الإسلام. فوجد في أبي هاشم خير ملجأ، فبنى علاقات معه، ولعله كان السبب الرئيس في قتل أبي هاشم في اتجاهه الى السعاية عند الحاكم الأموي هشام بأن أبا هاشم يتزعم الشيعة في تلك الحقبة، وإعطاءه السم في اللبن ثمّ أخذه بعدئذ إلى الحميمة موضع سكن العباسيين. فقيل أن أبا هاشم وهو يموت من أثر السم أوصى علي بن عبد الله ومن بعد ابنه محمد بن علي العباسي بالإمامة، أي إمامة الشيعة الكيسانية، الفرقة التي انحرفت عن الخط الإمامي لتجذب الغلاة فتكون وسيلة لانتصار العباسيين. [المترجم].

كان عمره ثلاثين سنة توفي سعيد بن المسيب المدني وكان من أصغر المعاصرين للزهري(*). وقد اعترف الكشي باهتمام الباقر بالدراسات والعلوم الفقهية والشرعية عندما روى قائلاً:

" لم يكن الشيعة قبل أبي جعفر [الباقر] يعرفون ما يحتاجون إليه بشأن المسموح والممنوع ما عدا ما كانوا يتعلمونه من الناس. غير أن أبا جعفر قد كشف هذا العلم لهم وأتاحته إليهم(**)"(٢٩١).

ولعل هذا التقليد قد اتّخذ أيضاً كاعتراف واضح للحقيقة وإقرارها،بأنه وحتى مرحلة متأخرة فإن هذه الأنظمة والطرق الفقهية الشيعية والسنّية كانت متطابقة أو محددة الهوية، فالناس المذكورون هنا إنما تشير إلى المجتمع أو الأمة الإسلامية ككل. كذلك فمما يستحق الذكر أن الصادق في الأحاديث السنّية كان، بصورة ثابتة دائماً، يروي عن والده، وأن المؤلفات السنية عن الرجال تذكر الباقر وصلاته أو روابطه مع المحدثين السنة. فقد ذكر، مثلاً أن أبا حنيفة والأوزاعي قد رويا عنه(٢٩٢)، كذلك هناك عدد ضخم من الأحاديث التي تظهر الباقر مع العلماء السنة الأوائل(٢٩٣)

(*) ويقصد المستشرق الرواية التي جاء فيها (جعفر بن محمد عن صفوان عن أبي اليسع قال. قلت لأبي عبد الله حدثني عن دعائم الإسلام التي بني عليها.. ثم يقول (وكانت الشيعة قبله (أي قبل الإمام جعفر الصادق) لا يعرفون ما يحتاجونه إليه من حلال ولا حرام ألا ما تعلموا من الناس، حتى كان أبو جعفر (فتح لهم وبيّن لهم وعلمهم، فصاروا يعلمون الناس بعد ما كانوا يتعلمون منهم، والأمر هكذا يكون، والأرض لا تصلح إلا بإمام، ومن مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية، وأحوج ما تكون إلى هذا إذا بلغت نفسك هذا المكان وأهدى بيده إلى حلقة، وانقطعت من الدنيا تقول، لقد كنت على رأي حسن. قال أبو اليسع عيسى بن السري وكان أبو حمزة وكان حاضراً المجلس، أنه قال لك فما تقول كان أبو جعفر إماماً حق الإمام. الكشي، أخبار معرفة الرجال ص ٤٢٥-٤٢٦ [المترجم].

(**) حقيقة إن الإمامين الباقر والصادق علهيما السلام قد عملا بجدّ على إعادة المباني العلمية والشرعية والتنظيمية لفرقة الشيعة فضلاً عن تثبيت الأسس العقائدية في الإمامة. لكن هذا لا يعني أبداً أن الإمام علي لم يؤسس عند أصحابه وتابعيه ثقافة الفقه والشريعة، كذلك ما قام به الإمامان الحسن والحسين عليهما السلام من توعية اتباعهما فقهياً. فالأمويون قد بذلوا قصارى جهودهم لإعدام رواية أبي تراب الفقهية والعلمية، وكذا فعل آل معاوية وآل مروان بما كان الأئمة يقومون به ويعلمون شيعتهم ويعملون في ترسيخ الثقافة والوعي الفقهي والشرعي المخالف لأفكار وطقوس وفهم الحكام الأمويين غير الإسلامية [المترجم].

(٢٩١)معرفة ص ٤٢٥.

(٢٩٢)تاريخ الإسلام جزء ٦ ص ١٣٥، ٢٢٥.

(٢٩٣)نظير الصيمري إذ يدوّن بأن الباقر كان في المدينة مع أبي حنيفة (أخبار أبي حنيفة وأصحابه) بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٧٤) ص ٨١.

فالمنزلة والمقام اللتان احتلها وأحرزهما الباقر في هذا الأداء أو في هذا الدور قد ورثها ابنه الصادق، الذي أصبح بصورة طبيعية الراوية أيضاً لتلك الأحاديث التي كانت عند والده.

ومن دون تلك الاعتبارات فإنه من غير المتحمل بأن أولئك الرجال الذين انهمكوا وأنشغلوا في تثبيت شرعية العقيدة الشيعية والفقه الشيعي كانوا ينظرون إلى الصادق كمرجعية إلى نتائجهم أو إلى أحكامهم، وعلى الرغم من أن هناك دعماً أو تأييداً مهماً من عدد من العناصر الشيعية لصالح عبد الله بن الحسن وأبنه محمد(*)، مع ذلك فإن عدداً قليلاً من الأحاديث قد نسبت إليهم وأنه ليس هنالك من حجة أو دليل على أنهم اهتموا أو عنووا بصورة خاصة بالاستعلامات أو الاستفسارات الفقهية. وبالنسبة إلى عناية أو اهتمام الشيعة في الأحاديث فإن مسألة المرجعية لابد من وجودها وكان الصادق يعدّ من المرشحين الأكثر ملائمة أو الأكثر مناسبة.

(*)قال أبو عمرو الكشي قال يحيى بن عبد الحميد الحمّاني في كتابه المؤلف في إثبات إمامة أمير المؤمنين لشريك. إن أقواماً يزعمون أن جعفر بن محمد ضعيف في الحديث. فقال أخبرك القصة، كان جعفر بن محمد رجلاً صالحاً مسلماً ورعاً فاكتنفه قوم جهّال يدخلون عليه ويخرجون من عنده ويقولون حدثنا جعفر بن محمد، يستأكلون الناس بذلك ويأخذون منهم الدراهم، فكانوا يأتون من ذلك بكل منكر، فسمعت العوام بذلك منهم فمنهم من هلك ومنهم من أبكر، وهؤلاء مثل المفضل بن عمر وبيان وعمرو النبطي وغيرهم، ذكروا أن جعفر حدثهم أن معرفة الإمام تكفي من الصوم والصلاة، وحدثهم عن أبيه عن جده، وأنه حدثهم قبل القيامة وأن علياً في السحاب يطير مع الريح وأنه كان يتكلم بعد الموت وأنه كان يتحرك على المغتسل، وإنه إله السماء وإله والأرض الإمام، فجعلوا لله شريكاً، جهال ضلال، والله ما قال جعفر شيئاً من هذا قط، كان جعفر أتقى لله وأورع من ذلك، فسمع الناس ذلك فضعفوه. ولو رأيت جعفراً لعلمت أنه واحد الناس. الكشي، أخبار ص ٣٢٤-٣٢٥ [المترجم]

الاختلاقات والتلفيقات:

روي أن يحيى بن عبد الحميد الحمّاني كتب ما يأتي:

"لقد أخبرت أو قلت لشريك أن بعض المجموعات من الناس تزعم بأن جعفر بن محمد كان ضعيفاً في الحديث، لذا فقد قلت له القصة الآتية: جعفر بن محمد كان رجلاً مستقيماً وطاهراً virtuous، ومسلماً وخاشعاً، إلا أن عدداً من الناس الجهلاء أو العوام كانوا يحيطون به، ويزورونه ويغادرونه قائلين أن جعفر بن محمد قد رواها لنا". فقد رووا أحاديث كانت كلها مثيرة للاعتراض وغير مرغوبة objectionable وأكاذيب نسبوها إلى جعفر، طالباً إياها الناس مبادلتها بالطعام ويأخذون الأموال منهم)[٢٩٤].

إذن وحول المسألة نفسها، فقد أدى الصادق دوراً مماثلاً بالنسبة إلى الشيعة في الكوفة كالذي عمله العلماء السنة الأوائل من أجل اتباعهم. وأحد الاختلافات المهمة في هذا المجال كان هو لما كان العلماء الآخرون لهم مجموعاتهم أو حلقاتهم من التلاميذ في مدنهم، فبالنسبة إلى الصادق لم يكن له اتباع أساسيون. فمدرسة أو مذهب مالك بن أنس كان في المدينة، وأولئك اتباع أبي حنيفة، وسفيان الثوري وأبي يوسف كانوا في الكوفة، أي في الأماكن التي كانوا يسكنونها. فالأقوال المأثورة والحكم التي تنقل وتنشر في منطقة معينة يرجع الفضل فيها كثيراً إلى رواية علماء الشريعة أو الفقهاء، إذ كانوا يعملون على وفق المعلومات الأولية المتوافرة لديهم. وقد أثر هؤلاء العلماء أو الفقهاء إلى درجة على الناس في تلك الأوساط التي كانوا يعملون بها ويبذلون جهودهم في ممارسة التأثير من أجل توكيد وتثبيت الأحاديث التي كانت عندهم. غير أن هذه الحالة هي بالكاد متوافرة في حالة الصادق. فإنه كان في النادر يحتك أو يتصل مباشرة بالكوفيين الذين كانوا يرافقونه، لذلك فقد تعرضت أحاديثه وآراءه إلى قدر كبير من التداخل والتشويش بين المصدر وبين الهدف والغرض المقصود.

---

[٢٩٤] معرفة ص ٣٢٤.

وفي هذا الأمر، هناك عدد من التشابهات والتماثلات بين الطالبين الآخرين، أولئك الذين كانوا يعيشون أو يقطنون المدينة دائماً وبعيداً، عن المؤيدين الرئيسيين في الكوفة. وكان هؤلاء قد استخدموا أو استثمروا من قبل ناشطين مختلفين كرؤوساء صوريين Figurheads أو كمبررات لأعمالهم. والمثال الأساس والرئيس هو محمد بن الحنفية الذي شكّل العينة أو الجزء المركزي في تدبر مكائد machinations المختار[٢٩٥]. وكما هو معروف في التاريخ المبكر للشيعة، فالحقيقة هي إن الزعيم الطالبي في النادر يكون في مركز الفعالية والنشاط وهذا لا يشكل أي إعاقة. وواقعا فإن غياب الطالبي الذي نحن بصدده كان حسنة مميزة في أن اسمه يمكن استحضاره من دون خوف كبير أو خشية من تدخله المباشر. إن أهمية الإنطلاقة في قضية الصادق بأنه الآن صار يمثل هذه الفعالية والنشاطية تلك التي تقع بدرجة كبيرة على الصعيد أو المستوى الفقهي وأحكام العقيدة.

إن غياب الاتصال والاحتكاك المنظم والمباشر بين الصادق والكوفيين الشيعة قد يسر بشكل كبير عملية نسبة الأحاديث الكاذبة والمزوّرة إلى الصادق من دون أن يستطيع العمل كثيراً في ردها ومقاومتها. ولكن كما كان الحال في تاريخ التشيع المبكر، فإن عجز الصادق النسبي، قد نشأ لكونه معزولاً في المدينة فحسب بل أيضاً قد نشأ نتيجة لما عرض بشكل مناسب من قبل بعض تلامذته وأصحابه البارزين في الكوفة بخصوص مرجعية اسمه هي حقيقة لا تقبل الجدل.

ومما له أهمية واستحقاق في المناقشات والمحاججات التي حدثت في الكوفة أبان حياة الصادق، وهي مناقشات في تضاد contradistinction للمبادىء والتعاليم الشيعية الراسخة والرسمية، فمن الواضح أنه على الرغم من كون الإمامة

---

[٢٩٥]قاد المختار بن أبي عبيد ثورة في الكوفة من سنة ٦٨٥م- ٦٨٧م. ولأجل أن يضمن تأييد شيعي قال أنه إنما يعمل نيابة عن أو لمصلحة محمد بن الحنفية. وهناك شك فيما إذا كان ابن الحنفية قد أقر هذا، ولكن من المؤكد فإن إقراره أو تأييده الصحيح قد نفع في جذب دعم إضافي إلى ثورة المختار (ينظر مثلاً الطبري تاريخ الرسول والملوك- طبعة ليدن: بريل E.J.Brill ١٨٨١) مجلد ٢/ قسم ٢ ص٥٠٩؛ ابن خلدون؛ تاريخ ابن خلدون (بيروت؛ دار الكتاب اللبناني، ١٩٥٦) ج٣ ص ٥٥.

الأساسية والتي لا مفر منها تضاهي أحكام المرجعية للأقوال الفقهية والعقيدية، فإن الآراء بشأن الإمامة لم تحقق، مع كل ذلك، الإجماع في الرأي. وكانت هناك عدد من الآراء المختلفة كالتي بشأن تحديدها وتعريفها. وهكذا قد تباينت المواقف بين أولئك الذين عدوا الإمام علي أنه ببساطة المقصود به المتعمق في فهم الفقه والشريعةوإدراكهما، وإلى أولئك الذين يعبرون عن مفهومه أو تصوره كحالة تجسيده للروح الإلهية ومدركين بأن الغيبة في جميع مظاهرها المختلفة. فإن الافتقار إلى شمولية ألزمت العقيدة بخصوص المرجعية التي لا تقبل الجدال عن الإمام المحتوم قد أدت بعدد من أصحاب الصادق إلى أن يقوموا أو إلى أن يعرضوا آراءهم الخاصة على الرغم من اختلافاتهم مع آرائه. كذلك فقد اتضح من خلال روايات عدد من أصحاب الأئمة وهم يتساءلون عن مواقفهم إزاء عدد من المسائل الفقهية. وهناك كثير من مثل هذه الروايات المتعلقة بزرارة بن أعين الذي كما سيظهر لاحقاً، يبدو كونه وكيلاً للصادق في الكوفة. والفضل يرجع إلى دوره وأدائه المؤثر الذي انفرد به أو تميز به زرارة، ولكن من المحتمل أن هناك كثير من أمثال زرارة كانوا يحتلون أهمية أو منزلة أقل منه ممن اشترك في هذا الرأي. ففي إحدى الروايات، روي زرارة أنه سأل محمد الباقر عن المكان الذي حصل على معلوماته منه وكان ذلك بخصوص وجه من أوجه شعيرة الوضوء[٢٩٦] وفي مواضع أخرى فإن زرارة أتهم الصادق بافتقار أو نقص فهمه[٢٩٧]، وفي مجال آخر أنه أبدى ملاحظة بأنه كان يعتقد بأن الصادق كان أكثر عالمية مما هو عليه[٢٩٨]، وفي مناسبة أخرى، فإن زياد بن أبي هلال الكوفي قد زار الصادق وسأله تأييد ما قد سمعه من زرارة قوله بشأن الاستطاعة، وعندما امتنع الصادق أن يؤيد أو يثبت ذلك، وعودة زياد إلى الكوفة وإبلاغه بأن رأيه في الاستطاعة

---

[٢٩٦]الطوسي؛ الاستبصار في ما أختلف فيه من الأخبار (تهران دار الكتب الإسلامية، ١٣٩٠ هجرية) جزء ١ ص ٦٢-٦٣. يلاحظ أيضاً شخص هو عمر بن رياح الذي قال، حينما تلقى إجابات متعارضة ومتناقضة من محمد الباقر، بأنه قد شجب إمامته (القمي، المقالات والفرق) تهران، المطبعة الحيدرية، ١٩٦٣، ص ٧٥.

[٢٩٧]معرفة ص ١٤٧.

[٢٩٨]معرفة ص ١٥٨.

يختلف من رأي الصادق، أجاب زرارة بأن الصادق بالفعل قال له ذلك[٢٩٩]. فالتورط في هذه المسألة أن زرارة كان يأبى أن يجعل رأيه مطابقاً لرأي الصادق لكنه وبرغم ذلك أكد بأن رأيه في المسألة قد أخذهُ من الصادق.

كذلك فقد لمّح إلى ذلك في رواية أخرى. فقد ذكر أن الحكم بن عتيبة قال: إن الباقر روى حديثاً ذاكراً فيه إمكانية إقامة صلاة المغرب قبل الوصول إلى المزدلفة أيام الحج. ومهما يكن، فإن الصادق قال لزرارة بأن الباقر لم يقل مثل هذا إطلاقاً وإن الحكم قد كذّب في نسبته ذلك القول إلى الباقر. ولم يكن زرارة مقتنعاً، ولذلك فإنه قائلاً مع نفسه "لا أعتقد أن الحكم قد كذّب بشأن [الصادق] والد [الباقر][٣٠٠] وهكذا فعلى الرغم من معارضات الصادق إلى الضدّ، فإن الباقر ظل يذكر كمرجعية لأحاديث الحكم. وعرضياً، ففي المذهب قد قبلت إقامة صلاة المغرب في الواقع أثناء الحج وفي مزدلفة.

واعتماداً على المصادر الشيعية فإنه في حقبة ما بعد غيبة آخر إمام كان العلماء الشيعة قد مَنَحو عرفياً formal امتياز المشاركة في إحكام وتطوير الفكر الشيعي. وأتخذ هذا صيغة اجماع رأي المجتهدين الشيعة التي منحت وضعية أو منزلة معيارية. وقد استعمل الشريف المرتضى (المتوفى٤٣٢هجرية/ ١٠٤٠م) هذا المعيار أو هذا المبدأ من أجل جعل العقائد شرعية في كتابه الانتصار. وقبل هذا، أي خلال وجود الإمام، فقد أكد بإيراد الحجة أن الأئمة يمتلكون، أو يقتنون السلطة، أو المرجعية النهائية، وأنه في الوقت الذي هم أحياء فليس هنالك من حاجة إلى اللجوء إلى أي مصدر أخرى للهداية والحجة. وعلى أية حال فإن هذه المسألة كانت على الصعيد النظري وهو لا تتطابق مع الواقع.

---

[٢٩٩]معرفة ص ١٤٧. وما يماثل ذلك وإن كان نوعاً ما في تاريخ متأخر هناك أبو بشر ليث البختري وهو أحد الاتباع البارزين جداً للصادق؛ إذ أنه امتنع أو أبى قبول الآراء الفقهية لموسى بن جعفر الصادق الكاظم وذلك لأنه اعتقد بأن موسى بن جعفر لم يكتسب بعد علماً راسخاً في الفقه [والرواية تتعلق بأبي البصير الذي ردّ على رجل بها له علاقة بالإمام "فمسح على صدره وقال ما أظن صاحبنا تناهى حلمه بعد" معرفة ص ١٧٢. المترجم].
[٣٠٠]معرفة ص ١٦٥.

وبحسبما يبدو أنه خلال حياة الصادق فإن المفكرين والعلماء الشيعة البارزين كانوا يلجأون إلى آرائهم الشخصية في إحكام الفقه والعقيدة. وقد أحتفظ (الكشي) بحديثين يؤشران إلى أن زرارة بن أعين، وهو من الاتباع الأفذاذ، ووكيل أو سفير الصادق، وأنه لهذا السبب بشكل خاص قد فوض أو أجيز لنقل الأحاديث على عهدته، وإلى اللجوء إلى رأيه الخاص في تحديد أو تعريف الفقه، قال: ابن مسكان.

"لقد تحدثنا بحضور زرارة بخصوص المسموح والممنوع، وقال شيئاً اعتماداً على رأيه. فسألته: (هل هذا هو رأيك الخاص أو رواية؟ فأجاب "أليس الأشخاص الذين يمتلكون أو يتمتعون بآرائهم الخاصة، أفضل من الأثر(*)"")(٣٠١).

وفي رواية أخرى، سأل هشام بن سالم زرارة لتأكيد أو تعزيز حديث كان قد رواه في وقت سابق وكونها مقبولة بشكل عام على أنها أداة لنقل وتداول المعتقد.

وهكذا فإن واحداً من أكثر المظاهر الجديرة بالذكر في المؤلفات والكتابات التي تتعلق بالأحاديث وبآراء الصادق هي، الأمثلة المتعددة من الروايات الزائفة وغير الصحيحة وكثيراً من التحذيرات حول الأحاديث الكاذبة المنسوبة إلى الصادق. وحينما زار فيض بن المختار الصادق واستفسر منه أو سأله بشأن عدم التضارب والاختلاف في الأحاديث تلك التي رواها ونقلها الكوفيون أجابه الصادق:

(*)جاء في الرواية ما يأتي: (حدثني محمد بن مسعود قال حدثني جبريل بن أحمد قال حدثني العبيدي عن يونس عن ابن مسكان قال: تدارأنا عند زرارة في شيء من أمور الحلال والحرام، فقال قولاً برأيه. فقلت: ابرأيك هذا أم برواية فقال: إني أعرف أو ليس رب رأي خير من أثر" الكشي: أخبار ص ١٥٦). [المترجم].

(٣٠١)معرفة ص ١٥٦.

"حقاً يا فيض، فإنه كما تصف. فالناس أولعوا بالكذب علينا.... فقد رويت حديثاً لواحد منهم وما أن غادرني مباشرة فسّره بطريقة خاطئة"[٣٠٢](*) ويذكر الحرّاني (المتوفى ٤١١هجرية/ ١٠٢٠م) في كتابه تحفة العقول بأن الصادق قال:

(ما زال الشيطان يأتي بيننا أهل البيت، وأنه ليس الأمر متعلق بنّا وليس كذلك من قبل أولئك الذين شاطرونا ديننا، فإذا ما قام والناس ينظرون إليه، فإنه يأمرهم أن يكذّبوا علينا. وأينما ذهب مثل هذا الكذّاب يأتي غيره(**))[٣٠٣].

ومهما يكن فإن أي تقييد أو تحفظ بمقدوره وضعه وفرضه على أولئك الذين ينقلون ويروون آرائهم باسمه كان في أحسن الأحوال في حده الأدنى، وأكثر ما كان يقوم به هو تأنيب الكذاب بقسوة وانتقاده أولئك الذين كان على اختلاف وتعارض معه فقد ورد عنه قوله:-

((هناك جماعة تدّعِي بإنني إمامهم. كلا والله فإني ليس إمامهم. فما خطأهم؟ أنني أقول شيئاً لكنهم يقولون شيئاً آخر. إنني أمام ذلك الذي يطيعني(***))[٣٠٤].

---

[٣٠٢]معرفة ص ١٣٥-١٣٦.

(*)قال الكشي (محمد بن قولويه قال حدثني سعد بن عبد الله قال حدثني محمد بن الحسين بن أبي الخطاب عن محمد بن سنان عن المفضل بن عمر قال سمعت أبا عبد الله يوماً ودخل عليه الفيض بن المختار فذكر له آية من كتاب الله عز وجل تأولها أبو عبد الله فقال له الفيض جعلني الله فداك ما هذا الاختلاف الذي بين شيعتكم قال: وأي الاختلاف يا فيض فقال له الفيض إني لأجلس في حلقهم بالكوفة ما كاد أشك في اختلافهم في حديثهم، حتى أرجع إلى المفضل بن عمر فيوقفني من ذلك على ما تستريح إليه نفسي ويطمئن إليه قلبي. فقال أبو عبد الله أجل هو كما ذكرت يا فيض إن الناس أولعوا بالكذب علينا إن الله افترض عليهم لا يريد منهم غرة وإني أحدث أحدهم بالحديث فلا يخرج من عندي حتى يتأوله على غير تأويله، وذلك لأنهم لا يطلبون بحديثنا وبحبنا ما عند الله وإنما يطلبون الدنيا وكل يحب أن يدّعي رأساً أنه ليس من عبد يرفع نفسه إلا وضعه الله وما من عبد وضع نفسه إلا رفعه الله وشرّقه، فإذا أردت بحديثنا فعليك بهذا الجالس وأومىء إلى رجل من أصحابه فسألت أصحابنا، فقالوا زرارة بن أعين) م.ن. ص ١٣٦-١٣٦ [المترجم].

(**)ما أورده المستشرق هنا هو وصية من بين وصايا الإمام الصادق لأصحابه، ومن بين هؤلاء ابن النعمان الذي أوصاه بعدة وصايا مهمة جداً. إذ قال له يا ابن النعمان (أنّا أهل بيت لا يزال الشيطان يدخل فينا من ليس منا ولا من أهل ديننا، فإذا رفعه ونظر إليه الناس أمره الشيطان فيكذب علينا وكلما ذهب واحد جاء آخر) الحراني، تحف العقول عن آل الرسول ص ١١٨. [المترجم].

[٣٠٣]ابن شعبه الحراني، تحف العقول عن آل الرسول (النجف منشورات المكتبة الحيدرية، ١٩٦٣) ص ٢٢٨-٢٢٩.

فعملية النسبة الكاذبة والمزورة قد أثّرت أيضاً على عدد من أقرب المقربين من الإمام. وكان مركز اهتمام الصادق في الكوفة، وبما أنه ظل يعيش طيلة حياته في موطنه المدينة، ولذلك فمن المحتمل أنه كان كثيراً ما ينشر أحاديثه وآراءه الدينية والفقهية، عبر نوابه، أو سفراؤه، وهم أشخاص مخولون والمفوضون بذلك. فإن كانت الروايات موثوقة وصادقة، فإن واحداً من هؤلاء هو الشخص الذي ذكر سالفاً وهو زرارة بن أعين، الذي بحسبما يبدو أنه كان من أكثر نواب الصادق اللامعين. فعندما اشتكى فيض بن المختار إلى الصادق بشأن الأحاديث الكاذبة والمزوّرة التي نقلت أو رويت باسمه في الكوفة، فقد زعم أن الصادق أجابه:

"إن كنت تريد حديثنا فاستفد من ذلك الرجل الجالس هناك، وأشار إلى أن هذا هو واحد من أصحابنا. ولذلك فقد سألت أصحابي عنه فقالوا أنه (زرارة بن أعين).. [٣٠٥]"[*].

وعلى أية حال، فكما أشرنا سابقاً، كان زرارة متورطاً في رواية معلومات على عهدة الصادق كانت تعارض أو على خلاف من رأي الصادق. وكما سنرى لاحقاً. فإن الصادق قد لعن أيضاً زرارة بسبب ابتداعه (البدع في الإسلام).

والذي يبدو أن (المفضل بن عمر) كان أيضاً سفيراً للصادق. فاتباع الصادق في الكوفة، كما قيل، أنهم قد اقتربوا أو دنوا منه وسألوه عن شخص بمقدوره أن يراجعوه للهداية والإرشاد والتوجيه في أمور دينهم. فأجاب الصادق (أنني قد عينت المفضل عليكم. فاصغوا له وتسلموا منه. فإنه لا يقول إلا الحقيقة فيما يخص الله وفيما

[***]قال الكشي ما نصه (محمد بن مسعود قال حدثني علي بن محمد قال حدثني محمد بن أحمد بن يحيى عن محمد بن عيسى عن زكريا عن ابن مسكان عن قاسم الصبرفي قال سمعت أبا عبد الله يقول: قوم يزعمون أني لهم إمام، والله ما أنا لهم بإمام، ما لهم لعنهم الله، كلما سترت ستراً هتكون هتك الله ستورهم أقول كذا، يقولون إما يعني كذا، إني إنّما أنا إمام من أطاعني) أخبار الرجال ص ٣٠١ [المترجم].

[٣٠٤]معرفة ص ٣٠١.

[٣٠٥]معرفة ص ١٣٦,

[*]يقول العلامة الكشي ما نصه (فإذا أردت بحديثنا فعليك بهذا الجالس، وأومىء إلى رجل من أصحابه، فسألت أصحابنا عنه فقالوا زرارة بن أعين) م.ن ص١٣٦ [المترجم]

يخصني)(٣٠٦). ومهما يكن فقد أتهم المفضل فيما بعد بالغلو وذلك بسبب ارتباطه بالغالي الرديء السمعة أبي الخطاب الذي كان يعدّ أيضاً في بداية أمره سفيراً للصادق.

وفي الواقع، فإن أبا الخطاب يعرض لنا مثالاً رئيساً للوسيلة أو الطريقة التي يظهر فيها سفيراً للصادق الذي ينتحل أسم الصادق في الدعاية لرواياته الخاصة. فقد وصف القاضي النعمان أبا الخطاب بكونه "من أجلّ دعاة الصادق"(٣٠٧)، وهناك روايات أخرى تؤشر إلى أن الدور الذي أداه أبو الخطاب، كونه أحد المبعوثين والمطلقين الصلاحية من قبل الصادق(٣٠٨)، وعلى أية حال، فيذكر أن الصادق لاحقاً أو فيما بعد قد روي عنه أنه قال له: كان أبو الخطاب غبياً، فإنني اعتدت على الأحاديث له ولكنه لم يذكرها واعتاد على إضافة أشياء من عنده(٣٠٩). ومشيراً إلى أبي الخطاب واتباعه: "ما هو خطبكم؟ أقول شيئاً ويقولوا بأنني أقصد غيره(٣١٠)"(*).

وفي موضع أخرى يبدي أحدهم ملاحظة فيقول:

---

(٣٠٦)معرفة ص ٣٢٧-٣٢٨. ويبدو أنه بعد وقت قصير فإن المفضل هذا قد أتهم مع أنصاره. ينظر مثلاً ص ٣٢١، ٣٢٣.

(٣٠٧)القاضي النعمان، دعائم الإسلام (القاهرة، دار المعارف ١٩٥١) جزء ١ ص ٤٩.

(٣٠٨)ينظر مثلاً معرفة أخبار الرجال ص ١٩٠، ١٩١ والمجلسي بحار الأنوار (بيروت، مؤسسة الوفاء، ١٩٨٣) جزء ٤٧ ص٢٤٦.

(٣٠٩)معرفة ص ٢٩٥، وزعم أن الصادق قد كتب أيضاً إلى أبي الخطاب يؤنبه أو يعيبه على نشر أو بث مذهب كاذب وغير صحيح [ورواية الكشي هي "كتب أبو عبد الله إلى أبي الخطاب: بلغني أنك تزعم أن الزنا رجل وأن الخمر رجل.. وليس هو كما تقول أنا أصل الحق وفروع الحق طاعة الله، وعدونا أصل الشر وفروعهم الفواحش، وكيف يطاع من لا يعرف وكيف من لا يطاع" معرفة ص ٢٩١ المترجم]).

(٣١٠)معرفة ص ٣٠١.

(*)أشار القاضي النعمان في كتابه (دعائم الإسلام) إلى أبي الخطاب في الرواية الآتية وهو يتحدث عن المغيرة بن سعيد وكيف أن الإمام الصادق لعنه ثم يردف ذلك بقوله (ثم كان أبو الخطاب في عصر جعفر بن محمد صلوات الله عليه من أجل دعاته، كإصابة ما أصاب المغيرة، فكفر وادّعى أيضاً النبوة، وزعم أن جعفر بن محمد صلوات الله عليه إله تعالى الله عن قوله، واستحل المحارم كلها ورخص فيها وكان أصحابه كلما ثقل عليهم أداء فريضة أتوه وقالوا: يا أبا الخطاب خفف علينا فيأمرهم بتركها حتى تركوا جميع الفرائض واستحلوا جميع المحارم وارتكبوا المحظورات وأباح لهم أن يشهد بعضهم لبعض بالزور. فلعنه الصادق وتبرأ منه، وكتب إلى البلدان بالبراءة منه واللعنة عليه. دعائم الإسلام جزء ١ ص ٤٩ [المترجم].

"قلت لأبي عبد الله الصادق بأن أبا الخطاب قد روي هذا وهذا على ثقته، فقال أكاذيب . ولذلك بدأت أقول له فقرة فقرة مما روي... فقال الصادق (كلّه كذب[٣١١]))[*].

وأخيراً لابدّ لنا أيضاً ذكر ما له علاقة (بأبي بشر)، الذي كان يعدّ أيضاً سفيراً أو وكيلاً آخر. فيروي الكليني حادثة بشأن أحد الرجال وهو شعيب بن عقرقوفي. الذي جاء أو اقترب من الصادق واستفهم عن مسألة قائلاً: (ربما نحن نحتاج إلى الاستفسار عن بعض الأمور، لذا فمن سوف نسأل عن ذلك؟ فأجاب الصادق "أختر أو اتخذ الأسدي، وهو أبو بشر)[٣١٢]، وأبو بشر هذا لاحقاً قد أتهم بأنه يخلط في الأحاديث.

ففي إعطاء الصادق الدور كراوية وناقل للأحاديث، وكمصدر للرأي الفقهي، فإن قدراً معيناً من الصدقية أو المصداقية ربما تمنح إلى بعض من انتقاداته أو بقوة أو تأنيباته التي رويت عنه. وهذا في الواقع هي الحالة حول ما له صلة بالناس الذين كانت لآرائهم ونشاطاتهم الغالية والمتطرفة قد تؤدي إلى تسوية أو تعرض للشبهة في علاقاته وصلاته مع السلطات الحاكمة، كالتي مثلاً تتحدد هويته بالغلو كأبي الخطاب. وقد ظهر بالتأكيد على أن الاستشهاد أو القول المنحول والزائف عن الصادق بكونه الثقة قد انتشرت بين صفوف الشيعة في الكوفة، وقد وصلت هذه إلى نسبة عالية وشائعة، تماماً كما هو الحال عند السنة الأوائل فإن طلب الأحاديث ينتج أو يصنع عرضاً وافراً. فقد ذكر أن شخصاً كأبّان ابن تغلب قد روي ثلاثين ألف حديث عن الصادق[٣١٣].وأن محمد بن مسلم قد تلقى عنه ستة عشر ألف حديث، عندما زاره في

---

[٣١١]معرفة ص ٢٩٤.
[*] قال الكشي "حدثني محمد بن مسعود قال حدثني حمدان بن أحمد قال حدثني معاوية بن حكيم وحدثني محمد بن الحسن البراني وعثمان بن حميد قالا حدثنا محمد بن يزداد قال حدثنا معاوية بن حكيم عن أبيه عن أبيه عن جده قال: بلغني عن أبي الخطاب أشياء فدخلت على أبي عبد الله فدخل أبو الخطاب وأنا عنده أو دخلت وهو عنده، فلما أن بقيت أنا وهو في المجلس قلت لأبي عبد الله إن أبا الخطاب روي عنك كذا وكذا قال: كذب. قال، فاقبلت أروي ما روى شيئاً شيئاً مما سمعناه وانكرناه ألا سألت عنه، فجعل يقول كذب" أخبار الرجال ص ٢٩٤ [المترجم].
[٣١٢]معرفة ص ١٧١.
[٣١٣]أعيان الشيعة جزء ٤ ص ٤٣.

المدينة[٣١٤]، وهناك كثير من هذه الروايات بالإمكان الاستشهاد بها. وإن الأغلبية العظمى من المؤلفين الأربعمائة من كتب الأصول، والأمثلة الأولى على ذلك مجاميع من الأحاديث الشيعية، يقال أنها ألفت من قبل أتباع الصادق. وفي مجال آخر، فإن هذا الرقم يرتفع أو يزاد إلى ٤٠٠٠ رجل[٣١٥]، وأن التنكابني في كتابه (قصص العلماء) ينسب الأصل إلى كل من هؤلاء الرواة، وهكذا يؤكد على إيراد الدليل على أن الأصول كانت أربعة آلاف (٤٠٠٠) أصلاً[٣١٦].

إن الإدراك المتماسك والقادر على التذكرtenacious hold الذي يمكن أن تكون مثل تلك الأحاديث المنسوبة على أولئك المتلهفين أو التواقين إلى أحاديث الصادق بالأمكان تمثليها وتوضيحها ببساطة في رواية طويلة دوّنها الكشي. وفيه، أن جمعاً من مصنفي الأحاديث في البصرة زاروا الصادق لأجل الاستماع إلى أحاديثه. وعلى أية حال فإنهم لم يكونوا متيقظين أو حذرين من هويته. وخلال اجتماعهم فإن البصريين كرروا ذكر بعض الأحاديث تلك التي كانت في الظاهر مروية على عهدته، وجميعها كان كذباً وتزويراً. وسألهم الصادق إن كانوا مستعدين للشك في هذه الأحاديث إن كان مؤلفها المزعوم يقول بأنها كانت كذب ومزوّرة. فأجاب الجمع بأنهم لم يشكّو بذلك[٣١٧].

وبصورة عامة، فإن المصادر تقدّم أو تعرض صورة لشخص متورط بصورة صريحة ومعلنة في عملية لم يتمكن من ممارسة سيطرة عليها إلا قليلاً. وعلى الرغم من أن الصادق قد أنجز شهرة استثنائية في إسهامه المحتج به والمزعم في تطوير وتنمية الفكر الشيعي، فإن الجانب الآخر من العملة، كما يبدي الكشي ملاحظة بأن الصادق

---

[٣١٤]معرفة ص ١٦٧.

[٣١٥]ينظر ايتان كوهلبرغ E.Kohlberg في بحثه باللغة الإنجليزية الموسوم (الأصول الأربعمائة) المنشور في كتابه Belief and Law in imam shi'ism (Aldershot: Variorum, 1991) ص ١٣٠. وقد استعيرت هذه من أحمد بن محمد العقدة (المتوفى ٣٣٢هجرية/ ٩٤٤م) في كتابه (كتاب الرجال) وهو كتاب من روى عن جعفر ابن محمد الذي لم يعد موجود ولكن استشهد به في كتاب خلاصة الأحوال للعلامة بن المطهر الحلي.

[٣١٦]"الأصول" لكوهلبرغ ص ١٣١.

[٣١٧]معرفة ص ٣٩٣-٣٩٧.

كان في رأي بعضهم يعدّ ضعيفاً في أحاديثه[318]، وهو حكم ربما يفسر الغياب الكلّي للأحاديث الجعفرية[*] عند البخاري، مع أن البخاري يعدّ الصادق شخصياً بأنه ثقة.

خلافات ضمن الرأي الشيعي:

كانت النسبة المزوّرة والكاذبة للأحاديث المرفوعة الى الصادق عملية متواصلة ومستمرة ولم تنته بوفاته. فيروي النوبختي بأن الناووسية[319] عندهم حديث يوثق ويعزز رأيهم وهو مروي عن الصادق[320]. ويبدي النجاشي ملاحظة بأن جماعات الغلاة يستشهدون بهذا الحديث كتبرير أو مسوغ لهم[321]. وفي مجال آخر يروي الاسفرائيني (المتوفى ٤٧١هجرية/ ١٠٧٨م) قصة التي تبين هذا من زاوية أو وجهة نظر سنّية، وفيما إذا كانت الرواية حقيقة أم لا فهي مسألة فيها نظر:

(قيل أنه عندما رأوا الروافض الجاحظ يصنف كثيراً من الكتب ويكتب عن كل مجموعة، قالوا له "أكتب إلينا كتاباً، فأجاب لا أعتقد بأن هناك غموضاً أو إبهاماً vaguencss في وضعكم أو مرتبتكم" وبالنسبة ليّ من أجل أن أنظمه أو أرتبه وأعالجه. لذلك قالوا " إذن وجهنا إلى الشيء المؤلم sorn لكي نلتزم به. فقال "لا أعتقد ليس لكم أي منهج عندما ترغبون أن تدّعون بشيء فادّعوا بأن جعفر الصادق قد قاله. وأنني لا أرى أن لكم أي شيء آخر لوضع أنفسكم بمعزل عن ذلك. ولكنهم

---

[318] معرفة ص ٢٠٨-٢٠٩.

[*] عجباً فإن المستشرق في رأيه هذا، فمتى كان صحيح البخاري يمثل صحيحاً حقاً في نقل أحاديث أئمة أهل البيت ، وهو المصدر الثاني بعد القرآن الكريم عند أهل السنّة. ورأي هؤلاء لا غبار عليه بأنهم لا يرغبون في إشاعة أحاديث الأئمة الأطهار. فالمستشرق ها هنا يبدو أنه يهدف إلى الاستفزاز أكثر من كونه يهدف إلى الموضوعية [المترجم].

[319] الناووسية هم أتباع رجل يدعى ناووس وهو من البصرة. إذ أعتقدوا بعد وفاة الصادق بأنه قد غاب وهو في النهاية سيعود مهدياً. ينظر ابن حزم؛ (هرطقة الشيعة كما عرضت عند ابن حزم) المنشور في مجلة المجتمع الشرقي الأمريكية Journal of the American Oriental Society 28 (1907) p. 44 [ويقصد المستشرق بحث المستشرق الدانمركي فريدلاندر FriedLander الموسوم بذلك العنوان. والمعروف أن ابن حزم قد كتب في كتابه عن الفرق موضوعاً طاعناً للشيعة وينظر إليهم بأنهم أهل بدع. ذلك لا يحتج بمعلوماته في كتابه الفصل المترجم] وينظر النوبختي؛ فرق الشيعة (أسطنبول؛ Shaatsdruckerei ١٩٣١) ص ٥٧.

[320] فرق الشيعة ص ٢٩.

[321] الرجال ص ٤١-٤٢.

أصّروا على جهلهم وغبائهم في هذا العمل المنكر الذي أشار الجاحظ عليهم، ففي كل زمن يرغبون فيه أن يبتدعوا بدعة وأن يلفقوا كذبة نسبوها إلى الصادق)(*)(٣٢٢).

وكذلك قدّم الشهرستاني ملاحظة أن:

" انقسم الشيعة بعد الصادق على مجموعات أو فرق، كل فرقة رغبت في نشر عقائدها بين اتباعها، ولذلك فإنهم نسبوا ذلك إلى الجاحظ وربطوا أنفسهم به)(٣٢٣).

(*)راجعت كتاب الاسفرائيني المعروف (التبصرة في الدين وتمييز الفرق الناجية عن الفرق الهالكين)، فوجدت أن الحديث الذي اقتبسه المستشرق إنما هو عن فرقة سماها الشيطانية نسبة إلى شيطان الطاق. فمن هو شيطان الطاق؟ إنه محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام بن جابر بن النعمان بن سعيد بن جبير الحارثي العكبري الذي يرجع نسبه إلى يعرب بن قحطان والمشهور بابن المعلم وهو الشيخ المفيد (قدّس سره) وكان من رجال الإمام بقية الله). وكان بارعاً في الجدل والكلام والفقه، وكان يناظر أهل كل عقيدة وله تصانيف كثيرة. وكانت داره في درب رياح ببغداد يحضره كافة العلماء، وكانت له منزلة عند أمراء الأطراف بميلهم إلى مذهبه، كما يقول المؤرخ الحنبلي ابن الجوزي في المنتظم جزء ٨ ص ١١. وتوفي الشيخ المفيد سنة ٤١٣ هجرية. وهو لم يكن مؤسساً لفرقة الشيطانية، وشيطان الطاق نعت نعته به المؤلفون السنّة.

المهم أن نصّ الاسفرائيني الذي ترجمه المستشرق أرتيأت أن أذكر نصّ صاحب التبصرة في الدين نصاً لإبراز مدى صحة ترجمة المستشرق الذي قد ترجمته في أعلاه حرفياً يقول الأسفرائيني وهو يتحدث عن الروافض في هذه الفرقة ما يأتي:

"حتى أنهم لما رأوا الجاحظ يتوسع في التصانيف ويصنف لكل فريق قالت له الروافض صنف لنا كتاباً. فقال لهم لست أدري لكم شبهة حتى أرتبها واتصرف فيها، فقالوا له إذا دللتنا على شيء نتمسك به، فقال: لا أرى لكم وجهاً إلّا أنكم إذا أردتم أن تقولوا شيئاً مما تزعمونه أنه قول جعفر بن محمد الصادق، لا أعرف لكم سبباً تستندون إليه غير هذا الكلام، فتمسكوا بحمقهم وغباوتهم بهذه السوءة التي دلتهم عليها. وكلما أرادوا أن يختلقوا بدعة أو يخترعوا كذبة نسبوها إلى ذلك السيد الصادق وهو عنها منّزه وعن مقالتهم في الدارين بريء حتى حكي عنه أنه قال كادت الروافض أن ينصروا علياً فنسبته إلى العجز وكان المعتزلة أن توحد ربها فشركته وأرادت أن تعدل ربها فجورته أو لفظ هذا معناه). وكما يرى القاريء هذا النص أنه يحتوي على تناقضات كثيرة بين الإمام الصادق وبين الجاحظ من جهة عصريهما، وبين الإمام الصادق والشيخ المفيد الذي ادّعى صاحب التبصرة بأن الشيطانية نسبة إليه (أي شيطان الطاق) وبين الجاحظ الذي نسب مؤلف الكتاب أنه يصنف لأصحاب الفرق والعقائد كتباً داعمة لعقيدتهم. فقول الاسفرائيني ضعيف وقد عبر عنه نفسه بقوله (أو لفظ هذا معناه) [المترجم].

(٣٢٢)الاسفرائيني؛ (التبصير في الدين وتمييز الفرق الناجية عن الفرق الهالكين) (القاهرة؛ مكتبة الخانجي، ١٩٥٥) ص ٤٥. ويروي الاسفرائيني في مكان آخر أن بعضاً من السبأية قد زعموا أن الصادق (كان يعلم كل ما يحتاج إلى معرفته في الدين والدنيا، كل الأمور العقلية والفقهية، إلى درجة أن أي واحد منهم يسأل عن أي موضوع من المواضيع سيكون جوابه "نقول بما يتعلق بهذا الأمر كما قال الصادق" ص ٤٠-٤١ [النص الوارد عند الاسفرائيني هو "ويزعمون أنه – أي الصادق – كان يعلم كلما يحتاج إلى علمه من دين أو دنيا عقلي وشرعي ويقلدونه في جملة أبواب الدين حتى لو سأل واحد منهم يقول إنا نقول فيه بقول جعفر ولا ندري ما قول جعفر فيه". المترجم].

(٣٢٣)الشهرستاني، الملل والنحل [ترجم بعنوان Muslim sects and Divisions ترجمة كل من كازي A.K.Kazi وفلاين J.G.Flynn وطبع في لندن Kegan Paul Internalional في سنة ١٩٨٤) ص ١٦٦. أيضاً ينظر فرق الشيعة الذي أبديت فيه ملاحظة بأنه بعد وفاة الصادق كان هناك جدل ومحاججات بشأن من سيخلفه. فبعضهم منهم قد تبع محمد بن جعفر ويحتجون بحديث عن الصادق يدعم هذا الأمر (ص ٦٤-٦٥) بينما تبع آخرون موسى بن جعفر وكان لهم حديث أيضاً عن الصادق يؤيد موقفهم (ص ٦٧-٦٨).

فالاستشهاد الموجود في كل مكان للصادق على كونه ثقةً وثبتاً ماثلة أو شاهدة للعيان في المجموعات الشيعية الحديثية. ففي مثل هذه الحالات يظهر بوضوح بأن الطبيعة أو الصيغة المتعارضة والمتناقضة للأحاديث قد هربت أو تغيبت عن العقلنة والمنطق. واحد هذه الأمثلة الخاصة بذلك سوف يقدم فائدة وخدمة كتوضيح، وهو المتعلق بإدراك أو إطلاع الإمام بالغيب، أو العلم اللَدُني أو الإلهي ، فكتاب الكليني المعروف بالكافي في علم الدين الذي يحتوي على عدد من الروايات التي تعالج هذا الموضوع والذي يدلي بدليل من التناقضات والتضاربات في رأي الشيعة والرجوع إلى الصادق باعتباره الثقة الثبت والموثق. ففي إحدى الروايات، قال الصادق بغضب:

"يا للعجب! هناك جماعات من الناس أو من الأمة يدعون بأننا نعلم الغيب. ليس هناك من شخص يعلم الغيب إلا الله. فقد أردت أن أضرب خادمتي، لكنها هربت مني غير أني لا علم لدي أين ذهبت أو في أي دار دخلت"[(٣٢٤)].

وعلى أية حال، ففي مجال آخر، في الوقت الذي لم يكن واضحا تماماً القول بأن الإمام عنده علم الغيب، لكنه مع ذلك من الواضح إن هذا، كما قيل، ينسب إليه. فقد زعم أن الصادق قد عزم "أنني أعلم ما موجود في السماء والأرض، وأعلم ما موجود في الجنة وما هو موجود في الجحيم. وأعلم ما كان وما سيكون"[(٣٢٥)].

ومع ذلك فإنه ليس في نيتي أن أكون متورطاً في مناقشة بخصوص أوجه محددة من العقيدة الشيعية. والمسألة المهمة هي أن الصادق كان يعد الشخص المناسب لأن يقرّ بين الآراء المتباينة. والحقيقة التي لابد منها أن كثيرا من الناس الغلاة منهم

[(٣٢٤)] الشيخ عبد الحسين عبد الله المظفر؛ الشافي في شرح أصول الكافي (نجف، مطبعة الغدير الحديثة، بلا تاريخ) ج٣ ص ٢٢٩.

[(٣٢٥)] شرح أصول الكافي ج٣ ص ٢٤١؛ ينظر أيضاً جزء ٣ ص ٣٠١-٣٠٢ إذ أن الصادق أنكر ورفض بشكل قطعي وبات بأن الإمام يعلم الغيب إلا أن الله يخبره عنه إن كان يريد معرفة شيء ما – وهو نوع من موضع وسط بين الاثنين – ومن الطبيعي، إن المشكلة في الزعم أن الصادق عنده علم الغيب لعلها في ما تبدو معادلته بالله. وهنالك عدد من الأمثلة حول هذه الفكرة وهذه التناقضات هي بشكل مماثل واضحة في مكان آخر. ينظر مثلاً مناقب ص ٣٦٧.

والآخرين كان باستطاعتهم تهريب أحاديثهم الملفقة والمزورة في داخل المجموعات الحديثية الشيعية وهم بهذه الصيغة يؤشرون إلى أن أوائل الشيعة كانوا غير متأكدين أو غير موثوقين أو غير معتمدين بشأن مذهبهم وأنهم يسارعون في تقبل الأفكار المتعددة بخصوص عقيدتهم. فمثلاً أن يونس بن عبد الرحمن ذهب إلى الكوفة في زمن الإمام الثامن علي الرضا (المتوفى٢٠٣هجرية/ ٨١٨م) فوجد كثيرا من أتباع الصادق هناك. فحصل أو أحرز على مجاميع من أحاديثهم وعرضها على الرضا. فكذّب الرضا دقة أو صحة كثير من الأحاديث التي احتوتها تلك المجاميع وأبدى ملاحظة بأن اتباع أبي الخطاب ما زالوا يهرّبون smuggling الأحاديث في أحاديثهم حتى الوقت الراهن[٣٢٦] والأحاديث المتوافرة في هذه المجاميع الحديثية لابد أنها كانت من المحتمل مقبولة عند الشيعة في الكوفة وإلا فإنها سوف لن تدخل في تلك المجاميع.

وعلى الرغم من أن الاختلافات على الأمور الفقهية والعقيدية قد ابتدأت خلال زمن الصادق، إلا أن عملية التماسك والتوحد، ومن ثم عملية الشجب والاتهام، لأولئك الذين كانوا يروون الروايات والأحاديث بخلاف الحالات والمواقف العامة والشائعة تلك التي يعتقد لم تتوقف هناك. وبعض تلك الروايات والأحاديث تلك التي نالت وأحرزت على درجة ما من الصدقية والقبول فإنها فيما بعد لا محيص من إبطالها وإلغائها أو أن تتبنى من أجل ملائمة الحاجات المختلفة والظروف المختلفة لفرقة الشيعة المتنامية والمتطورة. وهناك مثال على هذا يتعلق بيونس بن ظبيان، فقد روي أن الصادق قال فيه؛ " الله يبارك فيه وأن يبني له دار في الجنة. فقد كان صادقاً في أحاديثه"[٣٢٧]، وأن هذا الرجل بعينه قد لعنه الرضا بعدئذ وأتهمه بكونه غاليا[٣٢٨].

---

[٣٢٦] معرفة ص ٢٢٤.
[٣٢٧] معرفة ص ٢٦٥.
[٣٢٨] معرفة ص ٣٦٤.

وهناك أيضاً الملاحظة أو الإشارة بخصوص محمد بن الحسن بن شمون، تذكر أنه قد لعن من قبل موسى الكاظم بن الصادق، ومهما يكن، فقد قيل عنه أيضاً مدعوماً من الباقر وأنه قد روى أيضاً عن الصادق، وأشير إليه أنه كان في مرة من المرات مرتبطاً بأولئك الأئمة(٣٢٩).

وعلى الرغم من الحقيقة بأن الصادق والأئمة من بعده قد عبّروا في الواقع عن رفضهم وأستنكارهم لعدد معين من الرواة، فمن المحتمل أن مسألة الشجب والاتهام وكذلك المديح للملائمة، وللصادق على وجه الخصوص، هو بينة ودليل على المحاججات القصدية والجدل العقيدي ضمن الشيعة الأوائل. وفي هذا الشأن، فقد كان الأئمة قد استثمروا وكأنهم الناطقون بلسان الآراء المتنافسة وكان مثل هذا الإجراء متشابهاً مع ذلك الذي تبناهُ السنة في نزاعهم ومقامتهم ضد الأحاديث المزورة تلك التي وجدوها غير مقبولة: فإنهم قد ابتدعوا أحاديث أخرى التي جعلت النبي يدين ويشجب إحداث أحاديث مزورة.

وهكذا، نرى بأن الصادق لم يكن يؤكد فقط على آرائه بالنسبة إلى رفاقه ومساعديه، ولكنه أيضاً كان يمتدح من جهة أولئك الذين ينقلون الروايات والأحاديث على عهدة والده الباقر أو يؤنبهم وينتقدهم بقسوة. وعلى أية حال، فإن الباقر نفسه كان نادراً ما يقوم بذلك. فمثلاً، أن الصادق لعن المغيرة بن سعيد قائلاً "لعن الله المغيرة بن سعيد. فإنه اعتاد أن ينسب الأكاذيب على أبي "يكذّب على أبي" عسى الله أن يذيقه حرارة الحديد"(٣٣٠). وكذلك الحكم بن عتيبة الذي نسب (أو كذّب) الأكاذيب على أبي(٣٣١).

وفي مجال آخر، كتب حنّان بن سدير حديثاً أو رواية كان قد سمعها من رجل في مكة زعم أو ادّعى أنها على عهدة محمد الباقر وأنها تتعلق بشيء ما وفيها أن النبي قالها.

---

(٣٢٩)رجال ص ٢٣٦-٢٣٧.
(٣٣٠)معرفة ص ٢٢٣؛ كذلك ينظر ص ٢٢٤ و ٢٢٥.
(٣٣١)معرفة ص ٢٠٩.

وبعد بضعة أيام كرّر الحديث أو الرواية على الصادق فكذب أن الحديث جاء عن أبيه(٣٣٢).

ومن جانب آخر، فقد كان الصادق كثيراً ما يؤكد في مدحه لعدد من رواة أحاديث والده نظير زرارة بن أعين قائلاً "لو لم يكن زرارة لكانت، كما اعتقد، أحاديث أبي قد ضاعت أو اختفت(٣٣٣))(*).

أما بشأن رواته لأحاديثه الخاصة، فإن الصادق قد امتدح كثيراً داود بن كثير الرقي "ضعوا داود كان قريباً مني كما كان المقداد مع النبي(٣٣٤)"(**)، كان المقداد بن الأسود واحد من أكثر صحابة المفضلين لمحمد. كذلك فقد قال الصادق أيضاً لداود: "أيما شخص يريد أن ينظر واحداً من صحابة الإمام (القائم)، فلينظر إلى هذا الرجل (داود الرقي)"(٣٣٥). وعلى أية حال، ففي مكان آخر، هناك ثمة تلميحات بأن داود الريواس نفسه كان أحد زعماء الغلاة(٣٣٦). ومن الطبيعي، بالإمكان التصور أن داود كان في السابق من صحابة الصادق الموثوقين وأنه لاحقاً فقط أصبح متورطاً في الغلو (والعكس بالعكس). ومهما يكن، أن هذه لا يمكن أن تحسب بالنسبة إلى جميع الأمثلة الأخرى بخصوص مثل هذا التضارب والتناقض في البيّنة.

---

(٣٣٢)الطوسي، كتاب الأمالي (نجف: مطبعة النعمان ١٩٦٤) جزء ١-٢ ص٢٦٢-٢٦٣.
(٣٣٣)معرفة ص ١٣٣؛ وينظر أيضاً ص ١٣٦.
(*)جاء في كتاب أخبار معرفة الرجال (حدثني جعفر بن محمد بن معروف قال حدثني محمد بن الحسين بن أبي الخطاب عن جعفر بن بشير عن أبان بن تغلب عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد اللهأن أباك حدثني أن الزبير والمقداد وسلمان الفارسي حلقوا رؤوسهم ليقاتلوا أبا بكر فقال لي لولا زرارة لظننت أن أحاديث أبي ستذهب ص١٣٣ كذلك ورد على ص ١٣٦ رواية (حدثني حمدويه بن نصير قال حدثني يعقوب بن يزيد ومحمد بن الحسين بن أبي الخطاب عن محمد بن أبي عمير عن إبراهيم بن عبد الحميد وغيرة قالوا قال أبو عبد الله رحم الله زرارة بن أعين لولا زرارة بن أعين ونظراؤه لاندرست أحاديث أبي) م. ص ١٣٦ [المترجم].
(٣٣٤)معرفة ص ٤٠٢.
(**)قال الكشي (حدثني حمدويه وإبراهيم ومحمد بن مسعود قال حدثني محمد بن نصير قال حدثنا محمد بن عيسى بن يونس بن عبد الرحمن عمن ذكره عن أبي عبد الله قال أنزلوا " لقد ترجم المستشرق الفعل انزلوا إلى put) داود الرقي مني بمنزلة المقداد من رسول الله. م.ن ص ٤٠٢ [المترجم].
(٣٣٥)معرفة ص ٤٠٢.
(٣٣٦)معرفة ص ٤٠٨.

ومن المألوف تماماً أن نجد اسم الصادق يستخدم في تأنيب راويةوانتقاده، في الوقت فقط قد امتدحه في مجال آخر. أن ذلك يحدث دون ذكر بأنه عندما يكون هناك حديثان متضاربان أو متناقضان يرويان لكلمات الصادق فيكون من المحتمل جداً أن أحدهما هو مزور وكاذب. ومن بين القضايا الأخرى في هذا الصدد هو الآتي: يحتفظ الكشي بحديث عن زرارة بن أعين إنه قد سأل الصادق حول حديث جابر بن يزيد الجعفي، فأجابه الصادق "أنني قد رأيته مع والدي مرة واحدة فقط، ولم يأتِ إليّ مطلقاً[٣٣٧](*). ومن ثم في حديث آخر يتعلق بجابر، فإن زياد بن أبي هلال (؟) أبدى ملاحظة هي:

"اختلف أصحابنا بخصوص أحاديث جابر الجعفي، لذلك قلت لهم أود أن اسأل أبا عبد الله. وعندما ذهبت لرؤيته فإنه استولى عليّ preempted قائلاً "رحم الله جابر الجعفي. فإنه اعتاد أن يتحدث عنّا بصدق[٣٣٨]"(**).

وقد كان الشيعة يعدّون جابر الجعفي بأنه يروي الأحاديث على عهدة الصادق وأنه قد صنف عدداً من الكتب[٣٣٩]، ففي التضارب الذي نلحظه في الروايتين اللتين سبق ذكرهما ربما يفسر في أن جابراً بالفعل لم يكن على اتصال بالصادق ووالده إلا قليلاً، غير أن الشائع من رأي الشيعة بأنه قد أقرّ وشجع على أهمية أحاديثه وأنه قد استشهد باسم الصادق من أجل شرعنة أحاديثه.

وفي مجال آخر فقد زعم أن الصادق قال:

---

[٣٣٧]معرفة ص ١٩١.

(*)ورد في كتاب الكشي النص على الوفق الآتي (حدثني حمدويه وإبراهيم أبنا نصير قالا حدثنا محمد بن عيسى عن علي بن الحكم عن ابن بكير عن زرارة. قال سألت أبا عبد الله عن أحاديث جابر. فقال: ما رأيته عند أبي قط إلا مرة واحدة. وما دخل عليّ قط) أخبار معرفة الرجال (الطبعة نفسها التي اعتمد عليها المستشرق ص ١٩١) [المترجم].

[٣٣٨]معرفة ص ١٩٢.

(**)كذلك ورد النص عند الكشي: حمدويه وإبراهيم قالا حدثنا محمد بن عيسى عن علي بن الحكم عن زياد بن أبي الحلا (وليس كما ورد في نصّ المستشرق هلال) قال: اختلف أصحابنا في أحاديث جابر الجعفي، فقلت لهم اسأل أبا عبد الله ، فلما دخلت ابتدأني (وقد ترجم المستشرق ابتدائي بكلمة "preempt التي لا تلائم النصّ)، فقال: رحم الله جابر الجعفي كان يصدق علينا، لعن الله المغيرة بن سعيد كان يكذب علينا) م.ن ص ١٩١-١٩٢ [المترجم].

[٣٣٩]رجال ص ٩٣-٩٤.

"هناك أربعة من الأشخاص أحبهم كثيراً أحياءاً وأمواتاً. وهم: بريد بن معاوية العجلي، وزرارة ومحمد بن مسلم والأحول (محمد بن نعمان) هؤلاء هم أحب إليّ(*) أحياءً وأمواتاً"(٣٤٠).

وقال:

"لا يوجد شخص حفظ ذكرنا ولا أحاديث والدي من الأحياء بصرف النظر إلاّ apart from زرارة، وأبو بشر ليث المرادي ومحمد بن مسلم وبريد بن معاوية العجلي من دونهم لا يمكن لأحد أن يكتشف هذا. إنهم كانوا حرّاس الدين وكافلين لأبي ما سمح به الله وما لم يسمح به. فإنهم يتقدموننا في هذه الحياة وفي الآخرة(٣٤١))(**).

(*)ورد عند الكشي ما يأتي (حدثني حمدويه بن نصير عن يعقوب بن يزيد عن القاسم بن عروة عن أبي العباس الفضل بن عبد الملك. قال سمعت أبا عبد الله يقول أحب الناس إليّ أحياءً وأمواتاً أربعة يزيد بن معاوية العجلي وزرارة ومحمد بن مسلم والأحول، وهم أحب الناس إلي أحياءً وأمواتاً) م.ن ص ١٣٥ [المترجم].

(٣٤٠)معرفة ص ١٣٥. وينظر أيضاً كمثال ص ١٧٠.

(٣٤١)معرفة ص ١٣٦-١٣٧. وهناك كثير من مثل هذه الأمثلة ينظر ص ٢٣٨، ٢٣٩.

(**)لكن الكشي في هذه الرواية لم يقل مثل ذلك، واقصد في هذه الإشارة بالذات والرواية التي نصّ عليها الكشي هي: ((حدثني محمد بن قولويه قال حدثني سعد بن عبد الله القمي عن محمد بن عبد الله السمعي عن علي بن أسباط عن محمد بن سنان عن داود بن سرحان قال: سمعت أبا عبد الله يقول إني لأحدّث الرجل بالحديث وأنهاه عن الجدل والمراء في دين الله وأنهاه عن القياس فيخرج من عندي فيتأول حديثي على غير تأويله، إني أمرت قوماً أن يتكلموا ونهيت قوماً فكل تأول لنفسه يريد المعصية لله ولرسوله، فلو سمعوا وأطاعوا لأودعنهم ما أودع أبي أصحابه، أن أصحاب أبي كانوا زيناً أحياء وأمواتاً أعني زرارة ومحمد بن مسلم ومنهم ليث المرادي وبريد العجلي، هؤلاء القوامون بالقسط وهؤلاء السابقون السابقون أولئك المقربون) م.ن ص ١٣٦-١٣٧ [المترجم].

وأورد الكشي رواية أخرى على صفحة ٢٣٨-٢٣٩ بنفس الإسناد السابق وحدثنا الحسين بن الحسن بن بندار القمي حدثني سعد بن أبي خلف القمي قال حدثني محمد بن عبد الله المسمعي عن علي بن أسباط عن محمد بن سنان عن داود بن سرحان قال سمعت أبا عبد الله يقول إني لأحدث الرجل بحديث وأنهاه عن الجدال والمراء في دين الله تعالى وأنهاه عن القياس فيخرج من عندي فيتأول حديثي على غير تأويله، إني أمرت قوماً فيتأول أن يتكلموا ونهيت قوماً فكل تأول لنفسه يريد المعصية لله ولرسوله، فلو سمعوا وأطاعوا لأودعنهم ما أودع أبي أصحابه، إن أصحاب أبي كانوا زيناً أحياءً وأمواتاً أعني زرارة ومحمد بن مسلم ومنهم ليث المرادي وبرير العجلي، هؤلاء السابقون السابقون أولئك المقربون)م.ن [المترجم].

وأورد الكشي رواية أخرى سندها (حدثني حمدويه قال حدثني يعقوب بن يزيد عن أبن أبي عمير عن هشام بن سالم عن سليمان بن خالد الأقطع قال سمعت أبا عبد الله يقول ما أحد أحيا ذكرنا [ترجمها المستشرق حفظ ذكرنا] وأحاديث أبي إلا زرارة وأبي بصير ليث المرادي ومحمد ابن مسلم وبرير بن معاوية العجلي ولولا هؤلاء ما كان أحد يستنبط هذا، هؤلاء حفاظ الدين أمناء أبي على حلال الله وحرامه، وهم السابقون إلينا في الدنيا والسابقون إلينا في الآخرة) م.ن ص ١٣٦-١٣٧ [المترجم].

وفي حالة معكوسة، فإنه أيضاً روى قائلاً: "لعن الله بريد ولعن الله زرارة"(٣٤٢)، وقوله "لا أحد أبتدع في الإسلام كما ابتدعه زرارة. لعنة الله عليه. هذا قاله أبو عبد الله"(٣٤٣)، و "لعن الله محمد بن مسلم. إنه كان يقول أن الله لا يعرف شيئاً حتى يحدث أو يقع "(٣٤٤).

وبطريقة مماثلة، فعلى الرغم من أن هناك عدداً من الأمثلة حيث يمتدح الصادق أبا بشر، ففي مجال آخر فقد روي بأن أبا بشر على الرغم من كونه ليس غالباً لكنه كان يعمد إلى يفسد الأحاديث(٣٤٥).

وفي مكان آخر، فإن الصادق يشير بوضوح إلى سالم بن أبي حفصة وأبي الجارود قائلاً: "أنهما كاذبان. كانا يأتياني ويقول أنهما يرويان عني بدقة. لكن هذه ليس هي المسألة: كانا يصغيان إلى أحاديثي ويزورانها(*)(٣٤٦). إلا أن النجاشي في كتابه الرجال يقول: أن سالم بن أبي حفصة الكوفي (المتوفى ١٣٧هـ/ ٧٥٤م) كان يعدّ ثقة(٣٤٧)، في الوقت ذاته فإن النجاشي في المصدر نفسه، ليس هنالك من ذكر إلى أبي الجارود وكونه مشتبه في مصداقيته(٣٤٨).

وهناك مرافق أو مساعد آخر للصادق، وهو يونس بن ظبيان، وقد تلقى يونس المعالجة نفسها. إذ ذكر بأنه قد لعن واتهامه بالغلو(٣٤٩)، وفي مكان آخر فقد ورد حين

---

(٣٤٢)معرفة ص ١٤٨-١٤٩ وكذلك ص ٢٤٠.
(٣٤٣)معرفة ص ١٤٩، وينظر أيضاً ص ١٥٠، ١٦٠.
(٣٤٤)معرفة ص ١٦٩.
(٣٤٥)معرفة ص ١٧٣.
(*)أورد الكشي الرواية الآتية (علي بن محمد قال حدثني محمد بن احمد عن العباس بن معروف عن أبي القاسم الكوفي عن الحسين ابن محمد بن عمران عن زرعة عن سماعه عن أبي بصير قال ذكر أبو عبد الله كثير النواء وسالم بن أبي حفصة وأبا الجارود فقال. كذابون مكذبون كفار عليهم لعنة الله. قال قلت جعلت فداك كذابون قد عرفتهم فما معنى مكذبون قال كذابون يأتونا فيخبرونا أنهم يصدقون وليس كذلك ويسمعون حديثنا فيكذبون له) م.ن ص ٢٣٠ [المترجم].
(٣٤٦)معرفة ص ٢٣٠.
(٣٤٧)رجال ص ١٣٤.
(٣٤٨)رجال ص ١٢١.
(٣٤٩)معرفة ص ٢٦٣.

وفاة إحدى بنات الغالي أبي الخطاب فكان يونس واقفاً إلى جانب قبرها ويقول (السلام عليك يا بنت النبي)[*][٣٥٠] وفي رواية أخرى ورد أن الصادق يقول له (رحمة الله عليه عن الله أن يبني له داراً في الجنة، والله أنه كان مأموناً في الأحاديث[**])[٣٥١].

كان حكم الكشي صحيحاً جداً بقوله أن الحديث الأخير هذا هو حديث مزور وذلك لأنه يتعارض مع الروايات السابقة. لكنها توضح تماماً جداً بأن تأييد (وشهادة الصادق قد تم الاستشهاد بها من أجل إصدار أو إعطاء حكماً على عدد معين من الرواة).

فالمناقشة بخصوص النسبة المنحولة والزائفة تلك التي كان الصادق موضوعاً لها لابد وأنها ولدت شكوكاً جدية بشان مدى الموثوقية في الأحاديث التي نسبت إليه في المؤلفات الشيعية. ولعله من إحدى الملاحظات الأخرى المتعلقة بذلك يمكننا ذكرها ها هنا. وإن مثل هذه الملاحظات لم تلطف أو تخفف ببحث أو فحص لطبيعة أحاديث الصادق ضمن المؤلفات السنّية. هناك واحد من التناقضات والتعارضات الجديرة بالملاحظة والاهتمام بين مؤلفات الحديث الشيعية والسنّية هو أنه ليس هنالك في الأحاديث السنية أحاديثاً ذات طبيعة فقهية أو شرعية على نحو كامل قد نسبت إلى الصادق، نظير البيوع والديون وتحرير العبيد والمواريث والعقود وما إلى ذلك فها هنا، أن أحاديث الصادق تتعلق بأمور تخص الشعائر الإسلامية؛ ونصفها تخص الحج، يعقبها الصلاة والوضوء ومنوعات من شؤون أخرى بضمنها آراء أخلاقية عامة.

---

[*] والنص عند الكشي هو (حدثني أحمد بن علي قال حدثني أبو سعيد الآدمي عن أبي القاسم عبد الرحمن بن حماد عن ابن فضال عن غالب بن عثمان عن عمار بن أبي عنبسة قال: هلكت بنت لأبي الخطاب فلما دفنها – أطلع يونس بن ظبيان في قبرها فقال: السلام عليك يا بنت رسول الله) م.ن ٣٦٤.(المترجم)

[٣٥٠]معرفة ص ٣٦٤.

[**] يقول الكشي: (حدثني محمد بن قولويه عن سعد بن عبد الله بن أبي خلف القمي عن الحسن بن علي الزيتوني عن أبي محمد القاسم الهروي عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم قال: سألت أبا عبد الله عن يونس بن ظبيان فقال: رحمه الله وبنى له بيتاً في الجنة، كان والله مأموناً على الحديث) م.ن ص ٣٦٥ [المترجم].

[٣٥١]معرفة ص ٣٦٥.

والواقع، فإن في العشرة أحاديث من الأحاديث الجعفرية في كتاب الموطأ لمالك، ستة منها تتعلق بالحج. وهذه تختلف كثيراً عن طبيعة الأحاديث الجعفرية في المؤلفات الشيعية حيث نجد هناك ميل شديد وجدير بالملاحظة نحو النموذج الشرعي تماماً للحديث.

وهذا من المحتمل يجسد الخصائص الأساسية بالإشارة إلى كتاب من لا يحضره الفقيه لابن بابويه. ففي هذا الكتاب يروي الصادق أكثر من نصف الأحاديث بخصوص العبادات، نظير ما له علاقة بالحج، والعمرة، الوضوء والصلاة، في حين أنه يروي حوالي ٦٥٪ من الأحاديث المتعلقة بمواضيع شرعية أو فقهية، نظير البيوع، وشراء العبيد، الشراكة الصامتة أو الموصية silent partnership واستصلاح الأراضي، والحدود، والرهون، والديات، والأحكام والقضاء والشهود، وما إلى ذلك من موضوعات[٣٥٢]. وفي مجموعة حديثة لأحاديث الصادق لعلنا نرى أعدادا كثيرة من الأحاديث الشرعية المنسوبة له: فحوالي أكثر من الأحاديث الواردة في الستة أجزاء من كتاب فقه الإمام جعفر الصادق لمحمد جواد مغنية[٣٥٣] تتعلق على نحو كامل على المسائل الشرعية أو الفقهية: الديون، الرهون، وحقوق التصرف power of disposal وما إلى ذلك من موضوعات. فهذا الاختلاف في مسألة الموضوع من الصعب علينا أن نوفق إلى تسويته من دون الاعتراف بأن كثيراً بل أكثر الأحاديث الشرعية أو الفقهية قد نسبت زيفاً وأنها لا تمثل الميدان العام لاهتمامات الصادق وخبراته[*].

[٣٥٢]وقد توصل إلى هذا من تدقيق وفحص بحوالي ١٢٠٠ شعيرة وأحاديث شرعية حددت مواضعها في كتاب الاستبصار للطوسي وكتاب من لا يحضره الفقيه لابن بابويه (بيروت، دار شعب، دار التعارف، ١٩٨١).

[٣٥٣]مغنية M.J.Mughniya؛ فقه الإمام جعفر الصادق (بيروت، دار الجواد، ١٩٦٥).

[*]لا أعتقد بأن المستشرق صائب في هذا الاستنتاج لعدة أمور، فهو لم يصدّقها لأن مالك في موطأه لم يشر إليها وهذا رأي باطل تماماً وذلك لسبب مذهبي واضح. وهو من جانب معاكس لا يصدقها لأن المؤلفات الفقهية الشيعية قد أوردتها فهل في هذا التوجه ميلاً نحو التحزب إلى ما يراه مالك عن ذلك الذي يراه ابن بابويه؟! [المترجم].

فالأحاديث التي تشكل نظام العقيدة الخارجي للإمامية، قد اعتمدت على من اعتنقها من مختلف الفرق المتصارعة داخل حركة التشيع، وليس هناك واحدة من هذه الفرق تدعي بصدق بأن أحاديثها التي وردت عن الصادق هي صادقة عن تلك الأحاديث التي اعتنقتها الفرق المعارضة. وإجمالاً، فليس هنالك من سبب لأن نعتبر المجموعة الجعفرية التي حفظت ضمن المؤلفات الشرعية الإمامية أكثر صدقية عن الأحاديث التي قد رفضت.

ومع ذلك، فإن ظهور الأحاديث الشيعية، كان له تأثيرٌ مهم جداً على السياق المستقبلي للمشاعر المؤيدة للطالبيين وأنها كانت أساسية في مسألة بلورة مختلف السبل للتشيع باتجاهه إلى فرقة. فهل أن المؤيدين الشيعة الأوائل غير قادرين على تدوين أو صياغة واستنباط مرتبة أو منزلة عقائدية نقيضاً للسلطة الحاكمة والجماعات المهمة الأخرى؟ وكذلك أن يفردوا ويدونوا مجموعة قواعد أو قوانين ليجعلوا سلطة الأئمة أكثر حياة.

وأن النتيجة المهمة كثيراً، في التوحد الوليد للمذهب، لم يكن فقط بمقدور الشيعة في النهاية أن يحددوا معنى الارثوذكسية السنية، ولكنهم أيضاً كان بمقدورهم أن يحددوا معنى (الهرطقة والغلو) وهكذا يسموا وأن يفرضوا الانضباط والنظام على أولئك الذين تجاوزوا حدود المقبولة. وبهذه الطريقة فإن الوحدة والتماسك لأكثرية الجماعات الشيعية قد صينت وأبقي عليها إلى درجة كبيرة.

وفي التحليل الختامي، فإن الأحاديث الشيعية قد تمت المحافظة عليها وإدخارها وإقرارها أو الاعتراف بها كإيدلوجية التي يتمكن الناس من إقرارها وتأييدها؛ وإنها تظهر الشيعة كوجود موجود وحي وأنه قد وجد وجعا في الوقت المحدد، ويؤكد ويعزز استمراريتهم الاجتماعية، ويجعله شرعياً ويوفر الهوية الذاتية. التشيع يشرعن إدراكهم وفهمهم – الشيعة – للماضي، الذي بدوره يشرعن حاضرهم.

أحاديث الصادق تمثل المنزلة الفقهية والعقيدية للشيعة، وعملياً فإن تاريخيته لابد في نهاية المطاف تكون أقل أهمية من حقيقة وجوده.

نبذة عن السيرة العلمية لمؤلفة بحث

العلامة الحلّي والفقه الشيعي المعتزلي

البروفسورة زابينة إشميدتكه استاذة الدراسات الإسلامية في جامعة فريه في برلين في مركز الدراسات الإسلامية

Freie Universität Berli, Research Unit Intellectual History of the Islamicate World, Institut für Islamwissenschaft,

اهتماماتها :- تاريخ الفقه ، والتاريخ الإسلامي . لها عطاء علمي كثير إن كان كتبا أو بحوثا ودراسات وحضور في المؤتمرات والإسهام في دراسات مشتركة . فضلا عن ذلك فإنها كتبت في اللغات العربية والفارسية والإنجليزية والألمانية. أهتمت بشكل رئيس في أدب المعتزلة وحقيقة إنها وصفت بكونها قد أحيت أدب هذه الفرقة الإسلامية بدراسات كثيرة وقيّمة . وموازنة المعتزلة مع الشيعة والأشعرية . ومن بين مؤلفاتهاالمتعددة نشير الى ما له علاقة بالتشيع :-

١- التشيع المهمل: دراسات في التاريخ الفكري والشرعي عند المعتزلة . نشرت البحثفي مجلة آربيكاالمجلد السادس

The neglected Šīʿites: Studies in the legal and intellectual history of the Zaydīs

٢- فقه الإثني عشري في سوريا في القرن السادس الهجري الثاني عشر للميلاد:- عبد الحمن بن علي بن محمد الحسيني وشرحه على مقدمة الشيخ الطوسي

Twelver Shī∟ite Theology in 6th/12th century Syria. ∟Abd al-Ra∟mān b. ∟Alī b. Mu∟ammad al-∟usaynī and his Commentary on al-Shaykh al-∟ūsī's Muqaddima.

٣- فقه معتزلة البصرة : كتاب الأصول لأبي علي بن خَلاّد

Ba∟ran Mu∟tazilite Theology: Abū ∟Alī Mu∟ammad b. Khallād's Kitāb al-u∟ūl and its reception. A Critical Edition of the Ziyādāt Shar∟ al-u∟ūl by the Zaydī Imām al-Nā∟iq bi-l-∟aqq Abū ∟ālib Ya∟yā b. al-∟usayn b. Hārūn al-Bu∟∟ānī (d. 424/1033).

٤- الفقه والفلسفة والتصوف في الإسلام الشيعي الإثني عشري في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي : الأحسائي

Theologie, Philosophie und Mystik im zwölferschiitischen Islam des 9./15. Jahrhunderts. Die Gedankenwelt des Ibn Abī ∟umhūr al-A∟sā∟ī (um 838/1434-35 - nach 906/1501)

المحور الثالث

الفصل السابع: من أعلام الفكر الشيعي الإمامي (العلامة الحلي)

البروفسور زابينة إشميدتكه

Sabine Schmidtke

الفصل السابع

من أعلام الفكر الشيعي الإمامي (العلامة الحلي)

حسن بن يوسف بن المطهّر الحلّي،الذي يعرف عادة بلقبه العلامة الحلّي (٦٤٨هـ/١٢٥٠م- ٧٢٦هـ/١٣٢٥م)(*) إنه بالتأكيد شخصية علمية معروفة بين أوساط العلماء الغربيين المتخصصين في الإسلام. وواقعاً فإنه فقد تمّ الاعتراف، منذ مدة طويلة ،بالاسهامات الرئيسة لهذا العلامة تلك التي أسهمت في تطوير الفقه الشيعي ؛ وأن مؤلفاته وأعماله الشرعية والفقهية تعدّ الآن بين صفوف المجتمع الشيعي وكأنها تتصدر المؤلفات الأكثر صدقية وموثوقية في هذا الميدان في قرنه. والأكثر من هذا، فإن العلّامة قد أسهم في كتابات مهمة في ميدان (أصول الفقه Methodology of Law) إذ أنها ولاسيما كتابه (كتاب مبادىء الوصول إلى علم

(*)ولد الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي المعروف بالعلامة الحلي في ٢٩ رمضان سنة ٦٤٨ هـ في مدينة الحلة.ولد العلامة في أسرة علمية و قد بدأ بتحصيل العلم منذ طفولته و قد تعلم الأدب العربي و المقدمات و العلوم العصرية في الحلة عند أبيه و سائر علماء المنطقة الكبار، وكذلك عند خاله المحقق الحلي وابن عم أمه الشيخ نجيب الدين يحيى بن سعيد والسيد أحمد بن طاوس ورضي الدين علي بن طاوس و الحكيم المشهور ابن ميثم البحراني مؤلف شرح نهج البلاغة.أكمل المقدمات ونال درجة الاجتهاد و لم يبلغ سن التكليف و منذ ذلك الوقت اشتهر بنبوغه و ذكائه و فضله و كانت له البشارة بمستقبل زاهر.وتتلمذ على علماء غصره المعرفين في أفكارهم ومؤلفاتهم الكثية نظير:- الخواجة نصير الدين الطوسيوالمحقق الحليوالشيخ سديد الدين يوسف والسيد أحمد بن طاوسوالسيد علي بن طاوسوحيثم بن علي بن ميثم البحرانيوالشيخ نجيب الدين يحيى بن سعيدوالشيخ تقي الدين عبد الله بن جعفر بن علي الصباغ الكرخي الحنفي. لقد تبين من تصريحه وتصريح والده باسمه، أنه الحسن، وأن كنيته أبو منصور.ولكنه لم يشتهر بهذه الكنية، بل اشتهر بكنية أخرى هي ابن المطهر نسبة إلى جده الأعلى وله عدة ألقاب.أشهرها العلامة وهو الذي خص به حتى أصبح علما له، فلا يتبادر إلى الذهن غيره في إطلاق الفقهاء، ولقب أيضا بالفاضل. وأما عند المتكلمين والمؤرخين فأشهر ألقابه جمال الدين، ويميز عن غيره بالإضافة إلى كنيته المشتهرة - ابن المطهر - ولقب أيضا في المصادر الإمامية ب: آية الله.والده:هو الشيخ الإمام سديد الدين، يوسف بن المطهر.إن من كبار العلماء وأعاظم الأعلام، وكان فقيها محققا مدرسا عظيم الشأن، ينقل ولده العلامة أقواله في كتبه.وحينما حاصر الشاه المغولي، هولاكو خان مدينة بغداد وطال الحصار وانتشر خبره في البلاد، وسمع أهل الحلة بذلك.(المترجم)

الأصول) وكتابه الآخرالذي من الضروري الإشارة اليه لأنهالأكثر شمولية وسعة وهو (كتاب نهاية الوصول إلى علم الأصول).

أصبح الحلّي معروفاً كعالم ثقة في الفقه والثيولوجي الشيعي بشكل خاص بسبب ترجمة قانونه أو عقيدته في ما يعرف(الباب الحادي عشر) معاً مع شرح الفاضل المقداد السيوري suyuri (المتوفى ٨٢١هـ/١٤١٨م)عليه من قبل ميللر W.M.Miller إلى اللغة الإنجليزية التي نشرت في سنة ١٩٢٨. وأن رسائله وبحوثه المختصرة جداً عن الفقه خاصة قد درست وتدرس من قبل الشيعة وحتى الوقت الحاضر ؛ كما أنهاأتّخذت نصوصا منهجية أساسية في الفقه.

فآراء الحلّي بشأن الإمامة كما يظهر ذلك في كتابه منهاج الكرامة في الإمامة ذلك [٣٥٤]الكتاب الذي فنّده أو دحضه ابن تيمية في كتابه (كتاب منهاج السنّة) قد درس بعناية فائقة من قبل هنري لاوست Henri Laoust من خلال عدد من البحوث التي نهد فيها.

فالبحث الحالي سوف يحاول اختصار ورسم الخصائص الأساسية للآراء الفقهية للعلامة الحلّي موازنة مع التطورات الوثيقة الصلة الأخرى التي شهدها الفكر الإسلامي. آخذين بنظر الاعتبار بأن العلامة الحلّي كان في الأساس ينتمي إلى مذهب المعتزلة الجديد الأخير في التشيع. والبحث سينقسم إلى قسمين: فالقسم الأول سيوفر ربما موجزاً لتطور الفقه الشيعي حتى زمن الحلي، أما الثاني فسيكون متعلقاً بصورة رئيسة على آراء الحلّي الفقهية وسيوفر محاولة لإبراز منزلة الحلّي في تطور علم الكلام الشيعي بما له علاقة بالمذاهب الفقهية في الإسلام.

انشغل الفقهاء الإماميون الأوائل في المناقشات والمجادلات الفقهية بالفعل في القرن الثاني للهجرة، بمعنى في زمن الإمام السادس جعفر الصادق (المتوفى ١٤٨هـ/٧٦٥م). وكان الممثلون الرئيسيون في ذلك الجدل الفقهي محمد بن النعمان، الذي يدعي عادة (بشيطان الطاق) بينه وبين خصومه، وزرارة بن أعين (المتوفى ١٥٠هـ/٧٦٧م) وهشام بن سالم الجواليقي وهشام بن الحكم (المتوفى ١٧٩هـ/ ٧٩٥-٧٩٦م). ولكن أياً من كتاباتهم ومؤلفاتهم موجودة وإن معرفتنا بشأن آرائهم الفقهية محدودة بحدود عناوين مؤلفاتهم التي رواها ابن النديم والشيخ الطوسي وكذلك الروايات الأخرى لكتّاب الفرق الآخرين وخاصة الأشعري.

وقد تميزت أو وصفت المذاهب أو العقائد doctrine الفقهية بكونها غير متفقة ومختلفة(*)مع الآراء المقبولة عموماً عند المعتزلة وكذلك أيضاً مع آراء الشيعة المتأخرين.

وبالنسبة إلى بعض من مواقفهم، فإن التماثلات والتشابهات يمكن وجودها بين هؤلاء الفقهاء الإمامية الأوائل وبين المحدثين السنّة، نظير الحالة حينما يدعمون أو يؤكدون (الله) هو حال في الفضاء، أعني عرشه، أو عندما يعزون الحركة إلى الله. وعلى أية حال، فإن المفكرين والعلماء الإمامية وبخاصة في تعاليمهم بشان صفات الله، لا يتفقون مع باقي الفرق الإسلامية . فإنهم يرفضون مفهوم الصفات الإلهية

(*)راجعت كتاب العلّامة الحلّي (نهج الحق وكشف الصدق) في الفصل الخاص بصفات الله تعالى وفيه ينص على الآتي ردّا منه على الآراء المعتزلية فيقول : إنه تعالى قادر على كل مقدور. الحق ذلك، لأن المقتضي لتعلق القدرة بالمقدور هو الامكان، فيكون الله تعالى قادرا على جميع المقدورات.وخالفت في ذلك جماعة من الجمهور. فقال بعضهم: إن الله تعالى لا يقدر على مثل مقدور العبد. وقال آخرون: إنه تعالى لا يقدر على غير مقدور العبد. وقال آخرون: إنه تعالى لا يقدر على القبيح. وقال الآخرون:إنه تعالى لا يقدر أن يخلق فينا علما ضروريا يتعلق بما علمناه مكتسبا .وكل ذلك بسبب سوء فهمهم، وقلة تحصيلهم، والأصل في ذلك: أنه تعالى واجب الوجود، وكل ما عداه ممكن، وكل ممكن فإنه إنما يصدر عنه. ولو عرف هؤلاء الله حق معرفته لم تتعدد آراؤهم، ولا تشعبوا بحسب ما تشعب أهواؤهم.(نهج ، تقديم السيد رضا طبع سنة ١٤٢١)ص٥٣-٥٤

الأساسية تلك التي لا تخضع إلى التغيير ؛ ويؤكدون أو يدافعون بالأحرى عن أن جميع الصفات الإلهية خاضعة لحركة من التغيير المستمر. فالله لا يعلم مثلاً جميع الأشياء من اللانهائية eternity وذلك لأن هذا يستوجب سرمدية أو لا نهائية الأشياء(*) وبالأحرى فإنه يعلم فقط الأشياء الكائنة والموجودة.

أما بخصوص إشكالية أعمال الإنسان، فإن العلماء الشيعة يؤيدون مفهوم حرية الاختيار. ومن الجهة الأخرى، على أية حال فإنهم يخالفون المعتزلة بأن الإنسان هو الخالق أو الموجد الوحيد لأعماله وأنهم بالأحرى يعتنقون موضعاً وسطاً بين أنصار الجبر Constraint وموقف المعتزلة في التفويض empowerment فمثلاً على ذلك نرى أن هشام بن الحكم يؤكد بأنه على الرغم من إمكانية تحديد عمل الإنسان وذلك باختياره طالما أن ذلك هو نتيجة من نتائج إرادته، لكنه مع ذلك هو مجبور في عمله وذلك لأنه بحاجة إلى الفرصة أو السبب الذي يحدثه الله لعمله.

ومهما يكن، فإن نظرية الإمامة كما طوّرها ونمّاها هشام بن الحكم قد ظلّت الأساس للتطور الكامل للعقيدة الإمامية في الفترات المتأخرة(**). فالبشرية تحتاج

(*) وكذلك أورد العلّامة بهذا الشأن رأيا مخالفا لما قال به الحنابلة " في أنه تعالى ليس بجسم.أطبق العقلاء على ذلك إلا أهل الظاهر، كداود، والحنابلة كافة، فإنهم قالوا: إنه تعالى جسم يجلس على العرش، ويفضل عنه من كل جانب ستة أشبار بشبره، وأنه ينزل في كل ليلة جمعة على حمار، وينادي إلى الصباح:هل من تائب، هل من مستغفر؟ " وحملوا آيات التشبيه على ظواهرها .والسبب في ذلك قلة تمييزهم وعدم تفطنهم بالمناقضة التي تلزمهم، وإنكار الضروريات التي تبطل مقالتهم، فإن الضرورة قاضية بأن كل جسم لا ينفك عن الحركة والسكون، وقد ثبت في علم الكلام: أنهما حادثان. والضرورة قاضية: أن ما لا ينفك عن المحدث فإنه يكون محدثا، فيلزم حدوث الله تعالى. والضرورة الثانية قاضية بأن كل محدث مفتقر إلى محدث، فيكون واجب الوجود مفتقرا إلى مؤثر، ويكون ممكنا، فلا يكون واجبا، وقد فرض أنه واجب، هذا خلف.وقد تمادى أكثرهم، فقال: إنه تعالى يجوز عليه المصافحة، وأن المخلصين يعانقونه في الدنيا .وقال: داود : اعفوني عن الفرج، واللحية، واسألوني عما وراء ذلك. وقال: إن معبوده جسم ذو لحم، ودم، وجوارح، وأعضاء، وأنه بكى على طوفان نوح، حتى رمدت عيناه، وعادته الملائكة لما اشتكت عيناه.! (المترجم) .

(**) رأي العلّامة الحلّي يتضح في قوله "ذهبت الإمامية ومن وافقهم من المعتزلة، إلى أن الله تعالى لا يفعل القبيح، ولا يخل بالواجب. بل جميع أفعاله تعالى حكمة وصواب، ليس فيها ظلم، ولا جور، ولا عدوان، ولا كذب، ولا فاحشة، لأن الله تعالى غني عن القبيح، وعالم بقبح القبيح، لأنه عالم بكل المعلومات وعالم بغناه عنه. وكل من كان كذلك فإنه يستحيل عليه صدور القبيح عنه، والضرورة قاضية بذلك، ومن فعل القبيح مع الأوصاف الثلاثة استحق الذم واللوم. وأيضا الله تعالى قادر، والقادر إنما يفعل بواسطة الداعي، والداعي: إما داعي الحاجة، أو داعي الجهل، أو داعي الحكمة..فأما داعي الحاجة، فقد يكون العالم بقبح القبيح محتاجا إليه، فيصدر عنه دفعا لحاجته. وأما داعي الجهل، فبأن يكون القادر عليه جاهلا بقبحه، فيصح صدوره عنه. وأما داعي الحكمة، بأن يكون الفعل حسنا فيفعله لدعوة الداعي إليه. والتقدير أن الفعل قبيح فانتفت هذه الدعاوى، فيستحيل القبح منه تعالى. في حين

دائماً إلى الإمام الهادي والمهدي من السماء كمرجع في المسائل الدينية. والإمام معصوم لكنه لم يتلق الوحي الإلهي. وأن كل إمام من الأئمة كان يعين أو ينصب من الإمام السابق بالنص explicil appointment وأن أي من الناس لا يعرف أمام عصره أو زمانه فهو كافر.

وبعد وفاة هشام بن الحكم الذي اختلف في مرات عن مواقف الممثلين الآخرين للمذهب وذلك لأنه كان واقعاً تحت تأثير المذاهب الثنوية، فإن عقائد المذهب قد تواصلت واستمرت بعض الوقت. ذلك بسبب معارضة كل من الفقهاء الشيعة المنافسين وكذلك من المحدّثين الشيعة الذين وقفوا معارضين الانشغال أو الانهماك في الكلام بصورة عامة، وسرعان ما أصبح المذهب هذا مندرساً.

فالمدرسة الفقهية الإمامية الأولى، على الرغم من كونها مستقلة، قد أكدت على مواقف مشابهة جداً للآراء المعتزلة الرئيسة قد تأسست أو وجدت من قبل بني نوبخت.

وممثلاً آل نوبخت الرئيسان هما: أبو إسماعيل بن علي بن أبي سهل النوبختي (المتوفى ٣١١هـ/٩٢٣-٩٢٤م) وابن أخيه أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي (المتوفى بين سنتي ٣٠٠هـ/٩١٢ وسنة ٣١٦هـ/٩٢٣).

وبما أنه ليس هنالك أي من مؤلفاتهما قد بقي حياً، فبوسعنا الاستنتاج من عنوانات مؤلفاتهما على مكانتهما العلمية وعلى مواقفهما فالمصدر الثانوي الأساس لإعادة مباني آرائهما هو كتاب (أوائل المقالات) للشيخ المفيد (المتوفى ٤١٣هـ/١٠٢٢م) إذ نجد آرائهما قد ذكرت على نحو منتظم.

وذهبت الأشاعرة كافة، إلى أن الله تعالى قد فعل القبايح بأسرها، من أنواع الظلم، والشرك، والجور، والعدوان، ورضي بها، وأحبها فلزمهم من ذلك محالات (المترجم).

ومما ينبغي ذكره هنا أن (كتاب الياقوت) الذي ألفه أبو إسحاق إبراهيم بن نوبخت والذي كتب عليه الحلي شرحاً بعنوان (أنوار الملكوت في شرح الياقوت) لا يعكس آراء بني نوبخت بوضوح. ولذا فالمعتقد أن هذا الكتاب قد ألف بعد قرن أو عدة قرون على الأقل من سنة ٣٤٠هـ/٩٤١ السنة التي كانت قد اقترحها عباس إقبال في دراسته عن آل نوبخت. وبالإمكان دعم هذا الرأي بالحقيقة أن أبا إسحاق هذا قد يعتقد بآراء ومواقف تتماثل وتتطابق بصورة اعتيادية مع آراء (أبي الحسين البصري) (المتوفى ٤٣٦هـ/١٠٤٤م) وبما أنه من غير المحتمل كثيراً بأن أبا الحسين البصري قد تابع مثل هذا المؤلف المجهول، كما أعتقد الحلي بخصوص أحد الأسئلة، فعندئذ قد يرى المرء أن أبا إسحاق ينتمي إلى أولئك الشيعة المعتزلة ممن كانت آراؤهم الفقهية قد تأثرت بآراء مدرسة أبي الحسين البصري.

وافق بنو نوبخت المعتزلة في نظرياتهم الأساسية في توحيد الله وخالفوا أي مفهوم تجسيمي لله وعدله وأنهم أثبتوا حرية إرادة الإنسان وعارضوا أو خالفوا الرأي على أن الله هو الخالق لأعمال الإنسان. على الرغم من أنهم اعتقدوا بقوة بالمذهب الإمامي، ونتيجة لهذا فقد اختلفوا مع المعتزلة في بعض الأمور المتعلقة بذلك الأمر، وكانوا أقرب من المعتزلة بخصوص بعض المسائل في الفقه من فقهاء شيعة متأخرين. وأنكروا مثلاً بأن الأئمة لهم معجزات، ووافقوا المعتزلة بأن هناك اختلافاً كاملاً بين الذنوب الكبيرة والصغيرة وأثبتوا بطريقة مماثلة الأبطال المشترك بين الأعمال الخيرة والأعمال الشريرة. ومهما يكن، فإنهم أنكروا ضداً بالمعتزلة توسط وضعية بين المؤمن وغير المؤمن، الكافر وأنهم قد أثبتوا مذهب شفاعة النبي والأئمة في يوم القيامة بخصوص الآثم الحقير لمجتمعهم ودعموا بأن القرآن قد تعرض إلى حذوفات وإضافات(٣٥٥).

وقد جاءت المعارضة القوية للكلام الذي طبقه آل نوبخت الذي من المعتقد أنه آل إلى اندراس هذه المدرسة من قبل المحدثين الشيعة بممثلهم الأكثر أهمية أبو جعفر محمد بن أبي الحسن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (المتوفى ٣٨١هـ/٩٩١).

فالمحدثون الإمامية شأنهم شأن نظرائهم من أهل السنّة قد رفضوا بصراحة استخدام العقل في المناقشات والجدالات الدينية، وعلى أية حال فإن الحديثية أو التقليدية tradionalism الشيعية بخلاف الحديثية أو التقليدية السنية شاطرت عدداً من المفاهيم الحاسمة والفاصلة مع المعتزلة(*). وهذه الحالة كما يبدو هي السبب بمغادرة المعتزلة في نهاية المطاف لكي يكونوا تياراً دينياً مسيطراً أو سائداً في التشيع بينما لم تحقق التقليدية أبداً مثل هذا المكانة القوية كما فعلت في التقليدية السنّية(). وهذا الاتجاه العام للتقليدية الشيعية يرجع إلى الوراء إلى زمن الإمام جعفر الصادق، إذ أن أقوال بعضهم قد أيدت موقفاً وسطاً بين التقليدية السنّية ومذهب أو عقيدة المعتزلة، وأعني بذلك حول مشكلة حرية الإرادة قبالة القضاء والقدر. وهناك أحاديث كثير منها قد نسب إلى الإمام الثامن الرضا (المتوفى سنة ٢٠٣هـ/٨١٨م) تدعم مفهوم أو فكرة الله التي هي بجانبها العقلي والتجريدية أقرب إلى المعتزلة منه إلى رأي أو فكرة المحدّث السنّي. وقد اعتمد ابن بابويه عادة في آرائه على تلك الأحاديث التي كانت مقاربة إلى موقف المعتزلة.

(*)ذهب جماعة من معتزلة البصرة «كأبي يعقوب الشحّام» و «أبي علي الجبّائي» وابنه «أبي هاشم» و«أبي الحسين الخيّاط» و «البلخي» و «أبي عبد الله البصري» و«أبي إسحاق بن عيّاش» و «قاضي القضاة عبد الجبار» و تلامذته، إلى أنّ المعدومات الممكنة قبل وجودها ذوات وأعيان وحقائق ثابتة في أنفسها، جواهر وسواد وبياض وغير ذلك، وأنّه لا تأثير لله تعالى في جعل الذوات ذواتاً والجوهر جوهراً وغير ذلك، بل إنّما يؤثر في جعل تلك الذوات موجودة. واتفقوا على أنّ تلك الذوات متباينة بأشخاصها، وأنّ الثابت من كلّ نوع من تلك الذوات المعدومة عدد غير متناه، فللجوهر أشخاص هي جواهر متساوية غير متناهية، وكذا السواد له جزئيات متماثلة غير متناهية، وكذا البياض وغيرها من الأنواع. واتفقوا كافة على أنّ تلك الذوات المعدومة متساوية في كونها ذوات، وأنّ الاختلاف بينها إنّما هو بصفات.ثمّ اختلفوا، فذهب أكثرهم إلى أنّ تلك الذوات المعدومة موصوفة بصفات الأجناس كالجوهرية في الجوهر، والسوادية في السواد، والبياضيّة في البياض، وزعم «ابن عيّاش» أنّها عارية عن جميع الصفات في العدم وإنّما تحصل الصفات في زمان الوجود.أمّا القائلون بالصفات، فزعموا أنّ صفات الجوهر، إمّا أن تعود إلى الجملة، كالحيّية وما يكون مشروطاً بها (٢)، أو إلى الأفراد وهي أربع . (المترجم)

لقد اتخذت خطوة رئيسة من قبل الشيخ أبي عبيد الله محمد بن محمد بن النعمان المفيد (المتوفى في سنة ٤١٣هـ/١٠٢٢) من أجل تبني فقه المعتزلة بين صفوف الشيعة، وكان الشيخ المفيد تلميذاً لابن بابويه، وهو أيضاً أول فقيه شيعي وأن كتابه ومؤلفاته عن الكلام ما زالت متوافرة. وأن أكثر كتبه أهمية هي كتابه شرح عقائد الصدوق، أو تصحيح الاعتقاد، الذي انتقد فيه المواقف الحديثية لابن بابويه بشكل خاص، وكتابه (أوائل المقالات).

لقد أثبت الشيخ المفيد بخلاف ابن بابويه استعمال العقل في المسائل الدينية. وعلى أية حال، فإنه لم يذهب بعيداً كما ذهب المعتزلة الذين وظفوا العقل إلى الدرجة التي أقصوا فيها الأحاديث وذلك من أجل دعم مواقفهم وآرائهم. فإنه مثلاً رفض إمكانية تحديد أو تخصيص الأسماء لله وذلك لأن ليس لها أسس في القرآن والأحاديث حتى وإن أشار إليها العقل.

وفي آرائه الفقهية، كان المفيد دائماً يتخذ موقف ورأي مدرسة الاعتزال البغدادية التي كان يعدّها أقل عقلانية مقارنة بمدرسة البصرة الاعتزالية التي انكرت أو رفضت أن الوحي يؤدي إلى العلم والمعرفة بشأن الإشكاليات الفقهية الأساسية.وهناك الشريف المرتضى، الذي يطلق عليه (عالم الهدى) (المتوفى سنة ٤٣٦هـ/١٠٤٤) وكان تلميذ الشيخ المفيد، الذي اختلف مع استاذه (شيخه) في حالتين. فالعقل في رأيه هو السلطة الوحيدة التي تؤدي وتقود إلى الحقيقة في المسائل الفقهية في الوقت الذي يكون فيه العلم الذي ينشأ من مصدر الوحي وبصورة خاصة من الأحاديث تلك التي حينما يحصل تعارض وتضادد مع العقل لابد أن ترفض. وفي هذا المبدأ قد تأثرت أيضاً بآرائه في منطقة أو مجال أصول الفقه Legal methodology إذ أنه رفض كلية وبصراحة أي سلطة أي أخبار من الأخبار الأحادية. ففي آرائه الفقهية، كان الشريف المرتضى يتّبع، على عكس الشيخ المفيد عادة موقف المدرسة البصرية وذلك لأنها بشكل كامل قد تطورت من قبل أبي هاشم

الجبائي (المتوفى ٣٢١هـ/٩٣٣) إذ كان اتباعه يسمون بالهاشمية. وقد أصبح المرتضى مطلعاً على مذاهب ومبادىء هذه المدرسة عندما كان يتلقى الدروس في بغداد على يد العلامة المشهور القاضي عبد الجبار (المتوفى في سنة ٤١٥هـ/١٠٢٥م) وهو مؤلف كتب (المغني في أبواب التوحيد والعدل)، والعالم المعروف قليلاً أبو إسحاق النصيبي (المتوفى ٤٠٨هـ/١٠١٧م).

أما بالنسبة إلى آرائه الفقهية فإنه بالإمكان دراستها في مؤلفاته ورسائله الكلامية كثيرة والتي هي قليلة السرد والتفصيل تلك التي تم تحقيقها. وإن عملية أو كتابيه الكلاميين الرئيسين، كتاب الملخص في أصول الدين وكتاب الذخيرة في علم الكلام كلاهما موجودان بشكل جزئي في مخطوطات. وهناك شرح على كتابه في علم الكلام الملخص كثيراً وهو كتاب جمل العلم والعمل أو كتاب جُمل العقائد التي قد كتبت من قبل تلميذه الشيخ الطوسي (المتوفى ٤٥٩/١٠٦٧) في كتابه كتاب تمهيد الأصول في علم الكلام. وقد تابع الشيخ الطوسي في آرائه الفقهية عادة موقف المرتضى كما يظهر ذلك في كتابه كتاب الاقتصاد الهادي على طريق الرشاد.

وبظهور المرتضى فإن الاندماج أو الالتحام بين المعتزلة والتشيع تكون قد اكتملت. ومهما يكن فإن الإمامية لم يتوصلوا إلى اتفاقية أو تسوية مع المعتزلة بخصوص تلك المبادىء والمذاهب العقدية تلك التي اقتبست أو اشتقت من مذهبهم الإمامي المتميز. وطالما، كما هو ينسب إلى المذهب الإمامي، أن العالم لا يمكن أن يوجد في أي لحظة دون وجود إمام الذي يعدّ قائداً ومرشداً للبشرية، فلهذا تعدّ الإمامة الأساس الحقيقي، والقاعدة المطلقة للعقيدة. وبالنتيجة، فإنهم رفضوا أيضاً التمييز أو التفريق المطلق للمعتزلة بين الكبائر الذنوب الكبيرة والصغائر الذنوب الصغيرة فضلاً عن مبدأ التحايط أو الإبطال المشترك mutual cancellalion. فقد اعتقد المعتزلة أنه إن كان شخصاً قد عمل عملاً طيباً فإن ذلك سيبطل أو يلغي العقوبة التي يستحقها بسبب ذلك الذنب الذي ارتكبه. وعلى وفق نفس الآلية تطبق

عملياً وتستعمل في حالة العكس من ذلك. وعلى أية حال، فإن الشخص إذا ارتكب ذنباً كبيراً، فإن العقوبة التي يستحقها بسبب ذلك لا يمكن بأية حال من الأحوال إبطالها أو إلغائها مهما فعل من أعمال طيبة وفوق ذلك، فإنه بسبب الكبائر والذنب الكبير، ستلغى أو تبطل أو توماتكيا أيضاً جميع المكافآت rewards التي يستحقها هذا الشخص عن الأعمال الطيبة السابقة. وموقف الإمامية على عكس ذلك ومن ذلك لا يؤمنون أو لا يعتقدون فقط بأن الكبيرة من الذنوب ربما تبطل أو تلغي أي من المكافآت السماوية للشخص الذي يستحقه في معتقده. فالمؤمن الحقيقي قد لا يكون بالأحرى متأكداً عن مكافأة مادية في الآخرة لمعتقده حتى وإن كان قد عوقب معاقبة مؤقتة بسبب ذنوبه وهكذا، فبسبب هذا الرأي وبما أن الإمامية تعتقد بأن النبي والأئمة سوف يشفعون ويتوسطون عن المؤمنين من شيعتهم في يوم القيامة، فإنهم رفضوا أيضاً مذهب أو عقيدة المعتزلة بشأن العقوبة السماوية المطلقة أو من غير قيد أو شرط للآثم في القبر grave sinner.

وكانت الأفكار الأخيرة المجددةللمدرسة المعتزلية التي أدخلت أو عرفت في التشيع جاءت من قبل الفيلسوف وعالم الفلك نصير الدين الطوسي (المتوفى ٦٧٢هـ/١٢٧٤م) وأن مواقفه كما بدت من خلال مؤلفاته في الكلام، كالكتاب المشهور وذي المكانة البارزة تجريد العقائد، وهذه المؤلفات قد شاركه فيها معاصره ميثم بن علي بن ميثم البحراني (المتوفى ٦٩٩هـ/١٣٠٠م) وقد طورت بشكل كامل من قبل تلميذه العلامة الحلي في مؤلفاته الفقهية المتعددة.

هناك عدد من التطورات التي قد حدثت في الفكر الإسلامي خلال القرون التي سبقت مباشرة هذه المدرسة الإمامية المعتزلية التي كان لها تأثير رئيس على فقههما.

ففي حقل المعتزلة، فقد كان لأبي الحسين البصري (المتوفى ٤٣٦هـ/١٠٤٤) الذي كان تلميذاً للقاضي عبد الجبار، تأثير في تطوير مستقل في الآراء الفقهية التي

حدثت بمعزل عن مدرسة أبي هاشم. وعلى الرغم من الانتقادات المتعددة من قبل الهاشمية ومؤلفي الفرق الإسلامية المتأخرين فإنه قد أدخل الفلسفة تحت غطاء الكلام، وآراء أبي الحسين البصري كانت قد حققت نجاحاً إلى مدى بحيث أن مدرسته قد أسست أو ثبتت نفسها جنباً على جنب مع الهاشمية، وأخيراً، فإن آراءه قد بقيت حية لمدة أطول من تعاليم الهاشمية لما كانت قد تبنت وبواسطة بعض الزيديين المعتزلة، وكما يظهر فيما بعد وإلى مدى أكبر وأوسع من قبل الإمامية المعتزلة.

إن المصادر والموارد المستخدمة في إعادة بناء الآراء الفقهية لأبي الحسين البصري، وهو الذي تعدّ جميع أعماله الكلامية برمتها قد فقدت، وهذه المؤلفات أو الكتابات التي كتبت من قبل أحد اتباعه المتأخرين من مدرسته وهو ركن الدين محمود بن الملاحمي (المتوفى سنة ٥٣٦هـ/١١٤١م)، كالكتاب المختصر المسمى كتاب الفائق في أصول الدين والكتاب الآخر الأكثر شمولاً وانتشاراً، وهو كتاب (المعتمد في أصول الفقه) الذي ظل جزئياً موجوداً. وهناك المصدر المهم الآخر هو كتاب الكامل في الاستقصاء فيما بلغنا من كلام القدامى من تأليف تقي الدين النجراني (أو بقراءة أخرى البحراني) العجلي الذي لا نعرف لهُ ترجمةٍ. وهذا الكتاب الذي يركز الاهتمام على الاختلافات بين الهاشمية ومدرسة أبي الحسين البصري وقد كتبت بين سنتي ٥٣٥هـ/١١٤١ و ٦٧٥هـ/١٢٧٦-١٢٧٧).

وتمثل التطور الآخر بتنامي الافتتان الذي عم بين صفوف الفقهاء بالفكر الفلسفي لابن سينا (المتوفى سنة ٤٢٨هـ/١٠٣٧م) وعلى الرغم من أن الفقهاء تقليدياً قد وقفوا ضد جميع تلك المذاهب أو العقائد الفلسفية والتي لا تتفق مع آرائهم الفقهية، لكنهم مع ذلك مالوا إلى تبني أكثر فأكثر المصطلحات الفنية حتى عناصر التعاليم الفلسفية بالقدر الذي يستطيعون أن يجعلوها تتفق مع مبادئهم ومذاهبهم الفقهية.

فأبو الحسين البصري، الذي يبدو أنه قد درس مع أبي علي السمح النصراني الفلسفة والعلوم وكان يعدّ من قبل المؤلفين المتأخرين كالشهرستاني وابن القفطي، على أنه قد تأثر تأثراً عميقاً وكثيرا بالمفهوم الذي يعتقده الفلاسفة على الرغم من أن هذا الرأي الذي طرحه الشهرستاني وابن القفطي مختلف عليه عند العلماء المحدّثين وهو رأي يحتاج بالتأكيد الى استقصاء وبحث إضافي أيضاً آخر.

إنه من الميسور والسهولة أن نجد تأثير التقليد أو المنهج الفلسفي في عمل أو كتاب فخر الدين الرازي (المتوفى ٦٠٦هـ/١٢٠٩م) وكان مشهوراً بأنه قد طور كثيراً ما ابتدأ به سلفه الغزالي (المتوفى ٥٠٥هـ/١١١١م) أو كما أطلق عليه ابن خلكان بطريق المتأخرين inethod of moderns في الكلام الأشعري عبر خليط صريح وغير خاضع لحدود من المفاهيم والمصطلحات الفنية الفلسفية والفقهية.

ومهما يكن، فإنه على الرغم من هذا التبني لعناصر التعاليم والتقليد الفلسفية، فإن الرازي عادة يقدم ويعرض موقفاً ناقداً شديداً إزاء المذاهب والعقائد الفلسفية الأساسية مؤمناً ومتواصلاً مع الآراء الأشعرية التقليدية. واستثناءاً لذلك هو كتابه المباحث المشرقية الذي كتبه في صباه والذي تابع بشكل عادي ومألوف الآراء الفلسفية لشيخه أبي البركات البغدادي (المتوفى بعد سنة ٥٦٠هـ/١١٥٢م).

وهناك ميزة أو خصوصية أخرى لفقه الرازي وهو أنه في كثير من الأحايين يتبنى المفاهيم الفقهية لأبي الحسين البصري الذي بواسطته عدّلها وفسّرها بطريقة تكون بالنتيجة داعمة ومؤيدة للأشعرية أكثر من دعمها لوجهة نظر المعتزلة.

وكان السبب في ذلك أن الرازي في مرحلة مبكرة نسبياً من حياته قد أمضى بعض الوقت في خوارزم التي كانت تعدّ المركز المتبقي الأخير للاعتزال في عصره إذ أنه انشغل في المناقشات الفقهية مع المعتزلة، والظاهر من هذا كان بهدف واضح إلى (التحول والهداية) المعتزلة إلى الأشعرية. ولما كان معروفاً بأن مدرسة أبي الحسين

البصري مع الهاشمية كانا قد مثلا تمثيلاً جيداً في عصر الرازي في خوارزم، فقد أصبح الرازي في هذه المناسبة على إطلاع ومعرفة جيدة جداً لمذاهب وعقائد مدرسة أبي الحسين البصري.

كان لهذه التطورات التأثير الرئيس والكبير على فقه الفقهاء الشيعة في عصر نصير الدين الطوسي(*) (٣٥٦)فقد تبنى هؤلاء بشكل كامل تقريباً آراء مدرسة أبي الحسين البصري في المسائل والإشكاليات الفقهية. ومن جانب آخر، على أية حال، فإنهم في كثير من الأحايين يستعينون أو يستبدلون المصطلحات الفلسفية كالتي كان الرازي يستخدمها بالمصطلحات الاعتزالية التقليدية من كتاباتهم الفقهية. وإلى مدى متباين أو مختلف فإنهم قد ينحرفون أيضاً من نظريات ومواقف المعتزلة المبكرين أو الأوائل عندما يتبنون نظريات ومواقف فلسفية. وأوج هذا التطور أو المتغير كان يتمثل بنصير الدين الطوسي الذي ظهر في مختلف أعماله ومؤلفاته الفلسفية وكأنه المدافع الثابت على المبدأ عن فلسفة ابن سينا والذي استبدل واستعاض في كتابه في

(*)وصف عصر العلامة الحلّي بكثرة العلماء في علم الكلام وأصول الفقه الشيعي .وللتدليل فما إنْأطلّ القرن السادس الهجري / الثاني عشر للميلاد إلاّو قد أفل نجم المعتزلة ؛ لكن مع إطلالة هذا القرن حتى بدأ العصر يشهد نهضة علمية شيعية بظهور عدد كثير من مشاهير العلماء نذكر منهم على سبيل المثال .:محمد بن أحمد بن علي الفتال النيسابوري (المتوفّى٥١٣ هـا)لمعروف بابن الفارسي، عرّفه ابن داود في رجاله بقوله : متكلم جليل القدر، فقيه، عالم، زاهد، ورع ، قتله أبو المحاسن عبد الرزاق رئيس نيسابور الملقب بشهاب الإسلام. بشتهر في أيام شبابه و ارتفع شأنه فاستفتي، و سئل عن مسائل في الكلام، و صنّف كتاب «التنوير في معاني التفسير» وكتاب «روضة الواعظين وبصيرة المتعظين» في علم الكلام و الأخلاق والآداب.وكتابه المعروف بروضة الواعظين كتاب قيّم طبع غير مرة و فيه من المباحث الكلامية.وقطب الدين المقري النيسابوريمن مشايخ السيد ضياء الدين أبي الرضا فضل الله الراوندي (المتوفّى حدود ٥٤٧هـ) مؤلف كتاب الحدود (المعجم الموضوعي للمصطلحات الكلامية) وقد طبع وله كتاب كلامي قيم مخطوط عسى أن نقوم بنشره بإذن الله سبحانه .الفضل بن الحسن الطبرسي مؤلف مجمع البيان (المتوفّى٥٤٨هـ) و له في تفسيره بحوث كلامية مهمة والحسين بن علي بن محمد بن أحمد (المتوفّى ٥٥٢هـ(المعروف بـ «أبي الفتوح الرازي» وكتابه المعروف بـ«روض الجنان» وهو كتاب غنيّ بالبحوث الكلامية وقطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي (المتوفّى ٥٧٣هـ(مؤلف كتاب تهافت الفلاسفة و جواهر الكلام في شرح مقدمة الكلام وسديد الدين الشيخ محمود الحمصي (المتوفّى في أواخر القرن السادس(مؤلف «المنقذ من التقليد».وأبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي مؤلف كتاب الاحتجاج توفي في أواسط القرن السادس والسيد حمزة بن علي بن زهرة الحلبي (٥١١. ٥٨٥هـ(له كتاب غنية النزوع في علمي الأصول والفروع يقع في جزءين، والكتاب يشتمل على علوم ثلاثة : الكلام والفقه و أصوله ونهاية المرام في علم الكلام ومحمد بن علي بن شهرآشوب المازندراني (المتوفّى ٥٨٨هـ(أخذ عن المتكلم أبي سعيد عبد الجليل بن أبي الفتح الرازي. قال الصفدي: أحد شيوخ الشيعة، حفظ القرآن و له ثمان سنين، وبلغ النهاية في أصول الشيعة، كان يرحل إليه في البلاد، توفي عام٥٨٠.هـ.(المترجم)

علم الكلام (تجريد العقائد) الآراء الفلسفية للآراء الفقهية حيث لم تتضارب أو تتعارض هذه مع الفقه؛ وأقصد في حقل الفيزياء وفي حقل ما كان عادة يدعى بحقل لطائف الكلام subtleties of kalam.

ومؤلفات الحلّي تلائم جداً في دراسة الآراء الفلسفية للمعتزلة الشيعة في هذه الحقبة بما أنه قد ألف كثيرا جداً من المؤلفات الفقهية والتي بقي كثير منها حياً . وأن هذا لا ينطبق على نصير الدين الطوسي الذي تعدّ أهميته كمؤلف تكمن في مؤلفاته الفلسفية والإسماعيلية أكثر من مؤلفاته الفقهية ولا تعادل البحراني الذي لم يبق من مؤلفاته سوى كتاب فقهي هو مختصر وهو كتاب القواعد في علم الكلام.

ومن بين مؤلفات الحلّي حول في علم الكلام فإن الكتاب الأكثر سعة وشمولاً هو كتاب (نهاية المرام في علم الكلام) والذي بقي حياً في عدد قليل من المخطوطات والتي بحسبما يبدو غير متوافرة في الغالب للعلماء المتأخرين. وحتى بالنسبة إلى شارح مؤلفات الحلي ومفسرهاالمشهور الفضل بن المقداد السيوري (المتوفى سنة ٨٢٦هـ/١٤٢٣م). وأما المؤلفات المهمة الأخرى للحلّي التي كتبها في مرحلة متقدمة جداً من سيرته العلمية وهي كتابه مناهج اليقين في أصول الدين الذي أتمه في سنة ٦٨٠هـ/١٢٨١-١٢٨٢ وكتابه (معارج الفهم في شرح نظم البراهين) الذي صنفه كما يبدو قبل المناهج. وفي مرحلة متأخرة من حياته، فإنه ألف المؤلفات القصيرة كتاب نهج المسترشدين في أصول الدين الذي اكتمل تأليفه في سنة ٦٩٩هـ/١٢٩٩- ١٣٠٠ وكتاب تسليك النفس إلى حضرة القدس الذي أتمه في سنة ٧٠٤هـ/١٣٠٤-١٣٠٥م، في حين أن الحلي دائماً يحجم في كتاب تسليك النفس من الإشارة إلى نظريته أو موقفه الخاص ويحدد نفسه إلى تقديم آراء مختلف الفرق، وأنه في العادة يعرض رأيه الخاص بوضوح وجلاء في كتابه كتاب نهج المسترشدين. وخلال مدة بقائه أو مكوثه في بلاط الأليخان أو ليجيتو Uljautu التي امتدت بصورة تقريبية من ٧٠٩/١٣١٦-١٣١٧، فقد ألف الحلي بطلب من أوليجيتو عدداً من المؤلفات الجدلية أو في اللاهوت الجدلي

وبخاصة ضد الأشاعرة. وأن الكتب الأكثر شهرة من بين هذه الكتب كتاب نهج الحق وكشف الصدق وكتاب منهاج الكرامة في الإمامة. وهذا الكتابان الأخيران هما بصورة عامة ليسا نافعين بالنسبة إلى إعادة مباني الآراء الفقهية للحلّي بما أن اهتمامه الأساس في هذين العملين منصباً على الجدل والمحاجحة أكثر من أن يكونا في أحكام أو تطوير موقفه ونظريته الخاصة به.

كان الحلّي مطلعاً تماماً مع التطور الذي سبقت الإشارة إليه في الفكر الإسلامي ذلك الذي أثر في فقهه إلى درجة واسعة. فخلال عهد صباه الذي قضاها في الحلة قد تعرف على أدب الكلام الشيعي المبكر وذلك من قبل والده سديد الدين وأخويه جمال الدين بن طاووس (المتوفى ٧٧٣/١٢٧٤) ورضي الدين بن طاووس (المتوفى ٦٦٤هـ/١٢٦٦) وخلال عهد الأليخان هولاكو، أصبح الحلي مطلعاً على نظريات ومواقف مدرسة أبي الحسين البصري. وقد ألّف الحلّي شرحاً بعد موت نصير الطوسي على كتاب الطوسي تجريد العقائد المتأثر إلى درجة كبيرة بمذهب مدرسة أبي الحسين البصري. ومن الممكن افتراضه أنه قد التقى أيضاً بميثم بن ميثم البحراني في مرصد مراغه وهذا أيضاً كان يفضل نظريات أو مواقف مدرسة أبي الحسين البصري في كتابه القواعد في علم الكلام.

ويتضح من كتابه عن الكلام وبصورة منهاج اليقين في أصول الدين أن الحلّي لابد من أن لديه نسخاً من كتاب الفائق لابن ميثم وكتاب الكامل لتقي الدين بما أنه من المؤكد تقريباً أنه اقتبس من كلا العملين أو الكتابين.

وكان الحلّي مطلعاً أكثر من هذا على المؤلفات الفقهية والفلسفية التي ألفها فخر الدين الرازي تلك التي درسها مع شيخه الكاتبي القزويني (المتوفى ٦٧٥هـ/١٢٧٦م) وهو من الذين أيضاً التقى بهم في مراغه.

وتلقى الحلّي أبان مكوثه في مراغه تعليمه الفلسفي تحت إشراف نصير الدين الطوسي الذي درس معه بشكل رئيس الإلهيات من كتاب الشفاء لابن سينا والكاتبي القزويني الذي عرفه بمؤلفات أثير الدين مفضل بن عمر الأبهري (المتوفى ٦٦٣هـ/١٢٦٤م) ومحمد بن ناموار بن عبد الملك الخنجي (المتوفى ٦٤٦هـ/١٢٤٧م) وقد كتب الحلي في كل من الكتابين الرسالة الشمسية وحكمة العين شروحاً.

ولعل الحلّي كان على الاقل ولدرجة معينة مطلعاً على تصوف ابن عربي (المتوفى ٦٣٨هـ/١٢٤٠م) عبر شيخه شمس الدين محمد بن محمد بن أحمد الكشي (المتوفيسنة ٦٩٥هـ/١٢٩٥-١٢٩٦م) والذي كان على اطلاع واسع بمؤلفات ابن عربي وكان نفسه صوفياً ومطلعاً على مذهب أو مبدأ الإشراق ILLumination للسهروردي (المتوفى ٥٨٧هـ/١١٩١م) والمؤلفون المتأخرون نسبوا إلى الحلي كتاباً بعنوان شرح حكمت الإشراق الذي من المظنون أنه يقصد بذلك حكمت الإشراق للسهروردي. وعلى أية حال، فإن الحلي لم يذكر مثل هذا الكتاب في قائمتيه التي وضعهما نفسه عن كتبه، وأول هذين العملين في كتابه عن الرجال وهو كتاب خلاصة الأقوال الذي كتبه في سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٣-١٢٩٤، والثاني في كتابه الإجازة التي أصدرها إلى تلميذه مهنا بن سنان في سنة ٧٠٢هـ/ ١٣٠٢-١٣٠٣، ومهما يكن، فليس هنالك من إشارات تبين على أنه أدمج أياً من المفاهيم أو المصطلحات الفنية لأي من ابن عربي والسهروردي في مؤلفاته الفقهية، وأن هذا التطور قد حدث بعد قرنين فقط مع ابن أبي الجمهور الإحسائي (المتوفى ٩٠٤هـ/١٤٩٩) الذي حاول الجمع بين التيارات المختلفة.

٣/٢

تابع الحلّي عادة نظريات ومواقف مدرسة أبي الحسين البصري بخصوص آرائه في المسائل الفقهية، والاستثناءات تظهر في جميع المذاهب والعقائد بالنسبة إلى الآراء

التي لا يوافق عليها الشيعة تقليدياً مع المعتزلة وبالنسبة إلى ما تابعه الحلي دون استثناء التقليد أو الحديث الشيعي.

وعلى عكس اتباع أبي الحسين البصري، ولاسيما بالنسبة إلى العالم البارز ابن الملاحمي وكذلك تقي الدين، فقد وظف أو استخدم المصطلحات الفنية الفلسفية كثيرا بدلاً من المصطلحات الكلامية التقليدية تلك التي أيضاً وظفت واستخدمت من قبل فخر الدين الرازي. وعلى أية حال فإن هذه في العادة لا تقود ولا تفضي إلى أي تعارضات أو اختلافات في الفحوى والمحتوى بين الحلي واتباع أبي الحسين البصري الأوائل.

وفي أدناه بعض أو ثمة أمثلة سنقدمها تلك التي توضح وتبين المسائل الفقهية الرئيسة بالنسبة إلى ما اختلف فيها الحلي ومدرسة أبي الحسين البصري اختلفوا مع الهاشمية، وسوف نظهر أكثر من ذلك ابن أدمج الحلّي المصطلحات الفنية الفلسفية والمفاهيم إلى المناقشة.

إن واحدة من بين أهم النقاط التي اختلف فيها الحلّي مع الهاشمية متابعاً في ذلك مدرسة أبي الحسين البصري هي رمضه إلى مفهوم الأحوال (مفردها حال) states تلك التي أدخلها أبو هاشم بهدف أو من أجل إدراك الصفات الإلهية وتصويرهاكحالة من بين حالات أخرى. فاعتماداً على أبي هاشم فإن الذات (مفرد ذوات) essence لا تختلف عن غيرها بسبب ينطلق من ذاتها، لكن بالأحرى بسبب من صفة الذات (أي من الصفة الذاتية – صفة الذات) التي من الضروري أن ترتبط وتلازم الحال essence(*). (٣٥٧)وهكذا يطبق الحال نفسه على الله. فالله هو الله

(*)كان رأي العلّامة الحلي في كتابه نهج الحق وكشف الصدق الذي خالف فيه رأي المذاهب الأخريفي باب صفات الله تعالى قوله: إنه تعالى قادر على كل مقدور. الحق ذلك، لأن المقتضي لتعلق القدرة بالمقدور هو الأمكان، فيكون الله تعالى قادرا على جميع المقدورات.وخالفت في ذلك جماعة من الجمهور. فقال بعضهم: إن الله تعالى لا يقدر على مثل مقدور العبد. وقال آخرون: إنه تعالى لا يقدر على غير مقدور العبد. وقال آخرون: إنه تعالى لا يقدر على القبيح. وقال الآخرون:إنه تعالى لا يقدر أن يخلق فينا علما ضروريا يتعلق بها علمناه مكتسبا ،وهي عمدة ما وقع النزاع والاختلاف فيه بين الأمة، وما سل سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الإمامة. وذهب إلى الأول أبو

بسبب يتعلق بصفته من الحال. وأن صفة الحال هذه تستتبع كنتيجة لابد منها عدداً من الصفات المهمة (المقتضاة) (بمعنى صفات مقتضاة عن الذات) حالما تخلق أو تنشأ الحال أو الذات. وفي الحالة الخاصة بالله، الذي هو سماوي غير مادي، فهذه الصفات الذاتية وهي كونه مقتدراً وعالماً وحياً وموجوداً.

وقد تبنى الحلّي، وهنا أيضاً فقد تابع ثانية مدرسة أبي الحسين البصري، جواب أبي هاشم حول إشكالية كيف للمرء معرفة صفات الله. فالصفات كانت معروفة من قبل الحكم (جمعها أحكام) **[وقد ترجمتها المؤلفة إلى** distinguishing characteristic **أي الصفات المتميزة- المترجم-]** لأي وكيل أو ممثل معروف. ومهما يكن فإن الأحكام أو الصفات المتميزة في رأي الحلّي بالنسبة إلى الله تؤشر إلى مسائل مضافة إلى ذاته والتي إنما وجدت في مخيال الإنسان فحسب ولكنها في حقيقتها لا تعني شيئاً سوى الله؛ الذات المتميزة. وفي رأي أبي هاشم، فإن الأحكام تعني حال (state) الله.

وبخصوص صفة الإرادة عند الله فالحلّي بصورة مماثلة يفضل رأي أبي الحسن البصري. وكلا الفقيهان رفضا نظرية أو موقف الهاشمية التي اعتماداً عليها فإن إرادة الله هي حالة تستلزم من خلال (معنى) أو خطوة أولية intitative determinatve **[وهذه ترجمة من المؤلفة لكلمة معنى]** التي لا تبقى أو لا توجد في

القاسم الكعبي، رئيس الكعبية من المعتزلة، وإلى الثاني عامة المعتزلة، والجبائية، وإلى الثالث النظام، رئيس الفرقة النظاميةوكل ذلك بسبب سوء فهمهم، وقلة تحصيلهم، والأصل في ذلك: أنه تعالى واجب الوجود، وكل ما عداه ممكن، وكل ممكن فإنه إنما يصدر عنه. ولو عرف هؤلاء الله حق معرفته لم تتعدد آراؤهم، ولا تشعبوا بحسب ما تشعب أهواؤهم.الله تعالى مخالف لغيره :العقل والسمع تطابقا على عدم ما يشبهه تعالى، فيكون مخالفا لجميع الأشياء بنفس حقيقته.وذهب أبو هاشم من الجمهور وأتباعه: إلى أنه يخالف ما عداه بصفة الإلهية، وأن ذاته مساوية لغيره من الذوات .
وقد كابر الضرورة ها هنا الحاكمة بأن الأشياء المتساوية يلزمها لازم واحد، لا يجوز اختلافها فيه، فلو كانت ذاته تعالى مساوية لغيره من الذوات لساواها في اللوازم، فيكون القدم، والحدوث، والتجرد، والمقارنة إلى غير ذلك من اللوازم مشتركا بينها وبين الله، تعالى عن ذلك علوا كبيرا.ثم إنهم ذهبوا مذهبا غريبا عجيبا، وهو أن هذه الصفة الموجبة للمخالفة غير معلومة، ولا مجهولة، ولا موجودة، ولا معدومة. وهذا كلام غير معقول في غاية السقوط.نهج الحق ص٥٣-٥٤ (المترجم)

حالة أساس أو قوام substrate إن كلاً من أبي الحسين البصري والحلي يؤكدان على العكس من ذلك بأن الله بقدرته فقط بقدر ما يمكن قوله أنه مريد كما يفعل (الله) كمحرك وباعث. وعندما يعلم الله أن عملاً محدداً يتضمن منفعة أكثر من مضرة؛ فإن هذا العلم في الباعث والحركة التي تحثه على أن يعمل. وهناك لا يمكن أن نعزوه إلى الله إرادة مضافة إلى دافعه أو هدفه.

أما مسألة إرادة الإنسان توفر لنا مثالاً عن كيف أن الحلّي اتبع في الفحوى موقف أبي الحسين البصري في الوقت الذي استبدل فيه المصطلح الفسلفي بالنسبة إلى المصطلح التقليدي للكلام.

أبو الحسين البصري أكد أنه في حالة إرادة الإنسان فهي غير متطابقة مع الحافز أو الباعث. بالأحرى، عندما يطور أو ينمي الإنسان الدافع أو الحافز لعمل ما، فإنه يحدث طلباً (المطالبة) فضلا عن الحافز لعامله. وهذا الطلب أو المطالبة هي إرادته، وقد عبّر الحلي عن نفس الوضع أو الأرضية إذ وفقاً لذلك فقد استخدم المصطلح الفلسفي للميل أكثر من الطلب. وبهذا، فإن الحلي تابع بوضوح فرضية فخر الدين الرازي الذي استخدم بالضبط نفس المصطلحات من أجل أن يصف إرادة الإنسان.

والمثال الآخر الواضح الذي يظهر ويعكس على متابعة الحلّي لموقف أبي الحسين البصري ولكن بشأن إحلاله المصطلح الفلسفي لمصطلحات علم الكلام المتعلقة بمسألة علم الله ومعرفته عن الأشياء قبل وجودها أو حدوثها. وهذه المسألة التي قد تم مناقشتها بالفعل عند الفقهاء الأوائل التي نشأت من إشكالية كيف أن الله، كما قيل، يعلم شيئاً في حاله كونه غير موجود في حين أن الشيء بحدوده وتحديده هو شيء قد وجد.

وكان موقف أو وجهة مدرسة أبي هاشم أن علم الله ومعرفته مرتبطة دوماً مع وجود الأشياء(*) (٣٥٨)، من دون اعتبار أن كانت بالفعل موجودة في لحظة محددة وواضحة أو لا، وأقصد سابقة أو قبل لوجودها فإن الله يعلم إنها سوف تكون موجودة في المستقبل، وبعد حدوثها فإن الله يعلم بأنها قد وجدت الآن، وبعد وجودها الله يعلم إن هذه الأشياء قد وجدت أو خلقت في الماضي، إن الهدف الأساس لهذا الحل هو لتجنب أي تبديل أو تغيير في صفات الله الأساسية بكونه عالماً.

(*)وموقف العلّامة في هذا المجال قد بيّنه في كتاب كشف الحق ونصّ كلامه هو: في أن النظر الصحيح يستلزم العلم. الضرورة قاضية بأن كل من عرف بأن الواحد نصف الاثنين، وأن الاثنين نصف الأربعة، فإنه يعلم أن الواحد نصف نصف الأربعة. وهذا الحكم لا يمكن الشك فيه، ولا يجوز تخلفه عن المقدمتين السابقتين. وأنه لا يحصل من تلك المقدمتين:أن العالم حادث، ولا أن النفس جوهر، أو أن الحاصل أولا أولى من حصول هذين.وخالفت الأشاعرة، كافة العقلاء في ذلك .(1) فلم يوجبوا حصول العلم عند حصول المقدمتين. وجعلوا حصول العلم عقيب المقدمتين اتفاقيا، يمكن أن يحصل، وأن لا يحصل. ولا فرق بين حصول العلم، بأن الواحد نصف الأربعة، عقيب قولنا: الواحد نصف الاثنين،:إن الواحد نصف الاثنين، والاثنان نصف الأربعة.وأي عاقل يرتضي لنفسه اعتقاد: أن من علم أن الواحد نصف الاثنين، وأن الاثنين نصف الأربعة، يحصل له علم أن العالم محدث، وأن من علم: أن العالم متغير. وكل متغير محدث، يحصل له العلم بأن الواحد نصف نصف الأربعة، وأن زيدا يأكل، ولا يحصل له العلم بأن العالم محدث، وهل هذا إلا عين السفسطة؟.النظر واجب بالعقل لا بالسمع .وبخصوص كلامه عن أن النظر واجب بالعقل فيقول ما نصّه " والحق أن مدرك وجوب النظر عقلي، لا سمعي، وإن كان السمع قد دل عليه أيضا، بقوله: " قل انظروا "وقالت الأشاعرة قولا يلزم منه انقطاع حجج الأنبياء، وظهور المعاندين عليهم، وهم معذورون في تكذيبهم، مع أن الله تعالى قال: " لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل " فقالوا: إنه واجب بالسمع لا بالعقل) ،وليس يجب بالعقل شئ البتة.فليزمهم إفحام الأنبياء، واندحاضحجتهم، لأن النبي إذا جاء إلى المكلف، وأمره بتصديقه واتباعه، لم يجب عليه ذلك إلا مع العلم . نهج ص ٤٩-٥٠ (المترجم)

(٣٥٨) في هذا الصدد ننقل ثمة أراء للعلّامة الحلي في بعض كتبه ومقاصده كما ذكرها السيد محن الأمين إذ قال "أما أن أصل تهذيب العلامة مختصر من كتب السنة فقد قال السيد الأمين:وكأنه يومئ بطرف خفي إلى أن أصل علم الأصول من غير الشيعة وأن العلامة أخذ منهم، ترويجا لرأي الأخبارية، ومع كون الحق حقيقا أن يتبع أينما وجد فقد صنف في الأصول قبل العلامة الشيخ الطوسي المعاصر لأبي الحسين البصري والمرتضى والشيخ المفيد المتقدمان على أبي الحسين البصري.وقال الشيخ الطهراني: يظهر منه أنه حاول بذلك الكلام إرجاع علم الأصول وكتبه إلى علماء العامة، بزعم أن الأصوليين منا عيال عليهم، أو لم يطلع عليها . أما بشأن كتابه الآخر وكتاب قواعد الأحكام اسمه:كما صرح العلامة نفسه في مقدمته لهذا الكتاب وصرح به الشراح كما في " كنز الفوائد " و " إيضاح الفوائد " وغيرها أن اسمه هو: " قواعد الأحكام في معرفة الحلال والحرام." وهو كتاب متين جامع يشتمل على جميع أبواب الفقه من كتاب الطهارة إلى كتاب الديات.ولأهمية القواعد في صعيد الفقه الإمامي، صار المحور الذي تدور عليه رحى التحقيق والنظر في الحوزات العلمية، فقد تناوله الفقهاء قديما وشرحا وحاشية عليه. ينظرقواعد الأحكام تأليف أبي منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي (العلامة الحلي) الجزء الأول تحقيق مؤسسة النشر الإسلامية . الأمين : أعيان الشيعة جزء٥ ص٤٠٤ (المترجم)

٣/٣

ولما كنا قد وصفنا مواقف الحلّي الثيولوجية ببعض من التفصيل، فهناك ثمة ملاحظات لاحقة ستلقي الضوء بخصوص الدرجة التي كان فيها الحلي متأثراً بالتعاليم الفلسفية في مؤلفاته الثيولوجية تلك التي قادت إلى اختلاف وعدم الاتفاق بينه وبين المعتزلة الأوائل وقبل الولوج بالتفصيلات[٣٥٩]، ينبغي الإشارة إلى أن الحلي لم يكن قد تدرب تدرباً جيداً في المجال الفلسفي لكنه أيضاً قد كتب عدداً من المؤلفات الفلسفية، ولسوء الطالع، فإن أربعة من مؤلفاته الفلسفية قد وجدت بشكل جزئي كتابه الأسرار الخفية الذي ألفه بين أعماله الأولى من سنة ١٢٩١/٦٩٠. أما بشأن كتابه (كتاب إيضاح المقصود) يرجع أيضاً إلى الحقبة الأولى من نشاطاته كمؤلف وهو كتاب تفسير وشرح لكتاب حكمة العين للكاتبي للقزويني. ومن بين مؤلفاته الفلسفية المتأخرة، هناك قدر ضئيل أو صغير موجود في كتابه كتاب كشف الخطأ من كتاب الشفاء في كتابه (كتاب مراصد التدقيق ومقاصد التحقيق) فضلاً عن هذه المؤلفات، لدينا العناوين لحوالي عشرة أعمال أخرى قد ألفها في ميدان الفلسفة وبشأن عناوينها فإنها تؤشر على أن الأغلبية منها تخص فلسفة ابن سينا، ولاسيما كتاب (كتاب الإشارات والتنبيهات) وحول هذا فإن الحلي يبدو أنه كتب عدداً من الشروح والتغييرات وشروح وتفسيرات إضافية، كذلك يبدو أنه قد كتب شروحاً وتفسيرات على (كتاب التلويحات) للسهروردي و(كتاب الملخص) لفخر الدين الرازي.

استبدل أو حلّ الحلّي التقسيمات الفرعية الفلسفية حول مسائل الوجود إلى الواجب، والممكن والممتنع محل للتقسيمات الثيولوجية تلك التي تميز ما بين القديم والمخلوق أو الحديث. والله بالنسبة له واجب الوجود الذي هو واجب لذاته في الوقت الذي تكون أي شيء دون الله هو ممكن لذاته وممكن أو ممتنع لأنه من واجب لغيره أو ممتنع لغيره. وقد أدت به هذه الافكار إلى عدم اتفاق أو إلى اختلافه مع

المعتزلة الأوائل بخصوص عدد من المسائل فمدرسة البصرة تؤكد أو تدعم أن الجسم بحاجة إلى مستجيب يستجيب لمؤثر offector وهو يحتاجه فقط لحدوثه. وما أن قد حصل على حدوثه، فإن هذا الجسم سيسفر في حدوثه دون أن يحتاج إلى مستجيب مدة أطول. لكن الحلي وقف مخالفاً. فطالما الجسم كما هو الحال في أي شيء آخر دون الله هو ممكن وواجب من خلال علة من غيره، فحدوث الجسم سوف لن يحول أو يغير خصائص الجسم الأساسية من أن تكون نفسها ممكنة. ولذلك فإن الوجود المستمر للجسم والتي تجددت أو تعينت بحالة أن الجسم واجب بشيء من دون ذاته وأقصد أن مستجيبه المؤثر يحتاج إلى مستجيب بنفس الوسيلة كالحالة التي ابتدأ بها الوجود.

فالحلّي تبنى بشكل أكثر مفهومية ابن سينا للماهية والوجود. أما بخصوص أي شيء من دون الله، فقد عدّ الحلي الماهية كمفاهيم هي ليست وجود ولا غير موجودة. فعندما يكون الوجود مرتبطاً بها، ونماذج من الماهيات قد حدثت في العالم الخارجي.

وبخلاف استخدام نصير الدين الطوسي في كتابه تجريد العقائد، فإن الحلّي لم يتبنى المفهوم الفلسفي للجوهر كجوهر قد وجد في اللا جوهر أو موجود لا في موضع وإعراض مفردها غرض، التي هو موجودة في الموضع. وعلى الأصح أنه عرف الجوهر في التقليد أو الحديث الثيولوجي كأنه ذرة التي تحتل متحيز والتي لا يمكن تجزئتها وأنه قد عرف الحدث على أنه حلّ في المتحيز. ومن بين هذه الأحداث فقد عدد الحلي أسماء تلك التي هي تقليدياً تأليفاً تنطبق على العلل السابقة الذكر.

أما بالنسبة إلى صفة اللون، فإن الحلّي لا يتبع وجهة نظر الهاشمية بأن هناك خمسة ألوان بسيطة تامة وهي: الأسود، والأبيض، والأحمر، والأخضر، والأصفر، لكنه يتابع في كتابه (كتاب نهج المسترشدين) موقف القسم الأعظم من الفلاسفة الذين يرون أن الألوان المحضة أو الخالصة الحقيقية هي الأسود والأبيض بينما جميع الألوان الأخرى توجد بعلة خلط خلطات مختلفة من هذين اللونين. وفي كتابه (كتاب منهج اليقين) يحجم عن اتخاذ موقف بشأن هذه المسألة.

وأخيراً يبدو أن الأهمية الرئيسة للحلّي في مؤلفاته الثيولوجية تكمن في تطور منهج المحدّثين تلك التي قد أدخلت في الفقه الشيعي من قبل نصير الدين الطوسي. إذ أن اندماج النظام والتعليم الفلسفي الثيولوجي أو الفقهي الذي وصل إلى أوجه بعد قرنين من الزمان حسبما يظهر بمؤلف أبن أبي جمهور الأحسائي، إذ يظهر أن نصير الدين الطوسي كان أكثر أهمية بكثير بما أنه ذهب أكثر بكثير مما ذهب إليه الحلي في تبنيه للنظام الفلسفي في أعماله الفقهية. كذلك فإن من الواضح بشكل أكبر أن أعمال ومؤلفات نصير الدين الطوسي الفلسفية كانت مقروءة أكثر بكثير من قبل العلماء المتأخرين من الكتابات الفلسفية للحلي، ومع أن أكثرها قد ضاعه أو فقد وأن كتاباً واحداً فقط قد وجد حتى الآن وتم تحقيقه. لكن أعمال الحلي الفقهية هي على خلاف ذلك قد عدت من قبل العلماء المتأخرين مؤلفات فقهية موثوقة.

أعمال الحلّي:

١- الأبحاث المفيدة في تحصيل العقيدة: وهي رسالة موجزة أورد فيها المصنف بعض المباحث الكلامية.

٢- إثبات الرجعة: توجد منه نسخة في مكتبة مدرسة فاضل خان بالمشهد الرضوي.

٣- آداب البحث: توجد منه نسخة في خزانة المولى محمد علي الخوانساري في النجف.

٤- أربعون مسألة في أصول الدين: إن نسخة منها موجودة في مكتبة السيد راجه محمد مهدي في فيض آباد بالهند.

٥- استقصاء النظر في البحث عن القضاء والقدر: طبعت هذه الرسالة مرتين.

٦- الأسرار الخفية في العلوم العقلية: تناول المصنف ثلاثة فنون فيه المنطق والطبيعيات والإلهيات والكتاب مطبوع حققه مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية في قم.

٧- الإشارات إلى معنى الإشارات: للشيخ ابن سينا، وإنه عنده بخطه.

٨- الألفين الفارق بين الصدق والمين: الكتاب طبع أكثر من مرة تحت عنوان الألفين في إمامة أمير المؤمنين.

٩- أنوار الملكوت في شرح الياقوت: والكتاب مطبوع بتحقيق محمد النجمي.

١٠- إيضاح التلبيس من كلام الرئيس (ابن سينا).

١١- إيضاح مخالفة السنة للكتاب والسنة: توجد نسخة منه بخط المؤلف في مكتبة الشورى الإسلامي في إيران.

١٢- إيضاح المقاصد من حكمة عين القواعد: توجد نسخة منه في مكتبة جامعة طهران.

١٣- إيضاح المعضلات من شرح الإشارات.

١٤- الباب الحادي عشر: تناول العلامة في هذه الرسالة الموجزة عقائد الإمامية الاثني عشرية.

١٥- بسط الإشارات إلى معاني الإشارات: ذكره العلامة في الإجازة وقال: إنه مجلد.

١٦- تجريد الأبحاث: في معرفة العلوم الثلاث المنطق والطبيعي والإلهي.

١٧- التعليم التام في الحكمة والكلام: ذكر ذلك في الروضات، وفي الإجازة ذكره باسم التعليم الثاني.

١٨- تسليك النفس إلى حظيرة القدس: تناول فيه العلامة ظرائف والتفاتات في علم الكلام.

١٩- التناسب بين الأشعرية وفرق السوفسطائية: ذكره المصنف في كتاب الخلاصة.

٢٠- الجوهر النضيد في شرح منطق التجريد: مطبوع وعليه تعليق من الحكيم الميرزا طاهر التنكابني.

٢١- حل المشكلات من كتاب التلويحات: للفيلسوف الشيخ شهاب الدين السهروردي المقتول في حلب سنة ٥٨٧ هجرية، ذكره في الخلاصة.

٢٢- الخلاصة في أصول الدين: ذكرها في الذريعة وقال: نسخة منه كانت في مكتبة الخوانساري.

٢٣- خلق الأعمال: رسالة كلامية ذكرها الشيخ الحر العاملي في أمل الآمل.

٢٤- الدر المكنون في شرح علم القانون: في المنطق، وفي نسخة الخلاصة المطبوعة وأعيان الشيعة: الدر المكنون في علم القانون.

٢٥- الرسالة السعدية: كتبها العلامة في الزمان المنحصر بين ربيع الثاني سنة ٧٠٩ هجرية وبين العاشر من شوال من سنة ٧١١ هجرية.

٢٦- رسالة في بطلان الجبر: نسبها له الحر العاملي في أمل الآمل.

٢٧- رسالة في تحقيق معنى الإيمان: جاء في مقدمة كتاب نهج الحق أن هذه الرسالة ذكرها بعضهم للعلامة.

٢٨- شرح حكمة الإشراق: لشهاب الدين السهروردي المتقول في حلب.

٢٩- القواعد الجلية في شرح الرسالة الشمسية: نسخة منه موجودة بخطه في المكتبة الرضوية.

٣٠- القواعد والمقاصد في المنطق والطبيعي والإلهي: ذكره في الخلاصة والإجازة وقال في الإجازة: إنه مجلد صغير.

٣١- كاشف الأستار في شرح كشف الأسرار: لأستاذه دبيران، ذكره في الخلاصة.

٣٢- كشف الخفاء من كتاب الشفاء: للشيخ ابن سينا، وأنه في مجلدين كما في إجازته للمهنا بن سنان.

٣٣- كشف الفوائد في شرح قواعد العقائد: أصل الكتاب (قواعد العقائد)، وقد طبع الكتاب سنة ١٤٠٥ هجرية.

٣٤- كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: أصل الكتاب (تجريد الاعتقاد).

٣٥- كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين: ذكره المصنف في الخلاصة.

٣٦- المحاكمات بين شراح الإشارات: في ثلاث مجلدات.

٣٧- مراصد التدقيق ومقاصد التحقيق: في المنطق والطبيعي والإلهي.

٣٨- معارج الفهم في شرح النظم.

٣٩- المقاومات الحكمية.

٤٠- مقصد الواصلين في أصول الدين.

٤١- مناهج اليقين في أصول الدين.

٤٢- منتهى الوصول إلى علمي الكلام والأصول: وهذا الكتاب ينقسم إلى قسمين في علم الكلام والأصول.

٤٣- منهاج الكرامة في معرفة الإمامة: اهتم هذا الكتاب بذكر مسألة الإمامة.

٤٤- منهاج الهداية ومعراج الدراية.

٤٥- نظم البراهين: مجلد وجيز وهو مرتب على سبعة أبواب.

٤٦- نهاية المرام في علم الكلام: وهو أوسع كتاب كلامي ألفه العلامة.

٤٧- نهج الحق وكشف الصدق: تناول المؤلف فيه النقاش في بعض المعتقدات.

٤٨- نهج العرفان في علم الميزان: في المنطق ذكره في الخلاصة.

٤٩- نهج المسترشدين في أصول الدين: تناول فيه المصنف الأمور العامة وبعض المسائل الفلسفية.

٥٠- نور المشرق في علم المنطق.

٥١- واجب الاعتقاد على جميع العباد: ذكر العلامة في هذه الرسالة العقائد الدينية اللازم معرفتها على الإنسان.

المحتويات

هذا الكتاب:

ينصف كتاب **إعادة قراءة التشيع في العراق حفريات استشراقية** ضمن الأعمال الجماعية لدراسة ملف في حقل موضوعي واحد قدمت فيه صور متباينة ومتنوعة في الآن نفسه لالتقاطها من زوايا ومرجعيات مختلفة في التكوين والتعليم والاختصاص الدقيق فبعض الأبحاث المجتمعة في هذا الكتاب قد تتقاطع في ما بينها ويفند بعضها البعض الآخر، وهذا الاختلاف والتباين قد يعطي حيوية ويخلق جواً صحياً متعدداً في رؤيته، وقد يخرج الكتاب من نطاق أو طابع الرتابة المعتمد على الرؤية الواحدة في متابعة البحث ومعالجته.

ISBN 978-1-927946-11-4



